جمهورية السودان
جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بحث مُقدّم لنيل درجة الدكتوراة بعنوان:

انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

٩٢ - ٢٣٢هـ / ٧١٠ - ٨٤٦ م

إعداد الباحث

بكري عمر رحمه حاج الحسين

إشراف الدكتور

عبد القادر عثمان محمد جاد الرب

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

المحتويات

جمهورية السودان
جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بحث مُقدّم لنيل درجة الدكتوراة بعنوان:

انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول

٩٢ ـ ٢٣٢هـ / ٧١٠ ـ ٨٤٦ م

إعداد الباحث

بكري عمر رحمه حاج الحسين

إشراف الدكتور

عبد القادر عثمان محمد جاد الرب

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث شريف

عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ:

« عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللَّهُ مِنْ النَّارِ عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَام »[1].

---

١ ـ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي: المجتبى من السنن (السنن الصغرى)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، حديث رقم (٣١٧٥).ومحمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠١هـ، جـ٤، ص٥٧٠، حديث رقم (١٩٣٤).

شكر وتقدير

يطيب لي أن أتقدم بخالص شكري وتقديري لجامعة أم درمان الإسلامية التي احتضنتني أيام دراستي وغرست في نفسي الذود عن حضارة الإسلام بكلِ غالٍ ونفيس، كما أشكر أستاذي ومشرفي الدكتور عبد القادر عثمان محمد جاد الرب لما بذله من جهد ووقت وتفكير حتى خرجت الرسالة بهذه الصورة، فكان موجهاً ومنسقاً ومبوباً، ودقيقاً في ملاحظاته، لم ينقطع عن توجيهي وإرشادي وبذل لي وقته الغالي، وفتح لي صدره فلم يمل من استفساراتي واعتراضي على بعض نقاط البحث، فقد تعلمت منه الخلق الرفيع والصبر الجميل قبل أن أنهل من معينه العلمي الثر.كما أشكر الدكتور نايف حمود أبو قريحة الذي وجهني لدراسة السند، وعاونني في مخطط البحث.وأشكر الدكتور سليمان يوسف خاطر لقيامه بمراجعة الرسالة نحوياً وإملائياً.كما أشكر الدكتور سيد أرباب لقيامه بترجمة ملخص البحث إلى اللغة الإنجليزية.وأشكر أخي الزاكي عمر رحمه الذي ساعدني في ترجمة بعض النصوص الإنجليزية.وأوجه شكري للقائمين على مكتبات جامعة الملك سعود وجامعة أم القرى ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ومكتبة الملك فهد الوطنية وجامعة القاهرة لاستجابتهم ومعاونتهم لي في الحصول على المراجع.وغيرهم كثيرون لم تسع المساحة لذكرهم، ولكن إن لم أذكرهم بين الأوراق، فإن جزاءهم محفوظ عند رب العباد.وشكري هذا أقل واجب عليّ لهم، وقد قال رسول الله ﷺ:لا يشكر الله من لا يشكر الناس[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث...

---

١ ـ محمد ناصر الدين الألباني: صحيح سنن أبي داؤد، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، جـ٣، ص٩١٣.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ومنَّ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، فهدى إلى سبيل الرشاد، وجاهد في الله حق الجهاد، وفتح الله به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُماً، وقلوباً غُلْفاً، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمنذ أن بُعث المصطفى ﷺ وإلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى كان يخطط ويتحرك بأصحابه وفق تصور سماوي واضح، وعبر طريق طويل، يبدأ ببناء الإنسان المسلم بالعقيدة في المرحلة المكية، وانتهاءً ببناء الدولة الإسلامية بالتشريع عبر المرحلة المدنية، ثم الانطلاق إلى العالم لانتشاله مما هو فيه من انحراف عقدي وانحدار خلقي، وانهيار سياسي لم تسلم منه أمة ولم تفلت منه بلد.

وكانت من تلك البلاد التي تعاني الأمرَّيَنْ وقتذاك، بلاد السند، فقد كانت تمر بأحطِ أدوارها ديانةً وخلقاً واجتماعاً، وبلغت الوثنية فيها أوجها، أما نظامها الاجتماعي فقد كان طبقياً لم يُعرف في تاريخ أمة من الأمم نظام طبقي أشد استهانة منه بكرامة الإنسان حيث كان الرجل يخسر زوجته في القمار، وهكذا صارت هذه البلاد المخصبة أرضاً وعقولاً، وهذه الأمة الموصوفة بكونها معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة ـ نتيجة لبعدها عن الدين وضياع مصادره ـ مسرحاً للجهل الفاضح والوثنية الوضيعة والقسوة الهمجية والجَوْر الاجتماعي الذي ليس له مثيل في الأمم ولا نظير في التاريخ.

وتنفيذاً لخطة نشر الإسلام وانتقاص أرض الكفر وزيادة رقعة الإسلام، وتخليص العالم مما هو فيه بدأت الدولة الإسلامية في زيادة مضطردة، ففي عهد الخلافة الراشدة استطاعت أن تدُك عروش أعظم دولتين عرفهما التاريخ هما فارس

والروم، وانطلقت خيول الفاتح المسلم تزيح كل عقبة تعترض الإسلام ورسالته، حتى وصلت إلى بلاد السند.والسند ليست ككل البلاد فهي أرض حضارة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، ومتفوقة على المسلمين في آلتها الحربية ، وإدارتها للحكم، أما أرضها الجبلية الوعرة فهي الأخرى غريبة على أهل جزيرة العرب، ولكن العجيب في الأمر أنهم لم يتهيبوا الصدام معها، رغم صعوبته فاخترقوا جدارها بعزيمة، وقهروا جندها وأزالوا سلطانها، وحولوها بعد جهاد مرير إلى أرض إسلامية، وقد كان لهذا الفتح الإسلامي لبلاد السند آثاره البعيدة المدى في حقول العلم والثقافة، ومن هنا جاء اختياري للانتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند، كموضوع لأطروحة الدكتوراة لأجل تسليط الضوء على الوسائل التي انتشرت من خلالها الثقافة الإسلامية والعربية في هذه المنطقة، وإسهامات العلماء السند في بناء الصرح الثقافي العلمي الإسلامي والإنساني.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها محاولة جادة لرسم صورة واضحة لأوضاع بلاد السند قبل دخول الإسلام، والتغيير الذي حدث فيها بعد قدوم الفاتح المسلم، والنتائج التي ترتبت على ورود الثقافة الإسلامية إليها وتفاعلها مع الموروث الحضاري المحلي.

فقد كانت السند أرض حضارة، لها ثقافتها ولغتها ودينها، إلا أنها أخذت نصيباً غير منقوص من ذلكم الظلام الذي خيّم على المعمورة في كل ناحية، فليست على أرضها قوة تمسك بيدها وتمنعها من التردي، وقد زادتها الأيام سرعة في هبوطها وشدة في إسفافها، وبينما هي تترنح وسط هذا الظلام إذا بخيل الفاتحين تنزل عليها فتحيي أرضها بعد أن ماتت حقباً، وتعيد لإنسانها مكانته. وهذا الانقلاب الذي حدث حريٌ بأن يُتَقصّى عنه لتستفيد منه الأمة الإسلامية في مسيرتها التاريخية والحضارية.

أسباب اختيار الموضوع:

وقع اختياري لهذا الموضوع لأسباب عديدة أجملها فيما يلي:

أولاً: قلة الدراسات حول الموضوع. تناول عدد من الباحثين تاريخ السند، وتعرضوا للثقافة الإسلامية فيها بشكل عام، ولكنهم لم يجمعوا مادة متكاملة عن الثقافة الإسلامية في الفترة المذكورة. ولعلّ أهم تلك الدراسات ما قام به عبد الله بن مبشر الطرازي في مؤلفه موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، فجمع فيه مادة ثرة لا سيما المؤلفات التي كُتبت باللغات الباكستانية، ولكن لكون الكتاب عبارة عن موسوعة فإنه تناول الثقافة الإسلامية في السند بشيء من العموم.

وقدّم فوزي محمد عبده ساعاتي رسالة ماجستير لجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، بعنوان انتشار الإسلام في بلاد السند والبنجاب حتى نهاية العصر الأموي، فجاء بمادة لا بأس بها حول الفتح الإسلامي، إلا أنه لم يتناول الثقافة الإسلامية في العصر الأموي عدا مبحث ختم به رسالته، تحدث فيه عن وسائل انتشار الإسلام بصفة عامة.

وهنالك بعض الكتابات التي جمعت بين ثناياها مقتطفات عن الثقافة الإسلامية في المنطقة، وهي لا تعدو أن تكون مساهمات تشهد لأصحابها باهتمامهم بانتشار الإسلام وثقافته في المنطقة، ولكنها لا ترقى إلى المستوى الذي يؤهلها لأن تكون دراسات متعمقة تقدم صورة متكاملة للمهتمين بالثقافة الإسلامية ووسائل انتشارها في الفترة موضع الدراسة.

ثانياً: الثراء الثقافي وتنوعه لبلاد السند في الفترة موضع الدراسة. فكانت المنطقة أرض حضارة رائدة، ومحل إعجاب العرب قبل غيرهم، وقد توافر بها العلماء في شتى المعارف، وكانت مورداً مهماً للعلوم العقلية.

ثالثاً: الرغبة في التعرف والتعمق أكثر في تاريخ حضارة بلاد السند بعد أن أضاف إليها الإسلام ثقافته وأعاد صياغتها مرة أخرى وفق منهجه الرباني.

رابعاً: جمع أطراف أرض الإسلام وربطها ببعضها، وتعريف المسلمين بقطاع عريض من إخوة لهم تجمعهم بهم رابطة الدين، وذلك من أجل تمتين أخوة الإسلام وإعادة بناء الصف المسلم.

إشكالية الموضوع وتحديده:

تتلخص الإشكالية المحورية لهذا الموضوع في أسئلة محددة هي: كيف انتشرت الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند على الرغم من اختلاف اللغة؟ وهل كان لعلماء السند إسهام في المجالات الثقافية والعلمية والدينية؟ وما هو مستوى هذه المشاركة والمساهمة؟

أما بالنسبة لنطاق البحث والذي يُعَدُّ من الأسس التي تعطي معنى للدراسة، فقد حددنا مجاله في انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند، أما زمانه فقد حصره الباحث في الفترة الممتدة من ٩٢هـ/ ٧١٠م إلى سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م، وفيما يخص النطاق المكاني فقد اقتصر على بلاد السند.

أسئلة البحث:

عندما قُمت بوضع مخطط البحث كانت أمامي التساؤلات الآتية:كيف استطاع المسلمون أن يزيلوا دولة السند ويهزموا جيوشها بكثرتها الغالبة، وقواتها المدربة، وآلتها المتفوقة؟وكيف استطاع رجل الصحراء أن يتعامل مع شعب له ثقافته التي يعتز بها ويفتخر بها؟ وما مدى استفادة الفاتح المسلم من حضارة السند؟ وهل أخذ هذه الحضارة بما فيها أم أنه أضاف وحذف منها؟ وما هي مساهماته في حضارة السند؟ وكيف استطاع أن يحوّل ثقافة ولغة وحضارة شعب بأكمله إلى الإسلام؟

منهج الأطروحة:

وظّف الباحث في جمع المادة وترتيبها وصياغتها وتوجيهها لعلاج الإشكالية المطروحة المنهج التحليلي والوصفي والموضوعي، أما فيما يخص المعالجة العامة للأطروحة فقد قسمتها إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع بالإضافة إلى الملحقات المتنوعة.

وأما التمهيد فقد تحدثت فيه عن مصطلحات عنوان الرسالة، متناولاً معنى الثقافة الإسلامية في اللغة العربية، ومفهومها عند الغربيين، ثم أتبعت ذلك بمعناها في الاصطلاح، وخلصت إلى مفهوم الثقافة الإسلامية بصفة عامة، وما قصدته من معنى في الأطروحة بصفة خاصة.

ثم عرّفت ببلاد السند من حيث منشأ التسمية، والموقع الجغرافي، والحدود التي استقر عليها الإقليم قبيل الفتح الإسلامي الذي كانت أولى محاولاته في عهد الخليفة الفاروق ﷺ، فتتبعت حملاته على منطقة مكران بعد أن أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية، وقدَّمتُ شرحاً لأوضاعها في عهد الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ثم تناولت أحوال الإقليم في عصر بني أمية، إلى أن اكتمل الفتح واستقرت المنطقة بأكملها في خلافة الوليد بن عبد الملك، وولاية الحجاج بن يوسف على العراق، وقيادة محمد بن القاسم فاتح السند، والذي قام بجهود مُقَدَّرة في ضم المنطقة لأرض الإسلام.

ثم تحدثت عن قيام الدولة العباسية والظروف التي هيأت لنجاحها، والخلفاء الذين تعاقبوا على عرشها في عصرها الأول، مبرزاً أهم أعمالهم والأحداث التي وقعت في عصر كل منهم.ثم تناولت العقبات التي اعترضت الدولة العباسية والمتمثلة في الانقسام داخل البيت العباسي، ومحاولات الأمويين لاستعادة نفوذهم، والمحاولات التي قام بها العلويون للوصول إلى السلطة، وثورات الخوارج، وأخيراً موقف الموالي من الدولة العباسية، والحركات التي قاموا بها ضدها.

وفي الفصل الأول تناولت أوضاع السند من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي الأول، وذلك من الناحية السياسية والدينية والاجتماعية.فمن الناحية السياسية بدأت بأوضاع المنطقة منذ خلافة سليمان بن عبد الملك إلى عصر الخليفة العباسي الواثق، فتتبعت الأحداث التي مرّت بالمنطقة والولاة الذين تعاقبوا على حكمها، وأهم الأحداث السياسية التي صاحبت فترة حكمهم.

أما حالة المنطقة الدينية فقد مهّدْتُ لها بإبراز أهم مظاهر الحياة الدينية قبيل الفتح، ثم أتبعت ذلك بانتشار الإسلام، ودخول المذاهب الإسلامية في بلاد السند، وظهور الفرق الدينية كالشيعة والخوارج.

ثم تناولت أوضاع المنطقة الاجتماعية مستهلاً ذلك بالحديث عن القبائل السندية وأوضاعها الاجتماعية، والقبائل العربية وتكويناتها، وخلصت إلى المجتمع السندي الجديد المكوّن من القبائل السندية والعربية، وبعض الآثار السالبة التي ترتبت على دخول القبائل العربية إلى المنطقة والمتمثلة في انتقال العصبية إلى السند.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لأهم وسائل انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند، فأبرزت فيه جهود الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية، وحكام السند في نشر التعليم بالمنطقة، وكذلك جهود خلفاء بني العباس ونوابهم على حكم السند.ثم تحدثت عن اللغة العربية وأثرها في التمازج والتداخل بين المسلمين العرب وأهل السند، إضافة إلى سياسة استقطاب العناصر العربية والسندية المسلمة والمستعربة التي تضم العناصر السندية المقيمة في جزيرة العرب، والقبائل العربية التي قطنت أرض السند. وكان من تلك الوسائل الاهتمام بالشعر وإكرام رواده وأثر ذلك على انتقال الثقافة الإسلامية.ثم ختمت تلك الوسائل بالتعرُّض لحركة التواصل التجاري بين بلاد السند وبلاد العرب.

وكان الفصل الثالث مخصصاً للعلوم الدينية والعقلية في بلاد السند، وذلك لكونها حادي ركب الثقافة الإسلامية، فبدأتها بالحديث عن العلوم الدينية باعتبارها أُولى العلوم التي نقلها المسلمون إلى البلاد المفتوحة، وقبل تناول العلوم العقلية تعرّضت للترجمة ودورها في إثراء العلوم العقلية.

وخصصت الفصل الرابع والأخير لنتائج التمازج الفكري بين الثقافة الإسلامية والسندية، والذي تمثل في حركة التواصل العلمي بين بلاد العرب والسند منذ العهد الراشدي ومروراً بعصر بني أمية، إلى نهاية العصر العباسي الأول، وذلك بإبراز مجموعة من العلماء المسلمين الذين قَدِمُوا بلاد السند كقادة أو علماء أو دعاة

أو قضاة وأئمة. ثم أتبعت ذلك بذكر إسهام علماء السند في الصرح الإسلامي، فقسّمتهم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يشمل العلماء الذين كان آباؤهم وأجدادهم من السند فاعتنقوا الإسلام وصُبغوا بصبغة الدين، أما القسم الثاني فيضم السبايا والموالي الذين جُلبوا من السند وصاروا في ولاء الإسلام، فانضموا إلى القبائل والأفراد.وفي القسم الثالث تناولت العلماء الذين برزوا في مجال العلوم العقلية وأسلموا وقدموا إلى بغداد، أو مَنْ ظلّ منهم على دينه فقدّم للإسلام عصارة علومه رغبة فيما عند الخلفاء من عطايا.وأخيراً تناولت المراحل التي مرّت بها اللغة السندية بَادِئاً بصراعها مع اللغات الأخرى قبل الإسلام، ثم الأدوار التي مرّت بها بعد احتكاكها باللغة العربية، وما تمخض عن هذا الاحتكاك من تغيير في كلماتها وحروفها.

ثمّ جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وبها أنهيت الرسالة.

عرض وتحليل لأهم مصادر البحث:

اقتضى البحث في انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند خلال فترة الدراسة تنوُّع مصادر المعلومات من كُتب تاريخية، وتراجم أنساب، ومؤلفات لغوية وأدبية، وجغرافية وكتب رحلات لها صلة بموضوع البحث، بعضها عاش مؤلفوها في الفترة موضوع الدراسة، والبعض الآخر من فترات سابقة أو متأخرة، ومع أن كل صنف من هذه المصادر والمراجع ركّز على ناحية معيَّنة إلا أنه لم يهمل النواحي الأخرى. وسأكتفي هنا بعرض المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها في البحث، مرتبة حسب أهميتها:

(١) **كتاب فتح السند (ججنامة)**

لعلي بن حامد بن أبي بكر الكوفي المتوفى ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، الذي عثر على أصل الكتاب لدى عائلة يرجع نسبها إلى بنى ثقيف فقام الكوفي بترجمته إلى اللغة الفارسية ولكنه لم يذكر العنوان الدقيق للنص العربي الأصلي ولا اسم مؤلفه

فأحياناً يشير إليه باسم (فتحنامه)[1] وفي أماكن أخري يسميه (تاريخ الهند وفتح السند)[2] وعند مطالعتي لنصوص الكتاب وجدت أن كثيراً من مقاطعه تتطابق مع ما جاء في فتوح البلدان الذي اعتمد في رواياته علي أبي الحسن علي بن محمد المدائنى المتوفى سنة٢٢٥هـ/ ٨٣٩م، وهذا يدلُّ على أن كتاب (فتح السند) إما أنه من مؤلفات المدائنى أو أن كاتبه اعتمد على روايات المدائنى بصورة أساسية.

والكتاب يضم بين دفتيه معلومات أساسية وهو يعتبر أول عمل تاريخي حقيقي حول الأحداث التي جرت في السند، ولكنه احتوى على نصوص اختلقها الكوفي لأنه أخذ على عاتقه صياغة النص الفارسي بأسلوب أدبي حتى تهتم الأجيال الفارسية بقراءته.

ومن أهم الملاحظات علي الكتاب، الأسلوب الذي جاءت به الرسائل المتبادلة بين الحجاج وابن القاسم، لأنه يخالف أسلوب صدر الإسلام إضافة إلى ورود عبارات ليست فيها بلاغة الحجاج المعهودة وتختلف تماماً عن رسائله إلى قتيبة ابن مسلم.ولكن بالرغم من ذلك فالكتاب هام جداً، فقد تميّز بإبراز معلومات دقيقة عن متابعة الحجاج بن يوسف لجيوشه المتجهة لفتح السند والتخطيط للمعارك، كما أنه انفرد بذكر أحوال السند قبل الإسلام وتحدث بإطناب عن استعدادات الجيش الإسلامي والمعارك التي خاضها ابن القاسم ضد حُكام السند.

(٢) كتاب فتوح البلدان:

للإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، وهو من رجال البلاط العباسي، كان نديم الخليفة المتوكل، وكان أحد المترجمين من الفارسية إلى العربية، ومن أبرز الذين أسهموا في تطور المنهج التاريخي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، فهو مؤرخ ونسابة، لم يتناول التاريخ العام بل ركَّز

---

١ ـ على بن حامد الكوفي: فتح السند ، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولي، دار الفكر، بيروت ، ١٤١٢ / ١٩٩٢ ، ص١٢

٢ ـ المصدر السابق: ص٩، وقد سماه (فتح نامه) في ص ١٢.

على أخبار الفتوح، واهتم بأوضاع البلاد المفتوحة وتكوينها الاجتماعي، وأهمية الكتاب تظهر فيما أورده من معلومات ثقافية واقتصادية وإدارية، وخصص البلاذري قسماً من كتابه لفتوح السند، وقد استقيت منه مادة علمية غزيرة، ولكن يلاحظ عليه عدم اهتمامه بذكر تواريخ الحملات وتعيين الولاة وعزلهم عدا الحملة التي حدثت في عهد علي رضي الله عنه فهو يحددها بآخر سنة ٣٨هـ وأول سنة ٣٩هـ[١].

(٣) تاريخ خليفة بن خياط:

لخليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثى العصفرى الملقب بـ (شباب) والمتوفى سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م. من أشهر مؤلفاته كتاب "الطبقات" و"التاريخ" وكتاب "طبقات القراء". ويعتبر كتابه "تاريخ ابن خياط" أقدم كتاب حولي نُشر باللغة العربية وأهم وثيقة تتحدث عن مائتين واثنتين وثلاثين سنة من تاريخ الإسلام. استهل تاريخه بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أخذ يسوق كل سنة علي حدة ابتداءً من السنة الهجرية الأولى، باسطاً ما جري فيها من أحداث ومغازٍ وثورات، حتى إذا فرغ قام بذكر من أدركتهم الوفاة في تلك السنة ومن أقام الموسم. أفدت من الكتاب في معرفة أحداث الفتح الإسلامي لبلاد السند ومعرفة أسماء الولاة والعمال وتحديد تواريخ توليتهم وعزلهم أو استشهادهم، إضافة إلى المعارك الهامة في بلاد السند والتي ضمنها كتابه، وهو في مجمله قيّم ومفيد للتعرف علي ضبط تواريخ الحملات علي بلاد السند[٢].

١ ـ شاكر مصطفي: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م ، جـ١، ص٢٤٣ ـ ٢٤٥. وحسين عاص: أبو جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص ٩٠ وما بعدها

٢ ـ شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع سابق، جـ ١، ص٢٣٤ ـ ٢٣٦.وحسين عاصي: خليفة بن خياط، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٤٠ وما بعدها.

(٤) تاريخ الأمم والملوك:

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م. وهو عَلَمٌ معروف في التأريخ الإسلامي، وطالب علمٍ لا يعرف التعب، بقي أربعين سنة يكتب كل يوم ورقة. يبدأ كتابه من بدء الخليقة وينتهي بسنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، وقد اتّبع فيه منهج الحوليات، وهو إن لم يكن أول من كتب في هذا المجال إلا انه يعتبر أكبر ما وصل إلينا من الكتب المبكرة[1]. وقد انعكس في تاريخه أثر ثقافته كمحدّث وفقيه، فلذلك عوَّل على الرواة في أكثر ما دوّنه، وأهم ما يؤخذ عليه غياب النقد للروايات فلم يطبّق منهج المحدثين علي الرواة في النقد وهو منهم، كما أن كتابه يفتقر للوحدة الموضوعية.

ولكن الكتاب في مجمله جليل في قدره، عظيم في قيمته، فهو أول كتاب كامل في التاريخ العام، أكمل ما ابتدأه سابقوه من التاريخ للأحداث كابن سعد واليعقوبى والواقدي والبلاذري وابن اسحق، وهو مصدر أصيل لمن جاء بعده أمثال المسعودي وابن الأثير وابن خلدون، كما أنه حفظ لنا كثيراً من أخبار العرب في الجاهلية، وقد أفدت منه في محاولات الخلفاء الراشدين لفتح السند، وأورد معلومات هامة عن السند أيام العباسيين.[2].

(٥) تاريخ اليعقوبي:

لأحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي المتوفى سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م[3]، كان رحالة ساح في بلاد الإسلام شرقاً وغرباً[1]. كتابه "تاريخ

---

١ ـ حسين عاصي: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ص٧٨.

٢ ـ شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع سابق، جـ ١، ص٢٥٣ ـ ٢٦٤.

٣ ـ أبو عبد الله ياقوت بن عبدا لله الرومي الحموي: معجم الأدباء، مطبعة مرغليوث، القاهرة، ١٩٣٣م، جـ ٥، ص١٥٣، ١٥٤.

اليعقوبي" من الكتب التاريخية الهامة وهو عبارة عن موجز تاريخي يتناول التاريخ العالمي منذ الخلق حتى سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م، تناول فيه إلى جانب تاريخ الأنبياء والفرس والجاهلية تواريخ الأمم الأخرى من آشوريين وبابليين وفراعنة وبربر وحبش وترك ويونان ورومان ولذا فهو من هذه الناحية تاريخ عالمي ولم يلتزم التسلسل الزمني للأحداث في هذا الجانب ولكنه التزم به في كتابة التاريخ الإسلامي.

أهم ما يؤخذ على اليعقوبي ميوله الشيعية وإهماله جانب الأسانيد في سرد الروايات التاريخية[2] ولكنه يعتبر من أقدم الذين كتبوا في الدول، وقد اهتم بالجوانب الحضارية أكثر من اهتمامه بالجوانب السياسية ، وأورد معلومات غزيرة ومفيدة عن حكام السند بعد محمد بن القاسم وعن أوضاع السند في العصر العباسي.

(٦) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب:

للدكتور عبد الله بن مبشر الطرازي . وهو من الكتابات الحديثة، ويتكون من جزأين، وقد حوى معلومات مفيدة عن تاريخ السند قبل الإسلام، وفتحها في عهد الخلافة الراشدة والأمويين، وفتوحات محمد بن القاسم، وأوضاع السند بعد محمد بن القاسم إلى عصر الدولة العربية الهبارية في المنصورة، والدولة العربية في الملتان بإقليم البنجاب سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م . والكتاب جمع مادة عملية وافية عن آثار العرب في بلاد السند وقد أفدت منه كثيراً في نقله عن المصادر غير العربية.

(٧) رجال السند والهند إلى القرن السابع:

للقاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري، وهو من الكتابات الحديثة، يتكون من قسمين: القسم الأول خصصه للرجال الذين ولدوا وعاشوا في السند والهند، أو

---

١ ــ عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص١٤٥.

٢ ـ شاكر مصطفي: التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع سابق ، جـ١ ،ص ٢٥٢. ومحمد صامل العلياني السلمي:منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، دار طيبة، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ص ٤٢٦.

كانوا أصلاً مـن المنطقـة، وولـدوا وعاشـوا في الخـارج، وهـؤلاء قسّـمهم إلى ثلاثـة أصناف: الأول يضم الذين كان آباؤهم وأجدادهم من العرب، أو مِنْ بـلاد أخـرى، وقدموا السند والهند أيام الفتوحات أو بعدها، فأقـاموا وتـأهلوا وصـاروا مـن أهـل السند والهند.والثاني يضم أؤلئك الذين كان آباؤهم وأجـدادهم مـن السـند والهنـد، واعتنقوا الإسلام، وصبغوا بصبغة الدين، ومـنهم الـزط والسـيابجة. والثالـث يضـم السبايا والموالي الذين جُلبوا من السند والهند، وصاروا في ولاء الإسـلام.أما القسـم الثاني فيتناول الرجال الذين قدموا السند والهند من بلادهم، ثـم رجعـوا أو عاشـوا وماتوا في السند.وسار في كتابته علـى مـنهج الجـرح والتعـديل، فكـان يـذكر أقـوال الأئمة الأعلام في الشخص المُترجم له، وقد أفادني الكتـاب كـثيراً في ترجمـة العديـد من الشخصيات. ومما يؤخذ على الكتاب عدم ذكره للآثار العلمية لمنْ يترجم لهم.

تمهيد

التعريف بمصطلحات عنوان الرسالة

(١) الثَّقَافَة الإسلامية

(٢) بلاد السِنْد

(٣) العصر العباسي الأول

(١) الثَّقَافَة الإسلامية

من المسّلم به أن جميع البشر متساوون، حيث خلقهم الله سبحانه وتعالى من أب وأم معروفين لنا، هما آدم وحواء عليهما السلام، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١]

فالخلق إذن مصدرهم واحد ولكنهم انتشروا على سطح الكرة الأرضية بطبيعتها الجغرافية المتباينة فأصبحوا:﴿شُعُوباً وَقَبَائِلَ﴾[٢]تفصل بينها تضاريس الأرض المختلفة، وخلف هذه الفواصل ـ طبيعية كانت أو سياسية صنعها البشر ـ عاش كل مجتمع مع نفسه، يتفاعل أفراده وجماعته مع بعضهم، يتعاونون في السراء والضراء، يصارعون عوامل الطبيعة، وهم كذلك تعاملوا مع بعضهم في علاقات قد تكون إيجابية مثل التراحم والتزاوج والتجارة، وقد تكون سلبية تحمل التطاحن والتنافر.هذه العلاقات بشقيها السلبي والايجابي أكسبت الشعوب على مرّ الأيام والدهور خبرات جعلت لكل أمّة خصائصها التي تميزها عن غيرها، هذه الخصائص هي ما نُطلق عليه لفظ "الثَّقَافَة".

وهذا المصطلح خاضت في إظهار مفهومه وتحديد مدلوله آراء العلماء وأقلام الباحثين، فمنهم من ضيّق دائرة المدلول، ومنهم من وسّعها، ومنهم من حصر الثَّقَافَة في نطاق محدد، ومنهم من أطلق المجال لمعناها، ولذلك كثرت التعريفات الخاصة بكلمة (ثقافة) وهي مع كثرتها تتقارب في الفكرة وتتفاوت في الألفاظ وإن كانت لا تتعارض فيما بينها بل يكمّل بعضها بعضاً، وهذا التفاوت والتَّباين في تحديد مفهوم الكلمة أدّى إلى عدم الوصول إلى تعريف جامع وشامل للثقافة، وباستعراض ما توصل إليه العلماء من تعريفات تبيَّن لنا أنها كلها تأثرت بعامل

---

١ ـ سورة الحجرات: الآية ١٣.

٢ ـ سورة الحجرات: الآية ١٣

الزمان والمكان ونوع العلم الذي ينتسب إليه صاحب التعريف[١]، فلابد إذن من تناول مفهوم الكلمة عند أهل اللغة العربية، ثم معناها في الاصطلاح ومعناها عند الأوروبيين، لنخلص في النهاية إلى المفهوم الذي عرَّف المسلمون به الكلمة.

الثَّقَافَة في اللغة العربية:

أصل الثَّقَافَة في اللغة العربية مأخوذ من الفعل ثَقُفَ بفتح الثاء وضم القاف وفتح النون[٢]وللفعل (ثَقُفَ) معان كثيرة في المعاجم العربية منها:

١.الحذق والفطنة، نقول: ثَقُفَ الرجل إذا صار حاذقاً.

٢.سرعة أخذ العلم وفهمه، نقول: ثَقُفَ الطالب العلم.

٣.التهذيب والتأديب، نقول: ثَقُفَ المعلم الطالب.

٤.تقويم المعْوَج من الأشياء، نقول: ثَقُفَ الصانع الرمح.

٥.إدراك الشيء والحصول عليه والظفر به، وهذا المعنى هو الذي دارت حوله الكلمة في القرآن الكريم، قال تعالى مخاطباً المؤمنين في شأن المشركين المعتدين[٣]: ﴿ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾[٤]أي حيث وجدتموهم وتمكنتم منهم في حلٍ أو حرم[٥].

---

١ ـ حسن عيسى عبد الظاهر وآخرون: بحوث في الثَّقَافَة الإسلامية، مكتبة مركز الحكمة، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٢، ١٣.

٢ ـ الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م، ص٤١٢.

٣ ـ المرجع السابق، ص٤١٢. وأبو بكر الرازي: إيضاح مختار الصحاح، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٥٥.

٤ ـ سورة النساء: الآية ٩١.

٥ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م، جـ ١، ص٥٠٦.

ويتضح من عرض المعاني المتعددة لكلمة الثَّقَافَة في اللغة العربية أنها تستعمل في الأمور المعنوية، كما أنها تستعمل في الأمور الحسية، غير أن دلالتها على الأمور المعنوية العقلية أكثر من دلالتها على الحسيّات.

وقبل الخوض في تعريف الثَّقَافَة يحسن بنا أن نتتبع التطوّر الذي يحدث عادة لمدلول الكلمات الأصلية عبر تاريخها حتى تصل إلى أمّة أو جماعة فتوظفها في معان واستخدامات خاصة بها، لأن ما حدث للثقافة من تطوّر، هو ذاته ما شمل غيرها من الكلمات.

فقد جرت العادة على أن العرب يتكلمون بالكلمات لكي يُعبروا عن المعاني المحددة فيقولون مثلاً: جدار للتعبير عن هذا البناء من الطين أو غيره الذي يفصل بين شيئين، ويقولون: الصلاة يعنون بها الدعاء، وهكذا نجد سائر أسماء العبادات ـ كغيرها ـ كانت لها معان لغوية محددة.

وكل جماعة بشرية أو أمّة من الأمم تأخذ الكلمات في أصولها اللغوية وتضيف إليها دلالات أخرى إما أن تكون شرعية أي أنها تستخدم في مجال الدين، وإما أن تستخدم في مجال العلوم والصناعات، وهذه الدلالات الإضافية سواء كانت اصطلاحية أو شرعية ثمة حبل سري ورابط دقيق بين معناها الاصطلاحي أو الشرعي الجديد وبين المعنى اللغوي. ومع الوقت ومع كثرة التعامل تطغى الدلالة الاصطلاحية أو الشرعية الجديدة، ويُنسى المعنى الأصلي أو اللغوي.

نحن المسلمين عندما نقول مثلاً (الصّلاة) فإننا نادراً ما نتذكر معنى الدعاء، وإنما نتذكر هذه الأفعال المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم التي تتضمن أفعالاً وأقوالاً مخصوصة بنيّةٍ مخصوصة، ومع ذلك فقد أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى المعنيين كليهما، ففي المعنى الأول وهو الدعاء، يقول تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] أي: ادع لهم واستغفر لهم[2]،ومن المعنى الثاني الشرعي قوله سبحانه

---

١ ـ سورة التوبة: الآية ١٠٣.

٢ ـ أبو الفدء إسماعيل بن عمر بن كثير:تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، جـ ٢، ص٣٦٩.

وتعالى:﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[١] ومثل ذلك يُقال في الزكاة التي يندر أن نستخدمها بمعنى النماء والزيادة ، وإنما يتبادر إلى الذهن عند ذكرها : الأنصبة والحول وبلوغ النصاب ...الخ، قُلْ مثل هذا في الصيام والحج، والثَّقَافَة أيضاً أصابها ما أصاب الكلمات الأخرى عامة، فأخذت طوراً دلالياً عبر القرون حتى استقرت إلى المفاهيم والدلالات التي نتحدث عنها اليوم، ولعلّ الحديث عنها في الاصطلاح يجلّي لنا المعنى الذي عُرفت به عند المسلمين.

الثَّقَافَة اصطلاحاً :

يبدو أن كلمة ثقافة بمعناها الحالي كلمة مولّدة محدثة لم تجرِ على ألسنة أسلافنا من علماء الإسلام ومفكريه، غير أن مضمون الكلمة كان واضحاً لدى هؤلاء الأسلاف، فقد كان يعني في العصر العباسي الأول:"المشاركة البارعة في فروع شتى من المعرفة وبراعة تطبيقها وتصريفها"[٢].أما فيما يتعلق بالمعنى الحديث للثقافة فهذا يُعد من المشكلات المعقّدة وذلك لكثرة التعريفات وتنوعها، أضف إلى ذلك الغموض الذي يكتنف معنى المصطلح وذلك بسبب ميل كل صاحب فن أو علم إلى التعريف الذي يخدم علمه.فمثلاً يعرّف علماء الاجتماع الثَّقَافَة بأنها:"عبارة عن الأنماط الذاتية التغيير للسلوك الإنساني المكتسب"[٣]ويعرّفها علماء التربية بأنها: "مجموعة الأفكار والمثل والمعتقدات والتقاليد والعادات، والمهارات، وطرق التفكير، وأساليب الحياة والنظام الأسري، وتراث الماضي بقصصه ورواياته وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد"[٤]،وكذلك عرّفوها بأنها:"مجموعة من العادات يعترف بكونها مقبولة في جماعة معينة كما يمكن متابعة آثارها في كل دوائر

---

١ ـ سورة النساء: الآية١٠٣.

٢ ـ عبد الحليم عويس:ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، الرياض، ١٩٧٩م، ص١٥.

٣ ـ محمود شفشق وآخرون: التربية المعاصرة، بيروت، بدون تاريخ، ص٣٩.

٤ ـ المرجع السابق، ص٣٩.

النشـاط الإنسـاني كالسياسـة والحقـوق والـدين والفـن والمعرفـة العقليـة بمختلـف صورها"[١].

والواقع أن الثَّقَافَة ليست شيئاً جزئياً بل هـي أمـر كلِّـي، بمعنـى أنهـا ليسـت العلم بمفرده، ولا التربية بـذاتها، ولا العـادات والتقاليـد منفـردة، وليسـت العقائـد والمذاهب دون غيرها، وإنما كل واحد من هذه العناصـر يشـكِّل وحـدة مـن الثَّقَافَـة الأمر الذي دفع بعض العلماء لاستخلاص تعريف يشتمل علـى المفـردات السـابقة فوصفوا الثَّقَافَة بأنها:"مجموعة من الخصائص والصفات المكتسبة تتيح للإنسان نوعـاً متميزاً من السلوك يتفوق به على غيره، هذه الصفات والخصائص يكتسبها الإنسـان على مرّ الأيام نتيجة لتطوّر عضوي يتلاءم به الإنسان مع بيئته، ونتيجة لتطوّر عقلـي يكسب الإنسان من المهارات الذهنية واليدويـة مـا يجعلـه متفوقـاً علـى مَـنْ سـواه، ونتيجة لتطوّر نفساني ووجداني يستطيع به أن يميّـز بـين الخـير والشـر، وبـين الحـق والباطل، وبين الحسن والقبيح، ونتيجة لتطوّر اجتماعي يـربط الإنسـان بوحـدة مـا، سواء كانت أسرة أو قبيلة أو دولة أو أمَّة"[٢]، و هذا التعريـف للثقافـة بمعناهـا العـام يُعَدُّ أكثر شمولاً للعناصر آنفة الذكر، كما أنـه لا يتعـارض معهـا.ولا شـك أنَّ مِـنْ الثقافات ما هو سامٍ يُعلـي شـأن الإنسـان ويسـعده ويرفـع قـدره، ومنهـا مـا يهـبط بالإنسان ويشقيه ويحط من شأنه[٣].

مفهوم الثَّقَافَة عند الغرب:

عُرِفت الثَّقَافَة عند الأوروبيين بمعنيين يخضع كل منهما لمجموعة مـن اللغـات، ففي اللغات ذات الأصل اللاتـيني كالفرنسـية والإيطاليـة، ترجـع كلمـة culture إلى الفعل اللاتيني colere بمعنى ربّى واعتنى، وتعني كلمة culture ennui تهذيب الروح

---

١ ـ كروير: مفهوم الثَّقَافَة في العلم، مجلة التربية العامة، ١٩٤٩م، ص٣.

٢ ـ محفوظ عزام: نظرات في الثَّقَافَة الإسلامية، مرجع سابق، ص١٧.

٣ ـ سميح عاطف الزين : الثَّقَافَة والثَّقَافَة الإسلامية، الشركة العالمية للكتاب، بـيروت، الطبعـة الرابعـة، ١٤١٤هــ/ ١٩٩٣م، ص٤٠. وأحمـد محمـد جمـال: محاضـرات في الثَّقَافَـة الإسـلامية، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص١٤.

وجاء اللفظ أيضاً بمعنى العبادة pei culture .وفي لُغاتٍ أوربية أُخرى جاءت كلمة culture بمعنى فلاحة وزراعة الأرض، وتهذيب الروح، والتهذيب الرباني، وعبادة الله، والتمجيد والتعظيم. وجاءت كلمة agriculture بمعنى زراعة الأرض بعد تهذيبها وإعدادها، وهكذا نجد أن الغالب على استعمالات كلمة "ثقافة" في اللُّغات الأوروبية يدور حول التعهد والاعتناء[١].

وأورد عالما الأنثروبولوجيا الأمريكيان: الفريد كروبر A.Kroeber وكلايد كلكهوهن C.Kluckhohn، ما يزيد على مائة وستين تعريفاً للثقافة ثم انتهيا إلى أن الثَّقَافَة ذات مضمون تاريخي، أي من حيث كونها تراكماً للعديد من الأنماط والمركّبات الثقافية التي تراكمت عبر تاريخ ثقافي طويل، وبذلك فهي تشتمل على الأنماط والأفكار القيّمة، ولها صفة الاختيار والانتقاء، وهي في الوقت نفسه مكتسبة تُتَعلّم، كما أنها تجديد للسلوك الإنساني وإنْ لم تكن هي السلوك نفسه إلا أنها نتيجة لهذا السلوك[٢].

ويؤكد عبود الأصل الذي يربط بين الثَّقَافَة والزراعة، في اللغتين الإنجليزية والفرنسية ولكنه يقول:"إنها استخدمت للتعبير عن التربية للزرع والغل فقط، ثم إنها اتسعت بعد ذلك لتشمل تربية الإنسان والحيوان أيضاً، كما أصبحت تعني أخلاق الناس وعاداتهم، وأي شيء يحتاج إلى رعاية خاصة... ثم ازداد مدلولها اتساعاً، فصارت تعني ـ فيما تعني ـ تثقيف العقل وتهذيبه"[٣].

---

١ ـ محمد عبد الحليم مرسي:المنظور الإسلامي للثقافة والتربية، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٢٥، ٢٧. ومحفوظ علي عزام:نظرات في الثَّقَافَة الإسلامية، دار اللواء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص١١،١٢.

٢ ـ زكي محمد إسماعيل:الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي، عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٢٢، ١٢٣.

٣ ـ عبد الغني عبود: الحضارة الإسلامية المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٨ ـ ٢٠.

وبدأت الكلمة تنفصل عن أصلها (الزراعة) لتتصل بهذا المعنى الأخير، فصارت (ثقف) تعني صار حاذقاً فطناً وصارت الثَّقَافَة تعني:"العلوم والفنون التي يُطلب الحذق فيها"، ثم أصبحت تعني طريقة الحياة الكلية للمجتمع، وقد تتضمن أسلوب تناول الطعام، أو ارتداء الملابس، أو استخدام اللغة، أو تبادل الحب أو الزواج، أو دفن الموتى[١].وهذا المعنى يؤكده هنري لاوست H.Lowst بقوله:"الثَّقَافَة هي مجموعة الأفكار والعادات الموروثة التي يتكوَّن منها مبدأ خُلُقِي لأُمّة ما، ويؤمن أصحابها بصحتها وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الأمة تمتاز عن سواها"[٢]وذهب آرنست باركر A.Barker إلى المعنى نفسه عندما وصف الثَّقَافَة بأنها:"ذخيرة مشتركة لأمة من الأمم تجمّعت لها وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تاريخ طويل، وتغْلُب عليها بوجه عام عقيدة دينية هي جزء من تلك الذخيرة المشتركة من الأفكار والمشاعر واللغة"[٣]، إذن الثَّقَافَة في الغرب ارتبطت بالعلوم الإنسانية التي تتميز بها كل أمة عن غيرها من الأمم الأخرى، كعلوم الدين واللُّغات وآدابها والتاريخ والجغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع.

مفهوم الثَّقَافَة الإسلامية:

هنالك أمر جوهري ينبغي أن نصطحبه معنا في تحديد مفهوم الثَّقَافَة الإسلامية، وهو أننا كنّا نتحدث عن الثَّقَافَة بمعناها العام، فلم ننعتها بأنها إسلامية أو غير إسلامية، وفي هذه المرة ألحقنا بها هذه الصفة (الإسلامية)، وهذا يعني أننا نتحدث عن ثقافة تحتكم في كل جوانبها إلى دين معيّن هو الإسلام.

---

١ ـ المرجع السابق: ص١٨ ـ ٢٠.

٢ ـ عاطف غيث : دراسات إنسانية واجتماعية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م، ص٦٥.

٣ ـ مصطفى الخشاب: دراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٥٧.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ومنَّ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، فهدى إلى سبيل الرشاد، وجاهد في الله حق الجهاد، وفتح الله به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُماً، وقلوباً غُلْفاً، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمنذ أن بُعث المصطفى ﷺ وإلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى كان يخطط ويتحرك بأصحابه وفق تصور سماوي واضح، وعبر طريق طويل، يبدأ ببناء الإنسان المسلم بالعقيدة في المرحلة المكية، وانتهاءً ببناء الدولة الإسلامية بالتشريع عبر المرحلة المدنية، ثم الانطلاق إلى العالم لانتشاله مما هو فيه من انحراف عقدي وانحدار خلقي، وانهيار سياسي لم تسلم منه أمة ولم تفلت منه بلد.

وكانت من تلك البلاد التي تعاني الأمرَّيَنْ وقتذاك، بلاد السند، فقد كانت تمر بأحطِ أدوارها ديانةً وخلقاً واجتماعاً، وبلغت الوثنية فيها أوجها، أما نظامها الاجتماعي فقد كان طبقياً لم يُعرف في تاريخ أمة من الأمم نظام طبقي أشد استهانة منه بكرامة الإنسان حيث كان الرجل يخسر زوجته في القمار، وهكذا صارت هذه البلاد المخصبة أرضاً وعقولاً، وهذه الأمة الموصوفة بكونها معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة ـ نتيجة لبعدها عن الدين وضياع مصادره ـ مسرحاً للجهل الفاضح والوثنية الوضيعة والقسوة الهمجية والجَوْر الاجتماعي الذي ليس له مثيل في الأمم ولا نظير في التاريخ.

وتنفيذاً لخطة نشر الإسلام وانتقاص أرض الكفر وزيادة رقعة الإسلام، وتخليص العالم مما هو فيه بدأت الدولة الإسلامية في زيادة مضطردة، ففي عهد الخلافة الراشدة استطاعت أن تدُك عروش أعظم دولتين عرفهما التاريخ هما فارس

والروم، وانطلقت خيول الفاتح المسلم تزيح كل عقبة تعترض الإسلام ورسالته، حتى وصلت إلى بلاد السند.والسند ليست ككل البلاد فهي أرض حضارة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، ومتفوقة على المسلمين في آلتها الحربية ، وإدارتها للحكم، أما أرضها الجبلية الوعرة فهي الأخرى غريبة على أهل جزيرة العرب، ولكن العجيب في الأمر أنهم لم يتهيبوا الصدام معها، رغم صعوبته فاخترقوا جدارها بعزيمة، وقهروا جندها وأزالوا سلطانها، وحولوها بعد جهاد مرير إلى أرض إسلامية، وقد كان لهذا الفتح الإسلامي لبلاد السند آثاره البعيدة المدى في حقول العلم والثقافة، ومن هنا جاء اختياري للانتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند، كموضوع لأطروحة الدكتوراة لأجل تسليط الضوء على الوسائل التي انتشرت من خلالها الثقافة الإسلامية والعربية في هذه المنطقة، وإسهامات العلماء السند في بناء الصرح الثقافي العلمي الإسلامي والإنساني.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها محاولة جادة لرسم صورة واضحة لأوضاع بلاد السند قبل دخول الإسلام، والتغيير الذي حدث فيها بعد قدوم الفاتح المسلم، والنتائج التي ترتبت على ورود الثقافة الإسلامية إليها وتفاعلها مع الموروث الحضاري المحلي.

فقد كانت السند أرض حضارة، لها ثقافتها ولغتها ودينها، إلا أنها أخذت نصيباً غير منقوص من ذلكم الظلام الذي خيّم على المعمورة في كل ناحية، فليست على أرضها قوة تمسك بيدها وتمنعها من التردي، وقد زادتها الأيام سرعة في هبوطها وشدة في إسفافها، وبينما هي تترنح وسط هذا الظلام إذا بخيل الفاتحين تنزل عليها فتحيي أرضها بعد أن ماتت حقباً، وتعيد لإنسانها مكانته. وهذا الانقلاب الذي حدث حريٌ بأن يُتَقصّى عنه لتستفيد منه الأمة الإسلامية في مسيرتها التاريخية والحضارية.

أسباب اختيار الموضوع:

وقع اختياري لهذا الموضوع لأسباب عديدة أجملها فيما يلي:

أولاً: قلة الدراسات حول الموضوع. تناول عدد من الباحثين تاريخ السند، وتعرضوا للثقافة الإسلامية فيها بشكل عام، ولكنهم لم يجمعوا مادة متكاملة عن الثقافة الإسلامية في الفترة المذكورة. ولعلّ أهم تلك الدراسات ما قام به عبد الله بن مبشر الطرازي في مؤلفه موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، فجمع فيه مادة ثرة لا سيما المؤلفات التي كُتبت باللغات الباكستانية، ولكن لكون الكتاب عبارة عن موسوعة فإنه تناول الثقافة الإسلامية في السند بشيء من العموم.

وقدّم فوزي محمد عبده ساعاتي رسالة ماجستير لجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، بعنوان انتشار الإسلام في بلاد السند والبنجاب حتى نهاية العصر الأموي، فجاء بمادة لا بأس بها حول الفتح الإسلامي، إلا أنه لم يتناول الثقافة الإسلامية في العصر الأموي عدا مبحث ختم به رسالته، تحدث فيه عن وسائل انتشار الإسلام بصفة عامة.

وهنالك بعض الكتابات التي جمعت بين ثناياها مقتطفات عن الثقافة الإسلامية في المنطقة، وهي لا تعدو أن تكون مساهمات تشهد لأصحابها باهتمامهم بانتشار الإسلام وثقافته في المنطقة، ولكنها لا ترقى إلى المستوى الذي يؤهلها لأن تكون دراسات متعمقة تقدم صورة متكاملة للمهتمين بالثقافة الإسلامية ووسائل انتشارها في الفترة موضع الدراسة.

ثانياً: الثراء الثقافي وتنوعه لبلاد السند في الفترة موضع الدراسة. فكانت المنطقة أرض حضارة رائدة، ومحل إعجاب العرب قبل غيرهم، وقد توافر بها العلماء في شتى المعارف، وكانت مورداً مهماً للعلوم العقلية.

ثالثاً: الرغبة في التعرف والتعمق أكثر في تاريخ حضارة بلاد السند بعد أن أضاف إليها الإسلام ثقافته وأعاد صياغتها مرة أخرى وفق منهجه الرباني.

رابعاً: جمع أطراف أرض الإسلام وربطها ببعضها، وتعريف المسلمين بقطاع عـريض من إخوة لهم تجمعهم بهم رابطة الدين، وذلك من أجل تمتين أخوة الإسلام وإعـادة بناء الصف المسلم.

إشكالية الموضوع وتحديده:

تتلخص الإشكالية المحورية لهذا الموضوع في أسئلة محددة هي: كيف انتشـرت الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند على الرغم من اختلاف اللغـة؟ وهـل كـان لعلماء السند إسهام في المجالات الثقافية والعلمية والدينيـة؟ ومـا هـو مستوى هـذه المشاركة والمساهمة؟

أما بالنسبة لنطاق البحث والذي يُعَدُّ من الأسس التي تعطي معنى للدراسـة، فقد حددنا مجاله في انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند، أمـا زمانـه فقـد حصره الباحث في الفترة الممتدة من ٩٢هـ/ ٧١٠م إلى سنة ٢٣٢هــ/ ٨٤٦م، وفيمـا يخص النطاق المكاني فقد اقتصر على بلاد السند.

أسئلة البحث:

عندما قُمت بوضـع مخطـط البحـث كانـت أمـامي التسـاؤلات الآتيـة:كيف استطاع المسلمون أن يزيلوا دولة السند ويهزموا جيوشـها بكثرتهـا الغالبـة، وقواتهـا المدربة، وآلتها المتفوقة؟وكيف استطاع رجل الصحراء أن يتعامل مع شعب له ثقافتـه التي يعتز بها ويفتخر بها؟ وما مدى استفادة الفاتح المسلم من حضارة السند؟ وهـل أخذ هذه الحضارة بما فيها أم أنه أضاف وحذف منها؟ وما هي مساهماته في حضارة السند؟ وكيف استطاع أن يحوّل ثقافة ولغة وحضارة شعب بأكمله إلى الإسلام؟

منهج الأطروحة:

وظّف الباحث في جمع المادة وترتيبها وصياغتها وتوجيهها لعـلاج الإشـكالية المطروحة المنهج التحليلي والوصفي والموضـوعي، أمـا فيمـا يخـص المعالجـة العامـة للأطروحة فقد قسمتها إلى مقدمة وتمهيـد وأربعـة فصـول وخاتمـة وثبـت للمصـادر والمراجع بالإضافة إلى الملحقات المتنوعة.

وأما التمهيد فقد تحدثت فيه عن مصطلحات عنوان الرسالة، متناولاً معنى الثقافة الإسلامية في اللغة العربية، ومفهومها عند الغربيين، ثم أتبعت ذلك بمعناها في الاصطلاح، وخلصت إلى مفهوم الثقافة الإسلامية بصفة عامة، وما قصدته من معنى في الأطروحة بصفة خاصة.

ثم عرّفت ببلاد السند من حيث منشأ التسمية، والموقع الجغرافي، والحدود التي استقر عليها الإقليم قبيل الفتح الإسلامي الذي كانت أولى محاولاته في عهد الخليفة الفاروق ﷺ، فتتبعت حملاته على منطقة مكران بعد أن أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية، وقدَّمتُ شرحاً لأوضاعها في عهد الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ثم تناولت أحوال الإقليم في عصر بني أمية، إلى أن اكتمل الفتح واستقرت المنطقة بأكملها في خلافة الوليد بن عبد الملك، وولاية الحجاج بن يوسف على العراق، وقيادة محمد بن القاسم فاتح السند، والذي قام بجهود مُقَدَّرة في ضم المنطقة لأرض الإسلام.

ثم تحدثت عن قيام الدولة العباسية والظروف التي هيأت لنجاحها، والخلفاء الذين تعاقبوا على عرشها في عصرها الأول، مبرزاً أهم أعمالهم والأحداث التي وقعت في عصر كل منهم.ثم تناولت العقبات التي اعترضت الدولة العباسية والمتمثلة في الانقسام داخل البيت العباسي، ومحاولات الأمويين لاستعادة نفوذهم، والمحاولات التي قام بها العلويون للوصول إلى السلطة، وثورات الخوارج، وأخيراً موقف الموالي من الدولة العباسية، والحركات التي قاموا بها ضدها.

وفي الفصل الأول تناولت أوضاع السند من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي الأول، وذلك من الناحية السياسية والدينية والاجتماعية.فمن الناحية السياسية بدأت بأوضاع المنطقة منذ خلافة سليمان بن عبد الملك إلى عصر الخليفة العباسي الواثق، فتتبعت الأحداث التي مرّت بالمنطقة والولاة الذين تعاقبوا على حكمها، وأهم الأحداث السياسية التي صاحبت فترة حكمهم.

أما حالة المنطقة الدينية فقد مهّدْتُ لها بإبراز أهم مظاهر الحياة الدينية قبيل الفتح، ثم أتبعت ذلك بانتشار الإسلام، ودخول المذاهب الإسلامية في بلاد السند، وظهور الفرق الدينية كالشيعة والخوارج.

ثم تناولت أوضاع المنطقة الاجتماعية مستهلاً ذلك بالحديث عن القبائل السندية وأوضاعها الاجتماعية، والقبائل العربية وتكويناتها، وخلصت إلى المجتمع السندي الجديد المكوّن من القبائل السندية والعربية، وبعض الآثار السالبة التي ترتبت على دخول القبائل العربية إلى المنطقة والمتمثلة في انتقال العصبية إلى السند.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لأهم وسائل انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند، فأبرزت فيه جهود الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية، وحكام السند في نشر التعليم بالمنطقة، وكذلك جهود خلفاء بني العباس ونوابهم على حكم السند.ثم تحدثت عن اللغة العربية وأثرها في التمازج والتداخل بين المسلمين العرب وأهل السند، إضافة إلى سياسة استقطاب العناصر العربية والسندية المسلمة والمستعربة التي تضم العناصر السندية المقيمة في جزيرة العرب، والقبائل العربية التي قطنت أرض السند. وكان من تلك الوسائل الاهتمام بالشعر وإكرام رواده وأثر ذلك على انتقال الثقافة الإسلامية.ثم ختمت تلك الوسائل بالتعرُّض لحركة التواصل التجاري بين بلاد السند وبلاد العرب.

وكان الفصل الثالث مخصصاً للعلوم الدينية والعقلية في بلاد السند، وذلك لكونها حادي ركب الثقافة الإسلامية، فبدأتها بالحديث عن العلوم الدينية باعتبارها أُولى العلوم التي نقلها المسلمون إلى البلاد المفتوحة، وقبل تناول العلوم العقلية تعرّضت للترجمة ودورها في إثراء العلوم العقلية.

وخصصت الفصل الرابع والأخير لنتائج التمازج الفكري بين الثقافة الإسلامية والسندية، والذي تمثل في حركة التواصل العلمي بين بلاد العرب والسند منذ العهد الراشدي ومروراً بعصر بني أمية، إلى نهاية العصر العباسي الأول، وذلك بإبراز مجموعة من العلماء المسلمين الذين قَدِمُوا بلاد السند كقادة أو علماء أو دعاة

أو قضاة وأئمة. ثم أتبعت ذلك بذكر إسهام علماء السند في الصرح الإسلامي، فقسّمتهم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يشمل العلماء الذين كان آباؤهم وأجدادهم من السند فاعتنقوا الإسلام وصُبغوا بصبغة الدين، أما القسم الثاني فيضم السبايا والموالي الذين جُلبوا من السند وصاروا في ولاء الإسلام، فانضموا إلى القبائل والأفراد.وفي القسم الثالث تناولت العلماء الذين برزوا في مجال العلوم العقلية وأسلموا وقدموا إلى بغداد، أو مَنْ ظلّ منهم على دينه فقدّم للإسلام عصارة علومه رغبة فيما عند الخلفاء من عطايا.وأخيراً تناولت المراحل التي مرّت بها اللغة السندية بَادِئاً بصراعها مع اللغات الأخرى قبل الإسلام، ثم الأدوار التي مرّت بها بعد احتكاكها باللغة العربية، وما تمخض عن هذا الاحتكاك من تغيير في كلماتها وحروفها.

ثمّ جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وبها أنهيت الرسالة.

عرض وتحليل لأهم مصادر البحث:

اقتضى البحث في انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند خلال فترة الدراسة تنوُّع مصادر المعلومات من كُتب تاريخية، وتراجم أنساب، ومؤلفات لغوية وأدبية، وجغرافية وكتب رحلات لها صلة بموضوع البحث، بعضها عاش مؤلفوها في الفترة موضوع الدراسة، والبعض الآخر من فترات سابقة أو متأخرة، ومع أن كل صنف من هذه المصادر والمراجع ركّز على ناحية معيَّنة إلا أنه لم يهمل النواحي الأخرى. وسأكتفي هنا بعرض المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها في البحث، مرتبة حسب أهميتها:

(١) **كتاب فتح السند (ججنامة)**

لعلي بن حامد بن أبي بكر الكوفي المتوفى ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، الذي عثر على أصل الكتاب لدى عائلة يرجع نسبها إلى بنى ثقيف فقام الكوفي بترجمته إلى اللغة الفارسية ولكنه لم يذكر العنوان الدقيق للنص العربي الأصلي ولا اسم مؤلفه

فأحياناً يشير إليه باسم (فتحنامه)[1] وفي أماكن أخري يسميه (تاريخ الهند وفتح السند)[2] وعند مطالعتي لنصوص الكتاب وجدت أن كثيراً من مقاطعه تتطابق مع ما جاء في فتوح البلدان الذي اعتمد في رواياته علي أبي الحسن علي بن محمد المدائنى المتوفى سنة٢٢٥هـ/ ٨٣٩م، وهذا يدلُّ على أن كتاب (فتح السند) إما أنه من مؤلفات المدائنى أو أن كاتبه اعتمد على روايات المدائنى بصورة أساسية.

والكتاب يضم بين دفتيه معلومات أساسية وهو يعتبر أول عمل تاريخي حقيقي حول الأحداث التي جرت في السند، ولكنه احتوى على نصوص اختلقها الكوفي لأنه أخذ على عاتقه صياغة النص الفارسي بأسلوب أدبي حتى تهتم الأجيال الفارسية بقراءته.

ومن أهم الملاحظات علي الكتاب، الأسلوب الذي جاءت به الرسائل المتبادلة بين الحجاج وابن القاسم، لأنه يخالف أسلوب صدر الإسلام إضافة إلى ورود عبارات ليست فيها بلاغة الحجاج المعهودة وتختلف تماماً عن رسائله إلى قتيبة ابن مسلم.ولكن بالرغم من ذلك فالكتاب هام جداً، فقد تميّز بإبراز معلومات دقيقة عن متابعة الحجاج بن يوسف لجيوشه المتجهة لفتح السند والتخطيط للمعارك، كما أنه انفرد بذكر أحوال السند قبل الإسلام وتحدث بإطناب عن استعدادات الجيش الإسلامي والمعارك التي خاضها ابن القاسم ضد حُكام السند.

(٢) كتاب فتوح البلدان:

للإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، وهو من رجال البلاط العباسي، كان نديم الخليفة المتوكل، وكان أحد المترجمين من الفارسية إلى العربية، ومن أبرز الذين أسهموا في تطور المنهج التاريخي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، فهو مؤرخ ونسابة، لم يتناول التاريخ العام بل ركَّز

١ ـ على بن حامد الكوفي: فتح السند ، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولي، دار الفكر، بيروت ، ١٤١٢ / ١٩٩٢ ، ص١٢

٢ ـ المصدر السابق: ص٩، وقد سماه (فتح نامه) في ص ١٢.

على أخبار الفتوح، واهتم بأوضاع البلاد المفتوحة وتكوينها الاجتماعي، وأهمية الكتاب تظهر فيما أورده من معلومات ثقافية واقتصادية وإدارية، وخصص البلاذري قسماً من كتابه لفتوح السند، وقد استقيت منه مادة علمية غزيرة، ولكن يلاحظ عليه عدم اهتمامه بذكر تواريخ الحملات وتعيين الولاة وعزلهم عدا الحملة التي حدثت في عهد علي ﷺ فهو يحددها بآخر سنة ٣٨هـ وأول سنة ٣٩هـ[١].

(٣) تاريخ خليفة بن خياط:

لخليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثى العصفرى الملقب بـ (شباب) والمتوفى سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م. من أشهر مؤلفاته كتاب "الطبقات" و"التاريخ" وكتاب "طبقات القراء". ويعتبر كتابه "تاريخ ابن خياط" أقدم كتاب حولي نُشر باللغة العربية وأهم وثيقة تتحدث عن مائتين واثنتين وثلاثين سنة من تاريخ الإسلام. استهل تاريخه بميلاد الرسول ﷺ ثم أخذ يسوق كل سنة علي حدة ابتداءً من السنة الهجرية الأولى، باسطاً ما جري فيها من أحداث ومغازٍ وثورات، حتى إذا فرغ قام بذكر من أدركتهم الوفاة في تلك السنة ومن أقام الموسم. أفدت من الكتاب في معرفة أحداث الفتح الإسلامي لبلاد السند ومعرفة أسماء الولاة والعمال وتحديد تواريخ توليتهم وعزلهم أو استشهادهم، إضافة إلى المعارك الهامة في بلاد السند والتي ضمنها كتابه، وهو في مجمله قيّم ومفيد للتعرف علي ضبط تواريخ الحملات علي بلاد السند[٢].

---

١ ـ شاكر مصطفي: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م ، جـ١، ص٢٤٣ ـ ٢٤٥. وحسين عاص: أبو جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص ٩٠ وما بعدها

٢ ـ شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع سابق، جـ ١، ص٢٣٤ ـ ٢٣٦.وحسين عاصي: خليفة بن خياط، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٤٠ وما بعدها.

(٤) تاريخ الأمم والملوك:

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م. وهو عَلَمٌ معروف في التأريخ الإسلامي، وطالب علمٍ لا يعرف التعب، بقي أربعين سنة يكتب كل يوم ورقة. يبدأ كتابه من بدء الخليقة وينتهي بسنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، وقد اتّبع فيه منهج الحوليات، وهو إن لم يكن أول من كتب في هذا المجال إلا انه يعتبر أكبر ما وصل إلينا من الكتب المبكرة[١]. وقد انعكس في تاريخه أثر ثقافته كمحدّث وفقيه، فلذلك عوَّل على الرواة في أكثر ما دوّنه، وأهم ما يؤخذ عليه غياب النقد للروايات فلم يطبّق منهج المحدثين علي الرواة في النقد وهو منهم، كما أن كتابه يفتقر للوحدة الموضوعية.

ولكن الكتاب في مجمله جليل في قدره، عظيم في قيمته، فهو أول كتاب كامل في التاريخ العام، أكمل ما ابتدأه سابقوه من التاريخ للأحداث كابن سعد واليعقوبى والواقدي والبلاذري وابن اسحق، وهو مصدر أصيل لمن جاء بعده أمثال المسعودي وابن الأثير وابن خلدون، كما أنه حفظ لنا كثيراً من أخبار العرب في الجاهلية، وقد أفدت منه في محاولات الخلفاء الراشدين لفتح السند، وأورد معلومات هامة عن السند أيام العباسيين.[٢].

(٥) تاريخ اليعقوبي:

لأحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي المتوفى سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م[٣]، كان رحالة ساح في بلاد الإسلام شرقاً وغرباً[١]. كتابه "تاريخ

---

١ ـ حسين عاصي: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ص٧٨.

٢ ـ شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع سابق، جـ ١، ص٢٥٣ ـ ٢٦٤.

٣ ـ أبو عبد الله ياقوت بن عبدا لله الرومي الحموي: معجم الأدباء، مطبعة مرغليوث، القاهرة، ١٩٣٣م، جـ ٥، ص١٥٣، ١٥٤.

اليعقوبي" من الكتب التاريخية الهامة وهو عبارة عن موجز تاريخي يتناول التاريخ العالمي منذ الخلق حتى سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م، تناول فيه إلى جانب تاريخ الأنبياء والفرس والجاهلية تواريخ الأمم الأخرى من آشوريين وبابليين وفراعنة وبربر وحبش وترك ويونان ورومان ولذا فهو من هذه الناحية تاريخ عالمي ولم يلتزم التسلسل الزمني للأحداث في هذا الجانب ولكنه التزم به في كتابة التاريخ الإسلامي.

أهم ما يؤخذ على اليعقوبي ميوله الشيعية وإهماله جانب الأسانيد في سرد الروايات التاريخية[٢] ولكنه يعتبر من أقدم الذين كتبوا في الدول، وقد اهتم بالجوانب الحضارية أكثر من اهتمامه بالجوانب السياسية ، وأورد معلومات غزيرة ومفيدة عن حكام السند بعد محمد بن القاسم وعن أوضاع السند في العصر العباسي.

(٦) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب:

للدكتور عبد الله بن مبشر الطرازي . وهو من الكتابات الحديثة، ويتكون من جزأين، وقد حوى معلومات مفيدة عن تاريخ السند قبل الإسلام، وفتحها في عهد الخلافة الراشدة والأمويين، وفتوحات محمد بن القاسم، وأوضاع السند بعد محمد بن القاسم إلى عصر الدولة العربية الهبارية في المنصورة، والدولة العربية في الملتان بإقليم البنجاب سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م . والكتاب جمع مادة عملية وافية عن آثار العرب في بلاد السند وقد أفدت منه كثيراً في نقله عن المصادر غير العربية.

(٧) رجال السند والهند إلى القرن السابع:

للقاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري، وهو من الكتابات الحديثة، يتكون من قسمين: القسم الأول خصصه للرجال الذين ولدوا وعاشوا في السند والهند، أو

---

١ ــ عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص١٤٥.

٢ ـ شاكر مصطفي: التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع سابق ، جـ١ ،ص ٢٥٢. ومحمد صامل العلياني السلمي:منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، دار طيبة، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ص ٤٢٦.

كانوا أصلاً من المنطقة، وولدوا وعاشوا في الخارج، وهؤلاء قسّمهم إلى ثلاثة أصناف: الأول يضم الذين كان آباؤهم وأجدادهم من العرب، أو مِنْ بلاد أخرى، وقدموا السند والهند أيام الفتوحات أو بعدها، فأقاموا وتأهلوا وصاروا من أهل السند والهند.والثاني يضم أؤلئك الذين كان آباؤهم وأجدادهم من السند والهند، واعتنقوا الإسلام، وصبغوا بصبغة الدين، ومنهم الزط والسيابجة. والثالث يضم السبايا والموالي الذين جُلبوا من السند والهند، وصاروا في ولاء الإسلام.أما القسم الثاني فيتناول الرجال الذين قدموا السند والهند من بلادهم، ثم رجعوا أو عاشوا وماتوا في السند.وسار في كتابته على منهج الجرح والتعديل، فكان يذكر أقوال الأئمة الأعلام في الشخص المُترجم له، وقد أفادني الكتاب كثيراً في ترجمة العديد من الشخصيات. ومما يؤخذ على الكتاب عدم ذكره للآثار العلمية لمنْ يترجم لهم.

تمهيد

التعريف بمصطلحات عنوان الرسالة

(١) الثَّقَافَة الإسلامية

(٢) بلاد السِنْد

(٣) العصر العباسي الأول

(١) الثَّقَافَة الإسلامية

من المسّلم به أن جميع البشر متساوون، حيث خلقهم الله سبحانه وتعالى من أب وأم معروفين لنا، هما آدم وحواء عليهما السلام، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]

فالخلق إذن مصدرهم واحد ولكنهم انتشروا على سطح الكرة الأرضية بطبيعتها الجغرافية المتباينة فأصبحوا:﴿شُعُوباً وَقَبَائِلَ﴾[2]تفصل بينها تضاريس الأرض المختلفة، وخلف هذه الفواصل ـ طبيعية كانت أو سياسية صنعها البشر ـ عاش كل مجتمع مع نفسه، يتفاعل أفراده وجماعته مع بعضهم، يتعاونون في السراء والضراء، يصارعون عوامل الطبيعة، وهم كذلك تعاملوا مع بعضهم في علاقات قد تكون إيجابية مثل التراحم والتزاوج والتجارة، وقد تكون سلبية تحمل التطاحن والتنافر.هذه العلاقات بشقيها السلبي والايجابي أكسبت الشعوب على مرّ الأيام والدهور خبرات جعلت لكل أمّة خصائصها التي تميزها عن غيرها، هذه الخصائص هي ما نُطلق عليه لفظ "الثَّقَافَة".

وهذا المصطلح خاضت في إظهار مفهومه وتحديد مدلوله آراء العلماء وأقلام الباحثين، فمنهم من ضيّق دائرة المدلول، ومنهم من وسّعها، ومنهم من حصر الثَّقَافَة في نطاق محدد، ومنهم من أطلق المجال لمعناها، ولذلك كثرت التعريفات الخاصة بكلمة (ثقافة) وهي مع كثرتها تتقارب في الفكرة وتتفاوت في الألفاظ وإن كانت لا تتعارض فيما بينها بل يكمّل بعضها بعضاً، وهذا التفاوت والتَّباين في تحديد مفهوم الكلمة أدّى إلى عدم الوصول إلى تعريف جامع وشامل للثقافة، وباستعراض ما توصل إليه العلماء من تعريفات تبيَّن لنا أنها كلها تأثرت بعامل

---

١ ـ سورة الحجرات: الآية ١٣.

٢ ـ سورة الحجرات: الآية ١٣

الزمان والمكان ونوع العلم الذي ينتسب إليه صاحب التعريف[١]، فلابد إذن من تناول مفهوم الكلمة عند أهل اللغة العربية، ثم معناها في الاصطلاح ومعناها عند الأوروبيين، لنخلص في النهاية إلى المفهوم الذي عرَّف المسلمون به الكلمة.

الثَّقَافَة في اللغة العربية:

أصل الثَّقَافَة في اللغة العربية مأخوذ من الفعل ثَقُفَ بفتح الثاء وضم القاف وفتح النون[٢] وللفعل (ثَقُفَ) معان كثيرة في المعاجم العربية منها:

١. الحذق والفطنة، نقول: ثَقُفَ الرجل إذا صار حاذقاً.

٢. سرعة أخذ العلم وفهمه، نقول: ثَقُفَ الطالب العلم.

٣. التهذيب والتأديب، نقول: ثَقُفَ المعلم الطالب.

٤. تقويم المعْوَج من الأشياء، نقول: ثَقُفَ الصانع الرمح.

٥. إدراك الشيء والحصول عليه والظفر به، وهذا المعنى هو الذي دارت حوله الكلمة في القرآن الكريم، قال تعالى مخاطباً المؤمنين في شأن المشركين المعتدين[٣]: ﴿ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾[٤] أي حيث وجدتموهم وتمكنتم منهم في حلٍ أو حرم[٥].

---

١ ـ حسن عيسى عبد الظاهر وآخرون: بحوث في الثَّقَافَة الإسلامية، مكتبة مركز الحكمة، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٢، ١٣.

٢ ـ الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م، ص٤١٢.

٣ ـ المرجع السابق، ص٤١٢. وأبو بكر الرازي: إيضاح مختار الصحاح، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٥٥.

٤ ـ سورة النساء: الآية ٩١.

٥ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م، جـ ١، ص٥٠٦.

ويتضح من عرض المعاني المتعددة لكلمة الثَّقَافَة في اللغة العربية أنها تستعمل في الأمور المعنوية، كما أنها تستعمل في الأمور الحسية، غير أن دلالتها على الأمور المعنوية العقلية أكثر من دلالتها على الحسيّات.

وقبل الخوض في تعريف الثَّقَافَة يحسن بنا أن نتتبع التطوّر الذي يحدث عادة لمدلول الكلمات الأصلية عبر تاريخها حتى تصل إلى أمّة أو جماعة فتوظفها في معان واستخدامات خاصة بها، لأن ما حدث للثقافة من تطوّر، هو ذاته ما شمل غيرها من الكلمات.

فقد جرت العادة على أن العرب يتكلمون بالكلمات لكي يُعبروا عن المعاني المحددة فيقولون مثلاً: جدار للتعبير عن هذا البناء من الطين أو غيره الذي يفصل بين شيئين، ويقولون: الصلاة يعنون بها الدعاء، وهكذا نجد سائر أسماء العبادات ـ كغيرها ـ كانت لها معان لغوية محددة.

وكل جماعة بشرية أو أمّة من الأمم تأخذ الكلمات في أصولها اللغوية وتضيف إليها دلالات أخرى إما أن تكون شرعية أي أنها تستخدم في مجال الدين، وإما أن تستخدم في مجال العلوم والصناعات، وهذه الدلالات الإضافية سواء كانت اصطلاحية أو شرعية ثمة حبل سري ورابط دقيق بين معناها الاصطلاحي أو الشرعي الجديد وبين المعنى اللغوي. ومع الوقت ومع كثرة التعامل تطغى الدلالة الاصطلاحية أو الشرعية الجديدة، ويُنسى المعنى الأصلي أو اللغوي.

نحن المسلمين عندما نقول مثلاً (الصّلاة) فإننا نادراً ما نتذكر معنى الدعاء، وإنما نتذكر هذه الأفعال المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم التي تتضمن أفعالاً وأقوالاً مخصوصة بنيّةٍ مخصوصة، ومع ذلك فقد أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى المعنيين كليهما، ففي المعنى الأول وهو الدعاء، يقول تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] أي: ادع لهم واستغفر لهم[2]،ومن المعنى الثاني الشرعي قوله سبحانه

١ ـ سورة التوبة: الآية ١٠٣.

٢ ـ أبو الفدء إسماعيل بن عمر بن كثير:تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، جـ ٢، ص٣٦٩.

وتعالى:﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[1] ومثل ذلك يُقال في الزكاة التي يندر أن نستخدمها بمعنى النماء والزيادة ، وإنما يتبادر إلى الذهن عند ذكرها : الأنصبة والحول وبلوغ النصاب ...الخ، قُلْ مثل هذا في الصيام والحج، والثَّقَافَة أيضاً أصابها ما أصاب الكلمات الأخرى عامة، فأخذت طوراً دلالياً عبر القرون حتى استقرت إلى المفاهيم والدلالات التي نتحدث عنها اليوم، ولعلّ الحديث عنها في الاصطلاح يجلّي لنا المعنى الذي عُرفت به عند المسلمين.

الثَّقَافَة اصطلاحاً :

يبدو أن كلمة ثقافة بمعناها الحالي كلمة مولّدة محدثة لم تجرِ على ألسنة أسلافنا من علماء الإسلام ومفكريه، غير أن مضمون الكلمة كان واضحاً لدى هؤلاء الأسلاف، فقد كان يعني في العصر العباسي الأول:"المشاركة البارعة في فروع شتى من المعرفة وبراعة تطبيقها وتصريفها"[2].أما فيما يتعلق بالمعنى الحديث للثقافة فهذا يُعد من المشكلات المعقّدة وذلك لكثرة التعريفات وتنوعها، أضف إلى ذلك الغموض الذي يكتنف معنى المصطلح وذلك بسبب ميل كل صاحب فن أو علم إلى التعريف الذي يخدم علمه.فمثلاً يعرّف علماء الاجتماع الثَّقَافَة بأنها:"عبارة عن الأنماط الذاتية التغير للسلوك الإنساني المكتسب"[3]ويعرّفها علماء التربية بأنها: "مجموعة الأفكار والمثل والمعتقدات والتقاليد والعادات، والمهارات، وطرق التفكير، وأساليب الحياة والنظام الأسري، وتراث الماضي بقصصه ورواياته وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد"[4]،وكذلك عرّفوها بأنها:"مجموعة من العادات يعترف بكونها مقبولة في جماعة معينة كما يمكن متابعة آثارها في كل دوائر

---

١ ـ سورة النساء: الآية١٠٣.

٢ ـ عبد الحليم عويس:ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، الرياض، ١٩٧٩م، ص١٥.

٣ ـ محمود شفشق وآخرون: التربية المعاصرة، بيروت، بدون تاريخ، ص٣٩.

٤ ـ المرجع السابق، ص٣٩.

النشاط الإنساني كالسياسة والحقوق والدين والفن والمعرفة العقلية بمختلف صورها"[١].

والواقع أن الثَّقَافَة ليست شيئاً جزئياً بل هي أمر كلِّي، بمعنى أنها ليست العلم بمفرده، ولا التربية بذاتها، ولا العادات والتقاليد منفردة، وليست العقائد والمذاهب دون غيرها، وإنما كل واحد من هذه العناصر يشكِّل وحدة من الثَّقَافَة الأمر الذي دفع بعض العلماء لاستخلاص تعريف يشتمل على المفردات السابقة فوصفوا الثَّقَافَة بأنها:"مجموعة من الخصائص والصفات المكتسبة تتيح للإنسان نوعاً متميزاً من السلوك يتفوق به على غيره، هذه الصفات والخصائص يكتسبها الإنسان على مرّ الأيام نتيجة لتطوّر عضوي يتلاءم به الإنسان مع بيئته، ونتيجة لتطوّر عقلي يكسب الإنسان من المهارات الذهنية واليدوية ما يجعله متفوقاً على مَنْ سواه، ونتيجة لتطوّر نفساني ووجداني يستطيع به أن يميّز بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وبين الحسن والقبيح، ونتيجة لتطوّر اجتماعي يربط الإنسان بوحدة ما، سواء كانت أسرة أو قبيلة أو دولة أو أمّة"[٢]، و هذا التعريف للثقافة بمعناها العام يُعَدُّ أكثر شمولاً للعناصر آنفة الذكر، كما أنه لا يتعارض معها.ولا شك أنَّ مِنْ الثقافات ما هو سامٍ يُعلي شأن الإنسان ويسعده ويرفع قدره، ومنها ما يهبط بالإنسان ويشقيه ويحط من شأنه[٣].

مفهوم الثَّقَافَة عند الغرب:

عُرِفت الثَّقَافَة عند الأوروبيين بمعنيين يخضع كل منهما لمجموعة من اللغات، ففي اللغات ذات الأصل اللاتيني كالفرنسية والإيطالية، ترجع كلمة culture إلى الفعل اللاتيني colere بمعنى ربّى واعتنى، وتعني كلمة culture ennui تهذيب الروح

---

١ ـ كروبر: مفهوم الثَّقَافَة في العلم، مجلة التربية العامة، ١٩٤٩م، ص٣.

٢ ـ محفوظ عزام: نظرات في الثَّقَافَة الإسلامية، مرجع سابق، ص١٧.

٣ ـ سميح عاطف الزين : الثَّقَافَة والثَّقَافَة الإسلامية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٤٠. وأحمد محمد جمال: محاضرات في الثَّقَافَة الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص١٤.

وجاء اللفظ أيضاً بمعنى العبادة pei culture .وفي لُغاتٍ أوربية أُخرى جاءت كلمة culture بمعنى فلاحة وزراعة الأرض، وتهذيب الروح، والتهذيب الرباني، وعبادة الله، والتمجيد والتعظيم. وجاءت كلمة agriculture بمعنى زراعة الأرض بعد تهذيبها وإعدادها، وهكذا نجد أن الغالب على استعمالات كلمة "ثقافة" في اللُّغات الأوروبية يدور حول التعهد والاعتناء[١].

وأورد عالما الأنثروبولوجيا الأمريكيان: الفريد كروبر A.Kroeber وكلايد كلكهوهن C.Kluckhohn، ما يزيد على مائة وستين تعريفاً للثقافة ثم انتهيا إلى أن الثَّقَافَة ذات مضمون تاريخي، أي من حيث كونها تراكماً للعديد من الأنماط والمركّبات الثقافية التي تراكمت عبر تاريخ ثقافي طويل، وبذلك فهي تشتمل على الأنماط والأفكار القيّمة، ولها صفة الاختيار والانتقاء، وهي في الوقت نفسه مكتسبة تُتَعلّم، كما أنها تجديد للسلوك الإنساني وإنْ لم تكن هي السلوك نفسه إلا أنها نتيجة لهذا السلوك[٢].

ويؤكد عبود الأصل الذي يربط بين الثَّقَافَة والزراعة، في اللغتين الإنجليزية والفرنسية ولكنه يقول:"إنها استخدمت للتعبير عن التربية للزرع والغل فقط، ثم إنها اتسعت بعد ذلك لتشمل تربية الإنسان والحيوان أيضاً، كما أصبحت تعني أخلاق الناس وعاداتهم، وأي شيء يحتاج إلى رعاية خاصة... ثم ازداد مدلولها اتساعاً، فصارت تعني ـ فيما تعني ـ تثقيف العقل وتهذيبه"[٣].

---

١ ـ محمد عبد الحليم مرسي:المنظور الإسلامي للثقافة والتربية، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٢٥، ٢٧. ومحفوظ علي عزام:نظرات في الثَّقَافَة الإسلامية، دار اللواء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص١١،١٢.

٢ ـ زكي محمد إسماعيل:الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي، عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٢٢، ١٢٣.

٣ ـ عبد الغني عبود: الحضارة الإسلامية المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٨ ـ ٢٠.

وبدأت الكلمة تنفصل عن أصلها (الزراعة) لتتصل بهذا المعنى الأخير، فصارت (ثقف) تعني صار حاذقاً فطناً وصارت الثَّقَافَة تعني:"العلوم والفنون التي يُطلب الحذق فيها"، ثم أصبحت تعني طريقة الحياة الكلية للمجتمع، وقد تتضمن أسلوب تناول الطعام، أو ارتداء الملابس، أو استخدام اللغة، أو تبادل الحب أو الزواج، أو دفن الموتى[١] .وهذا المعنى يؤكده هنري لاوست H.Lowst بقوله:"الثَّقَافَة هي مجموعة الأفكار والعادات الموروثة التي يتكوَّن منها مبدأ خُلُقِي لأُمّة ما، ويؤمن أصحابها بصحتها وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الأمة تمتاز عن سواها"[٢]وذهب آرنست باركر A.Barker إلى المعنى نفسه عندما وصف الثَّقَافَة بأنها:"ذخيرة مشتركة لأمة من الأمم تجمّعت لها وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تاريخ طويل، وتغْلُب عليها بوجه عام عقيدة دينية هي جزء من تلك الذخيرة المشتركة من الأفكار والمشاعر واللغة"[٣]، إذن الثَّقَافَة في الغرب ارتبطت بالعلوم الإنسانية التي تتميز بها كل أمة عن غيرها من الأمم الأخرى، كعلوم الدين واللُّغات وآدابها والتاريخ والجغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع.

مفهوم الثَّقَافَة الإسلامية:

هنالك أمر جوهري ينبغي أن نصطحبه معنا في تحديد مفهوم الثَّقَافَة الإسلامية، وهو أننا كنّا نتحدث عن الثَّقَافَة بمعناها العام، فلم ننعتها بأنها إسلامية أو غير إسلامية، وفي هذه المرة ألحقنا بها هذه الصفة (الإسلامية)، وهذا يعني أننا نتحدث عن ثقافة تحتكم في كل جوانبها إلى دين معيّن هو الإسلام.

---

١ ـ المرجع السابق: ص١٨ ـ ٢٠.

٢ ـ عاطف غيث : دراسات إنسانية واجتماعية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م، ص٦٥.

٣ ـ مصطفى الخشاب: دراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٥٧.

ولكننا عندما نأتي لتوضيح معنى الثَّقَافَة الإسلامية فإننا نجد المشكلة نفسها التي واجهتنا فيما سبق من تعريفات، حيث الكم الهائل من التعريفات، الأمر الذي يخلق نوعاً من الغموض حول مفهومها.

على أيةِ حال سنعرض للتعريفات التي تقودنا إلى معنى شامل يزيل الإبهام، فمن تعريفات الثَّقَافَة ما يرتكز على التراث الحضاري الإسلامي، ومنها ما يرتكز على تميُّز الشخصية الإسلامية ومقوماتها، ومنها ما يرتكز على حياة الأمّة الإسلامية، ومنها ما يرتكز على العلوم الإسلامية، ومنها ما يرتكز على أن الثَّقَافَة الإسلامية علم جديد له موضوعاته الخاصة.

فمن التعريفات التي ترتكز على التراث الحضاري الإسلامي، ما ذكره محمد فاروق النبهان بقوله:"الثَّقَافَة الإسلامية تُطلق على التراث الفكري الذي خلّفته الحضارة الإسلامية، في جميع جوانبه"[1].

ومن التعريفات التي ترتكز على تميّز وجود الشخصية الإسلامية والطبيعة الذاتية للأمة ذلك التعريف الذي يقول إن الثَّقَافَة هي:"الشخصية الإسلامية التي تقوم على العقيدة والشريعة والأخلاق، المستقاة من مصادر الإسلام والمقومات الأساسية، وهي ـ بالتالي ـ مجموعة الصفات والمقومات الفكرية والخُلقية التي تشكّل الإنسان المسلم وفق ركائزه الإسلامية آنفة الذكر، سواء كان هذا التشكيل على مستوى الصفات الفردية أم الفلسفية الاجتماعية أو النظرة الكونية"[2].

أما التعريف الذي يرتكز على حياة الأمة الإسلامية فهو الذي يقول:"إن الثَّقَافَة الإسلامية هي:معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة، بتفاعلاتها في الماضي

---

١ ـ محفوظ علي عزام: نظرات في الثَّقَافَة الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٨.

٢ ـ عبد الحليم عويس : ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، مرجع سابق، ص١٩، ٢٠.وأحمد الشرقاوي وإبراهيم علي السيد: مدخل إلى الثَّقَافَة الإسلامية، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٣.

والحاضر، من دين ولغة وتاريخ وحضارة وقِيَم وأهداف مشتركة، بصورة واعية هادفة"[١].

ومن التعريفات التي ترتكز على العلوم الإسلامية قولهم إن الثَّقَافَة الإسلامية هي:"معرفة مقومات الدين الإسلامي، بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، والمصادر التي استقيت منها هذه المقومات، بصورة نقيّة مركزة"[٢].

أما التعريفات التي تستند إلى أن الثَّقَافَة الإسلامية علم جديد له موضوعاته الخاصة فمنها:"معرفة التحديات المعاصرة، المتعلقة بمقومات الأمّة الإسلامية، ومقومات الدين الإسلامي، بصورة مقنعة موجهة"[٣]و منها أيضاً قول بعضهم: "المعارف التي كانت العقيدة الإسلامية سبباً في بحثها كعلم التوحيد والفقه والتفسير والحديث وعلوم القرآن و علوم الحديث وعلوم اللغة العربية ومصطلح الحديث وعلم الأصول"[٤].

تلك نماذج لأهم تعريفات الثَّقَافَة الإسلامية، وكل واحد منها يمثل وجهة نظر معيّنة، الأمر الذي يدعونا لاستخلاص مفهوم يجمع بين تلك التعريفات ويناسب موضوع الأطروحة: فالثَّقَافَة الإسلامية تعني طريقة الحياة التي يعيشها المسلمون في جميع مجالات حياتهم وفقاً لشرائع الإسلام، سواء كانت حياة مادية وهي ما اصطلح علي تسميتها بالمدنية، أو حياة روحية وهي ما اصطلح على تسميتها بالحضارة.وبمعنى أوسع فالثَّقَافَة الإسلامية تمثّل: "الصورة الحيّة للأمّة الإسلامية[٥]،فهي شخصيتها وقوام وجودها، وعقيدتها التي تؤمن بها ومبادئها التي

---

١ ـ رجب سعيد شهوان وآخرون: دراسات في الثَّقَافَة الإسلامية، الكويت، ١٩٨١م، ص١١، ١٢.

٢ ـ المرجع السابق: ص١١.

٣ ـ المرجع السابق: ص١٢.

٤ ـ عز الدين الخطيب التميمي وآخرون: نظرات في الثَّقَافَة الإسلامية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عَمّان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٣٤.

٥ ـ عمر الخطيب: لمحات في الثَّقَافَة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص١٣.

تحرص عليها، ونظمها التي تعمل على التزامها، وتراثها الذي تخشى عليه من الضياع، وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار"[١].

فالثَّقَافَة الإسلامية ذات طبيعة دينية، لأنها مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذه المصدرية المتميزة أعطت الثَّقَافَة الإسلامية أبعاداً خلقية، فهي ليست ثقافة وضعية صاغ معالمها شعب متفوّق منتصر، اختلطت عليه المعايير فجعل من نفسه وصيًّاً على الشعوب الأخرى، وهي ليست ثقافة فردية عكف على وضع معالمها مُفكّر أو مُصْلح، دفعته عزلته عن البشر أن يحلّق في فضاءٍ مثالي متجاهلاً طبائع البشر وغرائزهم متناسياً فطرة الله وحكمته في خلق الناس.

وهذه الطبيعة الدينية في الثَّقَافَة الإسلامية لم تلغ أثر العقل البشري في الاجتهاد والتفسير والإضافة، فالعقل هو أداة التفسير، وهو المخاطب بالنص. وبفضل هذه الخصوصية استطاعت الثَّقَافَة الإسلامية أن تنمو في عصور الازدهار، لأنها استفادت من التراث الحضاري والإنساني الذي أنجبته حضارات سابقة، مما أضاف إليها أبعاداً جديدة.وسنرى خلال هذه الأطروحة ما أحدثته الثَّقَافَة الإسلامية من تغيير على أرض اِلسنْد التي تختلف عن غيرها في أنها أرض ذات حضارة رائدة، كانت محل إعجاب العرب قبل غيرهم، وقد توافر بها العلماء في شتى المعارف، وكانت مورداً مهماً للعلوم العقلية، ولكنها كانت تعاني من أمراض اجتماعية وطبقية مجحفة، وعقائد خربة، شوّهت حضارتها وأتت على بنيانها من القواعد، وفوق ذلك فإنها ذاقت الأمرّين من انفراط أمنها واضطرابها السياسي، وإن بلداً يحمل كل هذه الأمراض قبل الإسلام ثم وُلد مرة أخرى في الدولة الإسلامية حريٌّ بنا أن نعكس الأثر الذي أحدثته هذه الثَّقَافَة الإسلامية في إعادة بنائه وصياغة مجتمعه وفق أسس جديدة، لا تقوم على إلغاء كل قديم، ولكنها تصحح المسار وتستبدل الضار وتقوِّم المعوج.

---

١ ـ صالح ذياب هِنْدي:دراسات في الثَّقَافَة الإسلامية: جمعية عمال المطابع، عَمّان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٩.ومحمد الرميحي: واقع الثَّقَافَة ومستقبلها في أقطار الخليج العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٩، ص٤٤.

(٢) بلاد السِنْد: الموقع والحدود

تحتل بلاد السِنْد[١] الجزء الشمالي الغربي لشبه القارة الهِنْدية[٢]، أما منشأ تسميتها بهذا الاسم فقد اختلف المؤرخون والجغرافيون حوله وذكروا تعليلات متباينة لأصله فيذكر لامبريك (LAMBRICK) أن الاسم القديم لبلاد السِنْد هو "سِنْدهو" [٣] الذي أطلقه أهل تلك البلاد في بداية الأمر على نهر السِنْد[٤] لما له من أهمية عظيمة بالنسبة لهم، فقد أصبحت تلك المنطقة ـ بفضل الله ـ ثم بوجود هذا النهر أرضاً خضراء تأوي إليها الأمم وتنمو عليها الحضارات، شأنها في ذلك شأن

---

١ ـ السِنْدSIND:بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره دال مهملة، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، جـ٥، ص٨٢. وأبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني: الأنساب، دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، جـ٣، ص٣٢٠. وصفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، جـ٢، ص٧٤٦.

٢ ـ شبه القارة الهِنْدية: اصطلح على تسميتها بهذا الاسم بسبب اتساع مساحتها وفصلها عن بقية أجزاء آسيا بجبال الهملايا، يُنظر حسن جودة وحسنين جودة: جغرافية آسيا الإقليمية، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص٤٣٢.

٣ ـ H.T.LAMBRICK SIND AGENERAL INTRODUCTION, HYDERABAD SIND, 1975 VOL 1 P 1

٤ ـ نهر السِنْد Indus: يذكره بعض الجغرافيين باسم مهران. يُنظر أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة: كتاب تقويم البلدان، صححه وطبعه رينو والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠هـ، ص١٢. ومطهر بن طاهر المقدسي: كتاب البدء والتاريخ، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، جـ٤، ص٦٠.وأبو القاسم محمد بن علي بن حوقل: صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن، الطبعة الثانية، ١٩٣٨م، جـ٢، ص٢١٧.

الحضارات الأخرى التي وُجدت على ضفاف نهر النيل ونهري دجلة والفرات، وقد أُطلق الاسم " سِنْدة " على المنطقة التي يجري فيها الجزء الأسفل لنهر الِسنْد وذلك لما غزا الآريون[١] تلك البلاد[٢]، بينما عرفّها الإيرانيون باسم "هِنْد " ثم أبدل اليونانيون الهاء همزة فأصبحت "إند "، وسمّاها الرومان "أندريا "، فالملاحظ هنا أن الاسم يتم تغييره وفق الأوضاع السياسية، فكلما جاء غزاة أعطوا البلاد اسماً يناسب لسانهم، أما سكان الِسنْد أنفسهم فقد كانوا يسمون المناطق المحيطة بالنهر"سِنْد " وظلّ هذا الاسم هو المتعارف عليه بينهم حتى مجئ الفتح الإسلامي[٣].

ومثلما جاء الخلاف حول كلمة "سِنْد " فقد كانت الحدود هي الأخرى محل نزاع ذكر فيه الجغرافيون آراء متباينة، تدلُّ على التغييرات السياسية التي طرأت على

١ ـ الآريون:من العناصر التي غزت الهِنْد في الألف الثاني قبل الميلاد واختلف كثيراً حول أصلها، فقيل أنهم من أصل حامي وقيل إيرانيون، وأغلب الأدلة ترجعها إلى العراق وفارس، يُنظر بكري عمر رحمه: الفتح الإسلامي لبلاد الِسنْد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، كلية الآداب، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢١وما بعدها.وأبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد القرماني: كتاب الدول وآثار الأُول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، ١٢٨٢هـ، ص٤٩٢. وأبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، جـ٢، ١٤٤، ١٤٥.

٢ ـ LAMBRICK: P. 1

٣ ـ سيد أبو ظفر ندوي: تاريخ سند(بالأردية)، معارف دار المصنفين، أعظم كدة، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ، ١٩٦٠م، جـ١، ص١.نقلاً عن عبد الله مبشر الطرازي:موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، جـ١، ص٥١.

هذه المنطقة، ففي العصور القديمة كانت المناطق التي تقع تحت قبضة حكام الِسنْد يُطلق عليها اسم الِسنْد، فيذكر الكوفي امتداد مملكة سيهرس[١]من الشرق إلى كشمير ومن الغرب إلى مُكْرَان[٢]ومن الجنوب حتى سواحل بحر العرب الذي كان يُعرف بالمحيط، وميناء الدَيْبُل[٣]ومن الشمال حتى جبل كردان[٤]وكيزكانان[٥] وهذه تُعَدُّ أصغر مساحة للدولة[٦]، أما مملكة داهر[١] فقد ذكر امتدادها أبو ظفر ندوي، من

١ ـ سيهرس بن ساهسي: هو أحد ملوك الِسنْد قبل الفتح الإسلامي، علي بن حامد الكوفي :فتح السند، مصدر سابق، ص١٥.

٢ ـ مُكْرَان:ولاية واسعة تشمل قرى ومدناً عديدة، تحدها كرمان من الغرب وسجستان من الشمال وبحر العرب من الجنوب والهِنْد من الشرق.شهاب ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٨، ص٣٠٥ـ٣٠٦.

٣ ـ الدَيْبُل Daibul: بفتح أوله وسكون ثانيه وباء موحدة مضمومة ولام، من أقدم المدن الِسنْدية وأشهرها، وميناء مهم على المحيط الهِنْدي ولكنها اختفت والراجح أنها كانت جنوب شرق كرا تشي، وأطلاها اليوم في داخل باكستان على نحو عشرين ميلاً جنوب غربي ثتا Thatta. المصدر السابق، جـ٤، ص٣٣١، وكي لستر نج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس و كور كيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص٣٦٩.

٤ ـ كردان: الجبال الغربية في لا سبيلاLus Bela وجهالاوان (بلوشستان الجنوبية)، يُنظر علي بن حامد الكوفي:فتح السند، مصدر سابق، ص١٥.

٥ ـ كيزكانان:أو كيكان الجبال التي تفصل بلوشستان العليا عن بلاد بدهية، وهي من أعمال قندابيل، وغالباً ما تكون هي بلدة كلات الحديثة، علي بن حامد الكوفي :فتح السند، مصدر سابق، ص١٦، وأبو القاسم محمد بن علي بن حوقل:صورة الأرض، مصدر سابق، ص٢٧٦، وكي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، مرجع سابق، ص٣٧٠.

٦ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح الِسنْد، مصدر سابق، ص١٥، ١٦.

الشمال الغربي عند منبع نهر جهلم[٢] وسلسلة جبال كَابُل[٣] حتى نهر هلمند وفي الجنوب الغربي تتصل حدودها الساحلية ببلاد فارس عند مُكْرَان ومن الجنوب يحدها بحر العرب ومن الجنوب الشرقي خليج كش "كجه"[٤]وفي الشرق تتصل بالهِنْد عند راجبوتانة[٥] وجسلمير[٦].

أما الجغرافيون المسلمون فقد اتفقوا حول حدود السِنْد ولنأخذ مثالاً واحداً لهؤلاء وهو المقدسي[٧]الذي يذكر حدودها في الشرق بحر فارس ـ بحر العرب ـ وفي الغرب كرمان و سجستان[٨]وأعمالها وفي الشمال تقع بقية بلاد

---

١ ـ داهر: من أشهر ملوك السِنْد، كان حاكمها عند الفتح الإسلامي وآخر ملوكها.المصدر السابق، ص٥٤.

٢ ـ جهلم:أحد روافد نهر السِنْد الأربعة في البنجاب، يُنظر محمد مرسي أبو الليل: الهِنْد تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٣.

٣ ـ كَابُل: من ثغور طخارستان، بها جبال تنسب إليها، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٤، ص١١١.

٤ ـ كِش: بالشين المعجمة من مدن السِنْد المشهورة، المصدر سابق، جـ٧، ص١٣٧.

٥ ـ راجبوتانه:تقع في الجزء الشمالي الغربي من هضبة الدكن، محمد مرسي أبو الليل:الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، مرجع سابق، ص١٦.

٦ ـ أبو ظفر ندوي: تاريخ سند (بالأردية)، نقلاً عن عبد الله بن مبشر الطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، جـ١، ص٥٠،٥١.

٧ ـ المقدسي:هو أبو عبد الله بن أبي بكر البناء المعروف بالبشاري، وضع كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، يُنظر أحمد رمضان: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، بدون تاريخ، ص١٢٩– ١٣٥.

٨ ـ سِجِستَان:عُرفت في الفارسية باسم سكستان Sagistan يحدها من الشرق المفازة بين مُكْرَان والسِنْد، ومن الغرب خراسان، ومن الشمال الهِنْد، ومن الجنوب المفازة التي بين سجستان وفارس وكرمان. يُنظر أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة:المسالك والممالك، تحقيق

الهِنْـد وفي الجنـوب توجـد مفـازة مُكْـرَان وجبـال القفـص ومـن ورائهـا بحـر فارس[١].

وعليه يمكننا القول بأن حدود السِنْد كما يلي:

من الغرب حدود كرمان وتمام مفازة سجستان ومن الشرق بحر العرب ـ لأن البحـر يتَقوس على كرمان والسِنْد حتى يصير له دَخْلَه شرقي بـلاد السِـنْد ـ ومـن الشـمال الهِنْد ومن الجنوب مفازة[٢]بين كرمان والبحر وهي اليوم تشـمل جـزءاً مـن جمهوريـة باكستان الإسلامية.

محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ص٥٦. وشهاب الدين يـاقوت ابن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٣، ص٢٢ـ٢٥.

١ ـ أبو عبد الله بن أبي بكر البناء المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقـاليم، مطبعـة بريـل، ليدن، الطبعة الثانية، ١٩٠٩م، جـ٢، ص٤٨٤.

٢ ـ مفازة:صحراء واسعة مخيفة كانت تقطنها العصابات، يحدها مـن الغـرب والجنـوب الغربـي إقليم الجبال وكرمان، ومن الجنوب جبال مُكْرَان ومن الشرق والشمال الشرقي خراسان، يُنظـر كي لستر نج: بلدان الخلافة الشرقية، مرجع سابق، ص٣٦٠- ٣٧١.

الفتح الإسلامي لبلاد السِنْد

محاولات الخلفاء الراشدين:

كان العرب قبل الإسلام يتوسطون في المقايضات التجارية بين الهند والأمم الأخرى، فما كان يأتي براً عن طريق فارس يتولاه المناذرة والغساسنة، وما كان يأتي بحراً عن طريق المحيط الهندي والبحر الأحمر، يحمله اليمنيون ليأخذه أهل مكة في رحلتهم المذكورة في القرآن الكريم: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْش * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاوَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ *الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[١] ،ثم يُحمل إلى بلاد الشام، ويأخذ تجار مصر نصيبهم فيقايضون به الرومان والإغريق، وهكذا نجد أن العرب كانوا على معرفة غير قليلة ببلاد الهند وأحوالها، وحين ظهر الإسلام، ودخل العرب في دين الله أفواجاً، كان منهم هؤلاء التجار الذين حملوا رسالتهم إلى أهل تلك البلاد بصورة فردية، ولا شك أن العرب كانوا في شوق لفتح بلاد الهند ونشر الإسلام فيها، ولكنهم تأخروا عن تحقيق هذا الهدف لأوليّات الفتح الذي يتطلب القضاء على الإمبراطورية الفارسية والبيزنطية أولاً، لفتح الطريق أمام الجيوش الإسلامية للزحف نحو المناطق الأخرى، وقد استنفذت فتوحات الشام والعراق كل أيام الصديق ، ثم جاء الفاروق عمر[٢] و في عهده، قام والي

---

١ ـ سورة قريش.

٢ ـ الفاروق عمر:هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن زراح بن عدي بن كعب القرشي، تولى الخلافة سنة١٣هـ/ ٦٣٤م واستشهد في ذي الحجة

البحرين[1] وعمان عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه [2] بأولى المحاولات لفتح السِنْد دون استشارة الخليفة، تمثّلت في إرساله ثلاث حملات في سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م[3]، أحرزت بعض الانتصارات إلا أن الفاروق رضي الله عنه لم يرض عن هذا التصرف، فكتب إلى عثمان الثقفي يعاتبه على ذلك قائلاً:"يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود، وإني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم"[4]، ولعلَّ من أهم أسباب رفض عمر رضي الله عنه لهذه المحاولة، قيام عثمان الثقفي بالحملة دون علم الخليفة، ولا ننسى أن المسلمين لم يكونوا قد أنشأوا وحدات بحرية عسكرية مُنظمة تؤهلهم للقيام بمثل هذه

سنة٢٣هـ/ ٦٤٣م على، يُنظر محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، جـ٣، ص٢٠١، ٢٨٧.

١ ـ البَحْرَين: قصبتها هَجَر، فيها عيون ومياه.يُنظر شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ١، ص٢٧٥ـ ٢٧٧.وهي المعروفة الآن بالإحساء في المملكة العربية السعودية.

٢ ـ عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه: من خيار الصحابة، كان ضمن وفد الطائف فجعله الرسول ﷺ أميراً عليهم، ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه الطائف، واستعمله الفاروق رضي الله عنه، على البحرين وعمان، توفى سنة٥١هـ/ ٦٧٠م، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص٦٥.

٣ ـ المصدر السابق، ص٤٧٦، وعلي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٧٢.

٤ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: البلدان وفتوحها وأحكامها، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٤٧٦. وذكر الطبري أنه عندما أراد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه غزو جزيرة قبرص كتب إلى الخليفة عمر رضي الله عنه، فسأل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن ركوب البحر فأجابه:" إنما هم كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق"، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، جـ٥، ص٢٥٧، ٢٥٨.

الحملات، أضف إلى ذلك استراتيجية الفاروق في ضمِّ فارس أولاً ثم جعْلها نقطة انطلاقة إلى الشرق. وقد ذكر الطبري في تاريخه أنه عندما كان العلاء بن الحضرمي[1] والياً على البحرين أرسل كتيبة عن طريق البحر إلى فارس بدون إذن الخليفة، فلم يرض الفاروق من هذا التصرف فعنّف العلاء وعزله.وبعد انتصارات المسلمين في نِهَاوَنْد[2] قرر الخليفة عمر ﷺ فتح بلاد السنْد وذلك لأن الطريق إليها أصبحت سابلة، لا سيما وأنها صارت ملجأً لفلول الفرس المنهزمة، فعقد لواء مُكْرَان للحكم بن عمرو الغفاري[3]سنة ١٨ هـ/ ٦٣٩م يعاونه شهاب بن المخارق المازني وأمره بالسير إليها براً ، وفي مُكْرَان دارت معارك عظيمة انتصر فيها الجيش الإسلامي وسيطر على المنطقة وبقي فيها إلى أن استشهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م[4]،وهذا التغيير في سياسة عمر يشير بصورة واضحة إلى أنه لا يرفض الفتح ابتداءً ولكنه خشي التغرير بقوات المسلمين، وحمْلِهم على القتال في

---

١ ـ العلاء بن الحضرمي ﷺ: اسم أبيه عبد الله بن عمار، كان حليف بني أمية، صحابي جليل، عمل والياً على البحرين للنبي ﷺ وأبي بكر الصديق ﷺ، توفي سنة ١٤هـ/ ٦٣٤م، يُنظر أحمد بن علي بن محمد الكناني بن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب، تحقيق أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ، ص٧٥٩.

٢ ـ نهَاوَند:بفتح النون الأولى وكسرها والواو مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة، منطقة قريبة من أصبهان فتحها الصحابي الجليل النعمان بن مقرن ﷺ، يُنظر شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٨، ص٤٠٩.

٣ ـ أحمد بن علي بن محمد الكناني بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، جـ٢، ص٣٠.

٤ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٥، ص١٧٤.

ميدان لا علم لهم به، ومن الصعوبة وصول أي نوع من الإمدادات إليهم لعدم امتلاك المسلمين لوسائل النقل البحري اللازمة لذلك.

ولما بُويع عثمان بن عفان[١] ﷺ بالخلافة سنة ٢٤هـ/ ٦٤٤م، انتفض أهل مُكْرَان فاتّبع معهم الخليفة سياسة حكيمة، فبعث إليهم من يأتيه بأخبارهم، فتبيَّن له تمردهم على دولة الخلافة، وارتدادهم عن الإسلام، فطلب من والي العراق عبد الله بن عامر[٢] إعادة الأمور في مُكْرَان إلى سابق عهدها، فبعث إليهم عبد الله بن عامر قائده عبيد الله بن معمر التيمي[٣]، فأوقع بهم وطاردهم حتى بلغ نهر السِنْد، وحكم مُكْرَان حتى سنة ٢٩هـ/ ٦٤٩م ولما استشهد عثمان ﷺ كان عليها سعيد بن كندير القشيري[٤].

١ ـ عثمان بن عفان ﷺ:هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أمه أروى بنت كريز وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب، هاجر إلى الحبشة وهو زوج بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم، بويع بالخلافة سنة٢٤ هـ/ ٦٤٤م وقتل شهيداً سنة٣٦هـ/ ٦٥٦م، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة، يُنظر محمد بن سعد:الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٣، ص ٣٩ ـ ٦١.

٢ ـ عبد الله بن عامر: هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي، ابن خال عثمان بن عفان ﷺ، من الطبقة الأولى من التابعين، توفى في خلافة معاوية ﷺ، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٥، ص٣٢-٣٦.

٣ ـ عبيد الله بن معمر التيمي:هو عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، مختلف في صحبته، قتل باصطخر سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م، يُنظر شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تجريد أسماء الصحابة، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، جـ١، ص٣٦٤، ومحمد بن عمر الواقدي:فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، جـ١، ص١٢٤.

٤ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٥، ص٦٥.

بعد مقتل عثمان رضي الله عنه تولى الخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه [١] في أيام عصيبة، تفرقت فيها كلمة المسلمين وأُستقبل رضي الله عنه بأيامٍ سُود، وفتنٍ كقطع الليل المظلم، فانقسمت الأمصار بين مؤيد ومعارض، ولكن بالرغم من ذلك فقد عمل رضي الله عنه على تماسك الدولة، ففي سنة ٣٩هـ/ ٦٥٩م أرسل تاغرين بن دغر [٢] إلى ثغر الهِنْد على رأس قوة من أشداء المسلمين، فجاوز بجيشه مُكْرَان وتوغل حتى وصل جبل قيقان [٣] وهزم جموع المقاتلين وغنم عتادهم ولما غفل الجيش عائداً [٤] جمع له أهل القِيقَان وقطعوا عليه طريق العودة، فخاض المسلمون معركة دامية استشهد فيها قائدهم وجماعة من رجاله وعادت البقية إلى مُكْرَان، وفيها علموا بمقتل الخليفة وتولي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه خلافة المسلمين [٥].

اكتمال الفتح واستقرار الأوضاع:

١ ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه:هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة، و أول من أسلم من الصبيان، بويع بالخلافة في ذي الحجة سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م واستشهد في ليلة الجمعة لسبع عشرة خلون من رمضان سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م، يُنظر محمد بن سعد:الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ١، ص٩١-٩٢.

٢ ـ تاغرين بن دغر:لم أجد له ذكراً فيما اطلعت عليه، ذكره المباركبوري باسم تاغرين، القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري:العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ص٨٤.

٣ ـ القِيقَان:من بلاد طوران بالِسنْد، وكانت خيلها مشهورة في بلاد العرب، يُنظر شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي:معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٧، ص١٠٨.

٤ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٧٧.

٥ ـ المصدر السابق، ص٧٧.

استقرت أحوال الدولة الإسلامية بتولي معاوية بن أبي سفيان[١] ﷺ خلافة المسلمين سنة ٤١هـ/ ٦٦١م وفي أول عهده أرسل راشد بن عمرو الجديدي[٢] إلى أهل القِيقَان فردهم إلى الإسلام، وسيطر على الأوضاع إلى أن عُزل سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م، فثار أهل القِيقَان ثانية فبعث إليهم عبد الله بن سوار العبدي[٣] الذي أصاب منهم مقتلة عظيمة وأخضع القِيقَان و عاد إلى معاوية محملاً بالغنائم، ثم ثاروا مرة أخرى فجاءهم المهلب بن أبي صفرة[٤] سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م فردهم ولكنهم انتفضوا بعد مغادرته البلاد مباشرة، فأمر الخليفة معاوية قائده عبد الله بن سوار بالعودة مرة ثانية ولكنه استشهد ومعظم جيشه و عادت البقية إلى مُكْرَان[٥].

وفي سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م [٦] عزل معاوية ﷺ عبد الله بن عامر عن ولاية العراق وولاها زياد بن أبي سفيان[١] الذي وجه إلي السِنْد سنان بن سلمة

---

١ ـ معاوية بن أبي سفيان ﷺ:هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف الأموي، صحابي جليل، أسلم قبل الفتح وكتب الوحي، بُويع بالخلافة سنة ٤١هـ/ ٦٦١م وتوفى في رجب سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٧، ص٢٨٥.

٢ ـ راشد بن عمرو الجديدي:تابعي كان من ولاة عثمان ﷺ، استشهد بالسِنْد سنة٥٠هـ/ ٦٧٠م، خليفة بن خياط:تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص١٢٩.وأبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر: تاريخ دمشق وذكر فضلها، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، جـ٢٩، ص٢٦٠.

٣ ـ عبد الله بن سوار العبدي: حكم السند ثلاث مرات، اشتشهد في القيقان سنة ٤٧هـ/ ٦٦٦م كان كريماً جواداً، يُنظر محمد بن سعد:الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٥، ص٣٤.

٤ ـ المهلب بن أبي صفرة:أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة بن سراق بن صبيح بن كندي الأزدي، أدرك عمر ﷺومات بمرو سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م، من ثقات الأمراء، كان عارفاً بالحرب له أثر بارز في قتال الخوارج، أحمد بن علي بن محمد الكناني بن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب، مصدر سابق ، ص٩٧٦-٩٧٧.

٥ ـ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص١٢٧.

٦ ـ المصدر السابق، ص١٢٦.

الهذلي[٢] وكان فاضلاً شجاعاً، أتى الثغر وأعاد فتح مُكْرَان عنوة ومصّرها وأقام بها مدة أفلح في ضبطها وعمل على إصلاحها، ثم أعدّ حملة كبرى من أجل الانتقام لمقتل عبد الله ابن سوار والقضاء على متمردي القِيقَان، إلا أن زياداً لم يعجبه هذا البطء في الغزو فعزله وأعاد راشد بن عمرو الجديدي سنة ٤٨هـ/ ٦٦٨م، وكان رجلاً شجاعاً كبير الهمّة والعزم، بقي في السِنْد عاماً كاملاً حصل فيه على جميع الأموال والغنائم التي نهبها العُصاة، وأخذ منهم خراج السنة الماضية والسنة الحاضرة، ولما غفل عائداً إلى مُكْرَان قابلته جموع الميد[٣] ودارت معركة حامية خسرها المسلمون واستشهد قائدهم راشد الجديدي وكان ذلك سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م[٤].

أعاد زياد إلى المنطقة سنان بن سلمة للمرة الثانية وقد نجح في إعادة البلاد وبقي في مُكْرَان عامين إلى أنْ عزله زياد، ولما تولى عبّاد بن زياد سجستان أتى

---

١ ـ زياد بن أبي سفيان:هو زياد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، عُرف بزياد بن سمية وهي أمه وعُرف بزياد بن عبيد، استلحقه معاوية بأبيه سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م، وولاه أمر البصرة والكوفة، ولما انقضت الدولة الأموية عرف بزياد بن أبيه، كان من الدهاة الأربع، ولد عام الهجرة وأسلم زمن الصديق ﷺ، وتوفي بالكوفة سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٧، ص٦٩.

٢ ـ سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي: ليس له صحبه، سماه النبي ﷺ سناناً، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي البصرة، توفى في آخر أيام الحجاج، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٧، ص٨٩، ١٥٩.

٣ ـ الميد:من القبائل السِنْدية المنتشرة على سواحل السِنْد وصحرائها، كانوا يقومون بالقرصنة البحرية والتعرّض للسفن التجارية، ووجودهم في السواحل جعلهم معروفين لدى العرب منذ وقت بعيد، و كانوا السبب المباشر في حملة الحجاج على السِنْد لاستيلائهم على سفن المسلمين، يُنظر إبراهيم بن محمد بن إسحاق الاصطخري: المسالك والممالك، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص٤٢٢، وعلي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٩٠.

٤ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٨١، ٨٢. وخليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص٢٤٥.

القُنْدُهَار[1] فقاتل أهلها وهزمهم بعد أن فقد عدداً من رجاله وأُصيب آخرون فقال الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري:

كَم بِالجُرومِ وَأَرضِ الهِندِ مِن قَدَمِ * وِمِن جَماجِمِ قَتلى لَيتَهُم قُبِروا
بقُنْدُهَار وَمَنْ تُكتَب مَنِيَّتَهُ * بقُنْدُهَارَ يُرجَّم دُونَهُ الخَبَرُ[2]

ثم تولى عبيد الله بن زياد أمر العراق فبعث المنذر بن الجارود العبدي[3] سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م إلى أهل القِيقَان فأخضعها وأعاد فتح قُصْدَارُ[4] وأقام فيها إلى أن توفي سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م فتولى ابنه الحكم[5] أمور المنطقة وبعد ستة اشهر عزله عبيد الله بن زياد ووليها حري بن حري الباهلي[6] الذي أعاد الأمن للبلاد وبقي في مُكْرَان إلى أن تغلّب عليها العلافيون[7] سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م[1].

---

١ ـ القُنْدُهَار: بضم القاف وسكون النون وضم الدال، من بلاد السند، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٧، ص٩٢.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص ٤٧٨.

٣ ـ المنذر بن الجارود العبدي:أبو الأشعث المنذر بن الجار ود بن عمرو بن خش بن عبد المعطي العبدي، كان سيداً جواداً، ولاه علي بن أبي طالب ﷺ اصطخر ثم ولاه عبيد الله بن زياد ثغر الهِنْد فمات فيها سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٧، ص٦٠.

٤ ـ قُصْدَارُ:قصبة طوران، قريبة من غزنة، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٧، ص٥٤، وكي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، مرجع سابق، ص٣٦٨.

٥ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٨٤.

٦ ـ حري بن حري الباهلي:تابعي نقل البلاذري أن عبد الله بن زياد ولى سنان بن سلمة وكان حري على سراياه، يُنظر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها، مصدر سابق، ص٤٧٨.

٧ ـ العلافيون:هما محمد ومعاوية أبناء الحارث العلافين تغلبا على السِنْد عشر سنوات وقتلا والي السِنْد سعيد بن أسلم الكلابي سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م، علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٨٥.

أما حاضرة الخلافة الإسلامية فقد اضطربت فيها الأحوال وكادت الدولة الأموية أن تسقط إلى أن غيّض الله لها عبد الملك بن مروان[٢] الذي كان يتمتع بشخصية قوية. وقد أنفق وقتاً طويلاً في تثبيت حكمه بالشام والعراق وفلسطين والحجاز، ولم يعر المشرق اهتمامه، بما في ذلك المناطق التي انفرد بحكمها العلافيون، حتى أعاد للدولة هيبتها وقهر أعداء بني أمية وقضى على الفتن الداخلية وولّى الحجاج بن يوسف[٣] أمارة العراق، وقد كان الحجاج يتمتع بشخصية مهابة وسيف بتار سلطه بنو أمية على رقاب معارضيهم، فلم يتورع عن قتل الصالحين والزج بأخيار ذلك العصر في السجون، ولكن بالرغم من ذلك فقد كان له أثر كبير في إرساء دعائم الدولة الأموية.

١ ـ المصدر السابق، ص٨٥.

٢ ـ عبد الملك بن مروان:هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، كان من الرجال الدهاة، وكان الحجاج من ذنوبه، تولى الخلافة سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م إلى أن توفى سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥م، يُنظر شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي:سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٣، ص٣٨٨.

٣ ـ الحجاج بن يوسف:هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر الثقفي، أرسله عبد الملك إلى الحجاز فقتل عبد الله بن الزبير سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م، ثم استنابه على مكة والمدينة، ثم نقله إلى العراق سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م فأعمل في أهلها السيف حتى ردهم إلى الجادة.قال عنه الذهبي: كان ظلوماً جبّاراً، سفّاكاً للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة، له حسنات مغمورة في بحر ذنوبه.شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي:سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٤، ص٣٤٣.

وما إن تولى الحجاج أمر العراق حتى أرسل قائده سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي[١] إلى مُكْرَان فقضى على فتنة العلافيين ولكنهم عادوا وغدروا به وقتلوه وحكموا مُكْرَان مرة أخرى، ولما وصلت أخبار مقتل سعيد إلى الحجاج استشاط غضباً وأمر أحد أقرباء القائد المقتول بقتل أحد العلافيين الموجودين في الكوفة، وبالفعل قتله وأرسل رأسه إلى أتباع سعيد الكلابي، ثم اختار الحجاج رجلاً، آخر هو مجاعة بن سعر التميمي[٢] سنة٧٩هـ/ ٦٩٨م وأمره بالمسير في طلب العلافيين والقضاء عليهم فوصل مُكْرَان وتغلّب عليها بعد أن غادرها العلافيون هاربين إلى ملك السِنْد داهر، وضم أجزاء من قندابيل ثم بقي عاماً في مُكْرَان نظّم شؤونها الإدارية والمالية، وبعد وفاته تولى أمر المنطقة محمد بن هارون بن ذراع النمري[٣] الذي يُعَدُّ من أفضل الولاة الذين مروا على السِنْد، فقد حكمها خمس سنوات برزت فيها حنكته السياسية وقوته النافذة في القضاء على المتمردين، ونجح في القبض على أحد العلافيين واحتز رأسه وبعثه إلى الحجاج في العراق.

---

١ ـ القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري: رجال السِنْد والهِنْد إلى القرن السابع، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، ص٤١٤-٤١٦، وخليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص١٧٤.

٢ ـ القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري: رجال السند، مرجع سابق، ص٥١٠، وخليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص١٧٤.

٣ ـ عبد الحي فخر الدين الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢، ص١٣٨.

وفي عهده وقعت حادثة غيّرت مجرى العلاقات بين المسلمين والِسنْد، وذلك عندما أهدى ملك جزيرة الياقوت[١] إلى دولة الخلافة سفينة محملة بالتحف والهدايا والجواهر الثمينة والغلمان، بالإضافة إلى مجموعة من النساء المسلمات[٢]،فعرض للسفينة قوم من ميد الدَيْبُل[٣] في بوارج فأخذوا السفينة بمنْ فيها، فكتب الحجاج إلى داهر يسأله تخلية النسوة، ولكن الأخير لم يهتم بالأمر وردّ بقوله:" إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم" فأرسل الحجاج عبيد الله بن نبهان السلمي[٤] ولكنه هُزم ومات شهيداً مع عدد كبير من جنده[٥].

لم يرّكَنْ الحجاج للهزيمة التي حلّت بجيشه فجهّز حملة أخرى بقيادة بديل ابن طهفة البجلي[٦] ولما علم داهر بمقْدَمِهِ أرسل ابنه جيسيه ولكن بديل كان الأسرع إلى الدَيْبُل فلحقت به قوات جيسيه وهنالك دارت معركة حامية استمرت من الصباح إلى المساء، خسرها المسلمون واستشهد قائدهم، فتبدّى للحجاج مدى الإهانة التي تلحق بهيبة المسلمين إنْ هو سكت على هذا الأمر، فألحّ على الخليفة الوليد بن عبد الملك ليأذن له بتسيير الجند لفتح السند حتى أذِن

---

١ ـ جزيرة الياقوت:هي جزيرة سيلان الواقعة جنوب القارة الهِنْدية، عرفها العرب قبل الإسلام بإنتاج الياقوت، يُنظر حدود العالم من المشرق إلى المغرب: مؤلف مجهول، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ص٩٦.

٢ ـ يذكر الكوفي أن بالسفينة نساء مسلمات توجهن مع الهدايا لزيارة الكعبة وليشاهدن دار الخلافة، يُنظر علي بن حامد الكوفي:فتح السند: مصدر سابق، ص٨٩.

٣ ـ ميد الدَيْبُل: قبائل سندية معروفة بقرصنتها، عرفت مجموعة منهم بميد الدَيْبُل لوجودهم في سواحلها.

٤ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٧٩.

٥ ـ وقعت فيما بين عامي ٨٣هـ/ ٧٠٢م و٨٦هـ/ ٧٠٥م.أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٧٩.

٦ ـ المصدر السابق، ص٤٧٩.

له، فاختار محمد بن القاسم الثقفي[1] ليقوم بهذه المهمة الصعبة فجاء الفتح على يديه[2].

أثر محمد بن القاسم في الفتح وبسط الأمن:

وضع الحجاج خطة محكمة لتلافي أخطاء الماضي، ففي عام ٩٢هـ/ ٧١٠م عقد لواء السند لقائده محمد بن القاسم، ووقف على تجهيز الجيش بنفسه، وأمدَّه بستة آلاف من جند الشام وغيرهم، وجهّزه بكل ما احتاج إليه حتى الخيوط والإبر، وأمره أن يقيم بشِيرَاز[3] حتى يكتمل وصول العتاد الحربي إلى الديبل.

فتحرك ابن القاسم، ولما وصل شِيرَاز عسكر بظاهرها، وأمر الحجاج بجمع ما هو موجود من المنجنيقات والسهام والرماح ووضعها في السفن الحربية، وعيّن عليها قائدين من خيرة القواد، وكتب إلى محمد بن القاسم أن ينتظر وصول السفن إلى الدَيْبُل، وبعد استكمال الاستعدادات في شيراز ووصول ستة آلاف فارس وثلاثة آلاف بعير لحمل الأثقال والعتاد انطلق محمد بن القاسم ومعه اثنا عشر ألف مقاتل إلى الشرق حتى وصل (مُكْرَان)، فأقام بها أياماً، ثم توجه منها إلى (فنزبور)[4]، ثم

---

١ ـ محمد بن القاسم:هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر ابن متعب الثقفي، كان أبوه القاسم والياً للحجاج على البصرة، يُنظر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٢م، ص٢٦٨.

٢ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٩٣.

٣ ـ شِيرَاز: بالكسر وآخره زاي، بلد مشهور وهو قصبة بلاد فارس، تولى عمارتها محمد بن القاسم وفيها كانت أولى الأعمال التي تولاها ابن القاسم. يُنظر شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٥، ص١٦٩، وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص٢٦٨.

٤ ـ فنّزبور: أو بنجبور قصبة إقليم مُكْرَان، تُعرف اليوم باسم بنج كور، كي لسترنج:بلدان الخلافة الشرقية، مرجع سابق، ص٣٦٧، وأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح

إلى (أرمابيل)[١]، ثم قدم الديبل وهناك وافته السفن التي كانت تحمل الرجال والسلاح والعتاد والمهمات، فنزل ابن القاسم في سواد[٢] الدَيْبُل، وحفر الخنادق وأنزل الناس منازلهم ، ورفع الرايات والأعلام ، ونصب المنجنيقات ، ونصب منجنيقاً يُعرف بالعروس كان يعمل لتشغيله خمسمائة رجل، وكان في وسط الدَيْبُل معبد كبير للأصنام تتوسطه قبة عالية ترفرف عليها راية خضراء ، وكان ارتفاع المعبد أربعين ذراعاً وسعة القبة أربعون ذراعاً وارتفاع الراية مثلها وكان للراية أربعة ألسن تتطاير في الهواء ،وما أن علم ابن القاسم بتعلق أهل الدَيْبُل بهذا الصنم حتى دعا قائد جند منجنيق العروس وأمره بأن يكسر رأس معبد الأصنام وعمود الراية التي ترفرف فوقه، ووعده بجائزة تقدر بعشرة آلاف درهم. وفي اليوم المحدد للقتال بدأ أمير المنجنيق الرمي، وطارت راية المعبد وبعض قاعدته، ثم رمى الحجر الثاني فأصاب قبة المعبد فانهارت تماماً، وفي الحجر الثالث أصبح أنقاضاً مع الأرض سواء ، ثم قرعت الطبول في الدَيْبُل، وتقدم المسلمون صوب أسوار المدينة، وثلم المنجنيق سور الدَيْبُل فوصل المجاهدون إلى أعلى السور وأبراجه ، ثم فتح أهل الدَيْبُل أبواب مدينتهم وطلبوا الأمان ، فدخلها ابن القاسم واستباحها ثلاثة أيام، وتوجه إلى السجن الذي ضمّ الأسْرى المسلمين فحررهم ووضع بدلاً عنهم مجموعة من قراصنة الدَيْبُل ،وأنزل فيها أربعة آلاف من المسلمين وبنى فيها مسجداً، ثم توجه

اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ، دار صادر، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، جـ٢، ص٢٨٨

١ ـ أرمابيل: تقع بالقرب من ساحل بحر العرب بين مدينتي الدَيْبُل والتيز، أطلالها اليوم عند لس بلا Lus Bela، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، مرجع سابق، ص٣٦٩.

٢ ـ السواد:الخضرة والزروع والأشجار (والعرب يسمون الأخضر سواداً والسواد أخضراً) والمراد هنا البساتين المحيطة بالدَيْبُل.يُنظر شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي :معجم البلدان،مصدر سابق،جـ٥،ص٨٦،٨٥.

ابن القاسم إلى فتح (نيرون)[1] فقطع الطريق بين الدَيْبُل ونيرون في ستة أيام ، وعندما وصلها أرسل حاكمها رسولين محملين بالغذاء والأعلاف ، وفتح لابن القاسم باب المدينة، وأخذ يبيع ويشتري البضائع مع جيش المسلمين، فدخل ابن القاسم المدينة، وهدم معبد الأوثان، وبنى مكانه مسجداً وجعل له إماماً، ثم سار إلى حصن (سيوستان)[2]المدينة المحصنة المرتفعة، وأراد أهل المدينة الأمان ولكن حاكم المدينة رفض بشدة واستعد للحرب، فنصب ابن القاسم المنجنيقات وبدأ الحصار، وحينما تيقّن حاكم المدينة من الهزيمة وضاق ذرعاً بالحصار فرّ ليلاً، ففتحت المدينة أبوابها ودخلها الجيش وأعلن الرهبان ولاءهم للمسلمين ولما استقرت الأوضاع واستتب الأمن، وُزعت الغنائم على الجيش بعد إخراج الخمس وإرساله إلى والي العراق الحجاج بن يوسف[3] .

ثم سار ابن القاسم نحو حصن (سيويس) ففتحه، ثم عاد إلى نيرون، واتخذ قراره بعبور نهر السند (مهران) للقاء داهر ملك اِلسنْد، فأرسل إليه رسولين يدعوانه للطاعة فرفض، وعندئذ تخيّر ابن القاسم أفضل معابر النهر، وهيأ السفن لذلك، وأثناء المراسلات بينه وبين داهر من طرف ومع الحجاج من جهة أخرى والاستعدادات التي استمرت خمسين يوماً نفدت أطْعِمَة المسلمين، وقلّت أعلاف الخيل والدواب، ونَفَقَ عدد من الخيل بعد إصابتها بالجذام، واشتكى الجيش من قلة

---

١ ـ نيرونNiron:من المدن اِلسنْدية التي اندثرت، حدد الأصطخري موقعها بين المنصورة و الدَيْبُل ونقل غيره المسافة بينها وبين المنصورة خمسة عشر فرسخاً(خمسة وأربعون ميلاً)، وتعتبر مدينة حيدر أباد الحالية هي الموقع السابق لها، علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص١٦، وإبراهيم بن محمد بن إسحاق الإصطخري: المسالك والممالك، مصدر سابق، ص٧٧.

٢ ـ سِيْوستانSiwestan:اسم لإقليم يضم عدد من المدن، وموضعها الحالي هو مدينة سيوان بإقليم السند، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، مصدر سابق، جـ٢، ص٧٦٩.وعبد الله بن مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٧٨.

٣ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص١١٨.

الغذاء، فاضطر الجند إلى أكل لحوم الخيل المريضة[1] ، فلما وصلت تلك الأخبار إلى داهر طار قلبه فرحاً فأرسل مبعوثه إلى ابن القاسم ساخراً، ودعاه إلى الرجوع إلى بلاده سالماً، ولكن ابن القاسم لم تفت تلك الحرب النفسية في عضده،فكتب إلى الحجاج يخبره بما آل إليه وضع المسلمين هنالك، فأرسل إليه الحجاج ألفي حصان.

وبعد أن اكتملت الترتيبات بحث ابن القاسم عن أفضل وأضيق مكان للعبور على نهر مهران، وأمر بإحضار السفن وربط بعضها ببعض ليصنع منها جسراً للعبور، وفي الجهة الأخرى أعدّ داهر خمسة آلاف من خواصه المدربين على فنون القتال، وستين سلسلة من الفيلة، وعشرين ألف مقاتل من المشاة مدججين بالدروع والسلاح والرماح والسيوف، وجلس داهر داخل هودج[2] وُضع له على أكبر الفيلة لابساً خوذته الحديدية ودرعاً من الفولاذ. فتقدمت جماعة من جند داهر وقادته ليمنعوا ابن القاسم من ربط أجزاء النهر، ولما وصلت طلائع السفن على مقربة من الساحل الشرقي بدأ المقاتلون المسلمون برمي السهام والرماح بكثافة، مما أدى إلى تراجع قوات داهر الأمر الذي سهّل عبور الجيش المسلم، وفرّ جند داهر، وسار ابن القاسم إلى منطقة (جيور)، ونزل بجيشه على مقربة من نهر(ددهاواه)[3]، والتحم الجمعان من الصباح وحتى المساء ثم تراجع كلٌّ إلى موضعه، وقد عملت الفيلة في المسلمين الأفاعيل.وظلّ الحال هكذا خمسة أيام، وفي اليوم السادس أعاد الجيشان تنظيم

---

١ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها: مصدر سابق، ص٤٨١، وعلي ابن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص١٤٣.

٢ ـ الهَوْدَجُ: من مَراكب النساء مُقَبَّبٌ وغير مُقَبَّب، وفي المحكم: يُصْنَعُ من العِصِيِّ ثم يجعل فوقه الخشب فيُقَبَّبُ. وهَدَّجتِ الناقةُ: ارتفع سَنامُها وضَخُمَ فصار عليها منه شبه الهَوْدَج.أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور:لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤٠٠هـ، مادة هدج.

٣ ـ ددهاواه: أحد روافد نهر السند.

صفوفهما، وفي اليوم السابع شجع ابن القاسم رجاله وحرضهم على القتال، وبدأت سهام المسلمين المشتعلة بالنار تتساقط على هودج داهر، ورمى أحد الرماة بسهمه فأصاب قلب الهودج الذي يجلس بداخله داهر وأشعل فيه النار، فعاد الفيل إلى الوراء وقد اشتعل بالنيران حتى سقط في النهر، وعندها وصل الفرسان المسلمون إليه وقد تشرذم جيشه من حوله وحلّت به الهزيمة، وحاول داهر الخروج من الماء فصوّب إليه أحد الرماة المسلمين المهرة سهماً أصابه ولكنه تحامل على نفسه وتمكن من الظهور من الماء[1]، فعاجله المسلمون بوابل من السهام حتى قُتل[2]،وأرسل ابن القاسم رأس داهر ومعه مجموعة من رؤوس قادته مصحوباً برسالة إلى الحجاج بشّره فيها بالنصر وبمقتل داهر ،ولما وصل الوفد وضع رأس داهر أمام الحجاج ،فبرز رجل من ثقيف وأنشد أبياتاً حول فتح رَاوُر[3] ومقتل داهر يقول فيها:

فَتَحتَ بلادَ السِنْد بَعْدَ صُعُوبَةٍ * ومَهَابة لمحمد بن القَاسَم
سَاسَ الأمورَ سياسَةً ثقَفيّةً * بشهامة منه ورَأي حازم
أَذنَ الأميرُ له غَداةَ وَدَاعه * كان الأَميرُ مُؤَدباً في العَالَمَ
ما غابَ عَنْهُ من الأُمور رَزَانَةً * فيه اليَقينُ لهُ عَيَانَ العَالَمَ
فَبرُمحه نَصرَ الإلهُ مُحَمَدَاً * وبسيْفه قَامَتْ نساءُ مَآتَم

---

١ ـ يُنظر أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، جـ٢، ص٢٨٩.

٢ ـ اختلفت الروايات حول مقتل داهر، وأهم ما ذكر فيه أن الذي قتله رجل من بني كلاب، وهنالك رواية أخرى بأن قاتله هو القاسم بن ثعلبة بن عبد الله بن حصن الطائي، يُنظر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٢، علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ١٧٨.

٣ ـ رَاوُر :تقع في إقليم برهمناباد شرقي نهر السِنْد، ويعتقد أنها مدينة راري الحالية التي تقع في مقاطعة ثاتا، علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٥٥ـ٥٦، هامش رقم (١).

وبكَيْده سَــارَتْ بهَـامَةُ دَاهر * دُهْم البغَـال إلى أَغَر قَمَاقـم
المَـالُ يَسْبقُهمُ وكُلِ خَريْــدَة * بَيْضَــاءَ آنسةً كَظَبْي نَاعــمٍ
لا رَأسَ إلا رَأسَ دَاهر فَـوَقهُ * عنْدَ المُلُوك بخُطْبَـة المُتفُاقــم
ونسَاؤُهُ يُبْديْنَ نَوْحَـةً حَـرَةً * وَخيُوْلـهُ تَبْكي بِدَمع نَاعـم[١]

فقام الحجاج بإرسال الوفـد ومـا حصـل عليـه مـن أمـوال وسـبايا وأسـرى إلى دار الخلافة.

وتتبع المسلمون فلول جيش داهر المقتول حتى حصن (الرور)[٢]ففتحـوه، ثـم فتح ابن القاسم مدينتي دهليلة وبهرور[٣]، ثم توجه إلى برهمنابـاد[٤] ففتحهـا وأعطـى أهلها الأمان الذي طلبوه، وفرض الجزية على من لم يسلم، وجعـل أعيـان البراهمـة في المناصب التي تناسبهم وخصـص لهـم جـزءاً مـن المـال، وأجلسـهم في المحافـل في الأماكن التي كانت مخصصة لأمـراء الهِنْـد وملوكهـا، وأعطـى لعـوام النـاس الأمـان وحرية ممارسة طقوسهم الدينية .

---

١ ـ المصدر السابق، ص١٨١، ١٨٢.

٢ ـ الرور Alror: أو راؤر براءين مهملتين تقع على الضفة الشرقية لنهر السند، وليس بهـا زرع ولكنها طريق التجارة إلى الملتان، وكثيراً ما وقع الخلط بين رَاؤُرْ و الورُ فـالأخيرة هـي عاصـمة السند وتقع في الشمال بينما تقع قلعة رَاؤُرْ في الجنوب.وهي الآن قرية صـغيرة تقـع علـى بعـد خمسة أميال جنوبي شرق مدينة روهري الحالية. شهاب الـدين يـاقوت بـن عبـد الله الحمـوي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٤، ص٤٢٩.و Majumdar:The Arab Invasion of India,p49

٣ ـ دهليله وبهرور:مدينتان قريبتان من برهمناباد، بل رجح سـهيل زكـار أنهمـا اسمـان لموقـع واحد، علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص١٩١.

٤ ـ برهمناباد:مدينـة عظيمـة ذات أسـوار عاليـة، إلى جانبهـا بنـى المسـلمون فيمـا بعـد مدينـة المنصورة، ذكرها البيروني باسم (بهنوا)، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني:تحقيق ما للهند مـن مقولــة مقبولــة في العقــل أو مرذولــة، دار الكتــب العلميــة، بــيروت، الطبعــة الثانيــة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٣٥، وعلي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص١٦.

ثم توجه إلى العاصمة (الور) ونزل في أطرافها وأقام السرادق وبنى مسجداً للمسلمين ظلّ يخطب فيه لمدة شهر[١]،أما أهل أرور فقد كانوا مصممين على القتال خاصة عندما أخبرهم قوفي بن داهر بأن والده ما يزال على قيد الحياة وقد ذهب إلى الهِنْد ليأتي بالمدد، وشجع أهل المدينة على مواصلة القتال فاستمرت المعارك بينهم أياماً متتالية ولما تأكدوا من مقتل داهر،ملّوا الصدام وخاصة عندما وصلتهم الأخبار عن ابن القاسم وجيشه وما يتمتعون به من خلال حميدة وسيرة حسنة، وفوق ذلك هروب قائدهم قوفي، فقرروا التسليم وفتحوا أبواب المدينة أمام جيوش المسلمين.ثم واصل ابن القاسم جهاده ففتح العديد من المدن بعضها صلحاً وبعضها عنوة، وكان أهمها مدينة ملتان[٢]التي امتنعت عليهم شهوراً نفدت خلالها مؤنهم فطعموا الحُمُر حتى أتاهم رجل مستأمن دلّهم على مدخل الماء الذي يشرب منه السكان فقطعوه عليهم، وقاتل الهنود المسلمين قتالاً شديداً استمر سبعة أيام اقتحم المسلمون الأسوار من بعدها وفتحوا الملتان[٣]،وفي الوقت الذي تفرغ فيه ابن القاسم لإكمال ما تبقى من أرض سندية ،جاءه نبأ وفاة الحجاج بن يوسف سنة٩٥هـ/ ٧١٣م[٤] وقد تأثر ابن القاسم لهذا النبأ وأخذ الحزن منه مأخذاً

---

١ ـ المصدر السابق، ص ٢١٢.

٢ ـ المُلْتَانُ أو المُوْلْتَانMultan: مدينة كبيرة تقع في أعلى روافد نهر السند، وهي تحمل اسم صنم كبير كانت تعظمه الهنود ويحجون إليه من أقصى بلادهم ويتقرب إليه الناس كل عام بمال عظيم، أطلق عليه المسلمون فرج بيت الذهب لكثرة ما وجد فيه من جواهر لا تحصى داخل المعبد عوّض بها المسلمون خسارتهم.شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٨، ص٣.

٣ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٢٣٠.

٤ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير:البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ١٩٩٣م، جـ٩، ص١٢٤.

عظيماً، فبعد أن كـان ينـوي التوجـه إلى كشـمير الـتي احتضـنت أمـراء السِـنْد الهاربين، عاد أدراجه إلى العاصمة الرور لمتابعة مـا يسـتجد مـن أحـداث في دار الخلافة، فأقام فترة فيها ثم أرسل أحد قواده لمدينة البيلمان [1] فاستسلم له أهلـها بلا قتال ،و أرسل قوة أخرى إلى مدينة سرست [2] الـتي يسـكنها الميـد المعروفـون بالنهـب وقطـعْ طـرق القوافـل في الـبر والسـفن في البحـر، ولكـنهم رضـخوا للمسلمين وتعهدوا لهم بسلامة الطرق برّية كانـت أم بحريـة [3]،بعـدها اتجـه ابـن القاسم إلى مدينة الكيرج [4] وكان في كل مدينة يفتحها يبني المساجد، حتى وصلت فتوحاته إلى حدود كشمير، واستطاع أن يخضع السِنْد لحكم الخلافة الإسلامية في مدة لم تتجاوز ثلاث سنوات ، وأصاب محمد مالاً كثيراً وعظمت فتوحاته.

وعلى الرغم مما قدمه ابن القاسم من جهود في نشر الإسـلام وحـرص علـى رفع رايته، إلا أنه قُوبل بغير ما قَدّم [5]، فبعد وفاة الحجاج والوليد بن عبد الملك، تولى عرش الخلافة سليمان بن عبد الملك الناقم على الحجاج، وذلـك بسـبب أن الأخـير سعى إلى خلع سليمان بن عبد الملك من ولاية العهد وإعطاء البيعة لعبد العزيـز بـن الوليد، وكان محمد بن القاسم من جملة آل الحجاج الذين وافقوه على ذلك، والـذي يظهر لي أنّ ابن القاسم وافق على هذا الأمر من غير قناعة، وخير شاهد على ذلـك

١ ـ البيلمانBilaman:يبدو أنها قريبة من العاصمة.

٢ ـ سرستSarest:مدينة صغيرة قريبة من العاصمة الرورُ، ذكرها ابن خلدون باسم شرسـت، عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربـر ومـن عاصـرهم مـن ذوي السـلطان الأكـبر، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، الطبعـة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، جـ٣، ص٨٠.

٣ ـ المصدر السابق: جـ٣، ص٨٠.

٤ ـ الكيرج:من المدن السِنْدية الكبرى، كان يحكمها أحد أقرباء داهـر ملـك السِـنْد، تقـع علـى حدود كشمير، علي بن حامد الكوفي:فتح السند، مصدر سابق، ص٢٢٣.

٥ ـ يُنظر عبـد الله محمـد جمـال الـدين: التـاريخ والحضـارة الإسـلامية في الباكسـتان أو السـند والبنجاب، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص٧٧ـ ٨٣.

سيرة الرجل التي ليس فيها إلا الطاعة لولاته واهتمامه بنشر الإسلام، فهو ليس من دعاة الفتن والعصيان ويكفي أنه جاء طائعاً مستسلماً لقائد سليمان الذي أخذه مقيّداً في الأغلال، مع أنه كان يعلم حقيقة ما ينتظره، فقد وصلته أخبار تعذيب الخليفة لأقاربه، وقد ذكر الطبري عن الهلوات الكلبي قال:"كُنَّا بالهند مع محمد بن القاسم فقتل الله داهراً، وجاءنا كتابٌ من الحجاج أن اخلعوا سليمان"[1].وكان باستطاعته أن يشق عصا الطاعة وينفرد بحكم السند التي أحبه أهلها وقد أشار إلى ذلك في أبياته التي يقول فيها:

وَلَـوْ كُنتُ أجْمَعتُ الفـرارَ لوطئَتْ * إناثٌ أُعدتْ للوَغَىَ وَذُكُـورُ
وَمَا دَخَلَتْ خيَلُ السَّكَاسِك[2] أَرْضَنا * وَلا كَانَ مِنْ عَكٍ[3] عَليَّ أَميرُ
وَلا كُنْتُ للـعَبدِ المَـزُوني[4] تابِعـاً * فَيا لَكَ دهـرٌ بالكِـرام عَثُور[5]

ثم عيّن الخليفة سليمان، يزيد بن أبي كبشة السكسكي[6] والياً على السِنْد، فأخذ ابن القاسم في عنف لا يليق بمثله، ولا تستوجبه آثاره في البطولة، ومواقفه في الفتوح، ووكّل به رجلاً شديد العداوة لآل الحجاج، هو صالح بن عبد الرحمن، فعذبه مع رجال من آل عقيل، حتى توفى في سجن واسط سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م[7]،

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٧، ص٤٠٠.

٢ ـ خيل السكاسك: يقصد بها خيل أمير السند يزيد ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص٤٣٢.

٣ ـ عك: قبيلة يرجع أصلها إلى عدنان، إليها يرجع نسب السكاسك.

٤ ـ المزوني: يقصد به يزيد بن المهلب والي العراق الذي أمره الخليفة بنكبة آل الحجاج، عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص٨٢.

٥ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٤.

٦ ـ المصدر السابق، ص٤٨٤.

٧ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ ٢، ص٢٩٤.

وهكذا طويت صفحة ذلك الشاب الفريد دون أن يشفع لـه بـلاؤه في توسـيع رقعـة الدولة،ولا مهارته الفذة في القيادة والإدارة، ولا انتصـاراته البـاهرة في اِلسـنْد،ولكن آثاره الخالدة لم تَمُتْ، وأعماله المجيدة ظلّت باقية بقاء الدهر،فقد بكاه أهل اِلسنْد مـن المسلمين لأنه كان يساويهم بنفسه ولا يتميز عليهم بشيء، وبكاه أهل اِلسنْد من غـير المسلمين لحسن معاملته لهم وتأمينهم على أموالهم،وإطلاق حرية العبادة لهم[١] .

وهكذا كانت محاولة تغيير ولي عهـد الوليـد حادثـة مشـؤومة صـبغت عهـد سليمان بن عبد الملك بصبغة كريهة، وجعلت الفترة الأولى من حكمه مليئة بالانتقام المُر، الذي شملَ القادة البـارعين، فبـدلاً مـن أن تكـون السـجون ملجـأً للمجـرمين وقُطّاع الطرق، فإذا بها تصبح مأوى للقادة الأشـراف[٢]، وذلـك عنـدما يتربـع علـى عرش الدولة من لا يقيم للاعتبارات المعنوية شأناً ولا يسوس إلا بـوحي مصـلحته، فلا يحفظ لعِلْيَـةِ القـوم وجـاهتهم، ولا للأبطـال مـآثرهم فينـالون في السـجون مـن التعذيب والهوان ما لا يناله غيرهم من السوقة والسفلة.

وقد كان لما أقدم عليه سليمان بن عبد الملك أسوأ الأثـر علـى بـلاد اِلسـنْد، حيث تدهور الأمن فيها وكثرت ثورات أهل اِلسنْد ضـد المسـلمين، وممـا زاد الأمـر سوءاً الخلافات التي وقعـت بـين المسـلمين العـرب أنفسـهم، حيـث أطلَّـت القبليـة برأسها من جديد، وحمل العرب السلاح على بعضهم.

---

١ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني بن الأثـير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ ،١٩٧٩م،جـ ٤،ص٢٢٢.

٢ ـ أمثال قتية بن مسلم ومحمد بن القاسم ويوسف بن عمر الثقفي والحكم بن أيـوب الثقفـي، يُنظر أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضـح اليعقـوبي: تـاريخ اليعقـوبي، مصـدر سابق، جـ ٢، ص٢٩٤،٢٩٥.

(٣) العصر العباسي الأول

لعل ما أحدثه العصر العباسي الأول من ثورة علمية وثقافية على أرض الإسلام بما فيها بلاد السند يدعونا لتناول الظروف التي هيأت لقيام الدولة العباسية، وإبراز صورة لخلفاء ذلكم العصر وما قاموا به من نهضة على الرغم من العقبات التي اعترضتهم، وتمثلت في الصدام مع أقاربهم من بني العباس، إضافة إلى ظهور الأمويين مطالبين بحقهم في الحكم، وبروز العلويين في الساحة واستفادتهم من أطراف الدولة وخاصة السند لتكوين جيوب موالية لهم، وهنالك الخوارج والموالي الذين أرهقوا الدولة بثوراتهم المتواصلة.

يُطلق اسم العصر العباسي على الفترة الزمنية الممتدة من عُمر الخلافة الإسلامية بين سنتي ١٣٢ ـ٦٥٦هـ / ٧٥٠ ـ ١٢٥٨م.وقد حكم العباسيون العالم الإسلامي بحدوده التي ورثوها من الأمويين وضمّوا إليها أجزاء من أوروبا وشمال أفريقيا، وجنوب غربي قارة آسيا[١]،وبنظرة سريعة إلى العالم المعروف آنذاك نجد أنه لا توجد دولة تضاهي حضارة واتساع الدولة الإسلامية.ففي شرق هذه الدولة توجد بلاد الهند التي تفتقر إلى الوحدة السياسية ويعيش شعبها طبقية طاحنة، وإلى الشمال الشرقي من دولة الخلافة تمتد بلاد الصين التي أحسَّت بخطر وقوة المسلمين في المناطق الشرقية، فأخذت تتدخل في بلاد تركستان مما أدى إلى مواجهات عنيفة مع بداية قيام الدولة، وكان النصر فيها حليف الجيوش الإسلامية التي أتت محملةً بالغنائم من خيرات الصين، وقد سيطر المسلمون بعد هذه المعارك على أواسط آسيا[٢].وفي الشمال حيث الإمبراطورية البيزنطية التي تسيطر على آسيا الصغرى وجنوب شبه جزيرة إيطاليا وجزر شرقي البحر المتوسط وجنوبه، فقد كانت أوضاع

---

١ ـ هاري وهازارد: أطلس التاريخ الإسلامي، ترجمة وتحقيق خورشيد زيادة، بدون تاريخ، ص٨.

٢ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٣٥٤.

هذه الإمبراطورية سيئة للغاية، فلم تسلم منها غارات الجيوش الإسلامية منذ صدر الإسلام رغبةً في الظفر بفتح القسطنطينية[١]، أما جنوب الخلافة في قارة إفريقيا فلم تتشكل دُوَل عدا مملكة غانا وكانت علاقة المسلمين مع هذه البقاع مقتصرة على التبادل التجاري.وكانت أوروبا أيضاً تحكمها مجموعات متباينة، وعلى رأسها القبائل المتبربرة التي مزّقت كيان الإمبراطورية الرومانية وأقامت ممالك عديدة منها مملكة القوط التي قضى عليها الأمويون وأقاموا على أنقاضها ولاية إسلامية في بلاد الأندلس سنة ٩٢هـ/ ٧١١م[٢]، وفي بلاد الغال[٣] كانت دولة الفرنجة وكان على رأسها الإمبراطور ببيان الثالث Pepin3والد شارلمان Charlemagne[٤]،ويكفي لإيضاح مدى التقدم الحضاري لدولة الخلافة الإسلامية موقف شارلمان من الساعة الدقّاقة التي أهداها إياه هارون الرشيد فتفحصها بدهشة حتى قيل إنه ظن أن بها شياطين[٥].وفي انجلترا استقرت القبائل المتبربرة بعد القضاء على الحكم الروماني وشكّلت ممالك متنافسة فيما بينها، وكان الحال نفسه في إيطاليا التي توزّعت بين البابوية والإمبراطورية البيزنطية، أما شرق أوروبا فقد كان مسرحاً للقبائل السلافية التي تسعى لتثبيت أركانها على أرض البلقان، ولا نجد ذكراً لروسيا وبولونيا في تلك الفترة سوى قبائل متنقلة[٦].ولكن هذا التوسع الهائل للدولة العباسية لم يحافظ عليه خلفاء بني العباس، بل كان الامتداد المكاني لهذه الدولة بين مد وجزر.

---

١ ـ Bury:Ahistory of The Later Roman Empire;1931;p312;313.

٢ ـ أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، دمشق، ١٩٦٩م، ص١٧ـ ١٩.

٣ ـ بلاد الغال: فرنسا.

٤ ـ Muir:The Caliphate; Its Rise Decline and Fall; Beirut 1963;p464

٥ ـ فاروق عمر: بحوث في التاريخ العباسي، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، ص١٩٥.

٦ ـ ابن فضلان: رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص ١٧٥ـ ١٩٤.

وبهذه اللمحة للعالم آنذاك نجد أنه لا توجد دولة بحجم وحضارة الخلافة الإسلامية، ولا ننسى أن الدولة الإسلامية ضمّت شعوباً عديدة، الكثير منها صاحب حضارة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، وكانت حضارة السند إحدى تلك الحضارات التي احتكّت بها الحضارة الإسلامية وامتزجت بها.

ولنَعُد الآن إلى نشأة الدولة العباسية وكيفية وصول بني العباس إلى السلطة، فقد كان لفرعين من البيت الهاشمي الأثر الأول في قيام الدولة العباسية هما العباس وأبو طالب، الأمر الذي يتطلب تناولهما بشيءٍ من التفصيل.

ويُطلق على كل من انتسب إلى هاشم بن عبد مناف الهاشميون أو بنو هاشم وتعرف أسرة الرسول ﷺ بالأسرة الهاشمية.وقد كان لهاشم أربعة من البنين منهم عبد المطلب، وكان لعبد الطلب هذا عشرة بنين يهمنا منهم اثنان كان لنسليهما الأثر الأكبر في نشأة الدولة العباسية، هما: العباس ﷺ وأبو طالب.ويعتبر فرع أبو طالب هو الذي وضع اللبنة الأولى لقيام الدولة، ولأبي طالب من الولد: طالب (ولا ذرية له)، وعقيل، وجعفر (الطيار)، وعلي، فهؤلاء وأبناء الثلاثة وأحفادهم يسمون بالطالبيين.

وإذا استثنينا أبناء علي بن أبي طالب ﷺ فإنه لم يكن للطالبيين أي نشاط عسكري أو سياسي يذكر عدا عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي أعلن حركته ضد الأمويين سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٥م، وكان زنديقاً سيء الخلق والمذهب ولهذا ابتعد عنه أبناء عمومته ولم يجد من يناصره إلا الشيعة الذين يثورون مع أي هاشمي[١].هذا ولا ننكر دخول بعض الطالبيين مع أبناء عمهم علي ﷺ

١ ــ محمد بن علي بن طباطبا الطقطقي:الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، ص١٣٨، ١٣٩. وأبو الفرج علي بن الحسين ابن الهيثم الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ، ص١٦٢.

وتأييدهم لهم في مطالبتهم بالخلافة، واعتبار هذا حقاً من حقوقهم المشروعة[١]. ولعلي من الولد أربعة عشر ذكراً وتسع عشرة أنثى، وكان النسل من ولده لخمسة هم:الحسن و الحسين و محمد الحنفية و العباس و عمر[٢]. ولكن الذين كان لهم الأثر في الأحداث اللاحقة من أبنائه هم: الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وابنه عبد الله (أبو هاشم).أما الحسن ﷺ فقد بايعه المسلمون بعد مقتل والده ولكنه آثر حقن دماء المسلمين فتنازل لمعاوية ﷺ في عام ٤١هـ/ ٦٦١م عن الخلافة وقد عُرف ذلك العام بعام الجماعة، وظلّت العلاقة بينه وبين معاوية حميمة إلى أن توفي سنة٤٩هـ/ ٦٦٩م[٣]، ثم خرج الحسين على يزيد بن معاوية فقُتل بكربلاء[٤] في العاشر من محرم سنة٦١هـ/ ٦٨٠م.وعلى أثر تلك النكبة التي مُني بها العلويون باستشهاد أكبر زعيم علوي، بدأت الانقسامات تدب بينهم، فتفرقت الشيعة إلى فرقتين:الأولى تحصر الإمامة في ولد علي من فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهؤلاء عُرفوا بالإمامية وقد انقسموا فيما بعد إلى عدة فرق[٥]. أما الفرقة الثانية فهي التي حوّلت ولاءها من الحسين إلى أخيه محمد بن علي المُسمى بابن الحنفية، وقد عُرفت هذه الفرقة

---

١ ـ أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٧م/ ١٩٤٨م، جـ٤، ص٣٨٥.

٢ ـ محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٣، ص١٤.

٣ ـ المصدر السابق، جـ٣، ص١٦١.

٤ ـ كَرْبَلاء: بالمدّ وهو الموضع الذي قُتل فيه الحسين بن عليّ، في طرف البرّية عند الكوفة، وكان قتله يوم الجمعة لعشر خلت من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، يُنظر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، جـ١، ص١٣٩، وشهاب الدين ياقوت بن عبد اله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٧، ص١٢٥.

٥ ــ يُنظر محمد حسين الزين: الشيعة في التاريخ، دار الآثار، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٤٥،٤٦.

بالكيسانية[١]. وكان محمداً هذا من أفاضل أهل البيت، وكان كثير العلم والورع. حمل راية أبيه يوم صفين، وبعد استشهاد أبيه سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م قصد المدينة النبوية واستوطنها، واتجه للعبادة والعلم بعيداً عن الأحداث السياسية التي تعج بها أرض العراق والشام، وكانت علاقته مع معاوية حسنة، ويظهر أن هذه العلاقة دامت حتى عهد يزيد بن معاوية، بدليل أن الأخير لم يطلب من والي المدينة أخذ البيعة منه مثلما طلبها من الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، ولم يوافق أخاه الحسين في خروجه على يزيد[٢]، وعندما قام ابن الزبير بحركته طلب منه مبايعته فرفض فحبسه ابن الزبير مع أصحابه ومنع الناس من الدخول عليه[٣].

وكان الشيعة يعتقدون أن عبد الله بن الزبير ﷺ قام بثورته من أجل الأخذ بثأر الحسين ﷺ فتبين لهم غير ذلك، وكان المختار بن عبيد الله الثقفي[٤] ـ أبرز

---

١ ـ الكيسانية: قيل أنها نسبة إلى اللقب الذي عُرف به المختار الثقفي الذي أراد الوصول إلى الحكم عن طريق آل البيت، ونسبها آخرون إلى كيسان مولى أمير المؤمنين على بن أبي طالب وأول من اختار هذا الاسم لجماعته هو المختار الثقفي، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي، مصر، بدون تاريخ، جـ٤، ص١٤٧.

٢ ـ أحمد بن أعثم الكوفي: الفتوح، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، جـ٢، ص٨٦.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٣، ٣٧٤،٣٧٥.

٤ ـ المُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيّ الكَذَّابِ: كان يزعم أنَّ جبرائيل عليه السّلام ينزل عليه، وهو شرّ من الحَجّاج، أو مثله. والده أبو عبيد كان من خيار الصحابة، استشهد يوم «الجِسْرِ» في خلافة عمر بن الخطاب، وإليه نسبت الوقعة "جسر أبي عبيد". ولد المختار بعد الهجرة، وصار مع ابن الزبير بمكة فولاه «الكوفة»، فغلب عليها، ثم خلع ابن الزبير، ودعا إلى الطلب بدم الحسين، فالتفت حوله الشِّيْعَة، وكان يظهر لهم الأعاجيب، إلى أن قتله مصعب بن الزبير مع جمع من أصحابه سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م، ويقال إنه الكذاب الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «يخرج من ثَقِيْفٍ كَذّاب ومبير» أحمد بن علي بن محمد الكناني ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، جـ٦، ص١١.

المناصرين لابن الزبير ـ من أوائل الذين عرفوا ذلك، فهرب إلى العراق مستغلاً الخلاف الذي نشأ بين ابن الزبير والشيعة داعياً إلى محمد بن الحنفية. وفي العراق وجد الشيعة قد التفوا حول سليمان بن صُرد الخزاعي[1] الذي تزعم حركة التوابين[2]، فعمد المختار إلى دعوة الشيعة وتنفيرهم عن سليمان الخزاعي، وكان يقول للشيعة:"إن المهدي الوصي، محمد بن علي، بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرني بقتال الملحدين، والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء"[3].

وصلت أخبار العراق إلى ابن الزبير واستيلاء المختار على الكوفة واستفحال أمره، ودعوته الناس إلى بيعة ابن الحنفية، فتأزمت العلاقة بينه وبين ابن الحنفية فاستغل الخليفة عبد الملك بن مروان هذا الخلاف، وكتب إلى ابن الحنفية داعياً له لمجاورته في دمشق. ولما قدم إليه طلب منه البيعة فاعتذر له ابن الحنفية بحجة أن الأمر لم يصف له. ولما قُتل ابن الزبير بايع عبد الملك، وانصرف إلى المدينة النبوية حيث

---

١ ـ سليمان بن صُرد بن الخزاعي رضي الله عنه: صحابي جليل، كان خيّراً فاضلاً، له شرفٌ وقدر، وكلمة في قومه، شهد مع علي بن أبي طالب يوم الجمل وصفين، وقُتل في عين الوردة سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م. محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٤، ص٢١٩،٢٢٠.

٢ ـ حركة التوابين: التوابون هم الذين شجعوا الحُسين بن علي على القدوم إلى الكُوفة لمبايعته فلمَّا قَدِمها تركَوا القتالَ معه، فلما قُتِلَ الحُسين نَدِمَوا ثم قالوا: ما لنا تَوْبَة مما فعلنا إلا أن نُقْتل أنْفُسَنا في الطَّلَب بدمه، فخرَجوا وعسكروا بالنُّخَيْلَة وذلك مستهل ربيع الآخر سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م وولوا أمرهُم سُلَيمان بن صُرد وسمَّوهُ أمير التَّوَّابين، ثم ساروا إلى عُبَيْد الله بن زياد، فلقوا مقدمتَهُ في أربعة آلاف عليها شُرَحْبيل بن ذي الكَلاع، فقُتِل سُلَيمان بن صُرد، بمَوْضِعٍ يقال له: عَيْن الوَرْدَة. وقيل: إنهم خرَجوا إلى الشام في الطلب بدم الحُسين فسموا التَّوابين، وكانوا أربعة آلاف، يُنظر يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين بن الزاكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي: تهذيب الكمال، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، جـ٧، ص١٧٢.

٣ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٦، ص٥١٨.

توفي بها في محرم سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م ودُفن بـالبقيع[١].وبعـد موتـه افترقـت شـيعته إلى فرقتين: الأولى دامت متمسكة بآرائها الكيسانية، وقالت: إنه حي يُرزق بجبلـه "جبـل رضْوَى"[٢] ولابد من رجعتـه، فهـؤلاء لا يوالـون غـيره لأنهـم ينتظرونـه.أما الفرقـة الثانية فقد تحولت إلى القول بإمامة ابنه عبد الله المُكنّى بأبي هاشم، وسُـميت بالفرقـة الهاشمية[٣]، وتُعتبر هذه الفرقة من أكبر الفرق العلوية وأدقها تنظيماً، وأكثرها حماساً.

عُرف أبو هاشم برجاحة عقله، وسعة علمه، وحُسن تدبيره، فـزادت شـيعته بعد وفاة والده، فأخذ يـدبر الأمـور، ويبعـث الـدعاة مـع السـرية التامـة، موضـحاً أحقيته بالخلافة، التي هي لهم دون الأمويين. وكانت زيارته لخلفاء بني أميـة متصـلة، فلما وفد على الخليفة سليمان بن عبد الملـك في عـدد مـن شـيعته، وكلّمـه الخليفـة عجب منه لما رأى مـن قـوة حجتـه وغـزارة علمـه وفصـاحته، ومعرفتـه بـالأحوال والأوطان، وتوسم فيه الشجاعة والدهاء، وقال:"ما كلّمت قرشياً قط يشبه هـذا، مـا أظنه إلا الذي كنا نتحدث عنه"[٤].وهكـذا أصـبح أبـو هاشـم محـل اهتمـام الخلافـة الأموية التي ما فتئت تتابع حركاته وسكناته. وقبل إبراز ما تمخضت عنه هذه المتابعـة

---

١ ـ محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٤، ص٢٢٠.

٢ ـ جبل رضْوَى: جبل عند ينبع قريباً من ساحل البحر الأحمر بالسـعودية، وهـو جبـل منيف ذو شعاب وأودية ومياه وأشجار. شهاب الـدين يـاقوت بـن عبـد الله الحمـوي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٤، ص٤٠٨.

٣ ـ الهاشمية: نسبة إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، تزعم حركة الكيسانية بعد وفاة أبيه، وكان أصحابه يعتقدون أنه يحيي الموتى!، يُنظر سـعد بـن عبيـد الله أبـي خلف الأشعري القمـي: المقـالات والفـرق، صـححه محمـد جـواد مشكور، طهـران، ١٩٦٣م، ص٣٨.

٤ ـ محمد بن حبيب: (مخطوطة) أسماء المغتالين من الأشراف، ورقة (٥٦)، دار الكتب المصرية، نقلاً عن عبد الله بن علي المسند: العلويون والعباسـيون ودعـوة آل البيـت، دار المنـار، الطبعـة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٦٠.

نلقي الضوء على الفرع الهاشمي الثاني والظروف التي هيأت له الوصول إلى السلطة بدلاً عن العلويين.

ينتمي الفرع الثاني من الهاشميين إلى العباس بن عبد المطلب ﷺ[1]، عم الرسول ﷺ الوحيد الذي بقي على قيد الحياة عند وفاة الرسول ﷺ فاستدل العباسيون على أحقيتهم في الخلافة بأنه ـ أي العباس ـ الوريث الوحيد للرسول ﷺ ،ولكن بالرغم من هذه المبررات فإن العباس ﷺ لم يكن له أمرٌ بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يطمع يوماً في الخلافة،إلى أن توفي في خلافة عثمان بن عفان ﷺ.

ومثل ذلك كانت علاقة ابنه عبد الله بن عباس ﷺ الذي رفض ولاية حمص عندما عرضها عليه الفاروق عمر ﷺ ولكنه عاد وعمل والياً على البصرة لابن عمه علي بن أبي طالب ﷺ واهتم إلى جانب ذلك برواية الحديث وتفسير القرآن حتى أُطلق عليه حَبْر الأمة وترجمان القرآن[2]، وبعد استشهاد علي بن أبي طالب ﷺ وفدَ على الخليفة معاوية ﷺ فأكرمه وعظّمه. وعندما أعدّ الخليفة جيشه لغزو القسطنطينية تحت إمرة ابنه يزيد سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م[3] كان عبد الله بن عباس ﷺ أحد

---

١ ـ العبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مُنَاف، القُرَشِي الهَاشِمِي، أَبُو الفَضْلِ المَكِّي، عَمُّ رسول الله ﷺ، وكان أَسَنَّ من رسول الله ﷺ، بسنتين أو ثلاثٍ.شَهَدَ بدراً مع المشركين، وكان خرجَ إليها مُكرهاً، وأُسِرَ يومئذ، ثم أسلَمَ بعد ذلك، وأراد القدوم إلى المدينة، (فأَمَرَهُ) النَّبِيّ ﷺ بالمقام بمكة، وقال له: إنَّ مقامك بمكة خيرٌ، يَتَقَوَّوْنَ به، فلذلك أمره النَّبِيّ ﷺ، بالمقام بمكة، يُنظر يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين بن الزاكي بن أبي محمد القضاعي الكلبي المزي: تهذيب الكمال، مصدر سابق، جـ٨، ص٣٧٠.

٢ ـ أبو عثمان عمرو بن عمرو الجاحظ: البيان والتبيين، دار الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨هـ/ ١٩٦٨م، جـ١، ص٣٣١. و محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين الذهبي:تذكرة الحفاظ، حيدر أباد، الهند، ١٣٧٧هـ، جـ١، ص٤٠.

٣ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ٨، ص٣١، وعز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٣، ص٢٢٧.

جنوده. ولما عزم الحسين بن علي رضي الله عنه على الخروج من مكة إلى الكوفة نصحه ابن عباس بالعدول عن رأيه وذكّره بغدر الشيعة ولكنه لم يقبل حتى قُتل في كربلاء[١].ثم كانت وقعة الحرة سنة٦٣هـ/ ٦٨٢م التي هُزم فيها أهل المدينة واستبيحت مدينتهم من قبل الجيش الأموي لثلاثة أيام، أما موقفه من ابن الزبير كان اعتزال الناس والبقاء على ولائه للخليفة يزيد، وعندما سمع وهو بالطائف أن أهل المدينة قد بايعوا لأميرين[٢]قال: هلك القوم[٣]، وعندما أعلن عبد الله بن الزبير حركته في مكة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م وبايعه أهل الحجاز طلب من ابن عباس البيعة فامتنع فأمره بأن يلزم الطائف التي كان فيها أيضاً محمد بن الحنفية[٤]،ولاشك أن هذا التوافق في الأفكار بين شيخي العلويين والعباسيين الذي دُعم بصلة القرابة سيكون له شأن فيما بعد، هذا وقد خشي ابن عباس على ابنه علي من ابن الزبير أوصاه بالهروب إلى دمشق قائلاً:"لأن يربيني بنو عمي ـ يقصد بني أمية ـ أحب إليّ من أن يربيني رجلٌ من بني أسد ـ يقصد ابن الزبير ـ "، فلما وصل دمشق استقبله الخليفة وأكرمه وبرّه[٥].

ولما بويع عبد الملك بن مروان سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م ذهب ابن عباس إلى دمشق وبايع الخليفة ثم عاد إلى الطائف حيث مات هناك سنة ٦٨هـ/ ٦٨٧م فصلّى عليه

---

١ ـ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، جـ٤، ص٣٣١.

٢ ـ الأميران هما: عبد الله بن مطيع وعبد الله بن حنظلة بن عامر الغسيل، أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ٨، ص٢٠٦.

٣ ـ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص١٤٨.

٤ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل، مصدر سابق، جـ٣، ص٣٧٥.

٥ ـ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، جـ٧، ص٤٠٢.

محمد بن الحنفية وقال:"اليوم مات رباني هذه الأمة"[١].وهكذا وقف أكبر زعيم عباسي في ذلك الوقت بعيداً عن كل ما يشق عصا الطاعة على ولي أمر المسلمين، فلم ينضم إلى حزب أو فئة من الناس، ولم يتطلع إلى الخلافة أو يسعى لها أو يدّعي أحقيتها، بل انقطع للعبادة والعلم ومال إلى السكينة والهدوء، فكان يمتنع عن البيعة عندما يعج الخلاف، ويعطيها متى اتفقت آراء الأمة وتوحدت الأهداف وتحوّل أمر المسلمين إلى خليفة واحد، ودانت له البلاد والعباد بالطاعة.

أما علي بن عبد الله بن عباس فقد نزل دمشق بناءً على نصح والده فأكرمه الخليفة في أول الأمر إلا أنه ارتاب بعد ذلك في أمره، وداخلته الشكوك في تطلعاته للخلافة، ولكنه ظلّ على تودده له حتى لا يكسبه شهرةً بين الناس، وأقطعه قرية الحُمَيْمَة[٢] في البَلْقَاءُ [٣] فأقام بها مع أسرته، وذلك حتى يكون قريباً منه يراقب حركاته وسكناته، وبقي الحال هكذا إلى أن توفي عبد الملك سنة٨٦هـ/ ٧٠٥م[٤].

لم يدم الصفا لعلي بن عبد الله، بل تغيرت الأحوال وساءت بوصول الوليد ابن عبد الملك إلى الخلافة، فقد سجن علياً مرتين وضربه بالسياط، ولم يكتف بذلك بل عمد إلى التشهير به ، فجعل رجلاً يدور به أمام الناس قائلاً وبأعلى صوته:"هذا علي بن عبد الله الكذاب"، فسأله أحد الناس وهو على تلك الحال: ما الذي نسبوه إليك يا أبا محمد؟فقال:"بلغهم قولي، إن هذا الأمر سيكون في ولدي"[٥]. وقد

١ ـ المصدر السابق: جـ٣، ص٣٦٧ وقال توفي سنة ٦٦هـ والراجح ما ذكرنا.

٢ ـ الحُمَيْمَة: جنوب شرقي نهر الأردن، كانت مركز الدعوة السرية لبني العباس، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٣، ص١٨٦.

٣ ـ البَلْقَاءُ: كورة من أعمال دمشق، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٨٥.

٤ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٧، ص٣١٧.

٥ ـ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الكامل في اللغة والأدب، القاهرة، ١٩٥٦م، جـ٢، ص٢١٧.وقال الذهبي إن الوليد ضربه في المرة الأولى لتزويجه لبابة بنت عبد الله بن جعفر وكانت تحت عبد الملك فعض تفاحة وناولها وكان أبخر فقشطتها بسكين، وقالت: أميط عنها الأذى فطلقها وتزوجها علي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٤، ص١٠٥.

حرص الوليد على أن يكون علي العباسي دائماً تحت عينيه، لأنه إن هو ذهب إلى الحجاز موطنه ومسكن أسرته فلا يأمن أن يكون له أتباع، وتظهر شهرته، فقد كان عظيم القدر عند أهل تلك البلاد، حتى قال عنه هشام المخزومي:"إن علي بن عبد الله كان إذا قدم مكة حاجاً أو معتمراً عطّلت قريش مجالسها في المسجد الحرام، وهجرت مواضع حلقها، ولزمت مجلسه إعظاماً وإجلالاً وتبجيلاً له، فإن قعد قعدوا، وإن نهض نهضوا، وإن مشى مشوا جميعاً حوله، ولا يزالون كذلك حتى يخرج من الحرم"[١].

ولما آلت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك كان علي العباسي يزوره ويتردد عليه باستمرار في حاضرة الخلافة دمشق، فيسأله حاجته، إلى أن توفي في بلدة الحُمَيْمَة سنة١١٨هـ/ ٧٣٦م[٢]، ليكون ابنه محمد بن علي رجل الأسرة الأول في الحُمَيْمَة .

ومن خلال السرد السابق نخلص إلى أن محمد بن علي العباسي قد أصبح عميد الأسرة العباسية، وعبد الله بن محمد بن الحنفية المكنى بأبي هاشم قد أصبح هو الآخر عميد الأسرة الطالبية، وقائد الحركة السرية.أما عن كيفية انتقال الإمامة إلى بني العباس، فإن إحدى الروايات تقول إن الخليفة سليمان بن عبد الملك قد أدرك خطورة أبي هاشم، لذلك عندما عزم الأخير على الخروج إلى الحجاز، أجازه الخليفة، وأوعز إلى من يلحق به في قارعة الطريق، ويضع له السم في اللبن[٣]، وعندما شعر أبو هاشم بتردي حالته وكان بالقرب من الحُمَيْمَة فدخلها وفيها ابن عمه محمد ابن علي العباسي الذي كان أبو هاشم على علاقة معه ومعرفة بمدى ما يتمتع به من

---

١ ـ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مصدر سابق، جـ٢، ص٢١٩، ٢١٨.

٢ ـ أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي: تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٧م، ص٤٦ ـ ٤٨.عبد الله بن علي المسند: العلويون والعباسيون ودعوة آل البيت، دار المنار، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٥٣.

٣ ـ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، طبعة ١٨٧١م، ص١٨١.

علمٍ وفهمٍ وإدراك[١]، أضف إلى ذلك أن أبا هاشم لم يكن له عقب[٢]. وفي الحُميْمَة قام أبو هاشم بمبايعة محمد بن علي، وأخبره بأسماء دعاته وكتب إلى شيعته بخراسان، وأمرهم بمبايعته فرضوا به وسلَّموا الأمر لبني العباس[٣].وهكذا تحولت الحركة السرية الهاشمية إلى حركة عباسية خالصة[٤]، بعد أن تزعمها محمد بن علي منذ سنة٩٨هـ/ ٧١٧م وتلقَّب بالإمام وقاد دعوته السرية، وبعد وفاته سنة١٢٥هـ/ ٧٤٢م صار الأمر لولده إبراهيم الذي عُرف باسم إبراهيم الإمام[٥]، فأخذت الدعوة شكلاً جديداً، وذلك بسماحه لدعاته بأن يذكروا للناس أن البيعة للرضا من آل البيت ولم يكتفِ بذلك بل أفصح لهم بأن العمل سيتم للثأر لشهداء أهل البيت، فكسب بذلك شريحة كبيرة من الناقمين على بني أمية وهي الشيعة، ثم

١ ـ المصعب بن عبد الله الزبيري:نسب قريش، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص٧٥.

٢ ـ توفي أبو هاشم سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م، يُنظر عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٤٤.

٣ ـ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، مصدر سابق، ص١٧١،و أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري:مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، جـ١، ص٩٤،٩٥.

٤ ـ يثير موضوع هذا التنازل شكوكاً وتساؤلات عديدة وقد كتب المؤرخون فيها ونقلوا أقوالاً متباينة، يُنظر أمينة البيطار: دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، دار القلم والكتاب، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، ص٣١، وحسين عطوان:الدعوة العباسية تاريخ وتطور، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٧٠.

٥ ـ الجلال عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين وبهامشه كتاب آثار الأول في ترتيب الدول، المطبعة اليمنية، مصر، ١٣٠٥م، جـ١، ص١٠٠، ومحمد بن علي بن محمد بن العمراني (٥٨٠هـ): الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٥٧.

انتقل إلى خطوة أكبر من سابقتها فانتخب أبا مسلم الخراساني[١] قائداً للدعوة في خراسان فأظهر أبو مسلم كفاية ومقدرة ويبدو ذلك واضحاً في إيقاعه بين العرب حتى استولى على خراسان، وتغلب على نصر بن يسار الوالي الأموي آنذاك.

فعلم الخليفة مروان بن محمد بأمر إبراهيم الإمام فقبض عليه وأودعه السجن ولما علم إبراهيم أن الموت سيكون مصيره نعى نفسه إلى أهله، وأوصى بالإمامة إلى أخيه أبي العباس[٢]، وأمر أهله بالرحيل من الحُمَيْمَة إلى الكوفة[٣]، وهكذا انتهت حياة إبراهيم الإمام في سجن بني أمية بحران سنة١٣٢هـ/ ٧٤٩م[٤].

---

١ ـ أبو مسلم الخراساني: هو عبد الرحمن بن مسلم، ويقال: عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني، الأمير، صاحب الدعوة، وهازم جيوش الدولة الأموية، والقائم بإنشاء الدولة العباسية.قال عنه ابن خلكان: كان قصيراً، أسمر، جميلاً، حلواً، نقي البشرة، أحور العين، عريضَ الجبهة، حسنَ اللحية، طويلَ الشعر، طويلَ الظهر، خافِض الصوت، فصيحاً بالعربية وبالفارسية، حلوَ المنطق، وكان راوية للشعر، عارفاً بالأمور، لم يُرَ ضاحكاً، ولا مازحاً إلا في وقته، وكان لا يكاد يُقطّب في شيء من أحواله.تأتيه الفتوحاتُ العظام، فلا يظهر عليه أثرُ السرور، وتنزل به الفادحة الشديدة، فلا يُرى مكتئباً. وكان إذا غضب لم يستفزّه الغضب. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٤، ص٣٢٢.

٢ ـ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي:مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصدر سابق، جـ٣، ص٢٦٧.و.Anwar G.Chejne: Succession to the rule in Islam p79

٣ ـ وذكر ابن الساعي أنه أمرهم بالمسير إلى خراسان، يُنظر علي بن أنجب بن الساعي: مختصر أخبار الخلفاء أمراء المؤمنين، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٠٩هـ، ص٤.

٤ ـ يُنظر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٣٣٧ـ٣٣٩، وأبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب، مصدر سابق، جـ٣، ص٢٦٧، وعلي بن محمد الروحي : بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، مطبعة النجاح، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، ص٢٩.

ويعتبر قتل الخليفة مروان بن محمد لإبراهيم الإمام سبباً في إسراع العباسيين إلى إعلان دولتهم والقضاء على بني أمية، وبدأت حروبهم ضدهم وتمت على أربع مراحل، أولاها ضم خراسان وبلاد المشرق[١]، وثانيها ضم العراق[٢]، وثالثها معركة الزاب[٣]، وأخيراً ضم الشام ومصر والمغرب وسقوط الخلافة الأموية[٤]وانكشاف سر الدعوة التي كان ظاهرها الدعوة لاختيار خليفة من بيت آل محمد ﷺ يرضى عنه المسلمون، وكان يُطلق عليها(الرضا من آل محمد)[٥]، إمعاناً في الكتمان، وباطنها الدعوة لبني العباس واختيار الخلفاء منهم.

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٢٧٠ وما بعدها.

٢ ـ مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، تحقيق الدوري، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١م، ٣٦٣ وما بعدها.

٣ ـ الزّاب: بين الموصل وإربل، كانت فيه المعركة الفاصلة بين الأمويين بقيادة الخليفة مروان بن محمد والعباسيين بقيادة عبد الله بن علي عم الخليفة العباسي السفاح، وقد انتهت بهزيمة ساحقة لبني أمية بعد قتال دام تسعة أيام، وكان ذلك في يوم السبت ١١جمادي الثانية سنة ١٣٢هـ/ الموافق٢٦يناير سنة ٧٥٠م، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٤، ص٤٦٢، وأبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي: تاريخ الموصل، مصدر سابق، ص١٢٥ـ ١٣٠، وعمر بن أبي علي بن دحية: النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦م، ص٢١.

٤ ـ لمعرفة مراحل تأسيس الدولة العباسية يُنظر أمينة البيطار: لخلافة العباسية، مرجع سابق، ص٥١ـ٦٣.

٥ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٨، ص٣٢٠، Nicholson:A.Reynold: Literary History of the Arabs, Cambridge, 1930, p.250.

ففي يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٢هـ الموافق الحادي والثلاثون من أكتوبر عام٧٤٩م دخل الكوفة أبو العباس وبُويع في مسجدها خليفةً للمسلمين[١].

ومنذ ذلك اليوم طُوي علم بني أمية الأبيض وارتفع علم بني العباس الأسود. وأخذ عمّا السفاح عبد الله وصالح ولدا علي بن عبد الله العباسي يطاردان بني أمية بعد هزيمة مروان بن محمد آخر خلفائهم والقبض عليه في (بوصير)[٢]بمصر وقتله[٣]، وغدرا بجمع كبير من بني أمية في فلسطين فقتلوهم على شاطئ نهر (فُطْرُس)[٤] وتشتت من نجا منهم في الآفاق، وتشردت نساؤهم حتى باتوا من السائلين[٥].

وقسّم المؤرخون الفترة الزمنية للدولة العباسية إلى دورين، يمثل الدور الأول العصر الذهبي من حياتها، والذي استغرق قرناً كاملاً امتد بين ١٣٢ـ٢٣٢هـ/ ٧٤٩ـ٨٤٦م، وفيه اكتملت حضارة الدولة ونضجت، وكانت الكلمة الأولى والأخيرة في هذه الفترة للخليفة العباسي الذي كان يراقب رجاله ومعاونيه مهما اتسعت صلاحياتهم، ويعمل على سلب صلاحياتهم ومسؤولياتهم منهم إذا شكّ في أمرهم،

١ ـ المصدر السابق، جـ ٨، ص٣١٩.

٢ ـ Le Strange:Bagdad during the Abbasside caliphate,p.4 ، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، مصدر سابق، ص٢٠٤،٢٠٥.

٣ ـ قُتل مروان بن محمد في السابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، وكانت خلافته خمس سنين و عشرة أشهر، المصدر السابق، جـ ٨، ص٣٤٥، وخليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص٢٦٤.

٤ ـ فُطْرُس:بالضم، اسم نهر قرب الرملة بأرض فلسطين وعُرف أيضاً بأبي فُطْرُس، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ ٦، ص٤٣٩.

٥ ـ المصدر السابق: جـ ٨، ص٣٤٥، وعبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص١٦٢، ١٦٣.

كما كان غالبية رجال الدولة من العرب، يعاونهم الأعاجم الذين تولوا بعض المناصب في الدولة[1].

أما في الدور الثاني فقد اختلفت أوضاع الخلافة العباسية، إذ لم يعُدْ للعرب السلطة الأولى، بل شاركتهم في الحكم العناصر الإسلامية الأخرى من فرس وترك، وقد استمر هذا الدور أيضاً قرناً كاملاً امتد بين ٢٣٢ـ٣٣٤هـ/ ٨٤٦ـ٩٤٥م، وفيه برزت سيطرة الأتراك الذين ملكوا سلطات واسعة في القرن الثالث الهجري، فقادوا الجيوش وأسهموا في الحركة العمرانية، إلا أن كثرة ثوراتهم واختلافهم فيما بينهم من جهة، ومع الخلفاء العباسيين من جهة أخرى، وإهمالهم لمواجهة البيزنطيين بقوة، أدى إلى تنامي الأزمات الاقتصادية التي كانت قد بدأت في الدور الأول.

وهذا التوتر والضعف الذي ساد الدولة دفع الخليفة العباسي إلى الاستنجاد بعنصر جديد من حكام الدويلات المستقلة، وهم المعروفون بالبويهيين، فتولوا دفة الحكم العباسي في الفترة بين سنتي ٣٣٤ـ٤٤٧هـ/ ٩٤٥ـ١٠٥٥م، ولم تكن معاملتهم للخلفاء العباسيين أفضل من سابقيهم.كما أن الخلافة لم تشهد في عصرهم قوةً وتقدماً، فقد استمرت الأزمات المالية، وازدادت الحركات الانفصالية، ووصل الأمر بالفاطميين الذين أنشأوا دولتهم في عصر سيطرة الأتراك إلى مدِّ نفوذهم باتجاه مصر والشام، وفوق هذا وذاك فإن البويهيين لم يقفوا بحزم في وجه البيزنطيين، مما دفعهم إلى مدِّ نفوذهم على شمال وسواحل الشام، إضافة إلى الاستيلاء على العديد من الثغور البرية الإسلامية. ولما ضعفت الدولة البويهية استدعى الخليفة العباسي القائم بأمر الله السلاجقة فجاءوا إلى بغداد وحكموها كسلاطين في الفترة بين سنتي ٤٤٧ ـ ٥٩٠هـ/ ١٠٥٥ـ ١١٩٤م، وقد كانوا من أهل السنّة لذلك وضعوا نصب أعينهم القضاء على المذهب الشيعي ودولته الفاطمية من جهة، والوقوف في وجه

١ ـ بدأ ظهور الفرس على الساحة العسكرية والإدارية بشكل واضح في عصر الرشيد باعتماده على البرامكة، وكان الخلاف بين الأمين والمأمون حجر الزاوية الذي بدأ فيه الاعتماد على العنصر الفارسي وتلا ذلك الاعتماد على العنصر التركي.

الإمبراطورية البيزنطية من جهة أخرى.وبالفعل نجحوا في إبعاد الفاطميين عن أكثر مناطق الشام، إلا أنهم فشلوا في القضاء عليهم في مصر، أما بالنسبة لهدف السلاجقة الثاني ـ الإمبراطورية البيزنطية ـ فقد تمكنوا من استعادة العديد من ثغور الشام، مما أدى إلى الاحتكاك المباشر مع البيزنطيين، فوقعت بين الطرفين معركة ملاذكرد الشهيرة التي حقق فيها السلطان السلجوقي ألب أرسلان[1] نصراً حاسماً على الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينوس (DiogenesRomanus)، وأدى هذا الانتصار إلى أن تصبح أبواب آسيا الصغرى مفتوحة أمام السلاجقة الذين تمكنوا بعد فترة وجيزة من تأسيس دولة سلجوقية هنالك عُرفت باسم دولة سلاجقة الروم.

وتعرضت الدولة العباسية في هذه الفترة إلى هجمات الفرنجة التي عُرفت في التاريخ باسم الحملات الصليبية، إذ تمكن الصليبيون من تأسيس أربع إمارات لهم في بلاد الشام مستغلين الضعف الذي انتاب السلاجقة وانقسامهم إلى دويلات صغيرة متناحرة الشيء الذي أدى إلى سقوط دولتهم في نهاية المطاف ولكن بصورة تدريجية[2].

وبعد سقوط دولة السلاجقة تسلّم العباسيون السلطة في بغداد في فترة غفل عنها الكثير من المؤرخين وهي الفترة التي تمتد من سنة ٥٩٠ ـ ٦٥٦هـ / ١١٩٤ ـ١٢٨٠م، وقد طمع سلاطين الدولة الخوارزمية بالمشرق في أن يتسلموا زمام الأمور في دولة الخلافة إلا أن العباسيين رفضوا إحلالهم محل الدولة السلجوقية، مما أدى إلى

١ ـ ألب أرسلان: من عظماء الإسلام، كان عهده على الرغم قصره حافلاً فقد ردَّ البيزنطيين في آسيا الصغرى، وكانت أعظم أعماله انتصاره الحاسم على الإمبراطور البيزنطي ديوجينيس رومانوس (Diogenes Romanus) في معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ/ ٦٠٦م، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ١٢، ص٦٨٧،و Browne: Literary History of Persia, London, 1909, Vol2.p.297.

٢ ـ علي محمد الصلابي: عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور الخوارج، دار البيارق، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص ٨٢.

سوء العلاقات بين الطرفين، وفي هذه الأثناء ظهرت دولة التتار[1] في المشرق، وأخذت تتنامى بسرعة، فتمكنت من القضاء على دولة الحشاشين النزارية والدولة الخوارزمية في الشرق، فأصبحت بذلك في تماس مباشر مع الخلفاء العباسيين في بغداد، ثم ما لبثت هذه الدولة أن اكتسحت بغداد وقضت على الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م[2].

الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الأول:

أول خلفاء العباسيين، أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، الذي وُلد في بلدة الحُمَيْمَة سنة ١٠٨هـ / ٧٢٦م، وبويع بالخلافة في صباح يوم الجمعة ١٣ربيع الأول سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م، وبعدما تلقّى البيعة من جموع أهل الكوفة ألقى خطبته المشهورة التي بيّن أهداف الدولة العباسية، وأحقية بني العباس في الخلافة، وعرّض ببني أمية تعريضاً جارحاً، ثم أشاد بأهل الكوفة وكان من جملة حديثه:"... يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا، فأنا السفاح المبيح، والثائر المبير"[3]، فاشتهر بالسفاح ويميل كثير من المؤرخين إلى أن تلقيب أبي العباس بالسفاح كان بسبب الجملة التي ختم بها خطبته،

---

١ ـ التتار: أصلهم من بادية الصين، وراء بلاد تركستان، أول ملوكهم جنكز خان، قال عنهم الذهبي:"حديثهم يأكل الأحاديث، وخبرهم ينسي التواريخ، ونازلة تطبق الأرض، هذه أمة لغتها مشوبة بلغة الهند لمجاورتهم، عراض الوجوه، واسعوا الصدر، خفاف الأعجاز، صغار الأطراف، إلى أن يقول: ....وهذه القبيلة الخبيثة تعرف بالتمرجي سكان براري قاطع الصين ومشتاهم بأرغون)، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٢٢، ص٢٢٧.

٢ ـ أمينة البيطار: دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، ص٨٠، ٨١،وسليمان بن حمد العودة: كيف دخل التتار بلاد المسلمين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٣٤ـ٣٧.

٣ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٨، ص٣٢٦.

وإن كان هنالك من يرى أنه بريء من هذا اللقب وأن عمه عبد الله بن علي هو السفاح[١] وأن أبا العباس اختير للخلافة لا لأنه سفاح مستبد ، وإنما لحسن شمائله، وذهب بعضهم إلى أن هذا اللقب يدلُّ على كثرة الهبات والعطايا، وقد مال إلى هذا القول بعض المستشرقين أمثال Nicholson [٢]، وربما استندوا في ذلك إلى أن سلمة بن خالد الذي قاد بني تغلب في موقعة بني كلاب سمي السفاح لأنه أفرغ زاد جيشه قبيل المعركة[٣].وكانت مهمة أبي العباس شاقّة ولكنه نجح في العبور بالدولة الناشئة إلى بر الأمان، وتمكّن من القضاء على منافسه مروان بن محمد ولاحق فلول الأمويين فلم ينجُ منهم إلا عبد الرحمن الداخل[٤]، ثم قضى على منافسيه السياسيين ممن كانوا ساعده الأيمن في الدعوة، فقتل أبا سلمة الخلال[٥]، وكاد أن يفتك بأبي

---

١ ـ عبد المجيد العبادي: صور وبحوث من التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٥٣م، جـ٣، ص٧٠. علي بن أنجب بن الساعي:مختصر أخبار الخلفاء أمراء المؤمنين، مصدر سابق، ص٦.

٢ ـ Nicholsen.A.Reynold; Letrary History of the Arabs.Combreidge; 1930; p.253.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ١، ص٢٧٨.

٤ ـ عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي الداخل إلى الأندلس.وهو أوّل من مَلَك الأندلس من سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م، وكانت ولايته ٣٣ سنة وأربعة أشهر. كان عبد الرحمن من أهل العلم، على سيرةٍ جميلة من العَدْل في قضائه، وكان المنصور إذا ذُكِر له عبد الرحمن قال: ذاك صقر قريش دخَلَ المغرب وقد قُتِل قومه، فلم يَزل يضرب العدنانية بالقحطانية حتى تَملَّك. قال ابن حزم: خطب عبد الرحمن بالخلافة لأبي جعفر أعواماً، ثم ترك الخطبة، ولم تَهْجُه بنو العباس ولا تَعَرَّض هو لهم. خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي: الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص٨.

٥ ـ أبو سلمة الخلال: اسمه حفص بن سليمان، هو مولى بني الحارث بن كعب تعود صلته بالعباسيين إلى كونه صهراً لبكير بن ماهان أبرز رجالات الدولة، الذي استأذن الإمام في أن يخلفه أبا سلمة في أمر الدعوة عندما حضرته الوفاة، يُنظر مؤلف مجهول: العيون والحدائق، مصدر سابق، ص١٨١.

مسلم الخراساني لولا أن عاجلته المنية في مدينة الأنبار التي اتخذها عاصمة خلافته سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م، فتولى الخلافة بعده أخوه أبو جعفر المنصور[١].

وُلد أبو جعفر المنصور (عبد الله بن محمد الإمام) سنة ٩٠هـ / ٧٠٨م م في الحُمَيْمَة، واشتهر بالفقه[٢]وكان مُلمَّاً بسير الملوك والأمراء، وهو يعتبر مؤسس الدولة وباني مجدها، تولى الخلافة سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م.وقد مرّت الدولة في عهده بخلافات داخلية عصيبة.

حكم مدة اثنتين وعشرين سنة، وتوفي في ذي الحجة سنة ١٥٨هـ/ أكتوبر٧٧٥م عن ٦٢عاماً. ثم تولى الخلافة بعده ابنه المهدي (محمد بن أبي جعفر المنصور) الذي أعدَّه والده ليكون الخليفة من بعده فأرسله لقمع الثورات في خراسان، واهتم بتأديبه وإليه ألف ابن إسحاق[٣]كتاب السيرة المعروف بطلب من أبيه المنصور[٤]. بُويع بالخلافة سنة ١٥٨هـ/ ٧٧٥م[٥]، وكان شهماً، فطناً، كريماً شديداً على أهل الإلحاد والزندقة[٦]، بسط يده في العطاء، وردّ الأموال التي

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٨، ص٣٧٧.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: أنساب الأشراف، القسم الثالث، تحقيق عبد العزيز الدوري، بيروت، ١٩٧٨م، ص١٨٣.

٣ ـ محمد بن إسحاق بن يسار: ولد بالمدينة سنة ٨٥هـ/ ٧٠٥م بها نشأ وأدرك بعض الصحابة، ورحل إلى مصر سنة ١١٩هـ/ ٧٣٨م، ثم عاد إلى المدينة، عُد من موالي آل المطلب من قريش، اشتهر بسعة الرواية وغزارة المعرفة. أتى الحيرة فالتقى أبا جعفر المنصور فلازم ابنه المهدي، وكتب له كتابه في السير والمغازي، وقد روى عنه السيرة عدد من العلماء، ويعتبر كتابه في السيرة أول مصنف وهو الذي اختصره ابن هشام، يُنظر محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٥، ص٤٥٠.

٤ ـ محمد بن علي بن طباطبا الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ،مصدر سابق، ص١٧٩.

٥ ـ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص٢٨٢.

٦ ـ سيأتي ذكرهم لاحقاً.

صادرها والده إلى أهلها، وأحسن إلى العلويين، وحكم مدة عشر سنين، إلى أن توفي في المحرم سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م عن ٤٣عاماً.

ثم بُويع من بعده ابنه الهادي (أبو محمد موسى بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله الهاشمي)، وكان متيقظاً غيوراً كريماً شهماً، ذا إقدام وحزم وعزم[١]، شديد الغيرة ، لا يرغب في التدخل في شؤونه حتى من أقرب الناس إليه[٢]، فقد كانت لأمِّه الكلمة النافذة في عهد المهدي وكان الناس يرفعون إليها حوائجهم فمنعها الهادي وكان يرمي من وراء ذلك إلى صيانة أمه وإبعادها من الريب. ونكّل بالعلويين والخوارج والزنادقة وأذاق الأمويين الويلات. حكم مدة سنة وثلاثة أشهر، وتوفي في ربيع الأول سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م عن ٢٣عاماً[٣].

برز بعد الهادي أخوه الرشيد (هارون بن المهدي)، الذي بُويع بالخلافة في النصف من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ/ ٧٨٦م[٤].وقد احتل اسمه في كتب التاريخ شهرة أسطورية، ونُسجت حوله القصص، فقد ذُكر عنه أنه كثير الصلاة، كثير الحج، دائم الجهاد[٥]، وهو مع هذا يعيش دنياه كما صورّته ألف ليلة وليلة، ويُقال إنه اجتمع له ما لم يجتمع لأحد من جدٍ هزل[٦].كانت دولته من أحسن الدول وأكثرها وقاراً ورونقاً وخيراً، وأوسعها رقعة، حكم مدة ثلاث وعشرين سنة وستة أشهر. وتوفي في جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م عن ٤٤عاماً.

---

١ ـ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص١٨٩.

٢ ـ المصدر السابق، ص ١٩١.

٣ ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٥، ص٢٥٠.

٤ ـ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص٢٩٥.

٥ ـ محمد بن علي بن طباطبا الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، مصدر سابق، ص١٩٣.

٦ ـ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٩هـ، جـ ١٤، ص١١.

ثم خلفه ابنه الأمين (محمد بن الرشيد)، الذي تأدب على أيدي أشهر علماء عصره أمثال الكسائي والمفضل الضبي، فقرأ القرآن وتفقه في الدين فكان واسع الإطلاع يحب العلماء ويقرّبهم ويحرص على استقطابهم، ويهتم بما أنتجته الحضارات الأخرى، ولكنه مع ذلك لم يكن موفقاً في اختيار قادته، مما كان له أكبر الأثر في تفوق أخيه المأمون عليه. حكم مدة أربع سنين وستة أشهر، امتدت بين سنتي ١٩٣ ـ ١٩٨هـ / ٨٠٩ ـ٨١٤م، وانتهت حياته عن ٢٨ عاماً، على يد قادة أخيه سنة ١٩٨هـ / ٨١٤م.

جاء المأمون (عبد الله بن الرشيد) إلى الخلافة على نعش أخيه الأمين، وهو أكبر منه بستة أشهر وُلد من أم فارسية، وتربى على العلم والأدب كأخيه الأمين.كان المأمون موسوعة، وصفه يحيى بن أكثم بقوله:" يا أمير المؤمنين إن خُضْنا في الطب كنت جالينوس في معرفته، أو في النجوم كنت هرمس في حسابه، أو في الفقه كنت علي بن أبي طالب في علمه، أو صدق الحديث فأنت أبو ذر في لهجته، أو الكرم فأنت كعب بن أمامة في فعاله"[١]. وكان يميل إلى العفو، ويكره الانتقام من أعدائه والخارجين عليه.وأصدق دليل على ذلك عفوه عن عمه إبراهيم بن المهدي، ووزير أخيه الأمين، الفضل بن الربيع كما أن قتل أخيه لم يكن بأمر منه. تربّى على حب أخواله الفرس. ولما بُويع بالخلافة وهو في خراسان بقي بها ولم يصل إلى بغداد إلا سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م، وكان هذا بإيعاز من وزيره الفضل بن سهل الذي أقنعه بالبقاء بين أنصاره، وأخفى عنه أخبار الثورات في العراق مما تسبب في حدوث أزمات سياسية وكان المأمون متزوجاً من بوران ابنة الحسن بن سهل[٢] الذي كان مسيطراً أيضاً كأخيه في دولة المأمون. حكم المأمون مدة عشرين سنة وخمسة أشهر

---

١ ـ محمد بن علي بن طباطبا الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، مصدر سابق، ص٢٢٩.

٢ ـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مصدر سابق، جـ١، ص٢٨٧.

وتوفي وهـو في طريقـه لغـزو القسـطنطينية في رجـب سـنة ٢١٨هـــ / ٨٣٣م، عـن ٤٢عاما[١].

ثم خلفه المعتصم بالله أبو إسحاق (محمد بن هارون الرشيد بـن المهـدي بـن أبي جعفر المنصور)، الذي وُلد سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م، وهو ثامن الخلفاء العباسـيين، أمه أم وَلَدْ تُدْعَىَ (ماردة) كانت من أحظى النساء عند الرشيد، كان المأمون يميل إليه لشجاعته، فاختاره ولياً لعهده، وقدّمه على ابنه العباس، وهو من أعظـم خلفـاء بـني العباس وأول من أضاف اسـم الله تعـالى إلى اسمـه (المعتصـم بـالله)، ولكـن كانـت تنقصه الثقافة حتى قيل إنه كاد أن يكون أمياً، وكان قـوي الشـكيمة، قـوي الجسـم، وكان يقاتل بأحسن أنواع القتال. حارب الـروم وانتصـر علـيهم انتصـاراً عظيمـاً في وقعة عمورية[٢]وأسر قائـدهم[٣]. وأراد أن يـتخلص مـن العـرب فلـم يسـتعملهم بـل أسقط بعضهم مـن ديـوان العطـاء[٤] لإثـارتهم العصـبيات وتكـتلاتهم ضـد الدولـة، والتفافهم حول كل خارج عليها واستعاض عنهم باتخاذه جيشـاً مـن الـترك، ولكـن شرهم أخذ يظهر في زمانه، ولما اشتد أذاهم وكثرت الشكوى مـنهم بنـى لهـم مدينـة (سامراء)[٥]ونقلهم إليها. حاول العرب عزله، والثأر منه وتنصيب ابن أخيـه العبـاس

---

١ ـ وفاء محمد علي: الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص ٢٣٠وما بعدها.

٢ ـ عَمُّورِيَة: من بلاد الروم تعد أهم معركة عربية اسـتخدمت فيهـا أدوات الحصـار الضـخمة الكبيرة كالدبابات والمجانيق والسلالم والأبراج، وذلك بعد حصار دام خمسة وخمسين يومـاً، مـن سادس رمضان إلى أواخـر شـوال سـنة ٢٢٣هــ/ ٨٣٧م، شـهاب الـدين يـاقوت بـن عبـد الله الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٦، ص٣٥٥.

٣ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٩، ص ٥٩٠ ـ٦٠٤.

٤ ـ المصدر السابق: جـ ٧، ص٤٢١.

٥ ـ سَامَرَّاء: بمعنى سر من رأى، مدينة بين بغداد وتكريت على شرقي نهر دجلة، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٥، ص١٠ـ ١٤.

ابن المأمون مكانه، فاكتشف مؤامرتهم وأوقع بمدبريها وقتل ابن أخيه[1]. مات بسامراء في ١٨ربيع الأول سنة ٢١٨هـ الموافق ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣م، وله من العمر ٤٨ سنة، وكانت مدة خلافته ثماني سنوات وثمانية أشهر.

وتولى الخلافة من بعده ابنه الواثق (هارون بن المعتصم)وهو آخر خلفاء هذه الفترة، حكم من سنة ٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ / ٨٤٢ ـ٨٤٧م.واعتمد على الأتراك كأبيه، فرسخت أقدامهم وتطاولوا على الخلفاء. كان مثل والده وعمه المأمون في تأييده لفكر المعتزلة. حكم مدة خمس سنوات وتسعة أشهر، وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٧م عن ٣٦ عاماً[2] وبوفاته ينتهي العصر الذهبي للخلافة العباسية.

الصدام الذي وقع مع العباسيين في عصرهم الأول:

كافح خلفاء العصر العباسي الأول من أجل تثبيت أركان دولتهم والانطلاق بها إلى آفاق التقدم والرقي، ولكن ما قاموا به من جهود في هذا المضمار أسفر عن صدام وقع بينهم وبين قوى متعددة، وكانت أسباب هذا الصدام سياسية أحياناً وفي حالات أخرى تكون دينية أو قومية.فهنالك الصراع الذي وقع بين أفراد البيت العباسي من أجل الوصول إلى الخلافة، وهنالك الموقف العدائي المتبادل بين العباسيين وبني أمية وأنصارهم من أهالي الشام، إضافة إلى موقف الموالي من الخلافة ومحاولاتهم المتكررة للوصول إلى السلطة وإن كانت تلك المحاولات تأتي مرة بصورة سلمية ومرة أخرى تأتي تحت ظلال السيوف، وهنالك الشيعة أنصار على ابن أبي طالب ﵁ الناقمين على الدولة التي يرون أنها قد خانتهم عندما دعتْ في أول عهدها إلى الرضا من آل محمد ثم تبيّن أنها دعوة عباسية وليست طالبية، إضافة إلى الخوارج أصحاب الخبرة الطويلة في الحروب.

---

١ ـ المصدر السابق: جـ٩، ص٦١٢.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٩، ص ٦٨٩، ٦٩٠.

ولا شك أن هذا الصراع نتجت عنه آثار مثَّلت معالم أساسية في خارطة الدولة السياسية والثقافية والحضارية، وأفرز نتائج كان لها أثرها في بروز فئات أخرى، وتغلغل عناصر مشبوهة أخفت كيدها للإسلام وعملت خلف تلك الأحجبة، ولعلنا نعرض إلى أهم تلك الحركات وما أحدثته من أثر على الدولة انعكس على كافة أصعدتها.

أولاً: الانقسامات داخل البيت العباسي:

لم يكن لبني العباس نظام واضح لوراثة العرش قبيل قيام دولتهم، أي عندما كانت إمامة، فعند وفاة إمامهم الأول محمد بن علي جعل الإمامة في ابنه إبراهيم، الذي أحسّ بملاحقة الأمويين له فسلّمها أخاه أبا العباس، وهكذا نجد أن الإمامة أو الخلافة فيما بعد لم تكن تنحصر في الابن الأكبر أو غيره، وإن كان الخليفة في الغالب يفضّل أبناءه حتى ولو كانوا أقل كفاءةً ومقدرة[١]، وهنالك أسباب أخرى أدت إلى الصراع بين أفراد البيت العباسي وسنحاول فيما يأتي إبراز هذه الصراعات وأسبابها ونتائجها:

(أ) ثورة عبد الله بن علي ضد ابن أخيه أبي جعفر المنصور:

ذكر بعض المؤرخين أن الخليفة أبا العباس السفاح وأثناء حربه ضد مروان ابن محمد وَعَدَ أفراد أسرته بأنَّ من قاد الحرب ضد مروان ستكون له الخلافة من بعده، فتطوّع عمه عبد الله بن علي بتحمّل هذا الأمر، فهزم مروان في معركة الزاب بعد جهد، ولكن أبا العباس لم يفِ بهذا الوعد بل عهد لأخيه أبي جعفر بالخلافة، ومن بعده لابن أخيه عيسى بن موسى، ولما علم عبد الله بن علي بوفاة الخليفة وتولي أبي جعفر المنصور الخلافة وكان حينها يقود جيشاً لمحاربة البيزنطيين كان معظمه من أهل خراسان وانضم إليه جند الشام الطامعين في استعادة ما فقدوه

---

١ ـ نائف بن حمود أبو قريحة: ولاية العهد منذ ظهورها حتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٤٤ وما بعدها.

والانتقام من بني العباس، فأعلن الثورة معتمداً على قوته التي أُعدت في الأصل لقتال البيزنطيين[1].

أعدّ المنصور جيشاً لقتال عمه و اختار لقيادته أبا مسلم الخراساني لمعرفته بقتال أهل بلده، وبالفعل دبّر خطة ماكرة صرف بها أهل الشام عندما تظاهر لهم بأنه ولي أمرها فانفضوا من جيش عبد الله إلى بلادهم، ثم انفرد ببقية جيش عبد الله فأنزل بهم هزيمة ساحقة[2]، وتتبّع عبد الله بن علي الذي لجأ إلى أخيه سليمان بن علي، أمير البصرة. إلا أنه قُبض عليه فحُبس ومات في محبسه سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م[3].ولما كتب أبو مسلم للمنصور بالنصر أمره الخليفة بأن يحتفظ بما غنمه من أموال وجواهر[4]وُجدت في خزينة عبد الله بن علي ولكن أبو مسلم أراد الاحتفاظ بتلك الأموال والتصرف فيها بما يرى مما أثار شكوك الخليفة المنصور، فأدى ذلك إلى نشوب خلاف بينهما، ومن هنا نجد أن المنصور كسب في الميدان ولكنه هُزم داخل بيته فقد خسر أبرز قادته ـ أبو مسلم ـ وفتح ثغرةً في وحدة الصف العباسي تسربت عبرها رياح أزمات خطيرة، وذلك بسبب عدم وجود نظام ثابت لولاية العهد.

(ب) إبعاد عيسى بن موسى عن ولاية العهد على يد الخليفتين أبي جعفر والمهدي:

لم يقتصر الصراع بين أفراد الأسرة العباسية في عهد الخليفة المنصور، على ما جرى من صراع مسلح بينه وبين عمه عبد الله بن علي وإنما نشأ صراع آخر غير مسلح بين الخليفة وولي عهده عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسي، فقد كان عيسى هو الآخر أُعطي العهد بعد عبد الله بن علي، ولكن المنصور بدهائه

---

١ ـ فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م، جـ٢، ص١٦٠.

٢ ـ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص٢٧٢.

٣ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، جـ ٣، ص١٠٦.

٤ ـ أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي: تاريخ الموصل، مصدر سابق، ص١٦٤.

استطاع أن يجبره على التنازل من ولاية العهد لابنه على أن تكون له من بعده[1] ولما تربع المهدي على عرش الخلافة طمع في أن يجعلها لأبنائه الهادي والرشيد من بعده ،وضيّق على عيسى حتى اضطره للتنازل فخلع نفسه مكرهاً من ولاية العهد[2].

ومن خلال هذا العرض لأهم القضايا التي أسهمت ولاية العهد في وجودها، وكانت محوراً لها يتضح لنا المسار الذي انتهجته ولاية العهد ابتداءً من السفاح ومروراً بالخلفاء من بعده حتى نهاية عهد الخليفة الهادي (١٦٩ـ١٧٠هـ/ ٧٨٥ـ٧٨٦م) حيث تبين لنا الانحدار الخطير في هذا النظام فقد حرص الخليفة أبو العباس على تولية العهد من بعده لأخيه المنصور ثم لابن أخيه عيسى بن موسى وذلك محاولةً منه في بناء وحدة للدولة والبيت العباسي، ولكن هذا الحرص تحوّل في عهود الخلفاء من بعده إلى خطوات جادة ومستميتة في الحفاظ على ولاية العهد في أبنائهم، فوضع المنصور أول لبنة بناء هذا التحول عندما أخّر عيسى بن موسى وقدم ابنه المهدي، ثم رسخ المهدي هذا البناء بإزاحته لعيسى بن موسى من ولاية العهد وتولية ابنه موسى الهادي ثم الرشيد من بعده، ثم حاول الهادي السير على خطى أسلافه في ذلك، ولكن المنية حالت بينه وبين إتمام البيعة لابنه جعفر، وبذلك تولى الرشيد الخلافة وأحدث نقلة كبرى في نظام ولاية العهد وذلك بتوليه العهد لأبنائه الثلاثة من بعده، مما كان له آثاره على الأحداث التي تلت وفاته والتي تمثلت في قيام الفتنة بين الأمين والمأمون.

(ج) الصراع المسلح بين الأمين والمأمون ونتائجه :

اتخذت ولاية العهد بعد وفاة هارون الرشيد أبعاداً سياسية، أسفرت عن صراع دامٍ امتد من سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م إلى ١٩٨هـ/ ٨١٤م، وقد كان للرشيد اليد الطولى في بذر

---

١ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ ٥، ص ٤٦١.

٢ ـ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، طبعة ١٨٧١، ص ٢٦١.

هذه الفسيلة التي ألحقت بالدولة أضراراً خطيرة، وذلك على الرغم مما عُرف عن الرشيد من ذكاء ثاقب وبُعد نظر، إذ أنه جعل ولاية العهد من بعده لأبنائه الثلاثة[١].فجعل ابنه محمد ولياً للعهد ولقبه بالأمين وكان ذلك سنة ١٧٥هـ / ٧٩١م[٢].ثم بايع لابنه عبد الله المأمون في سنة ١٨٢هـ/ ٧٩٨م بعد أخيه الأمين.ثم استأنف وبايع في سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م لابنه القاسم[٣].

وقد ذكر المؤرخون دوافع عديدة كانت وراء ترجيح كفة الأمين دون غيره من أخوته، ولكن العامل الحاسم تمثل في جهود الفضل بن يحيى إضافة إلى ما كانت تتمتع به زبيدة والدة الأمين من مكانة عالية لدى الخليفة هارون الرشيد، وقد أقر الرشيد بذلك في معرض تبريره لولاية الأمين فقال:"ولولا أم جعفر ـ يعني زبيدة ـ وميل بني هاشم إليه لقدّمت عبد الله عليه"[٤].

ثم ما لبث الرشيد أن بايع لابنه عبد الله في سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م بعد أخيه الأمين، على أن تكون له ولاية خراسان، وما يتصل بها من الولايات الشرقية[٥]ولقبه بالمأمون[٦].

---

١ ـ محمد السيد الوكيل: العصر الذهبي للدولة العباسية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص١٩٦.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٩، ص ٨٧، وعز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٦، ص١٢٢.

٣ ـ يُنظر علي بن أنجب بن الساعي: مختصر أخبار الخلفاء، مصدر سابق، ص٢٧.

٤ ـ الجلال بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء، مصدر سابق، ص٣٠٧.

٥ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل، مصدر سابق، جـ ٦، ص١٦١.

٦ ـ المصدر السابق: جـ٦، ص١٦١، وعبد الرحمن بن سنبط قنيتو الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك، مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص١٢٧.

ثم بايع في سنة ١٨٦هـ / ٨٠٢م لابنه القاسم بعد أخيه المأمون ودعاه المؤتمن، وجعل له ولاية الجزيرة والثغور[١]. فلاقت توليته استحساناً حيث اعتبرها بعضهم مدعاة لإحكام السيطرة على أوضاع الدولة، وبرّر البعض الأمر بأنه رغبة من الخليفة في تطبيق اللامركزية في الحكم[٢].

وبعد وفاة هارون الرشيد تسلم مقاليد الحكم الأمين، وعلى الرغم من أن البداية بين الأخوة كانت طيبة وذلك عندما أرسل المأمون إلى أخيه بالبيعة مصحوبة ببعض الهدايا والتحف المشرقية، إلا أنها ساءت وذلك عندما قام الأمين بعزل أخيه المؤتمن عن الجزيرة وولاها أحد قواده، وترك للمؤتمن ولاية الثغور والعواصم وكان ذلك سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩م[٣]، وفي السنة التالية عزله عن جميع ما كان يتولاه واستدعاه إلى بغداد وحدد إقامته فيها.

وبعد إبعاد المؤتمن طلب الأمين من المأمون التنازل عن بعض المناطق التابعة له فاعتذر له عن ذلك، ثم طلب منه الحضور إلى بغداد لمساعدته في إدارة البلاد فاعتذر أيضاً. ثم تطورت الأحداث تطوراً سريعاً فأمر الأمين بالدعاء لابنه موسى في جميع الولايات بعد الدعاء للمأمون والقاسم، وأخيراً طلب من المأمون تقديم ابنه موسى عليه فرفض الأخير هذا الطلب، فقرر الأمين خلع أخيه وترك الدعاء للمأمون والمؤتمن ودعا لابنه موسى ولقبه الناطق بالحق[٤].

---

١ ـ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مصدر سابق، جـ ١٢، ص٤٠٢.

٢ ـ يُنظر: فتحي عبد الفتاح أبو سيف: المشرق الإسلامي بين التبعية والاستقلال، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٨م، ص٩٠.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٦، ص٢٢٦.

٤ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٣٨٩.

وقد أفرز هذا العمل نتائج خطيرة وأوقع البلاد في خضم حرب أهلية أثّر فيها الوزيران الفضل بن الربيع والفضل بن سهل، الأثر الأكبر في اندلاع نار العداوة والحرب بين الأخوين فقام المأمون بقطع الخطبة لأخيه[1] وتسمى بالإمام، فجهّز الأمين جيوشه و أرسلها إلى خراسان بقيادة علي بن عيسى بن ماهان سنة ١٩٥هـ / ٨١١م، وقد فشلت جيوش الأمين في تحقيق نصر بخراسان[2]،وزحفت جيوش المأمون باتجاه بغداد وحاصرتها سنة ١٩٧هـ / ٨١٣م [3].وخربت منازل بغداد ونهبت أسواقها، ودبَّ الرعب والخوف في قلوب العامة، واستشرى الفساد، وعمّت الفوضى في بغداد، وقد وصف أحد الشعراء بغداد في تلك الفترة فقال:

بكيتُ دماً عَلى بَغدادَ لما * فَقَدَ نَضارةَ العيْش الأَنيق
تَبدَلْنَا هُموماً منْ سُرور * ومنْ سعة تَبدْلـنَا بضيق
أَصَابتْهَا منَ الحُسَّاد عينٌ * فَأَفْنَتْ أَهْلَـهَا بالمنجنيق
فقومٌ أُحرقُوا بالنَار قَسْراً * ونائحةٌ تَنوحُ عَلى غَريق

ولما أدرك الأمين أنه لا محالة مهزوم قرر الاستسلام، ولكن بعض القادة لم يقبلوا منه إلا الحرب، فقُتل وحُمل رأسه إلى المأمون[4].ولعل قلة الأعوان المخلصين لدى الأمين وعدم تفاني المقربين إليه من قواد وأمراء وغيرهم في خدمتهم له كان من أهم أسباب إخفاقه حتى أنه قال:"وددت والله أن الله قتل الفريقين جميعاً فما منهم إلا عدو من معي ومن علي. أما هؤلاء فيريدون مالي وأما أولئك فيريدون نفسي"[5].

---

١ ـ المصدر السابق: جـ٦، ص٢٢٩.

٢ ـ عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، مصدر سابق، جـ ٣، ص٢٨٧.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ ٦، ص٢٧١.

٤ ـ المصدر السابق: جـ ٦، ٢٨٧.

٥ ـ المصدر السابق: جـ٦، ص٢٧٧.

(د) الصراع بين الخليفة المأمون وعمه إبراهيم بن المهدي:

ما حدث بين المأمون وعمه إبراهيم بن المهدي من صراع لا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى شخصية المأمون وتحليلها.فهو حييٌّ، كريم، وإلى جانب ذلك كان متروياً في الأمور. وهو يميل دائماً إلى الحل الهادي دون عنف أو قسوة، بغض النظر عن كونه حلاً خلقياً أو غير ذلك.

بعد تسلم المأمون الخلافة ثار العلويون مستغلين الإضطرابات التي أعقبت اغتيال الخليفة الأمين، وقاموا بثورات عارمة نجحت في أن تخرج العراق والجزيرة العربية بما فيها الحجاز عن طاعة العباسيين[١].والذي يظهر لي أن الخليفة أراد أن يخفف من حدة هذه الفتنة فعهد بولاية العهد إلى على بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، الإمام الثامن من الإثنى عشرية ولقّبه بالرضا من آل محمد، وزوّجه ابنته أم حبيب[٢]وكان ذلك في رمضان من سنة٢٠١هـ الموافق مارس من عام٨١٧م[٣]، وأمر بطرح السواد ولبس الخضرة، وجاء تفسير المؤرخين لهذا التصرف من زاويا عديدة:فمن ناحية الفضل بن سهل يرون بأن الأمر دسيسةً منه أراد بها أن يسيطر على العلويين بعد أن كسب ود العباسيين[٤]، وربما أراد الفضل التقرب بهذا العمل أيضاً إلى الفرس الذين يميلون نحو العلويين[٥]، أو بالأحرى اتخاذهم مطيةً للقضاء على الدولة الإسلامية وإعادة مُلك الفرس الذي

---

١ ـ المصدر السابق: جـ٦، ص٣٠٩.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٩، ص٤٣١.

٣ ـ المصدر سابق، جـ ٩، ص٤١٨.

٤ ـ المصدر السابق: جـ ٩، ص٤١٩.

٥ ـ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري: الوزراء والكتاب، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري والشلبي، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ص٣١٣.

أزالته دولة الخلافة، وهذا يظهر في تصرف الفضل بن سهل حيال ثورة أهل بغداد إذ أنه أخفاها عن الخليفة وكان يعكس له صورةً عن الأمن واستتبابه بخلاف الواقع. أما الذين نظروا إلى الأمر من جهة الخليفة المأمون فقد عزوا ذلك إلى ميوله الفارسية إذ أن أمه وزوجته فارسيتان، بينما ذكر آخرون أنه أراد أن يكسب رضا العلويين والفرس في آن واحد، أما العلويون فيرون أن المأمون فعل ذلك ليخرجهم من مكامنهم ليبطش بهم[1]، وخاصة أنه تراجع عن قراره حينما وجد أن مصالحه تضررت.

فقامت ثورات مناهضة لولاية الرضا قادها العباسيون ضد الخليفة في بغداد وبايعوا عم المأمون إبراهيم بن المهدي ولقَّبوه بالمبارك وكان ذلك سنة ٢٠٢هـ / ٨١٧م[2]، وكان المأمون وقتها في مرو ولما عاد نقل له ولي عهده الرضا الصورة الحقيقية لأوضاع البلاد، عندها عزم على التخلص من وزيره فأرسل إليه من يقتله وكان ذلك عام ٢٠٢هـ/ ٨١٧م، ثم أراد أن يبعد التهمة عن نفسه فأمر بضرب رقاب منفذي عملية الاغتيال[3]، ولعلّه كان من خطته أيضاً أن يفتدي نفسه بعلي الرضا إذ لم يمض على وفاة الفضل بن سهل بضعة أشهر حتى توفي الرضا بعد تناوله كمية كبيرة من العنب، ومن المؤكد أن العنب وحده لا يقتل إنساناً إن لم يكن مسموماً[4]، وقد أعلن المأمون حزنه على وفاة الرضا، ثم أرسل إلى أهل بغداد يقول لهم:"إن علياً الرضا قد توفي، فما كان حاجزاً بيني وبينكم قد زال، فعودوا إلى بيعتكم" ثم قدم إلى بغداد وهو يلبس الخضرة فطلب منه العباسيون رفعها فأجابهم

---

١ ـ أمينة البيطار: دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص١١١، ١١٢.

٢ ـ محمد بن علي بن طباطبا الطقطقي: الفخري في الآداب، مصدر سابق، جـ ٩، ٤٢١.

٣ ـ المصدر السابق، جـ٩، ص١٩٩وما بعدها.

٤ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٩، ص٤٣٢.

إلى مطلبهم ولبس السواد[1].ولم تطل خلافة عم المأمون إبراهيم بن المهدي الملقب بالمبارك، ولكنها استنفذت قوة الدولة وفتحت الطريق للمغرضين للنيل من دولة الإسلام كما يظهر ذلك جلياً في خلافة المعتصم[2].

(هـ) بين المعتصم وابن أخيه العباس:

جاء المعتصم إلى الخلافة وقد بدأت العناصر المكوِّنة للدولة في شق عصا الطاعة والخروج عليها جهاراً أو التآمر ضدها، فقد فشل الفرس في السيطرة على مقاليد الأمور في عصر المأمون الذي نكّل بوزرائهم، فاختاروا طريقاً آخر وهو الاستقلال عن الحكم العباسي. فشكلت الدولة الطاهرية في خراسان نواة للدول المستقلة، أما العرب فكانوا يثورون من وقت لآخر معترضين على كل خطوة سياسية تحول بينهم وبين ريادة الدولة، وهنالك العلويون الذين حوربوا بشراسة من قبل الدولتين الأموية والعباسية، وأمام هذه الأخطار لم يكن أمام المعتصم من خيار سوى الاستعانة بالأتراك كحلفاء له، فهم شعب قوي الشكيمة، متمرن على أعمال الغزو، وعلى ركوب الخيل والأسلحة، وكانت الأمية فيهم متفشية، ولا صلة لهم بعوامل الرقي والتحضر.فاستقدمهم المعتصم وأكثر من شرائهم، فغضب العرب والفرس وحرّض بعض القادة منهم ابن أخيه العباس بن المأمون على التخلص منه، مستغلين فرصة خروجه في حملة عمورية ضد الروم، ولكن المؤامرة انكشفت قبل تنفيذها وقبض المعتصم على مدبريها بما فيهم ابن أخيه، ودفع بهم إلى قواده من الترك لتعذيبهم والانتقام منهم[3].

---

١ ـ يوسف العش: تاريخ الخلافة العباسية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٩٢.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٩، ص٤٣٧.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ ٦ ، ص ٤٨٩ ـ ٤٩٢.

ثانياً: محاولات الأمويين استعادة نفوذهم:

نجح العباسيون في القضاء على ملك بني أمية والجلوس مكانهم، ولكنهم لم يكتفوا بهذا النجاح وإنما عملوا على محو آثارهم من الوجود لكي لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك، فاغتالوا زعماءهم ووجهاءهم وأقاموا لهم المجازر، وتتبعوا آثار الفارين والمختفين منهم للقبض عليهم وإنزال أقصى العقوبات بهم، وأذلوا حلفاءهم من القيسية والقبائل الشامية اليمنية، ومحو أسماءهم المنقوشة على العمائر وكتبوا بدلاً عنها أسماء بني العباس، فالمأمون مثلاً استبدل اسم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان باسمه في مسجد قبة الصخرة[1].ولذلك كان من الطبيعي أن يعمل الأمويون على الثأر لأنفسهم، واسترداد ملكهم المغصوب. ومن أشهر المحاولات التي قام بها الأمويون ضد دولة الخلافة العباسية ثورة عبد الله بن مروان بن محمد الأموي الذي خرج على المهدي سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م، فوجه إليه جيشاً بقيادة نصر بن محمد الأشعث، فقبض عليه وقدّمه إلى المهدي فحبسه ثم عفا عنه.ثم قامت ثورة علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الملقب بالسفياني و (العميطر)[2] الذي استغل الخلاف بين الأمين والمأمون وثار في دمشق سنة ١٩٥هـ / ٨١١م مدعوماً بقبيلة كلب اليمنية وادعى أنه المهدي المنتظر، فأرسل إليه الأمين جيشاً فتمكن من القبض عليه[3]. وفي مصر ثار دحية بن مصعب بن عبد العزيز بن مروان ابن الحكم، سنة ١٦٥هـ/ ٧٨١م، مطالباً بالخلافة، فقمع ثورته الفضل بن صالح العباسي، أمير مصر، في معركة قتل فيها ابن مصعب. ويُعَدُّ ما قام به

---

١ ـ عارف العارف: الحرم القدسي، مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، القدس، ١٩٤٧م، ص ١٦.

٢ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير:الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ ٥، ص٢٣٤.

٣ ـ المصدر السابق:جـ ٥، ص١٤٧.

عبد الرحمن الداخل من أخطر الثورات وأنجحها، فقد فرّ إلى المغرب الأقصى بعد أن نجا من مذابح العباسيين، وفي سنة ١٣٨هـ/ ١٦٠م دخل الأندلس وانتزع إمارتها من عبد الرحمن الفهري، أمير الأندلس، واستقلَّ بها وأسس فيها الدولة الأموية الأندلسية.

ثالثاً: محاولات العلويين للوصول إلى السلطة:

المقصود بالعلويين هنا أحفاد علي بن أبي طالب ﷺ من زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ وبالتحديد ذرية وأحفاد ابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما، وذلك لأن ذرية ابنه محمد بن الحنفية قد انقطعت ولم يعُد لها أي نوع من النشاط السياسي بعد وفاة ابنه عبد الله المعروف بأبي هاشم سنة٩٨هـ/ ٧١٧م[١].

وقبل الدخول في ثورات العلويين لابد من الإجابة عن سؤال مهم وهو: لماذا قامت هذه الحركات؟ ولماذا تزعمها العلويون بالذات؟ ولعلّ من أهم عوامل ظهور هذه الحركات تحوُّل الخلافة إلى ملك عضوض فيه قسوة وظلم، مما دفع الكثيرين لتغيير ما يرونه من منكر وربما يخطئون في الأسلوب أو يصيبون، وربما تكون هنالك دوافع أخرى من حب الملك أو ظناً منهم بأن الحكم يجب أن يكون في ذرية علي ﷺ وليس العباس ﷺ، وكانت هذه الحركات في كل الأحوال تجد آذاناً صاغية، معظمها قد يكون مدفوعاً بعاطفة إسلامية صادقة، وذلك بسبب ما أصيبت به الأمة من خيبة أمل عندما وصل الأمر إلى أناس مفضولين.ولكن هنالك حقيقة لابد من اصطحابها وهي أن غالب الحركات التي يُراد لها تغيير المنكر تنتقل إلى أيدي النفعيين والانتهازيين والناقمين على الإسلام وأهله، الذين عجزوا عن هزيمته في الميدان فلجأوا إلى الحرب من الداخل.

---

١ ـ يُنظر عبد الله بن علي المسند: العلويون والعباسيون ودعوة آل البيت، مرجع سابق، ص١٥،١٦.

والمتتبع لجزئيات التاريخ يجد أن عصر عثمان بن عفان ﷺ يمثل انقلاباً في خارطة الدولة السياسية والاجتماعية، أدّى بدوره إلى انفلات الأمن واغتيال الخليفة، ثم يأتي عام الجماعة وانتقال الخلافة إلى الأمويين، وتبقى روح الخلافة الراشدة مستمرة عند علماء الدين في شكلها الحقيقي متصدية ومعارضة، و عند الخوارج في شكلها المتطرف، ويتصدى العلويون لبني أمية لأنهم استخلصوا الحكم من أيديهم، فيثور الحسين ﷺ من غير تخطيط ولا دراسة، ويتخذ قراراً عاطفياً، وينبهر بالأعداد الغفيرة التي أيدته في الكوفة ثم يتبين له خداعها فيموت مقتولاً في كربلاء، وتخرج المدينة بذات العاطفة فتستبيحها قوات يزيد ثلاثة أيام، ولا يتعظ العلويون بما حدث لهم فيخرج زيد بن علي بن الحسين، وتأتيه جموع الكوفة للمبايعة، ثم يُقتل هو الآخر على أيدي الأمويين، ويضيف مأساةً أخرى لأهل البيت خاصة وللمسلمين عامة، فلا أقام حكومة إسلامية أفضل، ولا ترك هذا الأمر وقام بتوعية الناس من الداخل، وقد علّق الإمام الزهري على مقتله بقوله:"أهلك أهل هذا البيت العجلة"[١].

ثم تأتي الدولة العباسية وهي تعتبر من أخصب التجارب وأنجحها ـ فكان على العلويين الاستفادة منها ـ ويتم القضاء على بني أمية، ثم يخرج العلويون مرة ثانية وبحجة أخرى.فقد استغل العباسيون اسمهم ـ الرضا من آل البيت ـ واستوعبوهم ضمن قواتهم، ثم يتبين لهم أنها دعوة عباسية وليست علوية، فتوالت ثوراتهم وإن كان بعضها قوياً هدد كيان الدولة إلا أنها وقعت في نفس الأخطاء السابقة، والذي نلاحظه أن الفرع الحسيني بعدما تعرض له من مآسٍ قد انسحب من الميدان، فعميد الأسرة الحسينية هو علي بن الحسين الملقب بزين العابدين قد تفرغ للعبادة، فلم يخرج على الحُكّام، وسار ابنه محمد الملقب بالباقر على نهجه ولم يجد

---

١ ـ أبو الفرج علي بن الحسين بن الهيثم الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، مصدر سابق، ص١٤٣.

ابنه جعفر الصادق عن ذات الطريق، أما الفرع الحسني فهو الذي تصدر الثورات على العباسيين فلم يعتبر بما سبق وكانت أهم تلك الثورات:

(أ) ثورة محمد النفس الزكية:

هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وُلد بالمدينة سنة ٩٣هـ/ ٧١٢م، وقد اشتهر بالعلم والزهد فلُقب بالنفس الزكية[١]. وكان أحد سادات بني هاشم علماً وشجاعة وكرماً، ويظهر أن اسمه المطابق لاسم الرسول ﷺ قد شجعه على الاعتقاد في أنه المهدي المنتظر، وشجّع والده على تصديقه وتأييده في دعواه[٢]، أضف إلى ذلك قناعة هذه الأسرة بأحقيتها في الحكم بسبب قرابتها من الرسول ﷺ وهذا واضح من رسالة النفس الزكية إلى أبي جعفر المنصور التي يقول فيها:"...فإن الحق حقنا وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا، وخرجتم له بشيعتنا، وحظيتم بفضلنا" ثم يقول في نهاية الرسالة:"وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد"[٣].

بدأ النفس الزكية يدعو لنفسه أثناء حكم بني أمية، وذلك بعد مقتل الوليد ابن يزيد بن عبد الملك، واستمر في تجميع الناس حوله فلم يتعرض له مروان بأي

١ ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني: لسان الميزان، مصدر سابق، جـ٧، ص٤١٩.

٢ ـ كلمة مهدي تعني في اللغة الرشاد والدلالة، ومنه وصف الرسول ﷺ لعيسى بن مريم عليه السلام: (يوشك أن يلقى عيسى بن مريم إماماً مهدياً)، وغلب مصطلح المهدي على رجل يخرج في آخر الزمان يحكم بالعدل وهو من آل البيت، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها ما روي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي).وقد ادعى أناس المهدية مثل عبد الله القداح وابن تومرت في المغرب، وقد يدعيها أناس لرجال لم يطلبوها مثل ادعاء السنوسية أن صاحبهم محمد السنوسي هو المهدي المنتظر، يُنظر عبد العليم عبد العظيم: الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، كلية الشريعة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٤٨٢.

أذي، ثم جاءت الدولة العباسية، واكتفى السفاح بمعاتبة والـده عبـد الله بـن الحسـن ولم يتعرض له بأذى بل كان يكرم عبد الله بن الحسن ويحسن إليه، ثم جـاء المنصـور فبدأ بالبحث عنهما وألح في ذلك إلحاحاً شديداً، فقابـل محمـد وأخـاه إبـراهيم هـذا الأمر بشدة الاختفاء والانتقال من بلـد إلى آخـر، فمـرة في عـدن ومـرة في السـند أو البصرة أو الكوفة. وفي هذه الرحلات كان النفس الزكية يدعو لنفسه، وكان المنصور يشعر بما يدبر فطلب من والي المدينة البحث عن الـنفس الزكيـة وأخيـه فتسـاهل في الأمر خوفاً من أن يكون سبباً في قتلهما، فعزله الخليفة، وقرر أخيراً إرسال رجـل لا يعرف قدراً لآل البيت ولا غيرهم بل تهمه طاعة الخليفة، فوجـد ضـالته في أعرابـي مغمور وهو رياح بن عثمان المري، فكان أول عمل قام به هو أخذ جميع أفراد أسـرة النفس الزكيـة ووضـعهم في السـجن، والإلحـاح في طلـب الـنفس الزكيـة. وأخـيراً استخدم المنصور الحيلة فبعث برجل إلى المدينة ليتظاهر بأنـه مـن شـيعة العلـويين في خراسان كوسيلة للوصـول إلى أسـرة الـنفس الزكيـة وتعـرَّف علـى أسـرار الـدعوة فتمكن من الوصول إلى والده عبد الله بن الحسن وكسب ثقته وعرف موعد خـروج ابنه من مخفاه.

وفي سـنة ١٤٤هــ/ ٧٥٣م زار المنصـور الحجـاز حاجـاً، فأخـذ معـه السـجناء المؤيدين للنفس الزكية فأودعهم سجناً قرب الكوفة، وأنزل بهم العـذاب الشـديد حتـى مات بعضهم في السـجن ليسـتفز الـنفس الزكيـة فيخـرج مـن مخبئـه، ومـازال المنصـور يستخدم الحيلة بعد الحيلة حتى أعلن النفس الزكية الثورة في المدينة تحت إلحـاح أنصـاره وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة من عام ١٤٥هـ/ ٧٥٤م، وبايعـه أهـل المدينـة وأيـده كثير من العلماء، وتبادل محمد والمنصور الرسائل وكل منهما أدلى فيها بحجتـه في أنـه أحق بالخلافة، ولما لم تنفع الرسائل بعث المنصور جيشا بقيادة ابـن أخيـه عيسـى بـن موسى فهزم النفس الزكية وقتله، وحمل رأسه إلى المنصور[١].

١ ـ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص٢٦٧،٢٧٧.

(ب) ثورة إبراهيم بن عبد الله :

أرسله أخوه محمد النفس الزكية إلى البصرة لنشر الدعوة بها سراً، فدعا الناس إلى بيعة أخيه، فاستجابوا له، وكان فيهم جماعة كثيرة من الفقهاء وأهل العلم، وأما اختياره للبصرة فقد كان نتيجة ظروف سياسية، فالكوفة وإن كانت أكثر تشيعاً لآل علي إلا أن الخليفة أحاطها بجنوده فأفقدها الحركة، وأما أهل الشام فميولهم مع بني أمية والأوضاع عندهم مستقرة وليس لديهم الرغبة في إقحام أنفسهم في حركات مجهولة المصير، وأما خراسان فهي موطن الدعوة العباسية، ولذلك لم يكن أمام إبراهيم إلا التوجه نحو البصرة.

وفي البصرة فوجىء إبراهيم بإعلان أخيه محمد الثورة قبل وقتها المحدد لها في المدينة، فاضطر لإعلان ثورته بالبصرة في رمضان سنة ١٤٥هـ/ ٧٥٤م واستولى على دار الإمارة ثم وصله نبأ اغتيال أخيه محمد فحزن عليه حزناً شديداً، و بايعه العلويون في البصرة مكانه وجهزوا جيشاً وتوجه به إلى الكوفة يريد المنصور، وكان جيشه قوياً يتمتع أفراده بروح معنوية عالية وخبرة عسكرية، ولكن المشكلة تكمن في اختلافهم حول خطة القتال.

وفي المقابل أعدَّ المنصور لقتاله جيشاً بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد العباسي ومعه حميد بن قحطبة فالتقوا بإبراهيم ومؤيديه في موقع يدعى باخمري - على ستة عشر فرسخاً من الكوفة- وفي معركة ضارية جرت بين الفريقين سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م قتل إبراهيم وحمل رأسه إلى المنصور[١].وبموته انتهت حركته لأنها كانت مرتبطة بشخصه.

رابعاً :ثورات الخوارج :

كان الخوارج من جملة القراء الذين أيَّدوا الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، وقد خاضوا معه معركة صفين ضد معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وفي أثناء المعركة وحينما

---

١ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل، مصدر سابق، جـ ٥، ص٥٥٠.

لاح النصر في جانب جيش علي رضي الله عنه لجأ معاوية إلى رفع المصاحف طلباً للتحكيم، وقد أبى قسمٌ كبيرٌ من جيش علي رضي الله عنه إلا إيقاف القتال وقبول التحكيم، فوافق علي رضي الله عنه مكرهاً[1] ولكنهم عادوا وأنكروا عليه وقالوا:"أتحكمون في أمر الله عز وجل الرجال، لا حكم إلا لله"[2].فرجع علي من صفين وقد انقسم جيشه إلى فريقين، عُرفت الفرقة التي اعترضت على التحكيم بالخوارج وقد اتخذوا حَرَوراءُ[3]مركزاً لهم معلنين خلعهم لعلي ومبايعة عبد الله بن وهب الراسبي. وحمل الخوارج منذ أن انشقوا عن علي رضي الله عنه لواء مناهضة السلطات الحاكمة[4]، وشهروا السيف في وجه الحكام، واعتبروهم مغتصبين لأمر الخلافة التي هي حق لكل مسلم. ولم تهدأ ثورات الخوارج طوال العصر الأموي. وعندما نجح العباسيون في القضاء على الخلافة الأموية، رفع الخوارج السيف في وجوههم، فهم في نظرهم مغتصبون للحكم كالأمويين. وكان الخوارج في مطلع العصر العباسي منتشرين في أماكن متعددة من العالم الإسلامي، كالجزيرة الفراتية التي كانت من أكثر المناطق اضطراباً، وذلك لأن سكانها من القبائل العربية القوية الشكيمة مثل بكر وتغلب، التي اعتنقت مذهب الخوارج منذ فترة مبكرة، كما أنها كانت محاطة بعناصر، وأقوام مختلفة، كالكرد والأرمن والفرس، فضلاً عن متاخمتها للأراضي البيزنطية. وكان لتنوع العقائد والنزاعات فيها أكبر الأثر في إسراع سكانها للتمرد ضد الحكم المركزي. كما انتشر الخوارج في أرمينية وخراسان وعمان وشمال إفريقية.

---

١ ـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، مصدر سابق، جـ١، ص١١٥.

٢ ـ علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الأول، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، جـ٢، ص٢٨٤، ٢٨٣.

٣ ـ حَرَوراءُ:قرية من قرى الكوفة، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٢، ص١٣٨.

٤ ـ سيأتي ذكرهم في الفصل الثاني.

أما أشهر الخارجين على الدولة العباسية هو الجلندي بن مسعود بن جيفر الأزدي الذي خرج على السفاح عندما أرادت جيوشه دخول عمان فقام بصدها، فأرسل إليه الخليفة خازم بن خزيمة فالتقوا في الصحراء واقتتلوا قتلاً شديداً استمر عدة أيام إلى أن لجأ خازم إلى الحيلة وذلك بإشعال النفط في بيوت الخوارج الذين اشتغلوا بإخراج أهليهم وأموالهم عن النار، وعندها مال عليهم جيش خازم وأنزل بهم هزيمة ماحقة[١].

وفي سنة ١٣٧هـ/ ٧٤٦م خرج ملبّد بن حرملة الشيباني على المنصور بناحية الجزيرة بالعراق، وكان فيه شجاعة ودهاء وخبرة بالحرب، فتتابعت عليه جيوش الخليفة فكان يهزمها، فأرهب الناس وأهمهم أمره، وأخيراً بعث إليه خازم بن خزيمة في ثمانية آلاف فدارت بينهم معركة قتل فيها ملبد وأكثر جيشه وهرب من بقي منهم وكان ذلك في عام ١٣٨هـ/ ٧٤٧م[٢].

وفي طرابلس خرج على المنصور أيضاً أهل المغرب بقيادة أبو حاتم يعقوب ابن حبيب الإباضي، فهزم عامل الخليفة فيها وكثُر أتباعه فحاصر القيروان وضيّق عليها الحصار مدة ثمانية أشهر حتى أكلوا الكلاب والدواب.فخاض معه قائد إفريقية عمر بن حفص معارك ضارية قُتل في آخرها عمر بن حفص، فعزّز الخليفة قواته في المنطقة فقضت على تلك الحركة، وقيل إن المعارك التي خاضها جيش الخلافة ضد أبي حاتم بلغت ثلاثمائة وخمسة وسبعين معركة[٣].

ومن أشهر الخارجين على الرشيد الوليد بن طريف التغلبي الذي استولى على الجزيرة ونصيبين ووصل إلى أرمينية وأذربيجان، فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني وقد أراد يزيد أن يطاوله ليضعفه ويمكر به، إلا أن البرامكة كانت في

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٨، ص٣٦٨،٣٦٩.

٢ ـ المصدر السابق: جـ٨، ص٤٠٤ ـ ٤٠٨.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٥٩٩ـ٦٠١.

نفوسهم حزازة عليه فقالوا للرشيد: إنما يتجافى يزيد على الوليد للرحم لأن كليهما من وائل، وأخذوا يهوّنون من أمر الوليد فكتب الرشيد إلى يزيد:"لو وجّهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصّب، وأقسم بالله إن أخّرت مناجزته لأوجّهن إليك من يحمل رأسك"، فتحرك يزيد من فوره وأفلح في قتل الوليد[١] سنة ١٨٩هـ / ٨٠٥م فقامت أخته الفارعة بنت طريف بقيادة الجيش مكانه، فأسرها يزيد ثم أطلقها[٢]، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن الوليد كان مدعوماً من أسرته وأنهم كانوا على مذهبه، وقد رثت الفارعة أخاها الوليد بقصائد لاتزال مضرب المثل في الرثاء ومن ذلك قولها:

فيا شجر الخابور مالكَ مورقاً * كأنك لمْ تجزَعْ على ابن طريف
فتىً لا يحبُ الزادَ إلا منْ التُقَى * ولا المالَ إلا منْ قنا وسيوف
فلا تجزَعَا يا ابني طريف فإنني * أَرَى الموتَ نزَّالاً بكُل شَريف

وفي الجزيرة الفراتية أيضاً خرج عبد السلام بن هشام اليشكري وكثر أتباعه بها وكان ذلك أيام المهدي، فبعث إليه المهدي الجيش تلو الجيش وهو يهزمهم أول بأول، ثم وجّه إليهم شبيب بن واج في قوة كبيرة شجعها المهدي بأن جعل لكل جندي ألف درهم، فهزموا عبد السلام وقتلوه وكان ذلك عام ١٦٠هـ/ ٧٧٧م[٣]. في نفس السنة كان خروج يوسف بن إبراهيم البرم بخراسان ناقماً على المهدي وسيرته فتبعه خلقٌ كثير، فبعث إليه المهدي يزيد بن مزيد الشيباني فالتقوا في معركة أُسر فيها البرم، وبُعث به مع وجوه أصحابه إلى الرُّصافة فأمر المهدي بقطع يدي يوسف ورجليه وضَرْب عنقه مع أصحابه وصلبوا جميعهم على جسر دجلة[٤].

---

١ ـ المصدر السابق: جـ٦، ١٤١ـ ١٤٣.

٢ ـ المصدر السابق، جـ ٦، ص١٤١ ـ ١٤٣.

٣ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٧١٦.

٤ ـ المصدر السابق: جـ٨، ص٧٠٦.

وهكذا فإن ثورات الخوارج ومع كثرتها لم تنجح في إقامة دولة في المشرق عدا الإباضية في عمان ذات الطبيعة الجغرافية الوعرة التي ساعدتهم في الاستقلال الذي كانوا ينزعون إليه متأثرين بنظريتهم الخاصة تجاه الخلافة الوراثية في بغداد ومن قبلها دمشق، أما في المغرب فقد كان لطبيعة أهلها الأثر الأكبر في نشر المذهب الخارجي، فقد كانوا منذ أسلموا مخلصين في عقيدتهم يشتركون في جميع المعارك التي يخوضها الجيش الإسلامي، وكانوا عندما يعاملون بالرفق والعدل كما وصفهم الطبري:"من أسمع أهل البلاد وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك أحسن أمة سلاماً وطاعة". ولكن عندما بدأوا يحسون بالظلم من الولاة وأنهم لا همّ لهم إلا جمع الأموال والتحف والهدايا وبعثها إلى الخليفة، وقد كتبوا الرسائل للخليفة يشكون ما حلَّ بهم من ظلم وجور، ولما لم يجدوا آذاناً صاغية وكان دعاة الخوارج بين ظهرانيهم تبعوهم وأخلصوا لهم كما أخلصوا لدولة الخلافة من قبل، وبايعوا عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الإباضية، الذي اتخذ تاهرت عاصمة له وكان ذلك سنة ١٣٦هـ/ ٧٤٥م[١].وكان يجاور الدولة الرستمية[٢] دولة الصفرية التي اتخذت سجلماسة عاصمة لها (١٤٠ ـ ٣٤٧هـ/ ٧٥٧ ـ٩٥٨م). وقد تمت بين عبد الرحمن بن رستم وملك الصفرية علاقة مصاهرة كان لها أثرها الفاعل في حفظ حبل الود بين الدولتين، وهذا من حنكة عبد الرحمن بن رستم ومعرفته بالأمور.وهذا يدلُّ على أن الخوارج غيّروا طريقتهم، ولم تَعُدْ غايتهم قتال من خالفهم، وإنما أصبحت لهم أهداف سياسية تجلّت في إنشاء دولة خارجية.

---

١ ـ سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني النفوسي: كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مطبعة الأزهار البارونية، بدون تاريخ، جـ١، ص١ـ١١.

٢ ـــ الدولة الرستمية:أنشأها عبد الرحمن بن رستم وبنى مدينة تاهرت سنة ١٤٤هـ / ٧٦١م، وجعلها عاصمته، استمرت دولته قرناً ونصف إلى أن قضى عليها الفاطميون سنة٢٩٦هـ/ ٩٠٨م.يُنظر محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ١٩٧٦م، ص١٠٨.

خامساً: الموالي وموقفهم من الدولة العباسية:

الموالي جمع مولى والمولى يعني عند العرب:الربّ والمالك والسيّد والناصر والحليف والمعتَق، ويُلاحظ في هذه المعاني جميعها أنها تدور حول النصرة والمحبة[١]. وأصل الولاية:المحبة والقرب[٢]. وقد كان نظام العرب في الجاهلية مبنياً على القبيلة، وكانت كل قبيلة تسعى جاهدةً لربط نسبها بإسماعيل عليه السلام، وهنالك بعض القبائل التي تلجأ إلى قبائل أخرى لها مكانتها فتحتمي بها وتصبح مولى لها فيضيع نسبها.وعندما جاء الإسلام اكتسب مفهوم الموالي معنىً اصطلاحياً قُصدَ به: كل من أسلم من غير العرب، فالموالي إما أن يكونوا في أصلهم أسرى حرب استرقوا ثم أعتقوا، وإما أن يكونوا من أهل البلدان المفتوحة انضموا حين إسلامهم إلى العرب فصاروا موالي بالحلف والموالاة[٣].وهذا المفهوم فيه إشارة واضحة إلى أن الموالي كتلة من أجناس عديدة ارتبطت برباط العقيدة، وأن الولاء مفهوم إسلامي ينخلع فيه المسلم نهائياً عن بيئته قبل إسلامه ويتصل ببيئته الإسلامية، ويعتبر الولاء نوعاً من المؤاخاة بين المسلمين العرب وأهل البلاد الأخرى، وقد عاد الولاء على الإسلام بالخير الكثير، فلو لم يكن له إلا إقبال الناس على الإسلام ودراسته وبروز حركة التعريب لكفى، وقد تأكد هذا المفهوم عندما قام الرسول ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، حيث تم الاستعلاء على القبيلة برباط العقيدة وأصبح المسلمون كالجسد الواحد وقام بنيان دولتهم على أسس قوية منذ عهد النبوة، ولكن هنالك مسألة مهمة لابد من اصطحابها عند دراسة أمر الموالي وهي أن العربي بطبعه متصف باعتزازه بنفسه ولو على وجه غير حق، فكان في جاهليته على الرغم من تأخره يغالي في تقدير نفسه، ورفض المنذر ملك الحيرة لزواج كسرى من ابنته خير دليل

---

١ ـ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، جـ١٥، ص٤٠٩

٢ ـ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: الفرقان بين الحق والباطل، تحقيق يوسف غزال، بيروت، دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٧.

٣ ـ عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، مصدر سابق، جـ١، ص١٤٤،١٤٥.

على ذلك[1].وقد جاء الإسلام وحارب هذه النظرة المتعالية ولكنها لم تمح تماماً والشواهد لا تزال موجودة حتى يومنا هذا، ولكن الروح الإسلامية كثيراً ما تتغلب على هذه الصفة التي لا يمكن أن تُنْعَت بها سياسة دولة، كما أنها لا تمثل الرأي العام المسلم بأي شكل من الأشكال. والقصص التي تمتلئ بها كتب الأدب والتاريخ ليست إلا حوادث فردية أو مسامرات لا تمثل سياسة دولة أو اتجاهاً عاماً لأمة الإسلام.فقد ذكر لنا التاريخ حوادث عديدة تزوج فيها الموالي بعربيات وتزوج العرب من غير العربيات، وكان هذا التزاوج من أبلغ وسائل نشر الدعوة الإسلامية منذ عهد الراشدين وعهد الأمويين[2]، وإن كانوا لم يأخذوا حقوقهم كاملة في عصر بني أمية مما دفعهم للمجاهدة على إثبات وجودهم بالانخراط في سلك المتفقهين في الدين، فلم يجرؤوا على المطالبة العلنية بل قاوموا الأمويين بالانخراط في الثورات المختلفة التي قامت ضد الدولة.

وعند قيام الدولة العباسية أتى أبو جعفر المنصور برجل من بني أمية فقال له: إني أسألك عن أشياء فاصدقني ولك الأمان....فعند مَنْ وجدوا الوفاء؟ (أي بني أمية) قال:عند مواليهم.فاستعان المنصور بمواليه[3].وقد شعر الموالي بأثرهم في نجاح الثورة العباسية، وقد نالوا أعلى المناصب إذ أصبحوا وزراء وحاشية الخلفاء وقادة الجيوش، الأمر الذي دفعهم لاستعادة مجدهم الغابر فنهضوا لتشويه سمعة العرب وإبراز مكانتهم السابقة.

---

١ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ١، ص٢٨٨.

٢ ـ يُنظر جميل عبد الله المصري: الموالي وموقف الدولة الأموية منهم، دار أم القرى للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٤٣ـ ٦٨.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٤٩.

كما قام فريق منهم بتشويه تعاليم الإسلام، وإدخال شيء من دياناتهم السابقة ضمن تعاليمه، ومن ثم عملوا على تحقيق استقلالهم والوقوف في وجه الخلافة مما أسفر عن بروز حركات متعددة لها غايات دينية وقومية، امتشق الموالي في بعضها الحسام لتحقيق أهدافهم، وناضلوا نضالاً سلمياً في بعضها الآخر، سنأخذ نموذجاً للحركات المسلحة التي قام بها الموالي، وآخر للحركات السلمية.

من الحركات المسلحة التي قام بها الموالي ضد الدولة العباسية:ثورة الراوندية، وهي حركة فارسية عُرفت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة راوند قرب نيسابور، وقد سبقت قيام الدولة العباسية ثم برزت إلى السطح في عصر أبي جعفر المنصور، ثم تمزقت إلى فرق بسبب اختلافهم حول مشروعية وراثة العباسيين للخلافة.وتتجسد عقيدة الراوندية في الاعتقاد بتناسخ الأرواح، وتقديس الملوك وجعلهم في مصاف الآلهة، فرأى بعضهم أن الإمامة العباسية ورثت شرعيتها من أبي هاشم، ورأى آخرون أن الإمام بعد النبي ﷺ هو العباس بن عبد المطلب، وأنه أورث الإمامة ابنه عبد الله، وهكذا حتى حفيده محمد بن علي، وبعد مقتل أبي مسلم الخراساني رأى بعضهم أن الإمامة انتقلت إلى إبراهيم الإمام ومنه إلى أبي مسلم فظهرت فرقة الأبي مسلمية، ورأت فرقة أخرى أن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، فأظهروا تقديسهم له على الطريقة الفارسية. وقد يكون الهدف من ذلك إثارة العرب ضد الخليفة انتقاماً منه لقتله أبا مسلم.فقام المنصور بسجن عدد منهم لما تبيّن له أنهم يريدون إعادة المجوسية، فهاجموا السجن وكادوا أن يقضوا على الخليفة، مما جعله يفكر في إيجاد حرس خاص من الفرسان يتناوبون على حراسة قصره[١].

أما الصراع السلمي الذي قام به الموالي ضد العباسيين فتمثله حركة الزندقة.والمقصود بالزنادقة الملحدون الذين لا يؤمنون بوحدانية الله وأنكروا تعاليم الإسلام، وقاوموه سراً وعلناً. وهم فرق كثيرة، غالبها من الفرس الناقمين على

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٧، ص٥٠٥.

العرب، ومنهم من تظاهر بالإسلام وأبطن عقائد الفرس القديمة، كالمجوسية التي تمجِّد النار، والمزدكية والمانوية التي تقول بالحلول والتناسخ وتبيح المحرمات[١].

ظهرت الزندقة في أواخر العصر الأموي وكان عدد الزنادقة قليلاً، فقد أُتهم بها عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك، كما أُتهم بها الوليد بن يزيد[٢]، وبعد قيام الخلافة العباسية نشطت حركة الزندقة في الكوفة وبغداد وغيرها، وتكلّم الجاحظ الذي عاش في عصر المأمون عن كتب الزندقة، وعزا أسباب انتشار الزنادقة في تلك الفترة إلى ثورة البحث العلمي التي انتظمت البلاد والرغبة الجامحة في الحصول على العلوم من الأمم الأخرى، فتسلل الزنادقة من خلال هذه الزاوية، إضافة إلى ذلك فبعد أن تسلق الفرس سلم الدولة الوظيفي عملوا على استعادة مجدهم وذلك عن طريق نشر مذاهبهم خفية لتكون بديلاً للإسلام، فعملوا على نشر المانوية والزرادشتية والمزدكية فكان من ذلك انتشار الزندقة.

غلبت فكرة القومية الفارسية عند الزنادقة، فحاولوا تحقيق فكرتهم عن طريق الثورات، فلم يفلحوا، ولم يعرف عن المنصور إمعانه في اضطهادهم، وكانت سياسته على ما يظهر قمع الفتن الظاهرة فقط.

فلما جاء المهدي كان من أظهر أعماله ملاحقة الزنادقة، لأن الزندقة انتشرت انتشاراً واسعاً حتى أنها دخلت بيوت الوزراء والشعراء. فقد اتهم ابن الوزير معاوية بن يسار بالزندقة، فأمر المهدي والده بأن يقتله فطلب منه بعض الحضور أن يعفيه ويتولى ذلك غيره[٣].ثم أنشأ المهدي ديواناً للزندقة وذلك من أجل مطاردتهم ومحاكمتهم[٤]، كما أمعن المهدي في قتل الزنادقة وتتبعهم في كل مكان .

---

١ ـ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي:فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، القاهرة، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، ص٣٢.

٢ ـ أحمد أمين: فجر الإسلام، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٦٥م، ص١٠٨.

٣ ـ محمد بن علي بن طباطا الطقطقي: الفخري في الآداب، مصدر سابق، ص ١٦٣ ،١٦٤.

٤ ـ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، مصدر سابق، ص٢٧٣.

وقد سار الهادي على خطا أبيه، حيث قتل منهم أعداداً كبيرة، وكان ممن قتلهم يزدان بن باذان كاتب يقطين[١]. ولما تولى هارون الرشيد الخلافة، سار على سياسة أبيه وأخيه، واستمر ديوان الزنادقة في عهده، وعاقب من ثبتت تهمته بالزندقة ومن هؤلاء: يونس بن أبي فروة، ويزيد بن الفيض، وبالرغم من ذلك فقد انتشرت الزندقة في عصره بين العرب، فقد اعتنقها صالح بن عبد القدوس والشاعر مطيع بن إياس[٢].

واستمرت الزندقة في عصر المأمون الذي قتل مجموعة منهم[٣] وتسربت في بلاط المعتصم، ودان قائده الأفشين بها، وقد ثبت اعتناقه لها بمحاكمة أجريت له وكان يرمي إلى قلب المملكة الإسلامية ومحو الخلافة وإعادة دولة الفرس بلغتها ودينها[٤]. وهكذا استمرت الزندقة في البروز حتى أصبحت معروفة، هذا وقد كان الاتهام بالزندقة من بين الوسائل التي استخدمها بعض العلماء والأدباء لتصفية خصوماتهم مع منافسيهم وأعدائهم.

أما أبرز الميادين التي ظهر فيها الصراع السلمي للموالي فقد كان حول منصب الوزارة.

ولم يكن منصب الوزارة معروفاً عند الخلفاء الراشدين أو الأمويين، فقد ظهر أول مرة في العصر العباسي الأول، وكانت مرتبة الوزير تأتي بعد مرتبة الخليفة مباشرة فكان يصرف أمور الدولة وينوب عن الخليفة ويجمع في يده السلطتين

---

١ ـ أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، جـ ١، ص١٤٢.

٢ ـ المرجع السابق: جـ ١، ص١٤٢.

٣ ـ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصدر سابق، جـ ٤، ص ٩، ١٠.

٤ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل، مصدر سابق، جـ ٦، ص ٥١٠ ـ ٥١٦.

العسكرية والمدنية[١] وقد كان للفرس النصيب الأوفر في هذا المنصب، وذلك لقناعة الخلفاء بكفاءتهم في تصريف شؤون الدولة.

ففي عهد أول خلفاء بني العباس اتخذ أبو العباس أبو سلمة الخلال وزيراً له وهو فارسي الأصل، ثم لم يلبث أن اتهمه بالسعي إلى تحويل الخلافة إلى العلويين فقتله[٢].ثم اتخذ خالد بن برمك وزيراً له[٣]، ولما جاء المنصور اتهم خالد باختلاس أمواله فألزمه برد المبلغ، واستبدله بأبي أيوب المورياني وهو فارسي، فكان مصيره القتل ولعل أبرز أسباب قتله ازدياد نفوذه، لأن المنصور لم يكتف بالقضاء عليه بل تتبع أقاربه[٤].ثم استوزر الربيع بن يونس فبقي فيها إلى أن توفى الخليفة، ويبدو أن المنصور كان لا يعوّل كثيراً على الوزير بل يشرف على كل شيء بنفسه.وفي عهد المهدي برز دور الوزراء بصورة واضحة، ولعل ذلك راجع إلى شعور الخليفة بكفاية وزرائه، أو لأنه ليس من طراز سلفه الذين يحبون الوقوف على كل صغيرة وكبيرة بأنفسهم، فاستوزر أبا عبيد الله معاوية بن يسار الأشعري وهو عربي من أهالي فلسطين، ولكنه أُبعد عن الوزارة بعد قتل أبنه لاتهامه بالزندقة[٥]، فخلفه يعقوب بن داؤد، وهو من الموالي، وفوّض إليه أمور الدولة كلها فعلا شأنه وأظهر انحيازه للزيدية فولاهم بعض أمور الخلافة في المشرق والمغرب، فانقلب عليه الخليفة وأودعه سجن بغداد[٦].واستوزر المهدي بعده الفيض بن صالح، وكان من نصارى

---

١ ـ عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، مصدر سابق، جـ١، ص٢١١.

٢ ـ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري: الوزراء والكتاب، مصدر سابق، ص٩٠.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٤٤٣.

٤ ـ المصدر السابق: جـ٥، ص٦٠٩ـ ٦١٢.

٥ ـ محمد بن علي بن طباطبا الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، مصدر سابق، ١٣٤،١٣٥.

٦ ـ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري: الوزراء والكتاب، مصدر سابق، ص١٥٥ـ ١٦١.

نيسابور أسلم بعد قيام الدولة العباسية، واشتهر بالسخاء والجود، إلا أنه كان متكبراً، بقي في الوزارة طوال الفترة الباقية من حياة المهدي[١].

ولما تولى الهادي الخلافة اتخذ الربيع بن يونس ـ وزير جده المنصور ـ وزيراً له وهو من أصل عربي، إلا أنه ما لبث أن عدل عنه واستوزر إبراهيم بن ذكوان الحراني العربي الأصل، فلم يزل في منصبه حتى وفاة الهادي[٢].

وفي عهد الرشيد بدأ الصراع واضحاً بين الخلافة والوزارة، حين أسند أمر دولته للبرامكة[٣] الذين حاولوا استغلال منصبهم للانقضاض على الدولة العباسية واستعادة ملك آبائهم، ويعتبر خالد بن برمك من أشهر دعاة العباسية في خراسان، وكان ابنه يحيى والي المنصور على أذربيجان، ثم اختاره المهدي مؤدباً ومربياً لابنه الرشيد الذي نشأ متأثراً بتلك الأسرة، ثم أسند المهدي ليحيى الإشراف على الأقاليم الغربية، وعمل يحيى على تثبيت ولاية العهد للرشيد[٤]، فعظم أمره بعد أن اعتلى الرشيد عرش الخلافة، فقد دعاه الخليفة وقال له:"يا أبت أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك. وقد قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم بما ترى واستعمل من شئت، واعزل من رأيت، واعرض من رأيت، واسقط من رأيت، فإنني غير ناظر معك في شيء"[٥].ثم أسند الرشيد لأبناء يحيى إدارة الدولة، فقد أعطى الفضل مشرق الدولة، وأسند لجعفر الأقاليم الغربية،

---

١ ـ المصدر السابق: ص١٦٧.

٢ ـ المصدر السابق: ص١٦٧.

٣ ـ البرامكة: ينسبون إلى برمك الذي كان يقوم بشؤون معبد للمجوس في خراسان، وقد عاصر برمك الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك وقد اعتنق الإسلام.

٤ ـ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري: الوزاراء والكتاب، مصدر سابق، ص١٧٠.

٥ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق؛، جـ٨، ص٢٣٣.و عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٦، ص١٠٧.

وهكذا أصبحت الدولة في أيدي بني برمك وقد اشتهروا جميعاً بحسن إدارتهم.ثم تغيّر الخليفة على البرامكة بعد عودته من الحج عام ١٨٦هـ/ ٨٠٢م، فأمر بقتل جعفر بن يحيى وسجن أخوته وحجر يحيى في بيته، وأصدر أوامره بمصادرة أموالهم وأملاكهم في الأقاليم[١].

وتعتبر قضية البرامكة ومصيرهم من القضايا التي عالجها المؤرخون القدامى والمعاصرون، ولسنا هنا بصدد تناول هذا الموضوع، فقط الذي يهمنا أن نكبة البرامكة مثلت مرحلة من مراحل الصراع بين العرب والعجم، هذا الصراع الذي تمثلت آثاره في ولاية العهد بعد هارون الرشيد الذي جعل الخلافة من بعده لابنه الأمين، تحت ضغط التيار العربي المتمثل في زوجته زبيدة وحجبه الفضل بن الربيع، ثم بايع من بعده بولاية العهد لابنه المأمون إرضاء للجانب الفارسي، وعلى رأسهم البرامكة. فكان الصراع على السلطة والنفوذ هو الدافع الأول الذي حدا بالرشيد إلى التخلص من البرامكة، وهو بلا شك نتيجة حتمية للتضارب بين السيادة المتمثلة في الخلافة وبين الوزارة، كما أن فقد الأسرة البرمكية كان خسارة فادحة للدولة العباسية[٢].

وحين اعتلى الأمين عرش الخلافة جعل الفضل بن الربيع حاجب أبيه وزيراً له، بينما اتخذ المأمون الفضل بن سهل[٣]وزيراً له يعاونه في تدبير المنطقة التي تتبع له، وقد كانت للوزيرين أطماع فعملا على إشعال نار العداوة بين الأمين والمأمون[٤].

---

١ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٦، ص١٧٧،١٧٨.

٢ ـ هَولو جَودَت فرج: البرامكة سَلبياتهم وإيجابياتهم، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص٧٢وما بعدها.

٣ ـ الفضل بن سهل: من أولاد ملوك الفرس، أسلم على يد يحيى البرمكي، اشتهر بسعة الحيلة وشدة الدهاء.

٤ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٣٧٦.

ولما تولى الخلافة المأمون وكان جُلّ وزرائه من أصل فارسي، فبعد الفضل بن سهل اتخذ أحمد بن أبي خالد، وقد كان تخلص المأمون من وزيره الفضل بداية تطلع الفرس إلى إعادة دولتهم، والعمل ضد الخلافة، وذلك بإنشاء الإمارات الفارسية، كالطاهرية والصفارية والسامانية.أما المعتصم فقد استوزر عدداً من الوزراء العرب منهم الفضل بن مروان، ثم أحمد بن عمار ثم عزله واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات الذي استمر في الوزارة بقيّة خلافة المعتصم وخلافة الواثق[١].وهكذا ظلّ النزاع قائماً مع الوزراء الذين كان غالبهم من الفرس، وقد اتخذ هذا الصراع مظهراً عنصرياً سياسياً وهو في حقيقته نزاع على مدى صلاحيات كل من الخليفة والوزير، ثم تطور الأمر إلى سعي الفرس لاستعادة ملك آبائهم، وقد وضع فقهاء السياسية الإسلامية شروطاً لمنصب الوزارة وقسموها إلى قسمين: وزرارة تفويض ووزارة تنفيذ وهي شروط لا تستبعد الموالي عن هذا المنصب[٢].

---

١ ــ محمد بن علي بن طباطبا الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، مصدر سابق، ص٣٣٢ـ٣٣٥.

٢ ـ علي بن محمد الماوردي: الأحكام السلطانية، مصر، ١٢٩٨هـ، ٢٨،٢٩.

الفصل الأول

أوضاع بلاد السند من الفتح الإسلامي

حتى نهاية العصر العباسي الأول

(١) أوضـــاع بـــلاد السند السياســـية.

(٢) أوضـــاع بـــلاد الســند الديـــنية.

(٣) أوضـاع بـلاد السند الاجتماعـية.

أوضاع بلاد السند من الفتح حتى نهاية العصر العباسي الأول

بلاد السند التي تضمها اليوم باكستان الإسلامية بدأت أظهر أدوارها التاريخية بالفتوحات الإسلامية وأخصّها تلك التي استهلها الفاتحون الأمويون في أواخر القرن الهجري الأول، ثم تلاهم العباسيون الذين فتحوا أبواب المنطقة أمام العلماء والمؤرخين المسلمين، فدرسوا أحوالها، وكشفوا عمّا كان بها من حضارات ومدنيات عريقة تقصّوا أسسها وتفصيلاتها.

وتاريخ بلاد السند القديم غالبيته يكتنفه الغموض الشديد، ولولا وجود القليل منه الذي استشفه المؤرخون من الكتب الدينية القديمة، وما وصل إلينا من الرحالة الإغريق والصينيين، لظلّ ماضي البلاد مجهولاً.فالذي يُحمد للمسلمين بعد دخولهم السند أنهم حفظوا لتلك البلاد تاريخها، وأظهروا للعالم الكثير من تراثها، ونهلوا منه المفيد في مختلف فنون المعرفة، ونقلوا لأمة الإسلام أجمل ما حوته حضارة السند. ومما لاشك فيه أن الحِقَب المتتالية التي مرت بها بلاد السند في عصر الدولة الإسلامية قد أثرت في المنطقة، بدءاً بالدولة الأموية ومروراً بالدولة العباسية، فكان لابد من تسليط الضوء على أوضاع المنطقة من الناحية السياسية والدينية والاجتماعية، في كلٍ من العصرين الأموي والعصر العباسي الأول، وذلك من أجل الوقوف على حجم التغيير الذي أحدثه الإسلام في المنطقة على كافة الأصعدة، وكذلك معرفة مدى استفادة المسلمين من حضارة بلاد السند وماذا أضافت للإسلام.

(١) أوضاع بلاد السند السياسية

سنبدأ الحديث عن أوضاع المنطقة السياسية بدراسة عصر كل خليفة على حدة، وقد كان الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك أول خليفة للمسلمين بعد فتح بلاد السند وعلى يديه كان اغتيال الفاتح محمد بن القاسم، فسيكون في مقدمة الخلفاء الذين سنتناولهم بالدراسة لمعرفة آثارهم على المنطقة وماذا قدموا لها وماذا أخذوا منها، ثم نَتْبَع ذلك بخلفاء العصر العباسي الأول، وسيكون ذلك بشيء من الإيجاز.

أولاً: وضاع بلاد السند في العصر الأموي:

خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م)[1]

انتهت حياة محمد بن القاسم الثقفي على النحو الذي ذكرنا[2]، وطُويت صفحته وخلّف وراءه غرساً ليس من السهل رعايته، سيما وقد تربع على عرش الدولة سليمان بن عبد الملك الذي جاء إلى الحكم بنفس متعطشة للانتقام من الذين سعوا لخلعه من ولاية العهد، فقام بعزل كل من أيّد الوليد ابن عبد الملك في فكرته فكان ابن القاسم أولهم، مما كان له أسوأ الأثر على الدولة الإسلامية بكاملها، فأُوقفت حركة الفتوح واضطربت أحوال البلاد النائية، وخاصة بلاد السند وقامت الثورات ضد المسلمين، وحُرمت الدولة من القادة الأكفاء ووصل الحال بالعرب المسلمين إلى حمل السلاح على بعضهم،

---

١ ـ سليمان بن عبد الملك:بُويع بالخلافة بعد أخيه الوليد سنة٩٦هـ/ ٧١٤م، كان ديناً فصيحاً مفوهاً محباً للغزو، جهز جيوشه مع أخيه مسلمة براً وبحراً لمنازلة القسطنطينية فحاصرها مدة، قال عنه ابن سيرين: يرحم الله سليمان، افتتح خلافته بإحياء الصلاة واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي:سير أعلام النبلاء: مصدر سابق، جـ ٣، ص٥١٨.

٢ ـ انظر الأطروحة ص٣٥.

وقد عمل لسليمان على السند عدد من الولاة، أولهم يزيد بن أبي كبشة السكسكي(٩٦هـ/ ٧١٤م)[١]، الذي جاء إلى السند لا فاتحاً ولا غازياً، ولكنه أتى بكتابٍ من الخليفة، عيّنه بموجبه حاكماً على البلاد، فقام بعزل محمد بن القاسم، فلم يحفظ له التاريخ في تلك المنطقة سوى أخذه فاتح السند مقيّداً إلى حاضرة الولاية العراقية واسط.

ولم يكد يزيد بن أبي كبشة يفرح بمنصبه الجديد، ودولته الواسعة حتى جاءه النذير، فقد كان له الموت راصداً فتوفى بعد قدومه السند بثمانية عشر يوماً[٢]. فخلفه على السند حبيب بن المهلب (٩٧ـ٩٩هـ/ ٧١٥ـ٧١٧م)[٣]، وحينها كانت البلاد تموج بالفتن والاضطرابات فاضطر المسلمون العرب لترك بعض المناطق التي كانوا يحكمونها وعادت كثير من القبائل السندية التي كانت تعيش وسط العرب إلى مساكنها الأصلية، واستغل الأمير السندي جيسيه بن داهر هذه الأوضاع فاستولى على ولاية برهمناباد[٤].

وصل حبيب بن المهلب إلى السند ونزل على شاطيء نهر السند وحارب أهل مدينة الور (العاصمة) فهزمهم، ثم طلبوا منه الأمان فأمنهم، ثم اتجه إلى بقية

١ ـ يزيد بن أبي كبشة السكسكي:ذكره أبو ذرعة الدمشقي في الطبقة الثانية فيمن ولي السرايا وذكره أبو الحسن بن سميع في الطبقة الثالثة، وقال كان يلي الصوائف، وكان عريف السكاسك، يُنظَر يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين بن الزاكي أبي محمد المزي: تهذيب الكمال، مصدر سابق، جـ٢٠، ص٢٤٣، و شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٣، ص٣٣١.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٤، وعبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص٨٠.

٣ ـ حبيب بن المهلب بن أبي صفرة: أخو يزيد بن المهلب والي العراق وخراسان، يُنظَر عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٣، ص٨٠، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص٣٦٨.

٤ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٤.

المناطق فأخضع أكثرها ونجح في إعادة الاستقرار بها، بيدَ أنه لم يتمكن من التوجه إلى برهمناباد، وبعد سنتين عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز بتهمة الاشتراك مع أخيه يزيد ضد الخلافة سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م[١].

خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)[٢]

جاء إلى الخلافة زاهداً فيها، وقد اشتهر بالعدل والإنصاف، وعيّن على بلاد السند عمرو بن مسلم الباهلي (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م)[٣]، فبذل جهوداً كبيرة لتوطيد الأمن والاستقرار، وفي سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م كتب الخليفة إلى الأمراء والأعيان والقادة في السند داعياً لهم إلى الإسلام ومتعهداً لهم إن استجابوا بأن يقرهم في مناصبهم الحكومية ويكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. وكانت سيرة الخليفة الحسنة قد بلغت هؤلاء القادة، كما أن واليه عمرو قد عمل كل ما في وسعه لإقناع هؤلاء القادة للاستجابة إلى هذه الدعوة الكريمة، فنجحت هذه السياسة ودخل كثير من الأمراء والزعماء في الإسلام، وتسموا بأسماء إسلامية،

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٧، ص٤٩وما بعدها.

٢ ـ عمر بن عبد العزيز:ولد بالمدينة سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما مات أبوه أخذه عبد الملك بن مروان إلى دمشق وزوجه ابنته فاطمة، توفي بدير سمعان في رجب سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً.خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي: الوافي بالوفيات،دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ ، ص ٣٦٠.

٣ ـ عمرو بن مسلم الباهلي: أخو قتيبة بن مسلم، يُنظَر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: البلدان وفتوحها، مصدر سابق، ص٦٢٠، وحسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي٢١-٤٤٧هـ، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٩٩، Muhammad Zaki: Arab accounts of India P.54Dllhi India

ومن بين هؤلاء الأمير جيسيه بن داهر الذي سبق أن خرج على الدولة الإسلامية واستغل بإقليم برهمناباد[١].

خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١ـ١٠٥هـ/٧١٩ـ٧٢٣م):

استقبلته البلاد بموجات من الفتن، أولها هروب أحد زعماء اليمانية وهو يزيد بن المهلب وأخوته من السجن واستيلاؤه على الولايات الشرقية، وإرساله جيشاً يقوده وداع بن حميد الأزدي إلى بلاد السند. فتحصّن وداع في قندابيل وأعدّها لتكون ملجأً لآل المهلب إذا اضطروا للهروب مرة ثانية.أما زعيم اليمانية يزيد بن المهلب فقد أتى البصرة وغلب عليها وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك، عدي بن أرطأة الفزاري فحبسه وأعلن خلع طاعة الخليفة[٢]إلا أن الخليفة يزيد قد تمكن من هزيمته والقضاء عليه وأعاد البصرة مرة أخرى إلى الطاعة.فاضطر معاوية بن يزيد بن المهلب إلى ترك المنطقة والتوجه مع أعمامه وأخوته إلى مكران ومنها إلى قندابيل للإقامة فيها.

وحينما علم والي العراق مسلمة بن عبد الملك بخبرهم قرر ملاحقتهم فأرسل إليهم قائده هلال بن أحوز التميمي (١٠١ـ١٠٦هـ/ ٧١٩ـ٧٢٤م)، الذي توجه من فوره إلى قندابيل حيث آل المهلب فأوقع بهم، وقتل جمعاً كبيراً منهم حتى قيل إنه أفناهم عن آخرهم، فلم يترك شاباً بلغ الحلم منهم إلا وقطع عنقه، وكان ذلك سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م[٣]، ولما عُزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق تولاها عمر

---

١ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٤ـ٤٨٥.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٧، ص٤٨٢، ٤٨٣، وأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣١٠.

٣ ـ يُنظَر خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص٢١٤.

بن هبيرة الفزاري، فولي السند من قِبَله عبيد الله بن علي السلمي ثم عزله وولاها عبد الحميد بن عبد الرحمن من مرة غطفان[1] .

خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ـ١٢٥هـ/٧٢٣ـ٧٤٢م):

انتقلت الخلافة بعد وفاة يزيد إلى أخيه هشام بن عبد الملك سنة١٠٥هـ/ ٧٢٣م[2]، الذي جلس علي عرش بني أمية عشرين عاماً، أعاد فيها الاستقرار للدولة وقضى على الخلافات القبلية، وعمَّ الهدوء أرجاء البلاد بما فيها بلاد السند، لما حظيت به من ولاة أقوياء حققوا انتصارات تجاوزت حدود السند إلى المناطق المجاورة.

فكان أول ولاته على السند الجنيد بن عبد الرحمن المري (١٠٧ـ١١١هـ/ ٧٢٥ـ٧٢٩م)[3]الذي توجه بجيشٍ كبير من دار الخلافة حتى نزل مدينة الديبل، ومنها بدأ جولته على بقية مدن السند، فسار محاذياً نهر مكران حتى اقترب من ولاية برهمناباد، التي استولى عليها الأمير جيسيه منذ

---

١ ـ المصدر السابق: ص٢١٤، و أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٧، ص٥٢٢.

٢ ـ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص٢١٢، و أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ، مصدر سابق، جـ٧، ص٥٤٦.

٣ ـ الجنيد:هو الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث بن خارجه بن سنان بن أبي حارثه كان والياً على السند ثم خراسان عزله هشام بن عبد الملك عنها لما بلغه أنه تزوج بنت يزيد بن المهلب، مات بمرض الاستسقاء سنة١١٦هـ/ ٧٣٤م، كان ذا فضل وسخاء وأحد زعماء اليمانية، يُنظَر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص٢٥٢، والقاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري:رجال السند، مرجع سابق، ص٣٧١، وعز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير:الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٤، ص٥٨٩،٥٩٠، وعبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣،ص ١١٠.

وفاة محمد بن القاسم، ثم أقره عليها الخليفة عمر بن عبد العزيز لما أعلن إسلامه.

أراد الجنيد دخول برهمناباد فمنعه الأمير جيسيه وأرسل إليه يقول:"إني قد أسلمت وولاني الرجل الصالح بلادي ولست آمنك"، وكان الجنيد داهية فطناً فلم يبد غضبه، وحاول حل المشكلة بالوسائل السلمية، خاصة وأن هذا القائد يتبعه حكام وقواد في مناطق السند المختلفة، فطلب من الأمير جيسيه تقديم رهن له، والتعهد بأداء ما على ولايته من خراج وجزية، فأجاب طلبه، ولكن مع ذلك بقي كل واحد منهما يترقب الآخر ويستعد لمواجهته، ويعد العدة اللازمة لذلك من أسلحة ومراكب حربية، ثم تطورت الأحداث بصورة أدت إلى نشوب معركة بحرية بين الطرفين في منطقة (بطيحة الشرقية)[١]، أُسر فيها الأمير جيسيه فأمر الجنيد بقتله في الحال[٢].

ولما حاول دهرسيه بن داهر ـ أخو جيسيه ـ الهروب إلى العراق ليشكو للخليفة ظلم الجنيد وقتله أخاه، احتال عليه الجنيد وأشاع تعاطفه معه وعزمه على إنصافه، فاطمأن إليه دهرسيه ووضع يده في يده، إلا أنّ الجنيد قد غدر به وقتله هو الآخر[٣].ولعلّ الجنيد كان مدفوعاً في تصرفه هذا بالشك في علاقة الأخوين بحكام الهند وتآمرهم ضد المسلمين فأراد أن يضمن استقرار البلاد بالقضاء عليهما، وبعد ذلك قام الجنيد بفتوحات متتالية داخل السند، فتوجه نحو مدينة الكيرج، فتجمع أهلها وخرجت جيوشهم إلى حدود المدينة لملاقاته، وهناك دارت معركة حامية،

---

١ ـ بطيحة الشرقية:يرى ماجمدار الهندي أن بطيحة الشرقية هي بحيرة ساركي السندية، الغزو العربي للهند: مرجع سابق، ص٢٧.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٥، وقد ذكر سبب قتال الجنيد لجيشه هو ارتداده عن الإسلام، منفرداً بذكر هذه الحقيقة، لكن الواقع أن محاولة هروب دهرسيه أخو جيسيه إلى العراق وشكواه للخليفة تدل على أنهما مسلمان، المصدر السابق، ص ٤٨٥.

٣ ـ المصدر السابق، ص٤٨٥،

انجلت عن هزيمة ساحقة لجيوش الكيرج الذين هربوا يتقدمهم أميرهم إلى داخل المدينة وأغلقوا الأبواب دون جند المسلمين، فأمر الجنيد بإطلاق المناجيق، واستخدم آلة حربية تسمى (كباش)[١]استطاع أن يدك بها أسوار المدينة، ودخل المدينة فدارت معركة أخرى داخل أسوار المدينة، قُتل فيها العديد من جنود الكيرج وأُسر الباقون وهرب حاكمها، ولكنه استسلم أخيراً لقوات الجنيد[٢].

وبعد استيلاء الجنيد على مدينتي برهمناباد والكيرج، استقرت الأوضاع داخل السند وساد الهدوء كل الأرجاء، فاستغل الجنيد هذه الظروف واتجه ناحية حدود السند الجنوبية الشرقية المتصلة بإقليم كجرات في بلاد الهند لتأمينها خاصة وأن هذا الإقليم كان مصدراً للأسلحة والقوات والمساعدات العسكرية للأمير جيسيه في حروبه ضد الوالي الأموي، فكان لابد من القضاء على بؤرة المشاكل والأخطار، فجهَّز جيشاً ضخماً زحف به نحو مدينة الكيرج، وتمكن من فتح كل المدن الواقعة في إقليم كجرات، ونشر الأمن في ربوع البلاد ثم رجع إلى العاصمة، ويمكن القول أن الجنيد انتصر داخل السند وخارجها، وعلا صيته لدرجة أن خشيه ملك كشمير وطلب نجدة إمبراطور الصين ووضع نفسه تحت حمايته[٣]. فأعاد إلى الذاكرة أعمال محمد بن القاسم، وجمع العديد من المغانم وترك في خزينة الدولة أربعين ألف ألف (مليون) درهم، وحمل مثلها معه، ومنح الكثير من العطايا[٤]حتى أثنى جرير عليه وامتدح جوده في قوله :

أصبحَ زُوّار الجنيد وصحبه * يحيون صلت الوجه جماً مواهبه[٥]

---

١ ـ كباش:آلة من خشب وحديد تجرها الخيول يدق بها الحائط فيتهدم، يُنظَر عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص٦٦.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٥.

٣ ـ S.M.Ikram.History of Muslim civilization p.14

٤ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٥.

٥ ـ المصدر السابق: ص٤٨٥.

ونظَّم أمور البلاد سياسياً واقتصادياً وإدارياً، وامتدت فتوحاته إلى بعض الأقاليم والمدن الهندية وفي مدة لم تتجاوز السنتين استولى على شمال غرب الهند بكامله ولعله لو بقي في ولايته لفتح جميع الأراضي الهندية[1].

وبقي الجنيد حاكماً على البلاد إلى أن نقله الخليفة إلى خراسان سنة ١١١هـ/ ٧٢٩م للقضاء على الاضطرابات فيها، وعيّن مكانه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي[2].ثم خلفه على ولاية السند تميم بن زيد العتبي (١١١ــ١١٢هــ/ ٧٢٩ــ٧٣٠م) بإيعاز من والي العراق خالد بن عبد الله القسري.ولم يكن تميم في كفاءة الجنيد، ولذلك لم يستطع استغلال ما خلّفه الوالي السابق من ازدهار للبلاد واستقرار في ربوعها، وتوافق وتعاون بين القادة والزعماء.فكانت النتيجة بروز الخلافات القبلية وتفاقمها بسبب وقوفه مع اليمانية ضد النزارية (المضرية) ونمو أعداد المعارضين له ولسياسته وازدياد ضغوطهم وتهديداتهم له، وظهور الثورات في مناطق كثيرة من السند وخاصة منطقة الكجرات التي اضطر المسلمون للانسحاب منها، وأمام هذه الاضطرابات والانفلات الأمني اضطر تميم إلى تغيير مكان وجوده، ثم مغادرة السند إلى العراق إلا أنه مات في الطريق قرب مدينة الديبل[3].

فخلفه على إدارة المنطقة، الحكم بن عوانة الكلبي (١١٢ـ١٢١هـ/ ٧٣٠ـ٧٣٨م)، وهو من القواد الذين صحبوا محمد بن القاسم الثقفي أثناء فتوحاته في بلاد السند، وكان والياً على إقليم خراسان من قِبَل الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٩هـ/ ٧٢٧م، ثم عزله سنة ١١١هـ/ ٧٢٩م بسبب فشل

---

١ ـ إحسان حقي:تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص٤٩.

٢ ـ عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص١١٠.

٣ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣١٧، وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٦٢٢.

سياسته وعدم تمكنه من القضاء على أعداء الدولة الأموية من دعاة العباسيين وغيرهم.

ويبدو أن الخليفة قد لمس من الحكم بن عوانة تقدماً في الحنكة الإدارية، وتطوراً في القيادة، فأعاد تعيينه والياً على السند وبالفعل استفاد من أخطاء الماضي فاتخذ سياسةً حكيمة للقضاء على الخلافات بين النزارية واليمنية خاصة وأنه ينتمي إلى العنصر اليمني، فعهد إلى عمرو بن محمد بن القاسم بالأمور الإدارية وحلّ المشكلات المعضلة والنزاع بين القبائل لأنه حجازي مضري ووالده يُحظى باحترام الكتلتين النزارية واليمنية، فكان النجاح حليفه.

و من جانب آخر فقد كان على الوالي الجديد أن يعمل على حماية المسلمين العرب من تجمعات الأعداء، فقرر القيام ببناء مدينة في مكان حصين لتكون موطناً للمسلمين ومقراً لقيادتهم العسكرية، وملجأً لهم في أوقات الفتن والأزمات فاختار لها مكاناً يقع على الشاطيء الشرقي لنهر السند بالقرب من مدينة برهمناباد فشيّدها فيه وأسماها المحفوظة[١]، وبنى بها مسجداً واهتم بعمارتها واتخذها عاصمة للسند الإسلامية بدلاً من مدينة برهمناباد التي غلب عليها سكنى غير المسلمين، وقد أقام بها المسلمون وجيوشهم.

ثم اتجه الحكم إلى القضاء على الفتن الداخلية، فكوّن جيشاً أسند قيادته لعمرو بن محمد القاسم، فاستطاع بمهارته العسكرية ـ رغم صغر سنه ـ أن يقضي على ثورات بعض المدن ويعيدها للحكم الإسلامي، وقد نجح في أداء مهمته بمقدرة وبراعة أعادت للأذهان ذكرى والده الشهيد.وكان نجاح السياسة الجديدة باعثاً على دهشة وتعجب والي العراق خالد بن عبد الله القسري الذي قال: "واعجباً وليت فتى العرب فرُفِض (يعني تميماً) ووليت أبخل الناس فرُضِيَ به (يعني الحكم)"[٢].

---

١ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٦٨، ٤٧٨.

٢ ـ المصدر السابق: ص٤٨٧.

وبقي الحكم والياً على السند لمدة ثمان سنوات[١] إلى أن عُزل خالد بن عبد الله القسري عن حكم العراق بسبب الخلافات القبلية أيضاً، وقُتل بأمر الخليفة هشام بن عبد الملك مما أدى إلى إشعال عشيرته من اليمانية لنيران الفتنة، وتفاقم النزاعات القبلية، وانضمام اليمانية إلى أعداء بني أمية مما عجّل بسقوط دولتهم، وهكذا أضعفت العصبية القبلية بني أمية في الأمصار وأهلكت الجيش وآذنت بزوال سلطانهم، ولا غرو فقد كان هذا العصر محزناً ملأ قلوب الصالحين من المسلمين تشاؤماً بالمستقبل[٢].

وكما هو معروف فإن الاضطرابات في موطن الخلافة، تترك آثارها على الأقاليم ومنها السند، فقد انتهز زعماء السند الفرصة ليثوروا ضد العرب مما اضطر والي السند الحكم بن عوانة لقيادة الجيش بنفسه والنزول عند قندابيل. وفي العراق قام واليها الجديد يوسف بن عمر الثقفي بسجن وتعذيب عُمَّال خالد، فلما سمع الحكم بذلك أيقن أنه سيلحقه ما لحق قومه من اليمانية فواصل حربه ضد الخارجين بشدة وقال:"إما فتح يرضى به يوسف، وإما شهادة أستريح بها منه"، فلقي العدو، فلم يزل يقاتل حتى قُتل في المعركة الفاصلة رغم انتصار جيشه سنة ١٢١هـ/ ٧٣٨م[٣]، وكان قد استخلف على الجيش عمرو بن محمد بن القاسم[٤].

١ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير:الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ ٤، ص٥٩٠.

٢ ـ حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، جـ٢، ص١٣، ١٤.

٣ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ ٢، ص٣٢٤.

٤ ـ المصدر السابق: جـ٢، ص٣٢٤.

وبعد مقتل الحكم بن عوانة تنازع على حكم السند كلٌ من عمرو بن محمد بن القاسم ويزيد بن غزان الكلبي، فلما علم يوسف بن عمر بالأمر كتب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك مستشيراً فردّ عليه:"إن كان عمرو بن محمد قد اكتهل فَوله" فمال يوسف بالثقفية إلى عمروٍ فولاه السند في الفترة (١٢١ـ١٢٥هـ/ ٧٣٨ـ٧٤٢م) وأرسل بعهده إليه، فبدأ بغريمه يزيد بن غزان وحبسه[١].

وعندما تولى عمراً كانت الخلافات القبلية على أشدها في السند وفي غيرها من بلاد الدولة الأموية، وكان خطر ثورات سكان البلاد قائماً، ففكر في إقامة مدينة حصينة أخرى تكون ملجأً للعرب والمسلمين إذا استفحلت الأمور، فبنى مدينة جديدة في الجهة المقابلة للمحفوظة على خليج وكأنها جزيرة، أطلق عليها اسم المنصورة، وجعلها مركزاً لحكومته بسبب موقعها الجغرافي المهم، وقربها من مدينة المحفوظة، وكان ذلك سنة ١٢١هـ/ ٧٣٨م[٢]، وقد استمرت هذه المدينة عاصمة على امتداد فترة الحكم الإسلامي أي على مدى حوالي ثلاثة قرون تقريباً. وقد جاء بناء هذه المدينة ـ كغيرها ـ متفقاً مع النهج الذي سارت عليه الحكومة في كل الأمصار الإسلامية من اختطاط المدن لتكون معسكراً وأساساً لتجمع العنصر العربي المقاتل[٣].

ثم قام عمرو بن محمد بحملات واسعة ضد أمراء السند المناهضين للدولة الإسلامية، وقد أدى ذلك إلى اتحادهم تحت قيادة أحد ملوكهم، وزحفهم بجيوشهم نحو المنصورة وضربهم حصاراً محكماً عليها عجز عمرو بن محمد عن فكّه. فكتب إلى والي العراق يوسف الثقفي الذي أمدَّه بأربعة آلاف مقاتل، فلما سمع ملك

---

١ ـ المصدر السابق: جـ٢، ص٣٢٤.

٢ ـ المصدر السابق: جـ٢، ص٣٢٤.

٣ ـ يُنظَر حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ٢١ـ٤٤٧هـ، القاهرة، ١٩٦٨، ص١٩.

السند الجديد بتحركهم انصرف عن العاصمة[١]. فقام عمرو بن محمد بتجهيز قوة جعل على مقدمتها نائبه معن بن زائدة الشيباني الذي هاجم معسكر الملك السندي وقتل عدداً من أتباعه، وهرب الملك وفزع الجند وأهل السند، فأعاد عَمْرٌ للعرب المسلمين هيبتهم في البلاد[٢].

وكان في معسكر عمرٍو، معاوية بن يزيد بن المهلب الذي جمع حوله عدداً من القواد وأراد القضاء على عمرٍو والاستيلاء على الحكم. وبالفعل هاجم معسكر عمرٍو الخاص واستولى على الأموال والدواب وكان حينها عمراً مشغولاً بإخماد فتنة أهل السند، فعاد فوراً إلى العاصمة وهاجم معاوية فهزمه، ولكنه أفلت من يده فنادى عمرو بن محمد في الناس:" الناس كلهم آمنون إلا ابن المهلب" وعفا عن اليمانية الآخرين، فدلَّه أحدهم على مكانه فقبض عليه وقتله[٣].

وبقي عمرو بن محمد حاكماً على السند إلى أن توفى هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م[٤] وتولى الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك الذي جاء بسياسة مخالفة لهشام فكان يؤيد اليمانية، فقام بعزل ولاة هشام بما فيهم عمرو بن محمد وعيّن مكانه عدوه اللدود يزيد بن غزان الكلبي[٥]، بعد أن أُطلق سراحه من سجن عمرو بن القاسم. وعندما وصل يزيد المنصورة بدأ أولاً بإلقاء القبض على عمرٍو فأوثقه وأمر حرساً يحرسونه، وقام إلى الصلاة، فتناول عمروٌ سيفاً من الحرس فاتكأ عليه مسلولاً حتى خالط جوفه وتصايح الناس، فخرج ابن غزان فقال: ما دعاك إلى

١ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٢٤.

٢ ـ المصدر السابق: جـ٢، ص ٣٢٤.

٣ ـ المصدر السابق: جـ٢، ص٣٢٤.

٤ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٨١.

٥ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٣٣.ويقول ابن خياط أن عمراً بقي على السند حتى قُتل وليد والصحيح ما ذكرنا. يُنظَر خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص٢٣٨.

ما صنعت؟ قال: خفت العذاب، قال: ما أبلغ منك ما بلغته من نفسك، فلبث ثلاثاً ثم مات وكان ذلك سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م[١].

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م):

ابتدر الوليد عهده بعزل ولاة أخيه هشام على الأقاليم، لأنهم وافقوا أخاه الرأي على عزله من ولاية العهد، وبتقريب اليمانية إلى جانبه ليضرب بهم النزارية مؤيدي هشام، فعيّن زعيم اليمانية منصور بن جمهور والياً على العراق، فاختار هذا الأخير قريبه يزيد بن غزان الكلبي والياً على بلاد السند (١٢٥-١٢٩هـ/ ٧٤٢-٧٤٦م)[٢]، فلم يكن له أثر يذكر في عودة الأمن إلى ربوع البلاد.

خلافة مروان بن محمد بن مروان(١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م):

كان على السند في أول عهده، منصور بن جمهور الكلبي (١٢٩-١٣٢هـ/ ٧٤٦-٧٤٩م)، وهو أحد زعماء اليمانية، وكان من المشاركين في مؤامرة قتل الخليفة يزيد سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٣م، على الرغم من ذلك فقد ولاّه جعله الخايفة والياً على بلاد العراق وساند قومه، كما اشترك في مؤامرة سليمان بن هشام. ولما هُزم سليمان فرَّ منصور إلى بلاد السند، ثم تآمر مع الخوارج سراً سنة

---

١ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ١٥١، ١٥٢.ونقل المباركبوري عن محمد بن حبيب البغدادي في كتاب المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام: عمرو بن محمد وكان عاملاً على السند فوجه إليه منصور بن جمهور رجلاً يقال له عمران يأخذ عمراً بالحساب فحبسه ودس إليه من قتله، ثم أشاع أنه قتل نفسه خوفاً من المحاسبة، القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري:رجال السند والهند: مرجع سابق، ص٤٦٤-٤٦٦.

٢ - أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٣٣، وقال إن الوليد عزل عمرو بن القاسم وولى يزيد والصحيح أن عمراً قُتل.

١٢٩هـ/ ٧٤٦م، وكان أحد قواد عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عندما قام بثورته ضد الدولة الأموية سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٤م[١]، ولما قُتل عبد الله بن معاوية فرّ منصور إلى السند[٢] ليعيش في كنف قريبه يزيد بن غزان الكلبي، وكانت لمنصور يد على يزيد إذ أطلقه من سجن العراق وولاه السند، ولكنه عندما قدم إليه، لم يطمئن إليه وخشي أن يستولي على السند، أو يكون على الأقل سبباً في غضب الخليفة عليه إذا ما تعاون معه لكونه ثائراً على الدولة.فأرسل إليه نائبه معن بن زائدة الشيباني لإلقاء القبض عليه ولكنه فشل، أما منصور فقد سار على الضفة الغربية لنهر السند مصحوباً بأتباعه ومؤيديه قاصداً يزيد الذي كان هو وأتباعه بالضفة الشرقية، فبعث إليه يزيد برسالة جاء فيها:"لا تبرح مكانك" فردّ عليه منصور:" إنما أردت المقام قبلك، فلا وصل الله رحمك، ولا قرّب قرباك وستعلم بعد"[٣]، ثم زحف واستولى على سيوستان وفيها جهّز المراكب وحملها على الإبل حتى ألقاها في نهر السند وعبر الضفة الأخرى وقابل غريمه فهزمه، ومن ثمّ طارده حتى دخل العاصمة المنصورة فحاصره فيها، عندها طلب الأمان فقال له منصور:"لا أعطيك الأمان إلا حكمي"، فنزل على حكمه وسلّمه المنصورة، وكان يطمع في أن يعفو عنه إلا أن منصوراً أمر بأن تُبنى عليه اسطوانة وهو حي.ثم أقام منصور بالمنصورة وأرسل أخاه منظور بن جمهور إلى الجهات الغربية ببلاد السند فأخضعها من الديبل إلى قندابيل، وظلّ يحكم البلاد حُكْماً مستقلاً عن الدولة الأموية حتى قضى عليه موسى بن كعب التميمي أول حاكم عباسي على بلاد السند[٤]سنة ١٣٤هـ/ ٧٥١م[١].

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص١٨٦.

٢ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ٤٥٣.

٣ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٤٠.

٤ ـ المصدر السابق: جـ٢، ص ٣٤٠.

ثـانياً : بلاد السند خلال العصر العباسي الأول :

خلافة أبي العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٤م)

عند قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م عيّن الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح، أبا مسلم الخراساني والياً على خراسان والمناطق الشرقية بما فيها بلاد السند، وبذلك أصبحت الولايات الشرقية تابعة لخراسان بعد أن كانت تتبع للعراق في عهد الأمويين.

أرسل أبو مسلم جيشاً يقوده مفلس بن السري العبدي (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) إلى بلاد السند لإخضاعها للحكم العباسي، وكان منصور بن جمهور الكلبي الخارج على الدولة الأموية لا يزال يسيطر على الأوضاع هناك.فتحرك مفلس عن طريق طخارستان حتى وصل مدينة الديبل ونازل فيها منظور أخا منصور فقتله ثم تقدم نحو العاصمة المنصورة[٢].

وصلت هزيمة منظور ومقتله إلى أخيه منصور، فتألم لفقده، ثم جهّز جيشاً وخرج من العاصمة لمواجهة مفلس ودار قتال عنيف بين الطرفين، انهزم فيه الجيش العباسي، وأُسر قائده مفلس، فأمر منصور بقتله في الحال[٣].

ولما علم أبو مسلم بمقتل قائده مفلس وهزيمة جيوشه استأذن الخليفة في اختيار قائد الشرطة موسى بن كعب التميمي[٤](١٣٤-١٤١هـ/ ٧٥١- ٧٥٨ م)، ليحلّ محل مفلس، ثم أرسله على رأس عشرين ألف مقاتل، وجعله والياً على بلاد السند.وكان للوالي الجديد خبرة إدارية وعسكرية لكونه قائداً للشرطة ولذلك لا

---

١ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٤٥٣.

٢ ـ أحمد يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٧.

٣ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٥٨.

٤ ـ عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص٢١٩.

نراه يتوجه مباشرة إلى العاصمة، بل تحرك صوب مدينة قندابيل المحصّنة البعيدة عن العاصمة وبقي بها مدة جمع فيها ما يحتاجه من معلومات عن عدوه، وعن طبيعة المنطقة وأقرب الطرق لهزيمة الجيش الخارج على دولته. فاتصل بقادة المنطقة وأعيانها في المنصورة وكسب العديد منهم بعد أن أقنعهم بعدم جدوى معارضة الخليفة العباسي وجيوشه الجرارة[١].

وبعد أن نجح موسى بن كعب في الحصول على تأييد أعيان المنصورة، تحرك بجيوشه نحوها وعبر نهر السند إلى الناحية الشرقية، والتقى مع قوات منصور بن جمهور في معركة حامية، انهزم فيها جيش منصور بن جمهور، لانقلاب زعماء القبائل ضده. فقرر الفرار إلى الهند ولكنه ضلّ الطريق في الصحراء، فتمكنت قوات موسى الملاحِقَة له من القبض عليه وقتله سنة١٣٤هـ/ ٧٥١م[٢].

ودخل موسى بن كعب العاصمة منتصراً وأسس بها أول حكومة عباسية، ووسّع مسجدها الجامع الذي وضعه عمرو بن محمد بن القاسم، ونظّم الأمور الإدارية والسياسية في إقليم السند وأخذ البيعة للعباسيين[٣]،ثم أرسل وفداً إلى دار الخلافة سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٣م ليشرح أحوال السند وأوضاعها السياسية والمذهبية والفكرية. وبقي موسى حاكماً على السند حتى سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م، ونجح خلال

---

١ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٥٨.

٢ ـ أورد البلاذري وابن الأثير أن منصوراً مات عطشاً في الصحراء بعد أن فر من المعركة. أحمد ابن يحيى بن جابر البلاذري: البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٧، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٣٤٧.

٣ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٧.

فترة حكمه في إعادة استقرار البلاد ومحو آثار بني أمية وتثبيت دعائم الحكم العباسي،ثم توجه إلى دار الخلافة بغداد فمات بها سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م[١].

خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦ـ ١٥٨هـ/٧٥٣ـ٧٧٥م):

يُعَدُّ أبو جعفر المنصور من أقوى الخلفاء العباسيين وأطولهم حكماً، وفي عهده تحسّنت سياسة الدولة وخفّت الخلافات القبلية بين العرب بصفة عامة، وبَدَتْ بشائر النهضة العلمية والاستفادة من منجزات الحضارات الأخرى، فتقدمت البلاد الإسلامية في ميادين العلوم المختلفة، وكان لابد أن يترك ذلك أثراً على بلاد السند.

وقد كان عيينة بن موسى التميمي (١٤١ـ١٤٢هـ/ ٧٥٨ـ٧٦٩م) نائباً لوالده في بلاد السند، فصار والياً بعد وفاته. وفي عهده تجددت الخلافات القبلية بين العرب والسند وبين العرب أنفسهم النزارية واليمانية، فأيّد عيينة النزاريين في مطالبهم ضد اليمنيين. فخالفه اليمانيون ورفضوا حكمه فضيّق عليهم وقبض على الكثيرين منهم وقتل منهم مجموعات كبيرة فازداد الأمر سوءاً واستعد الكثيرون للقضاء عليه، ولهذا أمر الخليفة المنصور بعزله وولى مكانه عمر بن حفص بن أبي صفرة العتكي (١٤٢ــ ١٥١هــ/ ٧٥٩ــ ٨٦٨م)[٢].فتوجه عمر إلي السند سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م على رأس جيش كبير، وعند وصوله المنصورة رفض عيينة السماح له بالدخول فرجع إلى الديبل وبدأ في إعداد خطة حربية لدخول العاصمة والقضاء على عيينة بن موسى[٣].

---

١ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٥٠٩.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٤٢٢.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٥٠٩.

وجد الوالي الجديد المساندة من القادة والزعماء ممن ضايقتهم سياسة عيينة ونزعته القبلية، وكان هؤلاء القادة محل ثقة عيينة الذي لم يجد بداً من الصلح وتسليم العاصمة لعمر بن حفص الذي أعطاه الأمان واستولى على العاصمة، ثم ألقى القبض عليه وأرسله إلى دار الخلافة، ولكنه في الطريق أفلت من بين حراسه وفرّ هارباً نحو سجستان حتى وصل إلى منطقة (الرُّخّج) فهجم عليه جماعة من اليمانية وقتلوه فاكتفت بغداد باستقبال رأسه[١].

وقد استقرت الأمور في بلاد السند وتحسّنت أحوالها واختفت العصبية القبلية على مدار السنوات التسع التي تولى فيها عمر بن حفص زمام الحكم هنالك، وذلك لما تميز به عمر من عدل بين العرب عامة، وقد ضرب صفحاً عن كل ما يُظن أنه مجرد إثارة للفتن بين القبائل، كما أن طول فترة حكمه أكسبته خبرة في التعامل مع القبائل العربية والسندية.إلا أن نشاط الشيعة قد ازداد في أمارته وأظهر ابن حفص تأييده لآل البيت فعُزل[٢]، ثم عُين بعد فترة والياً على إفريقيا حيث بقي حاكماً فيها إلى أن قُتل سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠م[٣].وولي مكانه هشام بن عمرو التغلبي (١٥١ـ ١٥٧هـ/ ٧٦٨ـ٧٧٣م) وطلب منه مكاتبة الملك السندي الذي استقبل ابن الأشتر بتسليمه، فإن أبى حاربه[٤].

---

١ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٧٣.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٤٦٥ـ ٥٢٨.وعبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٨، ص٦٠٩.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٥٩٥ـ٥٩٨.

٤ ـ المصدر السابق: جـ ٨، ص٦١٠.

وصل هشام بن عمرو السند وتسلم مقاليد الأمور فيها، وكره أن يـؤذي ابـن الأشـتر، لميولـه العلويـة، إلا أن أخـاه سـفنّجا قتـل ابـن الأشـتر في جمع قليـل مـن أصحابه[١].

فكتب هشام إلى الخليفة بمقتل ابن الأشتر فأرسل إليه الخليفة يشكره ويطلـب منه محاربة ملك السند، ولعل هذا بدافع القضاء على جيـوب العلـويين المتمركـزة في بلاد السند، وعددهم أربعمائة شخص، سيما وأن ابن عبـد الله بـن الأشـتر المسـمى محمد بن الأشتر كان في رعاية ذلك الملك وربما اختاره أتباعه خليفة لوالده.

ويبدو أن هشام بن عمرو قد أزعجته تحركات الأمـويين والعلـويين، وتزايـد القبائل الموالية لهم حتى كاد الأمر أن ينفلت منه، وأمام هذه المهددات الـتي أحاطـت بالمنطقة رأى هشام أن يقضي عليها بقطع دابـر بـني أميـة، وكـذلك الشـيعة، والـذي يظهر من رسالة هشام للخليفة التي يخبره فيها بمقتـل ابـن الأشـتر أنـه لم يكـن بـذاك الرجل الذي يمكن نعته بالتشيع، ولكنه كان متعاطفاً معهـم كأولئـك الـذين يحبـون آل البيت، وكان حريصاً علـى إرضـاء البيـت العباسـي، فعنـدما وجـد نفسـه أمـام عدوين ليس في مقدورهما إزاحة الدولة العباسـية رأى أن يـتخلص مـن بـني أميـة، ويضحي بالشيعة فيكسب ود الخليفة، ويبعد نفسه من شـبهة الميـول العلويـة الـتي لا يُرحم صاحبها. فقام سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م بحملة على الملك السندي فقتلـه واسـتولى على مملكته، وهرب العلويون وتفرقوا في أنحاء البلاد وأُسر محمد بن الأشتر، وبعـثَ به هشام إلى الخليفة المنصور الذي أرسله إلى واليه بالمدينة وأمـره بـأن يجمـع آل أبـي طالب ويخبرهم بصحة نسبه ثم يسلمهم إياه[٢].

ثم قام هشام بحملات واسعة على بعض المناطق ومواطن الفـتن في النـواحي الشرقية والغربية، وقضى على القبائل الموالية للأمويين في مدينة الديبل ومـا حولهـا،

---

١ ـ المصدر السابق: جـ ٨، ص٦١٠. وعز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ ٥، ص٥٩٧، ٥٩٨.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٨، ص٦١١.

ثم رجع إلى العاصمة وسيّر حملة بحرية استولت على شواطيء كجرات الهندية التي كانت مأوى للخارجين على الحكم، إضافة إلى أنها كانت ضمن الولاية الإسلامية عندما فتحها الجنيد بن عبد الرحمن المري، ثم فتح القندهار وسبى وهدم البد[1] الذي كان فيها وبنى موضعه مسجداً[2].ووجه قوةً أخرى بقيادة عمرو بن جمل إلى (تارند) بهدف الاستكشاف وجمع المعلومات تمهيداً لفتح بعض المناطق الهندية المجاورة لبلاد السند، وبعث بقوات مماثلة إلى كشمير، ففتح أجزاء منها وأصاب منها سبايا وغنائم[3].وكان الهدف من تلك الحملات هو تأديب هذه المناطق والانتقام من حُكامها الذين كانوا يعاونون الخارجين على الدولة الإسلامية.

وقد تميّز عهد هشام بن عمرو بالرخاء والأمن وشهد ازدهاراً، واطمأن الناس إلى ولايته وكانت داره مزاراً للأعيان من أهل البلد، وكانت ملتقى الشعراء والأدباء الذين يفدون إليه من كل مكان، ونظراً لما أبداه هشام من حنكة إدارية فقد فوّض إليه الخليفة حُكم كرمان سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٢م، وبذلك أصبح حاكماً على السند والملتان بالإضافة إلى منطقة كرمان، ونتيجة للاستقرار الذي ساد المنطقة شهدت البلاد حركةً تجارية وعلميةً[4] سنتحدث عنها في الجانب المخصص لها.

وبقي هشام حاكماً على السند حتى وفاته ببغداد أثناء زيارته لها في عام ١٥٧هـ/ ٧٧٣م[5].فأعقبه على حكم البلاد معبد بن الخليل التميمي(١٥٧ــ

---

١ ـ البد: هو الصنم.

٢ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ ٢، ص٣٧٣.

٣ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٧.

٤ ـ المصدر السابق: ص٤٨٧.

٥ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٧٣.

١٥٩هـ/ ٧٧٣ـ٧٧٥م)، فكان حسن المعاملة محمود السيرة بين الرعية، حازماً في حكمه، شهدت البلاد أمناً واستقراراً في فترة ولايته التي لم تطل أكثر من سنتين، حيث توفي بالمنصورة في أوائل خلافة المهدي سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م[١].

خلافة المهدي محمد بن عبد الله العباسي (١٥٨ـ١٦٩هـ/٧٧٤ـ٧٨٤م):

تميز المهدي بكثير من صفات اللين والسماح وذلك لتقواه وميله إلى الدين عكس والده المنصور المعروف بشدته ودهائه. ولهذا اهتم الخليفة المهدي بتبليغ الدعوة وإيصال رسالة الإسلام، فبعث الوفود والرسائل إلى الملوك والأعيان في الأقاليم المختلفة، من بينها رسائل إلى شبه القارة الهندية يشرح فيها سماحة الإسلام ودعا الملوك والعامة للدخول فيه، فاستجاب له عددٌ من الملوك[٢].

وفي سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م وجه المهدي حملة بحرية إلى بلاد الهند، يقودها عبد الملك بن شهاب المسمعي، وكانت تتكون من جند متطوعة ومرابطين من الأقاليم المختلفة، بلغ عددهم تسعة آلاف ومائتي جندي، منهم نحو ألفين من البصريين، وألف رجل من المتطوعة الذين كانوا يلزمون الرباطات، وسبعمائة رجل من أهل الشام، عليهم يزيد بن الحباب المرجحي، وألف رجل من متطوعة البصرة بأموالهم فيهم التابعي الجليل الربيع بن صبيح[٣]، وأربعة آلاف رجل من الأساورة والسيابجة السند[١].

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٨، ص٦٩٨.

٢ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ ٢، ص٣٩٨، ٣٩٧.

٣ ـ الربيع بن صبيح:يكنى أبا حفص وهو مولى لبني سعد بن زيد مناة بن تميم، خرج غازياً إلى الهند فمات ودفن في إحدى جزر الهند سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٦م، روى له الترمذي وابن ماجة، ، كان من عبّاد أهل البصرة وزهّادها، محمد بن سعد:الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ ٧، ص٢٠٤، وشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي:سير أعلام

قسّم عبد الملك بن شهاب قواته إلى فرق، وعلى كل فرقة قائد، حيث جعل ابنه غسان على ألفي جندي من أهل البصرة، وابنه عبد الواحد على ألف وخمسمائة من متطوعة المرابطات، وولى يزيد بن الحباب المرجحي على سبعمائة من أهل الشام، وولى المنذر بن محمد بن الجارود على ألف من متطوعة البصرة، وولى أبا القاسم محمد بن إبراهيم على البقية[٢].ثم توجهت هذه الجيوش إلى ميناء باربد[٣]حيث دار قتال عنيف انتصر فيه المسلمون وفتحوا المدينة وأشعلوا النار في معبد بوذي ضخم، ظناً منهم أنه قلعة عسكرية خاصة وأن أعداداً كبيرة من أهل المدينة لجأت إليه بعد هزيمتها، لأنه كان على شكل برج عالٍ واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون[٤].

ثم حدثت اضطرابات في إقليم كجرات ترتبت عليها مضايقات للتجار المسلمين العرب وأَسْرٍ لبعضهم، الأمر الذي دفع الخليفة المهدي لإنقاذهم، فأرسل حملة نجحت في مهمتها و ساد الأمن. ولكن الإقليم أصيب بكارثة أخرى فقد اشتدت درجات الحرارة وهبّت رياح انتشرت على أثرها الأوبئة مما أدى إلى مقتل كثير من المسلمين، وخروج البقية الباقية وركوبها البحر متوجهةً إلى فارس. وعند وصولهم خليج العرب اشتدت الرياح مرة أخرى فارتطمت السفن

النبلاء: مصدر سابق، جـ ٥، ص١٧١، ١٧٢، وتهذيب الكمال: مصدر سابق، جـ ٥، ص٣٥١.

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٨، ص٦٩٨.

٢ ـ المصدر السابق، جـ ٨، ص٦٩٨.

٣ ـ باربد: أصلها (بهاربهوت) وهي ميناء صغير يقع غرب ميناء بروص الهندي، تاريخ السند (بالأردية) ص١٦١.

٤ ـ عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص٢٥٦.

واصطدمت ببعضها فتكسرت وغرق معظم من كان فيها فلم ينج إلا القليل[١].

وفي سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م تولى روح بن حاتم المهلبي أمر السند، فكان ضعيفاً لم يفعل شيئاً، ولما قام الزط بفتن في الأجزاء الغربية من بلاد السند عجز عن صدهم، فعزله الخليفة بعد شهور من توليه الإمارة ونقله إلى إفريقيا بديلاً لأخيه المتوفى يزيد بن حاتم الذي كان والياً عليها[٢]، وعيَّن مكانه بسطام بن عمرو التغلبي (١٥٩ـ١٦١هـ/ ٧٧٥ـ٧٧٧م) الذي كان نائباً لأخيه هشام على السند في خلافة أبي جعفر المنصور وخبيراً بأحوال البلاد وكيفية القضاء على التمرد فيها، وبالفعل نجح في القضاء على الفتن والاضطرابات الداخلية وفرَّق جموع الزط، ولكن بالرغم من هذه الجهود وما حققه من نجاح إلا أنه عُزل بعد سنتين من حكمه لأسباب مجهولة[٣].

فأمر المهدي روح بن حاتم في عام (١٦١/ ٧٧٧م) والي إفريقيا بالعودة للسند ليحل محل بسطام بن عمرو، ففشل روح للمرة الثانية في إدارة البلاد، والتصدي لثورات الزط فاضطر الخليفة إلى عزله مرة أخرى وإرجاعه إلى إفريقيا، فبقي فيها إلى أن توفي سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م[٤].

---

١ ـ المصدر السابق: جـ ٣، ص٢٥٦.

٢ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٦، ص٤٠،٤١، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٦٩٨.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٥٤، و أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٧٠٥.

٤ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٦، ص٤٨.

ثم تولى أمر السند خلفاً لروح بن حاتم، نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي (١٦١هـ/ ٧٧٧م)، الذي لم يكن بأحسن حظاً من سلفه إذ استمر الزط في مقاومتهم وتمادوا في عدائهم للحكم الإسلامي والجنس العربي، يدعمهم بالمال والسلاح بعض الأمراء الهنود الذين لا يرغبون في بقاء العرب بينهم، وإزاء ذلك قرر الخليفة عزل نصر في السنة نفسها، ويبدو أن الزط قد أصبحوا قوة ضاربة تتحكم في مصير بلاد السند بأكملها، وهذا ما دفع أعداء المسلمين لمساندتهم حتى يتم جلاء المسلمين والعرب من المنطقة نهائياً[1].

ثم فوّض الخليفة أمر السند لمحمد بن سليمان الهاشمي (١٦١ـ١٦٢/ ٧٧٧ـ٧٧٨م) ، وعهد إليه بالعمل على حلّ أزمتها، فاختار رجلاً خبيراً بأمر السند، له معرفة بأحوالها، وهو عبد الملك بن شهاب المسمعي. فأعدّ عبد الملك جيشاً توجه به إلى السند، وعندما اقترب من العاصمة المنصورة جاءه الأمر بالعودة إلى البصرة لحاجة الخليفة إليه في مهمة عاجلة، وتسليم السند لواليها الأسبق نصر بن محمد الخزاعي.

وصل نصر الخزاعي إلى المنصورة ووضع خطةً لتنظيم المنطقة وأعدَّ جيشاً للقضاء على الخارجين عن الدولة الإسلامية، ولكن جاء الأمر إليه من دار الخلافة بعزله هو الآخر بأسرع مما كان يتصور ولأسباب مجهولة.

وهكذا لم يتح لهذا الوالي البقاء في منصبه إلا أياماً معدودة لم تكن كافية لفهم طبيعة المشكلات ناهيك عن حلها، ووضع خطة لإدارة البلاد. ولم تذكر كتب التاريخ أسباباً لعزل وتعيين الولاة بهذه السرعة، والذي يظهر لي أن الأسباب عديدة فقد يكون مِنْ الولاة مَنْ عُزل بسبب قلة كفاءته أو تعاطفه مع بعض

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٧٢٤.

الخارجين من علويين وغيرهم، أو بسبب استغلاله لرعيته واستنزافهم مادياً، إضافة إلى تسرع والي العراق في اتخاذه قرار التعيين ومن ثمّ تراجعه عنه[١].

وفي سنة (١٦٢هـ/ ٧٧٨م) تولى السند الزبير بن العباس الهاشمي، فلم يهتم بأحوال البلاد وترك الفتن يشتد أوارها، وكأن الأمر لا يعنيه وهذا يشير إلى أن الرجل إما أنه تولى حكم البلاد مكرهاً وأنه لا يرغب في البقاء فيها، أو أنه حاكم ضعيف غير مدبر. ولما وصلت الأخبار إلى دار الخلافة في بغداد بفشله في الإدارة، أمر الخليفة بعزله عن منصبه[٢].وعيّن مكانه مصبح بن عمرو التغلبي (١٦٢هـ/ ٧٧٨م)، وهو الأخ الأصغر لوالي السند الأسبق هشام بن عمرو، وقد صحبه أثناء ولايته على البلاد فاكتسب خبرة بأحوالها، وكان على قدر من الحنكة السياسية والمهارة العسكرية، ولذا نجح في القضاء على الفتن والاضطرابات وأخمد ثورات الزط، التي عُرفت منذ فترة طويلة وكانت الصخرة التي تكسرت أمامها عزائم القواد الذين توالوا على حُكم السند، ولكن ما إن فرغ مصبح بن عمرو من ثورات الزط حتى تجددت الصراعات القبلية ووصلت الخصومات بين النزارية واليمانية إلى درجة نشوب الحروب الأهلية، مما أدى إلى الفوضى وعدم الاستقرار، وبلغت أحوال العرب في السند درجة من السوء لم يتمكن الوالي معها من فعل شيء وتعذر عليه الإصلاح والقيام بواجباته، فقرر ترك البلاد والعودة إلى بغداد[٣].

فخلفه نصر بن محمد الأشعث الخزاعي للمرة الثالثة (١٦٢ـ١٦٤هـ/ ٧٧٨ـ٧٨٠م)، على الرغم من فشله الذريع في المرتين السابقتين، ولم تذكر كتب التاريخ الأسباب الكامنة وراء إعادته، ولعل السبب آثاره العظيمة هو

---

١ ـ عبد الله بن مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، جـ ١، ص٢٧٠.

٢ ـ المرجع السابق، جـ١، ٢٧٠.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ ٦، ص٦٢.

ووالده في دعوة بني العباس[١]، وقد بقي نصر حاكماً على السند حتى توفي فيها بعد سنتين من حكمه لها[٢]، وقد شهدت فترة حكمه تجدد ثورات الزط الذين أخمدهم مصبح، إضافة إلى الخلافات القبلية بين العرب[٣].ثم تولى أمر البلاد بصورة مؤقتة سطيح بن عمرو التغلبي الأخ الأصغر لهشام بن عمرو، ريثما يأتي حاكم جديد ليحل محل نصر بن محمد بن الأشعث[٤].

وبالفعل قدم الليث بن طريف (١٦٤ـ١٧٠هـ/ ٧٨٠ـ٧٨٦م)، والياً على المنطقة، وقد كان الليث مولى للخليفة المهدي و أحد المقربين لديه، اختاره الخليفة بنفسه، وذلك لعلمه بخطورة ما آل إليه وضع الحكومة الإسلامية في بلاد السند، وهو يتمتع بمقدرة عسكرية فذة وحنكة سياسية نادرة، لذلك عقد الخليفة عليه الأمل في إعادة الأمور إلى مسارها الطبيعي في بلاد السند[٥].

وصل الوالي الجديد إلى العاصمة المنصورة، وعمل منذ البداية على دراسة أوضاع البلاد السياسية والاجتماعية بصورة متأنية، ومن ثم وضع خططه الإصلاحية، حيث بدأ بزعماء القبائل فدعاهم وعقد بينهم صلحاً أرضى جميع الأطراف، ونجح في نقلهم من أعداء للدولة إلى جيوش مساندة له ضد الزط. إلا أن المشكلة الأساسية هي الاضطرابات والفتن التي أثارها الزط، فلم ينجح في إخمادها، لأن استعداداتهم وإمكاناتهم كانت أكبر بكثير من إمكاناته، ولذلك كتب إلى الخليفة مخبراً بحقيقة الأوضاع، وطالباً منه العون والمساعدة.فوجه الخليفة رسلاً

---

١ ـ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ٢٤١.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٨، ص٧٣٤.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٦، ص٤٢.

٤ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٨، ص٧٣٤.

٥ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٩٨.

إلى ملوك وزعماء المناطق السندية المختلفة يدعوهم إلى الطاعة، وأمدّ والي السند بجيش ضخم، فقام بحملات متواصلة وعمل على ملاحقة الخارجين على الدولة من الزط وغيرهم وقتل منهم أعداداً كبيرة فدخل الرعب في قلوبهم، وعاد الأمن وعَرَفت البلاد الاستقرار والطمأنينة من جديد، فتقدمت الزراعة والصناعة وازدهرت العلوم، وبقي الليث يحكم بلاد السند حتى تولى الخلافة هارون الرشيد فعزله مع بعض الولاة سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م[1].

خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م):

يُعَدُّ هارون الرشيد من أعظم خلفاء بني العباس بعد المنصور، وقد مكث في الحكم مدة ثلاثة وعشرين عاماً، وشهد عهده رخاءً وتقدماً ونهضة علمية وسياسية وتجارية شملت بلاد السند وكل أجزاء الدولة الأخرى، ولكن بالرغم من ذلك لم تسلم بلاد السند في عهده من الخلافات القبلية والفتن الداخلية. وقد بذل الخليفة جهوداً جبارة للقضاء عليها، فلم تفلح تلك الجهود ولعل من أهم أسباب ذلك الفشل بُعد المنطقة عن مركز الحكم، إضافة إلى ضعف الولاة الذين تعاقبوا عليها.

فكان أول ولاة الرشيد على السند سالم اليونسي (١٧١-١٧٤هـ/ ٧٨٧-٧٩٠م)، وقد استفاد سالم من جهود سلفه الليث بن طريف الذي نشر الأمن والاستقرار في البلاد، وجمع شمل القبائل العربية ونقلها من فِرَق متناحرة يضرب بعضها بعضاً إلى وحدة متعاونة فيما بينها، يداً على مَن سواها. فسار على سياسته في هذا الجانب فرضيت عنه كل فئات المجتمع وحمدت سيرته على مدى أربع سنوات حتى انتهاء ولايته على السند في عام١٧٤هـ/ ٧٩٠م[2]ونقله إلى موقع آخر.

فتولى أمر البلاد بعده إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله العباسي الهاشمي ١٧٤هـ/ ٧٩٠م، وكان رجلاً فاضلاً محباً للعلماء، وقد أحاط نفسه بالأطباء ورجال الرياضيات والفلك، وحرص على الترجمة من اللغات وخاصة الفارسية

---

١ ـ المصدر السابق: جـ٢، ص٣٩٨.

٢ ـ المصدر السابق: جـ٢، ص٤٠٩.

والسنسكريتية[١] إلى العربية، ونقل كثيراً من علوم تلك البلاد إلى جزيرة العرب، فقام بأعمال جليلة في النهضة العلمية، ولكنه توفي بعد شهور قليلة من توليه الحُكم[٢].

ثم تولى السند بعد وفاته طيفور بن عبد الله الحميري (١٧٤ـ١٧٥هـ/ ٧٩٠ـ٧٩٢م)، وهو من اليمانية فأيّد قومه وناصرهم ضد النزارية الأكثر عدداً، فتجدد القتال بين الفريقين واشتدت الخصومات بين القبائل العربية، ولما علم الخليفة بسياسته وما جرّته من مشكلات أمر بعزله بعد ولاية استمرت عاماً واحداً[٣].وعيّن بدلاً عنه جابر بن الأشعث الطائي (١٧٥ــ١٧٦هــ/ ٧٩٠ــ٧٩١م)، فلم ينجح هو الآخر في إدارة شؤون البلاد، وازداد الأمر سوءاً بتجدد القتال بين العرب من جهة وبين القبائل السندية من جهة أخرى، فأمر الخليفة هارون الرشيد بعزله بعد سنة تقريباً وقد ذكر اليعقوبي في تاريخه أن جابر بن الأشعث تم توجيهه إلى غربي النهر ومكران مما يدلُّ على أن شرق النهر قد خرج من أيدي المسلمين وتحول إلى حكومات مستقلة[٤].

ثم ولى الخليفة هارون الرشيد، سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي أمر العراق وفوّض إليه حكم بلاد السند، فولّى أخاه كثير بن مسلم (١٧٦ــ١٧٩هــ/ ٧٩٢ــ ٧٩٥م) فنزل كثير المنصورة ولكنه اشتغل بمصالحه الخاصة وأساء السيرة، فضاق به الناس ذرعاً، فلما وصل أمره إلى الخليفة عزله في الحال[٥].وفوّض حكم السند إلى عيسى بن جعفر بن منصور العباسي، فعيّن محمد بن عدي التغلبي نائباً عنه (١٧٩ـ١٨١هـ/ ٧٩٥ـ٧٩٧م)، وأرسله إلى المنطقة وكانت حينها الخلافات القبلية على أوجها، فوصل إلى العاصمة المنصورة وحاول القضاء على النزاعات القبلية ولما

---

١ ـ سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

٢ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٤٠٩.

٣ ـ المصدر السابق: جـ ٢، ص٤٠٩.

٤ ـ المصدر السابق: جـ ٢، ص٤٠٩.

٥ ـ المصدر السابق: جـ ٢، ص٤٠٩.

عجز عن ذلك غادر العاصمة وتوجه إلى الملتان في إقليم البنجاب، فمنعه العرب القاطنون بها من الدخول حفاظاً على وحدتهم وتماسكهم ومصالحهم، واستولوا على ما عنده من أسلحة وأمتعة، فاضطر إلى العودة إلى المنصورة. وفي المنصورة تجدد النزاع بين اليمانية والنزارية فأصدر الخليفة أوامره بعزله عن السند[١].وولاها عبد الرحمن (١٨١ـ١٨٢هـ/ ٧٩٧ـ٧٩٨م)، الذي لا يُعرف عنه أكثر من اسمه. ويبدو من تنحية الخليفة له بعد عام من تعيينه أنه عجز عن تحقيق رغبة الخليفة في إعادة الأمن للبلاد[٢].ثم عُيّن أيوب بن جعفر بن سليمان الهاشمي (١٨٢ـ١٨٤هـ/ ٧٩٨ـ٨٠٠م)، والياً على السند فوصلها وفي مخيلته أن معضلة المنطقة تكمن في العصبية القبلية، فجعل حلها من أوليّات حكمه، فبذل جهوداً في القضاء عليها وحاول جمع القبائل العربية والتوفيق بينها، ولكنه لم يوفق في عقد صلح بين الأطراف المتناحرة، فتمّ عزله[٣].

ثم قرر الخليفة وضع حد لما يدور في السند، وذلك بالبحث عن شخصية قوية لها تجارب واسعة ومكانة سياسية مرموقة وهيبة بين القبائل، فاختار داؤد بن يزيد بن حاتم المهلبي حاكماً على السند (١٨٥ـ٢٠٥هـ/ ٨٠١ـ٨١٠م)، ولكنه لم يشأ الذهاب بنفسه أول الأمر خوفاً من الفشل فيفقد مكانته بين القبائل العربية هنالك، ولذلك عيّن أخاه المغيرة نائباً عنه وأمده بجيش كبير وبعثه إلى المنصورة، وعند وصوله إلى العاصمة أغلق النزارية أبواب المدينة في وجهه واشترطوا عليه إخراج اليمانية منها إن أراد الدخول، وألزموه بتقسيم البلاد بين قريش وقيس وربيعة، ولكنه لم يرض لكونه يمانياً، ثم عرضوا عليه أن يخرجوا جميعاً وأن يدخلها هو ويعدل بينهم فلم يوافق أيضاً، فدخل المدينة عنوة في أول الأمر، فجمع النزارية

---

١ ـ المصدر السابق: جـ ٢، ص٤٠٩.

٢ ـ المصدر السابق: جـ ٢، ص٤٠٩.

٣ ـ المصدر السابق: جـ ٢، ص٤٠٩.

أمرهم وهزموه فاضطر إلى الانسحاب عن المنصورة والكتابة إلى أخيه بمجريات الأحداث.

ولما علم داؤد بالوضع في بلاد السند جهّز جيشاً كبيراً وقاده بنفسه للقضاء على قوة النزارية، ووصل إلى مشارف المنصورة فمُنع من دخولها فجرّد فيهم السيف حتى قتل خلقاً كثيراً منهم ومع ذلك لم تُفتح له أبواب المدينة، وأقام يقاتلهم عشرين يوماً، وأخيراً تمكن من الدخول فطارد النزارية وحرّق متاجرهم وخرّب بيوتهم حتى ساءت حالتهم ثم سار إلى بقية مدن السند فلم يزل يفتح ويخرّب إلى أن استقامت له البلاد ومن ثمّ هدأت المنطقة وسادها الأمن التام لسنوات عدة[1].

وبعد أن فرغ داؤد بن يزيد من تحطيم قوة القبائل اهتم بالإصلاحات الداخلية، وتنظيم أحوال البلاد وإزالة أسباب التوتر بين القبائل، ونشر قِيَم الإخاء والمحبة والعدل والمساواة والالتزام بها في سياساته ومعاملاته والإسهام في بسط الأمن، فازدهرت البلاد على امتداد فترة ولايته التي استمرت مدة عشرين عاماً، فكان يدفع لبغداد سنوياً عشرة ألف ألف درهم، وتحسنت العلاقات العربية السندية، وتبودلت الهدايا والتحف النادرة بين الخليفة هارون الرشيد وعدد من ملوك وأمراء القارة الهندية، ويعتبر داؤد بن يزيد الوالي الوحيد بعد الجنيد الذي استطاع أن يقدم خدمات جليلة للسند وأهلها.وفي عام ٢٠٥هـ/ ٨١٠م توفي داؤد بن يزيد[2] وكان خليفة المسلمين حينها المأمون[3].

خلافة المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ/٨١٣- ٨٣٣م):

---

١ ـ المصدر السابق: جـ ٢، ص٤٠٩.

٢ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ ٣، ص٣١٢.

٣ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٧، و أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ ٢، ص٤٠٩.

تولى الخلافة بعد هارون الرشيد ابنه الأمين، فانشغل طوال فترة حكمه التي استمرت خمس سنوات بالخلافات القائمة بينه وبين أخيه المأمون، فلم يهتم بأمر الولايات بصفة عامة. ولذلك ظلت إدارة بلاد السند في يد داؤد بن يزيد، ثم انتهت الخلافات في بغداد بمقتل الأمين، وجلوس أخيه المأمون مكانه فحكم قرابة عشرين عاماً، شهدت خلالها البلاد بما فيها السند تقدماً في كل المجالات.

عيَّن المأمون على ولاية السند بشر بن داؤد المهلبي (٢٠٥ـ٢١٢هـ/ ٨٢٠ـ٨٢٧م)، واشترط عليه أن يدفع لبغداد ما كان يدفعه والده سنوياً[١]، فاستمر على دفع المبلغ عدة سنوات، ولكنه ما لبث أن تغيّر وامتنع عن إرسال مبلغ الخراج للعاصمة، وربما اغتر بما يتمتع به من سلطان و نفوذ وصلت إليه أسرته في بلاد السند خلال ثمانية وعشرين عاماً من الحكم. فقرر الخليفة عزله عن منصبه وولى مكانه حاجب بن صالح[٢] سنة ٢١٢هـ/ ٧٢٨م فتحرك حاجب من بغداد على رأس جيش كبير ووصل منطقة مكران، ووجد فيها أخاً لبشر بن داؤد يحكمها نيابةً عنه، فطلب منه تسليم المنطقة فرفض وعلل رفضه بقوله:" إنما أنا من قِبَل بشر، وبشر بالمنصورة، وبينك وبينه يومان، فإذا اجتمعت معه وكتب إليّ بالتسليم سلّمت إليك".[٣] ولما فشل حاجب بن صالح في الاستيلاء على إقليم مكران كتب إلى الخليفة بعصيان بشر ومخالفته أمر الخليفة[٤].

---

١ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص٣١٢.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٧، ٤٨٨، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري:تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٩، ص٤٤٤.

٣ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٤٥٨.

٤ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: مصدر سابق، جـ ٩، ص٤٨٤، وعز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن الأثير:الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ ٥، ص٢١٥.

ولعلَّ حاجب بن صالح خشي مواجهة بشر بن داؤد عسكرياً في المنصورة، إذا لم يستجب بشر لأمر الخليفة، لأن هذه المواجهة ستجعله بين جيوش الأخوين، وتجعل سبيل الهروب والنجاة أمامه مستحيلاً إذا هُزم، وهكذا فشل حاجب في مهمته، وظاهرة وجود عائلة بإمكانها السيطرة على بلاد السند ورفض أوامر الخليفة، بل وخَوْف والي الخليفة منها تعتبر ظاهرة لها ما بعدها من تمهيدٍ للانفصال وإنشاء دويلة مستقلة.ولما علم الخليفة بقوة بشر الجبارة وخوف حاجب منه، عزل الأخير وبحث عن شخص جريء لا يهاب بشراً فولى أمر السند، غسان بن عباد المهلبي[١](٢١٣ـ٢١٦/ ٨٢٨ـ٨٣١). لما يتميز به من قوة، ولانتمائه إلى آل المهلب قبيلة بشر. ولم يكتف الخليفة بذلك بل قام باستدعاء محمد بن عباد أخي غسان وكان من زعماء القبائل وكبار القواد في البصرة، فأخبره بما فعل بشر بن داؤد، ثم كلفه بإعداد جيش قوي والسير به مع شقيقه غسان إلى بلاد السند للقضاء على الفتنة فيها، و إحضار بشر إلى دار الخلافة، وتسليم حكم السند إلى موسى بن يحيى بن خالد البرمكي الذي كان في معية الجيش[٢]. فتوجه غسان نحو المنصورة وعندما اقترب منها خرج إليه بشر معتذراً، ودفع ما عليه من متأخرات الخراج وسلّمه مقاليد الحكم طواعية فوضع غسان القيد في يده. ثم انشغل بتنظيم أمور البلاد، ولما تمّ له ذلك سلّم حكم المنطقة إلى موسى بن يحيى البرمكي[٣].

وفي سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م عاد غسان إلى بغداد منتصراً، وقدّم بشر بن داؤد للخليفة المأمون فطلب بشر العفو[٤]، وشفع له وجهاء قبيلته فعفا عنه الخليفة وأمر

---

١ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص ٣١٣.

٢ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٤٥٨.

٣ ـ المصدر السابق: جـ٢، ص٤٥٨، وعز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص١١٦.

٤ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص ٣١٤.

بإطلاق سراح بقية أفراد أسرته، وأُعجب الخليفة بما قام به غسان من إنجاز فأكرمه وأغدق عليه النعم[١].

وفي أثناء وجود غسان بالسند حاول بعض أمراء السند[٢] التعالي على المسلمين، وإظهار نفسه كقوة سياسية لها القدرة على الانقضاض عليهم، ولكن عودة غسان السريعة إلى بغداد شغلته عن التصدي له. فوقعت المسؤولية على موسى البرمكي (٢١٦ـ٢٢١هـ/ ٨٣١ ـ ٨٣٥م)، وكان على قدرها إذ تمكن من هزيمة هذا الأمير وأسره، وقتله بعد أن رفض الفدية التي عرضها عليه في إباء على أن يبقيه على قيد الحياة ـ مقدارها خمسمائة ألف درهم ـ ونفّذ فيه حكم الإعدام[٣].

وقد ترك موسى بن يحيى بصمات واضحة على البلاد، فعادت العلاقات التجارية إلى سابق عهدها، وازدادت الحركة العلمية بين العرب والسند، أما مقدار الخراج فقد انخفض من عشرة ألف ألف درهم في عهد داؤد المهلبي وابنه بشر إلى ألف ألف درهم، لرفض بشر المهلبي صاحب مكران الطاعة لدولة الخلافة وامتناع بعض المناطق السندية عن دفع الخراج لموسى[٤].

ومن الجوانب الإيجابية أيضاً في ولاية موسى بن يحيى البرمكي قيام الفضل ابن ماهان أحد الحكام العرب بحملة على مدينة سندان[٥] الهندية، القريبة من الحدود السندية ففتحها وأقام فيها حكماً مستقلاً، وبنى فيها مسجداً وأمر أن يُخطب فيه للخليفة، وأرسل الهدايا إليه فأُعجب الخليفة بحسن صنيعه. ولكن الفضل بن ماهان لم يعش طويلاً وتوفي بعد سنوات قلائل بمدينة سندان.

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٩، ص٤٩٢.

٢ ـ كان ملكاً على إحدى مناطق شرق السند.

٣ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٨.

٤ ـ أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة:المسالك والممالك، مصدر سابق، ، ص٥٧.

٥ ـ سندان: تقع بين مدينة بروص ومدينة سوبارا.

خلافة المعتصم بالله (٢١٨- ٢٢٧هـ/٨٣٣ - ٨٤١م):

لما تولى المعتصم الخلافة كان محمد بن الفضل بن ماهان قد خلف والده على حكم مدينة سندان الهندية، فجهّز جيشاً كبيراً هاجم به المناطق التي يسكنها الميد فقتل منهم خلقاً كثيراً وأمّن الطريق، ثم تقدم نحو مدينة قالي الهندية ففتحها، ولكنه لم يواصل فتوحاته وذلك لسماعه الأخبار باستيلاء أخيه ماهان بن الفضل على مقاليد الحكم في سندان، ولما عاد إلى سندان وجد شقيقه قد حصّنها، فكتب إلى الخليفة مخبراً. ولما علم ماهان بتحركات أخيه لجأ إلى حكام السند المجاورين وكسب ودهم وجهّز جيشاً كبيراً خرج به من المدينة، فحمل على أخيه محمد حتى هزم قواته و قام بأسره، ثم غدر به وقتله بصورة جعلت الشاعر المعروف أبا العتاهية يتألم ويسجل ذلك في شعره:

ما عَلى ذا كُنّا اِفتَرَقنا بِسَندانَ * وَما هَكَذا عَهدنا الإِخاءَ

لَم أَكُن أَحسِبُ الخِلافَةَ يَزدادُ * بِها ذو الصَفاءِ إِلّا صَفاءَ

تَضربُ الناسَ بِالمُهَنَّدَةِ البيضِ * عَلى غَدرِهِم وَتَنسى الوَفاءَ[١]

فانتهز حكام الهند هذا الخلاف المرّ وصعوبة الاتصال بالخليفة العباسي وبوالي السند، فقاموا بحملة على سندان وقالي ومواطن قبائل الميد، واستولوا عليها وأسروا ماهان وقتلوه ثم صلبوه، ولكنهم لم يتعرضوا لمسجد سندان بل تركوه للمسلمين ليقيموا فيه الصلوات ويحيوا مناسباتهم الدينية، وهكذا كانت الأثرة وحب التسلط وراء فقد المسلمين لأرض مهمة كانت بوابة الإسلام إلى القارة الهندية ولو بقيت إذن لتغير وجه التاريخ[٢].

توفي موسى البرمكي أثناء خلافة المعتصم فخلفه ابنه عمران بن موسى البرمكي (٢٢١-٢٢٦هـ/ ٨٣٥ -٨٤٠) واشترط عليه أن يرسل إلى دار الخلافة

١ - القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري: رجال السند والهند، مرجع سابق، ص٢٣١.

٢ - أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان وفتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٩.

خراجاً مقداره ألف ألف درهم كل عام[١].وبعد فترة قصيرة من حكمه قامت قبائل الزط والميد السندية بالفتن والاضطرابات من باب المساعدة والتأييد لثورة إخوانهم في العراق[٢].

فتوجه عمران البرمكي بجيشه إلى منطقة القيقان وبدأ بالزط، فحاربهم بشدة وأعمل فيهم السيف حتى قتل أعداداً كبيرةً منهم، ونجح في إعادة الأمن للمنطقة، ولم يكتف بذلك بل أقام مدينة في منطقة بوقان وجعلها مركزاً للجيش لمراقبة تحركات القوم عن كثب والقضاء على فتنتهم في مهدها وأطلق على تلك المدينة اسم(البيضاء)[٣].ثم عاد إلى العاصمة المنصورة فعلم أن أهل قندابيل قاموا باضطرابات فيها، وهي مدينة حصينة تقع على جبل ويحكمها رجل خارج على دولة الخلافة يدعى محمد بن الخليل، فقاد إليها الجيوش وفتحها وحمل رؤساءها إلى قصدار، وعيّن عليها حاكماً من قِبَله[٤].

ولم يكد الوالي يفرغ من فتنة الزط ويعود إلى عاصمته حتى سمع باضطرابات في مناطق الميد، فتوجه إليها وقتل منهم ثلاثة آلاف في معركة واحدة، وقطع دابرهم وفرض الأمن في المنطقة[٥]. ولكنه فوجيء بقيام فتنة

---

١ ـ أبو القاسن عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة: المسالك والمالك، مصدر سابق، ص٥٧.

٢ ـ قام الزط الذين يسكنون البصرة وواسط باضطرابات، فقطعوا الطرق ونهبوا أموال المسافرين، فوجه إليهم المعتصم أحمد بن يوسف بن قتيبة الباهلي فهزموه، ثم بعث إليهم عجيف ابن عنبسة فهزمهم، فقرر الخليفة نفيهم إلى آسيا الصغرى فمكثوا فيها إلى أن اجتاحهم البيزنطيون وأسروهم سنة٢٤١هـ/ ٨٥٣م فلم يفلت منهم أحد، يُنظَر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٩، ص٥٤١.

٣ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٨.

٤ ـ المصدر السابق، ص٤٨٨.

٥ ـ المصدر السابق، ص٤٨٨.

أخرى هي الأخطر، تمثلت في نشوب الصراع بين القبائل العربية داخل العاصمة.

وكان داؤد المهلبي قد قضى على فتنة العصبية، وعندما جاء موسى كان كل من اليمانية والنزارية يعمل على تقوية نفسه سراً، لأن كلاً منهما كان يتوجس خيفة من الآخر، ويتوقع مبادرته له بالعداء.ومما زاد الأمر سوءاً ميل عمران البرمكي إلى اليمانية معتقداً أنهم ظلموا هذه المرة مقتدياً في ذلك بداؤد، إلا أنه لم يكن في مستواه من حيث قوة الشخصية والإمكانات العسكرية والحنكة والحكمة. فقد مال إلى اليمانية في حين أن معظم قواده من النزارية. لذلك عمل النزارية على إسقاطه، واتحدوا تحت قيادة أحد زعمائهم يسمى عمر بن عبد العزيز الهباري، وهو سليل أسرة قدمت بلاد السند منذ عهد الحكم بن عوانة الكلبي وسكنت منطقة باتيه، وله خبرة واسعة فقادهم عمر والتقى بعمران البرمكي وهزمه، وقتله واستولى على مقاليد الحكم في العاصمة سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م[١].

وهكذا عادت الحرب الأهلية من جديد وراح ضحيتها والي المسلمين الذي قهر الأعداء وأعاد الأمن إلى البلاد ليلقى حتفه على يد العرب، فانتهز الزط والميد السانحة وقاموا باضطرابات وفتن ضد العرب كافة وانفرط حبل الأمن في البلاد واستقل كل حاكم بقلعته وضاعت هيبة الخلافة.

وبأمر من والي خراسان وموافقة الخليفة المعتصم بالله تولى عنبسة بن إسحاق الضبي حكم السند (٢٢٦ـ٢٣٥هـ/ ٨٤٠ـ٨٤٩م)، وقد اهتم فور وصوله بالقضاء على الخلافات القبلية بين اليمانية والنزارية، ونجح في ذلك إلى حد كبير، ولكنه لم يعاقب عمر بن عبد العزيز الهباري قاتل والي السند الأسبق عمران البرمكي، وهذا يدلّ على قوة نفوذ الرجل ومن يقف خلفه من النزارية، كما اهتم عنبسة بإعادة الولاة الذين استقلوا بقلاعهم وأقاليمهم، ونجح في مهمته، وهكذا عاد الأمن والاستقرار إلى البلاد وقويت شوكة الحكومة الإسلامية هناك واتحدت كلمة العرب.

---

١ ـ المصدر السابق، ص٤٨٨.

ومن الإصلاحات التي قام بها عنبسة الضبي، بناؤه سجناً مركزياً كبيراً، بعيداً عن مناطق الاضطرابات، ليتم فيه التحفظ على المفسدين من المناطق البعيدة، وذلك لأن المواطنين كانوا يقومون بالهجوم على السجون في المدن الصغيرة ويطلقون سراح المعتقلين.واختار عنبسة لهذا السجن معبد مدينة الديبل الذي حطّم أبراجه محمد بن القاسم الثقفي عند فتح السند، وكان المعبد تابعاً للبوذيين إلا أنه قد أهمل بعد أن تحوّل كثير منهم إلى الإسلام وهكذا تحول المعبد العالي إلى سجن مركزي حصين وآمن يصعب اقتحامه أو الإفلات منه فامتلأت منه قلوب المفسدين رعباً واستقرت أحوال البلاد[١].

خلافة هارون بن محمد بن هارون الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٦م):

عندما تولى الخلافة الواثق ـ آخر خلفاء العصر العباسي الأول ـ كان على السند عنبسة بن إسحاق الضبي[٢]، فأقرّه على الحكم وبقي حاكماً إلى أن توفي الخليفة في ذي الحجة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م.

---

١ ـ المصدر السابق، ٤٨٨.

٢ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٤٩٧.

(٢) أوضاع بلاد السند الدينية

إن واقع البشرية منذ بدء الخليقة يثبت أن الإنسان بعيداً عن الدين واتّباع الوحي، ينحط إلى دركٍ بعيد في الوثنية وعبادة المخلوقات والخوف منها، والتعلق بالأوهام والأساطير، وها نحن نرى المتعلمين من الهندوس يعبدون البقر، ونرى المتعلمين من أمم كثيرة يلجأون إلى التنجيم والكهانة والسحر، ونرى الفلاسفة الذين يصفون جمال الدنيا ومُتعها يُقْدِمُون على الانتحار. كما أن رغائب الإنسان غير محددة، فمن الذي يقف أمام الشهوات؟ وكيف نمنع اعتداء البشر على إخوانهم؟

إذاً لابد من وازعٍ قوي يخضع له الجميع خضوعاً ذاتياً، ولا يكون هذا إلا للدين.فالذي يلجم الناس عن الفساد، والذي يزكّي النفوس ويطهرها هو الإيمان، وما سمعنا سياسياً أو عسكرياً أو عالماً نحريراً خضع له الناس وصاروا أتباعه إلى يوم القيامة مثل ما فعلوا مع الأنبياء، وما سمعنا فيلسوفاً أقام مدنية أو حضارة، وإنما قد يؤلف دولة خيالية، كما فعل أرسطو في (المدينة الفاضلة)، وأستاذه أفلاطون في (جمهوريته)[١].

إن اهتمام الإنسان بالدين، والبحث عمّا وراء المادة، والبحث عن الغيبيات، مركوزٌ في فطرته، فهو دائماً في حالة تدين، سواء أصاب أم أخطأ، ضلّ أم استقام، وإن الفترات التي يتنكّر فيها الناس للدين إنما هي فترات استثنائية، ففي كل مجتمع يظهر أناسٌ مستهترون، والأصل أن الإنسان مخلوق على الفطرة، وهي معرفة الحق وسلامة القلب وعلمه بفقر نفسه، وحاجته إلى خالقه، وهو مضمون آية الميثاق: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[٢].

---

١ ـ محمد العبدة: الطريق إلى المدينة (مقدمات في فقه السيرة)، دار المحدّث، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ص ١٣ ـ ١٨.

٢ ـ سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

يقول برغسون Baragson:"لقد وُجِدت وتُوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة"[١]، وفي القرآن الكريم:﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[٢]، فإذا كانت هذه حال الإنسان، فإن من فضل الله ورحمته أن أرسل له الأنبياء يهدونه للطريق المستقيم، وينقذونه من الجهل والظلم، وكان خاتم الرسل محمد ﷺ الرحمة المهداة، الموصوف في التوراة بأنه:"ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله"[٣].

وقد عرّف العلماء الدين بقولهم: هو وضعٌ إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل[٤]، وبعبارة موجزة هو: الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة ولا يشترط فيه أن يكون سماوياً فقد أطلق القرآن على ما كان عليه كفار قريش من عبادة للأوثان والأصنام ديناً، فقال سبحانه وتعالى في خطابهم على لسان نبيه ﷺ:﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٥].ومن هذا المنطلق سيكون حديثنا عن الدين ومدى تأثيره على السند، ويجدر بنا أن نستهل ذلك بعرض سريع لأوضاع المنطقة قبل الإسلام، ثم نتبع ذلك بالحديث عن أحوالها بعد دخول الإسلام لمعرفة حجم التغيير الذي أحدثه الدين الإسلامي فيها، ونتائج

---

١ ـ نقلاً عن محمد عبد الله دراز: الدين، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩م، ص٨٥.

٢ ـ سورة المعارج: الآيات ١٩ـ ٢١.

٣ ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الدمشقي ابن قيّم الجوزيّة: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، جـ١، ص٩٣.

٤ ـ محمد عبد الله دراز: الدين، مرجع سابق، ص٢٩.

٥ ـ سورة الكافرون: الآية٦.

هذا التأثير، وتقويم أوضاع بلاد السند في ظل انتشار المذاهب الإسلامية ومدى تأثيرها عليها.

الحالة الدينية قبل الفتح الإسلامي:

كانت القارة الهندية مرتعاً لِكَمٍ هائلٍ من الديانات القديمة بعضها خرج من البيئة الهندية نفسها، والبعض الآخر جاءت به المجموعات التي وفدت على القارة مهاجرةً كانت أو غازية، وقد وصل عدد الفِرَق فيها إلى اثنتين وأربعين ملة[١]، أهمها وأوسعها انتشاراً البرهمية والبوذية والجينية.

وتُعَد الديانة البرهمية من أكثر الديانات أتباعاً في القارة الهندية على الإطلاق، ولكن بالرغم من هذا الانتشار فإنه لا يُعرف لها مؤسس ولا عقيدة معينة تدعو إليها، ولذلك كثرت الآلهة فيها، وتعددت أسماءها، فقد عُرفت بالبرهمية نسبة إلى الإله (براهما) وعُرفت بالهندوسية المشتقة من كلمة هند، وهي من أقدم الديانات الهندية وقد دخلت القارة الهندية مع الغزو الآري[٢]لها قبل الميلاد.أما عبادة البقر فهي أهم عقائدهم، و(منو) أشهر قداس الهندوسية وتقوم أكثر دساتير القارة الهندية على شرائعه (شرائع منو)[٣]، وقد أتاح منو بشرائعه هذه السلطان المطلق لطبقة الكهنة (البراهمة)، حتى ضاق بها الناس ذرعاً، ولما اشتدت وطأتهم على الشعوب المقهورة لاحت تباشير الخلاص على أيدي مُصلِحَين ظهرا في القرن السادس قبل الميلاد، هما (مهابير) صاحب الديانة الجينية و(بوذا) صاحب الديانة البوذية[٤].

---

١ ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٩٦، وأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة: المسالك والمالك، مصدر سابق، ص٧٠.

٢ ـ الآريون:سبق ذكرهم في ص ١٣.

٣ ـ محمد ضياء الأعظمي: فصول في أديان الهند، دار البخاري، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٩٣.

٤ ـ المرجع السابق، ص١٣٠ـ١٥٢.

أما البوذية فقد ظهرت في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، في الجهة الشرقية من شبه القارة الهندية، وهي تُنسب إلى المفكر (بوذا)، الذي أُحيطت شخصيته بأساطير عدة، بدأت بولادته التي قال عنها غوستاف لوبون[١]:"بوذا كعيسى وُلد من أم عذراء"[٢] ، أما المؤرخون الهندوس والبوذيون فهم متفقون على ولادته الطبيعة خلافاً لما ذهب إليه لوبون[٣].

وتقوم فكرة البوذية على أن آلام الناس وأحزانهم هي بسبب الرغبة في الدنيا واتّباع الشهوات، فعلى الإنسان أن يقضي عليها ليعيش سعيداً[٤].وشنّ بوذا حرباً على الطبقات الهندوسية، ودعا إلى المساواة بين الناس، فوجدت فكرته تأييداً من المضطهدين في الطبقات الهندوسية[٥].

ونتيجة لذلك وصلت البوذية قمتها في عصر أحد أباطرة الهند يُدعى (أشوكا) ولكنها ما لبثت أن أخذت في الاضمحلال لتحل محلها الهندوسية مرة ثانية، وذلك بسبب انحراف سدنتها عن طقوسها الأولى المبسطة ولجوئهم إلى أخرى معقدة، فانتهزت الهندوسية هذه السانحة وجاءت بمذهب أكثر مرونة، وجعلت لبوذا ومهابير مؤسس الجينية مكاناً وسط آلهتها، وقامت بطرد البوذيين والشودرية[٦] من وسط الهند فانتشروا في الجنوب والغرب (بلاد السند) وهكذا

---

١ ـ غوستاف لوبون:رئيس بعثة الآثار الفرنسية إلى الهند، كان منصفاً معتدلاً في أقواله تجاه الحضارة الإسلامية.

٢ ـ غوستاف لوبون: حضارة الهند، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ص٣٤٤.

٣ ـ محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، دار الشعب، مصر، ١٩٧٠م، ص١٢٩.

٤ ـ المرجع السابق: ص١٤٦، ومحمد ضياء الأعظمي:أديان الهند، مرجع سابق، ص١٣٢.

٥ ـ المرجع السابق، ص١٣٧.

٦ ـ الشودرية:إحدى طبقات البراهمة، وهم من سكان الهند الأصليين الذين حاربوا الآريين وفي النهاية استسلموا لهم، فعذبوهم أشد العذاب، فهربت مجموعات منهم إلى شمال الهند وإلى بلاد السند.يُنظر محمد ضياء الأعظمي: أديان الهند، مرجع سابق، ص٦٣.

كانت السند تعيش في تلك الحقبة حالة سيئة من الناحية الاجتماعية والمذهبية[١]، وفي بداية القرن الهجري الأول تربع على عرش مملكة السند الملك جج[٢]، وهو برهمي المذهب، فأصبحت البرهمية دين الدولة الرسمي على الرغم من كثرة أتباع البوذية، فشنّت عليهم البرهمية حملات من التعذيب والحرق والتشريد والقتل الجماعي حتى أفنت العديد منهم، بينما تجاهلت الجينية، لكونها محصورة في مجموعات ضئيلة، إضافة إلى أنها لا تهدد أي دين وذلك لطبيعة فكرتها القائمة على الزهد في الدنيا[٣].

وفي العصر نفسه الذي ظهرت فيه البوذية كانت الجينية[٤]، التي قامت على الزهد والتقشف والشدة في العيش، والبُعد عن ملذات الحياة، وعمادها الرياضة العنيفة، والمراقبة الذهنية الشاقة[٥].وقد جدد أصولها ونشر عقيدتها مهابير (أي البطل العظيم)، الذي يرى الحياة بأنها لعنة و على المرء أن يتخلص منها بالانتحار البطيء جوعاً[٦].وفرضت الجينية على أتباعها رياضات وتدريبات جسمانية وروحية قاسية وصارمة، ومنعتهم حق التملك وألغت جميع أنواع القرابين حتى أنها حرّمت على أتباعها الزواج في بادي الأمر، وهكذا حملت الجينية عوامل فنائها بين جنباتها، وذلك لمصادمتها فطرة البشر، الأمر الذي ساعد البرهمية على الانقضاض عليها والتهام قاعدتها فانحصر أتباعها في نطاق ضيّق، وبقيت آثارها على الديانتين

---

١ ـ غوستاف لوبون: حضارة الهند، مرجع سابق، ص٣٤٤.

٢ ـ جج:كان حاجب الملك السندي ساهسي، فتسلق إلى أن أصبح ملكاً على البلاد، يُنظر تفاصيل القصة في علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص١٩ وما بعدها.

٣ ـ المصدر السابق: ص٢٠.

٤ ـ الجينية:مشتقة من كلمة (جينا) ومعناها: المنتصر على العواطف والرغبات والمسيطر عليها، يُنظر محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة، مرجع سابق، ص١٤٣.

٥ ـ المرجع السابق: ص١٤٣.

٦ ـ محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة، مرجع سابق، ص١٤٤.

الهندوسية والبوذية، وتمثلت في عبادة الأصنام وبناء المعابد التي لم يعرفها الهندوس والبوذيون من قبل[١].

وقد كان الصراع محتدماً بين البراهمة الطغاة وأصحاب المذهب البوذي المضطهدين في السند، ولذلك اضطر البوذيون إلى الانتشار في الوديان الواقعة في المناطق الجبلية ببلاد السند والمجاورة للحدود الهندية، فراراً بدينهم وأنفسهم من ظلم البراهمة. وكانوا يشكّلون مجموعات كبيرة ولهم زعماء في السند وخاصة مدينة نيرون وإقليم سيوستان، وحين ظهر العرب المسلمون ببلاد السند فاتحين ومبشرين بدينٍ جديد رحّب بهم البوذيون آملين في الخلاص والعدل على أيديهم، واعتنقت منهم مجموعات الدين الإسلامي ورأت في المسلمين خيراً مقارنةً بالبراهمة.

انتشار المذاهب الإسلامية في بلاد السند:

لم يكن للمسلمين الذين صحبوا محمد بن القاسم مذاهب، لأنها لم تكن معروفة آنذاك، بل كان الناس جميعهم يتّبعون الكتاب والسنة، كما لم تكن هنالك خلافات فقهية بين العلماء، إلى أن ظهر المذهب الحنفي[٢] في الفقه في أوائل القرن الهجري الثاني أي في عصر الخلافة العباسية، فأصبح مذهب الدولة الرسمي، وانتشر في بلاد السند، وظلَّ بها حتى نهاية القرن الهجري الرابع، ولعل وجود الإمام أبي حنيفة في العراق كان له أثره في انتشار المذهب بالسند، لا سيما وأن السند إحدى الولايات العراقية، فكانت الوفود تتردد عليها بصورة منتظمة، وقوافل التجار المسلمين لا تنقطع عنها، والدعاة والعلماء يجوبون المنطقة بصورة

---

١ ـ محمد ضياء الأعظمي: أديان الهند، مرجع سابق، ص١٦٢، ١٦٣.

٢ ـ المذهب الحنفي:نسبة إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت مولى بني تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل، وهو من أصل فارسي، وقيل سندي، وهو صاحب الرأي، توفى في بغداد سنة١٥٠هـ/ ٧٦٧م، في خلافة المنصور، يُنظر محمد بن سعد:الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٦، ص٣٤٨، و شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تذكرة الحفاظ، حيدر أباد، الهند، ١٣٧٧هـ، جـ١، ص١٦٨.

مستديمة فينقلون ما تعلموه من مدرسة الإمام أبي حنيفة، كما أن السند الذين يقطنون العراق لا شك أنهم قد اعتنقوا المذهب الحنفي وبشروا به في أهليهم. فهذا التواصل والتقارب الاجتماعي بين البلدين من المؤكد أنه أسهم بأثرٍ كبير في انتشار المذهب الحنفي في السند. ولا يُستبعد أن يكون أصل أبي حنيفة (الزطي)[١] سبباً في انتشار مذهبه. ولم تذكر كتب الرحالة والمؤرخين الذين تناولوا تاريخ المنطقة مذهباً غيره، وقد أكّد ذلك ابن رستة الذي زار المنطقة سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٤م[٢].

ظهور الفرق الإسلامية في بلاد السند:

(١) الشيعة:

الشيعة في اللغة تعني: قوماً يرون رأي غيرهم، وهم الأتباع والأنصار، وتشايع القوم: أي صاروا شيعاً[٣] .أما في الاصطلاح فقد عرّفها ابن حزم:"بأنهم من قال بأفضلية علي ﷺ على سائر الصحابة رضوان الله عليهم، وأحقيته بالإمامة ومن ثمّ ولده من بعده"[٤].

وقد اختلف مؤرخو الفرق في تحديد بداية التشيع، لأن الفِرَق وثيقة الاتصال بالأحداث التاريخية، كعقيدة الخوارج التي ظهرت وقت التحكيم، أما التشيّع فقد كانت عدة حوادث تاريخية لها أثر بالغ فيه، ولكن الراجح أن التشيع قد ظهر زمن عثمان بن عفان ﷺ إلا إنه لم يتخذ صورةً عامة أو حزباً مستقلاً إلا بعد موقعة

---

١ ـ اختلف حول أصله فمن قائل أنه زطي ومن قائل أنه من أصل فارسي. يُنظر شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٤، ص٦٠٢.

٢ ـ أحمد بن عمر بن رستة: الأعلاق النفسية في تقويم البلدان، ليدن، ١٨٩١م، ص١٣٦ـ١٤١.

٣ ـ الحسين بن محمد الدامغاني: قاموس القرآن، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م، ص٢٧١.

٤ ـ أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، جـ٢، ص١١٣.

صفين[1]، وانقسام جيش علي ﷺ إلى أتباع وخارجين، بمعنى أن التشيع ظهر حزباً في صفين والجمل[2].

أما كلمة الرافضة فهي مرادفة للتشيع، وقد اتفق جمهور الباحثين على أن تاريخ إطلاق هذه الكلمة يعود إلى زيد بن علي ﷺ[3]حينما خرج على هشام بن عبد الملك في عام ١٢١هـ/ ٧٣٨م[4].وسبب ذلك أن جماعة من الشيعة التفت حول زيد بن علي فلما أراد الخروج قالوا له: رحمك الله! ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً، قالوا فلِمَ تطلب إذاً بدم أهل البيت، إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم! فقال لهم زيد: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم أنّا كنّا أحق بسلطان رسول الله ﷺ من الناس أجمعين، وإن القوم استأثروا علينا، ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً، وقد وُلوا فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنة. قالوا

---

١ ـ موقعة صفين:وقعت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما سنة٣٦هـ/ ٦٥٦م، وانتصر فيها علي، وفيها كانت حادثة التحكيم وخروج أتباع علي عليه والذين عُرفوا بالخوارج، وقبلها كانت موقعة الجمل بين علي وعائشة رضي الله عنهما سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م، وقتل فيها جمع من المسلمين على رأسهم طلحة والزبير رضي الله عنهما، وكان عبد الله بن سبأ وراء إشعال الفتنة، يُنظر أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ٧، ص٢١٨ـ٢٤٣.

٢ ـ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي:مروج الذهب في أخبار من ذهب، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٨٤هـ، جـ٣ن ص١٠٠.

٣ ـ زيد بن علي:هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان ذا علم وجلالة وصلاح، عاش نيفاً وأربعين سنة، وقُتل في صفر سنة ١٢٢هـ/ ٧٤١م، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٥، ص٣٨٩،٣٩٠.

٤ ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، جـ٧، ص١٠٦.

فلِمَ يظلمك هؤلاء! وإن كان أولئك لم يظلموك، لِمَ تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين! فقال: وإن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإلى السنن أن تحيا، وإلى البدع أن تطفأ، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل. ففارقوه ونكثوا بيعته، فسماهم زيد الرافضة[1].

ويرى الشيعة أن الرسول ﷺأوصى بإمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم لبنيه من بعده، ويعتقدون عصمة الإمام وأنه بالنص والأفضلية ثبتت إمامة الحسن بن علي وإمامة أخيه الحسين وإمامة زين العابدين علي بن الحسين...وهكذا بقية أئمتهم[2]،وقد انقسم الشيعة إلى عدة فِرَق، ويرجع هذا الانقسام إلى اختلافهم في المبادىء، فمنهم من ألقى على أئمة الشيعة نوعاً من التقديس، ورمى كل من خالف عليّاً وحزبه بالكفر، ومنهم من اعتدل في تشيعه، وهنالك اختلاف بين الشيعة حول تعيين الأئمة، فقد اتفقوا على إمامة علي فالحسن فالحسين، وبعد مقتل الحسين رضي الله عنه اختلف الشيعة فيمن يكون الخليفة من بعده، فرأى فريق منهم انتقال الإمامة إلى أخيه من أبيه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية فبايعوه، بينما رأى الفريق الآخر حصر الإمامة في ذرية علي من فاطمة رضي الله عنها، وقد أصبحت الإمامة حقاً لأولاد الحسن بعد مقتل الحسين لأنه أكبر أخوته، ثم انقسم الشيعة إلى فِرق عديدة أهمها الزيدية الذين اعتدلوا في تشيعهم، ثم الإمامية الذين تغالوا في تشيعهم.

وقد حارب الشيعة الدولة الأموية وخاضوا ضدها معارك طاحنة فقدوا فيها خيرة عناصرهم. وبعد قيام الدولة العباسية التزم الشيعة الهدوء في عهد أبي العباس السفاح ومطلع عهد أبي جعفر المنصور، ولكن هذا لا يعني تأييدهم للعباسيين بل على العكس من ذلك، فهم يرون أنهم أحق بالخلافة من بني العباس، وأن

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٥١.

٢ ـ محمد بن محمد مهدي الكاظمي القزويني الموسوي: أصول الشيعة وفروعها، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٢٨.

العباسيين مغتصبون للخلافة، لا يختلف شأنهم عن الأمويين، ويرون أن العباسيين استغلوا الدعوة إلى الرضا من آل محمد، وضموا إليهم العامة من الشيعة بهذه الدعوة، كما أنهم استفادوا من الحركات العلوية التي قامت في وجه بني أمية، وينتظرون اللحظة المناسبة للوثوب عليهم.

إلا أن الشيعة لم يكن لهم موقف موحد تجاه الخلافة العباسية، وذلك لأن الفرع الحسيني بزعامة الإمام جعفر الصادق، آثر جانب السلام والمصالحة، فلم يخرج على الدولة العباسية، أما الفرع الحسني فقد أظهر عداوته للعباسيين، وقاد عبد الله بن الحسن الثورات ضد الدولة وأظهر عداوته لها، كما أعدّ ولديه محمداً وإبراهيم للزعامة ومنازلة العباسيين والانقضاض عليهم واستعادة الحق المسلوب.

فعندما ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، بالعراق داعياً لنفسه بالخلافة، وكان عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة[١] فيمن بايعه من قواد الخليفة المنصور، وكان يتشيع سراً قبل أن يكون والياً على السند ومما يدل على ذلك إرسال محمد بن عبد الله ابنه عبد الله المعروف بالأشتر إلى بلاد السند مع جماعة من أنصاره على أنهم تجار خيول، وكان الغرض من قدومهم السند هو الدعوة للشيعة[٢].

وعندما وصل الأشتر مع رجاله إلى المنصورة العاصمة السندية، عرضوا أنفسهم على والي السند عمر بن حفص على أنهم تجار خيول، ثم أخبره أحدهم بأنهم رُسل محمد بن عبد الله بن الحسن إليه، فرحّب بهم ودعا أهله وخاصته فقرروا يوماً للمبايعة، ولما كان اليوم المحدد جاءهم خبر مقتل محمد بن عبد الله بن الحسن، فخاف عبد الله الأشتر على نفسه، وطلب من الوالي حمايته، فبعث به إلى

---

١ ـ عمر بن حفص:كان يُلقب هزار مرد، يعني ألف رجل، يُنظر عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص٢٤٣.

٢ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٣٠،٣١.

ملك سندي كان يحكم منطقة مجاورة للدولة الإسلامية، معروف بتعظيمه لذرية الرسول ﷺ فأحسن إليه، ومكث الأشتر في المملكة السندية فتسلل إليه جماعة من الزيدية نحواً من أربعمائة جاءوا إليه من مناطق مختلفة، فكان يخرج معهم على هيئة الملوك إلى الصيد وغيره، ولما علم الخليفة بازدياد نشاط الشيعة في المنطقة قام بعزل عمر بن حفص ونقله إلى إفريقية سنة١٤٥هـ/ ٧٦٢م[١].

ثم ولّى الخليفة المنصور أمر السند هشام بن عمرو التغلبي وأمره بأن يحارب الملك السندي ويرغمه على تسليمه عبد الله الأشتر، ولكنه كره أن يقبض على الأشتر ولكن أخوه (سفنجا) هزم عبد الله الأشتر وقتله مع كافة أصحابه، وقيل إن أصحابه رموا به في نهر السند حتى لا يُحمل رأسه إلى الخليفة المنصور وكان ذلك سنة١٥٠هـ/ ٧٦٧م[٢].

وبالتأكيد فإن مقتل عبد الله الأشتر لا يمثل نهاية الحركة الشيعية في بلاد السند، لأن له أتباعاً لا يقلّون عن الأربعمائة شخص فيهم عدد غير قليل من علماء الزيدية، وكانوا يعملون على نشر مذهبهم في المنطقة ويتحينون السانحة للاستيلاء على البلاد وإقامة حكومة شيعية، ولكن يبدو أنهم لم ينجحوا في استقطاب أتباع لهم في المنصورة لسنوات عديدة، ولعل السبب في ذلك هو وجود علماء من أهل السنة مخالفين لآراء الشيعة وقفوا في وجه دعوتهم. وهذا هو الدافع الأساس في اتجاه الشيعة إلى أماكن أخرى كالملتان وغيرها، وبالفعل كوّنوا قوة لهم في المنطقة، وعلى كل فإن دعوة الشيعة في المشرق لم تحقق النجاح الذي حصلت عليه في المغرب حيث أقامت دولاً كالفاطمية في مصر. ومن الراجح أن التشيع نجح في أول الأمر بالسند لارتباطه بآل البيت الذين يجدون التعظيم من كل شخص وخاصة غير العرب، ولذلك بذل المنصور جهداً كبيراً في القبض على ابن الأشتر حتى يغلق باب التعاطف مع آل البيت في المنطقة، كما أن التشيع استغله بعض الخارجين على

---

١ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ٢٤٣.

٢ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٥، ص٣١.

الدولة كوسيلة للقضاء عليها، فنجد داعية الشيعة ينقلب عليهم ويكـون يـد الخليفـة التي يبطش بها عندما يحس بفشل حركتهم. والمطّلع على أفكار الشيعة يجد أن غالبها لا يوافق عليه العامة، فليس من السهولة أن يحمـل الداعيـة النـاس علـى الطعـن في أبي بكر و عمر رضي الله عنهما، ولذلك نجد أن ثـورتهم تظهـر في أي بلـد ويكـون عدد غير قليل قـد اعتنقهـا مـن أجـل محاربـة الدولـة فقـط والبقيـة جـاءت حبـاً في الشخصية التي قادتها باعتبارهـا مـن آل البيـت، فتجـد جمـوع المؤيـدين تختفـي أمـام جيوش الخلافة، وهذا ما حدث بالفعل في بلاد السند، فقد اختفى أثرهم وأصـبحت لهم جيوب في أماكن نائية بعيدة عن سلطة الوالي في السند.

(٢) الخوارج:

عرّف الشهرستاني الخوارج تعريفاً عاماً فقال:"كـل مـن خـرج علـى الإمـام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يُسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصـحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم علـى التـابعين لهـم بإحسـان والأئمـة في كـل مكان"[١]، وقد عُرفت الخوارج بأسماء عديدة أشهرها وأكثرهـا اسـتخداماً الخـوارج، والحرورية نسبة إلى الموضع الذي اتخذه أسلافهم مقراً لهم عندما خرجوا عن جـيش علي بن أبي طالب ﷺ، وهو يوجد بالقرب من الكوفة[٢]،ومن أسمائهم أيضاً الشـراة نسبة إلى الشراء الذي ذكره الله تعالى في قوله:﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَـهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّـا فِـي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّـذِي بَـايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣] وهـم دائمـاً يفتخـرون بـأنهم شـراة، ومـن أسمـائهم المارقة والمحكمة.

---

١ ـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والمحل، مصدر سابق ، جـ١، ص١١٤.

٢ ـ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين، مطبعـة المدني، القاهرة، بدون تاريخ، ص٧٥.

٣ ـ سورة التوبة: الآية١١١.

قاتل الخوارج علياً في النهروان[١] فهزمهم وقتل منهم جموعاً كثيرة، والذين نجوا منهم تفرقوا وكانوا نواة الخوارج في البلاد التي حلّوا بها. وفي عام ٤٠هـ/ ٦٦٠م تمكنوا من اغتيال الخليفة على بن أبي طالب ﷺ[٢].

وظلَّ الخوارج يتتابعون في الخروج على الحكام، وعند قيام الدولة الأموية خاضوا ضدها حروباً طاحنة كلفوا فيها أنفسهم خسائر ضخمة، وكلفوا دولة الخلافة من الأنفس والأموال ما لو أنفق في جهاد الكفار لكان مفخرة إسلامية، فكانوا شوكة في حلق الأمويين، ويكفي أن رجلاً واحداً منهم اسمه شبيب، دوّخ بني أمية وهزم لهم أكثر من عشرين جيشاً في خلال سنتين، وقد ذكر الشهرستاني أن شبيباً قتل من جيش الحجاج أربعة وعشرين رجلاً كلهم أمراء جيوش[٣]،وقد خطبت زوجته غزالة على منبر الحجاج بالكوفة، بينما كان الحجاج مختبئاً لم يخرج تلك الليلة، فعُيّر بتلك الحادثة بهذه الأبيات:

أَسدٌ عَلَيَّ وَفي الحُروبِ نَعامَةٌ * رَبداءُ تجفلُ مِن صَفيرِ الصافِرِ
هَلّا بَرَزتَ إِلى غَزالَةَ في الوَغى * بَل كانَ قَلبُكَ في جَناحَي طائِرِ

واستمر الخوارج طوال عهد بني أمية وهم في صراع حاد معها فأوهنوا قوتها وأوهنت قوتهم، إلى أن زالت وخلفتها الدولة العباسية. وحينما جاء العباسيون كان الخوارج في حالة احتضار ولذلك توالت عليهم الهزائم، فلا يخرجون على خليفة إلا ورماهم بكل ما لديه من ثقل إلى أن أصبحوا في وضع لا يمكنهم فيه أن يلفتوا إليه نظراً، ولكن على الرغم من ذلك فقد أفلحت مجموعة من الخوارج في بعض المناطق

---

١ ـ النهروان: تقع بين بغداد وواسط.يُنظر شهب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي:معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٨، ص٤١٨،٤١٩.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٦، ص٥٩.

٣ ـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني:الملل والنحل، مصدر سابق، جـ١، ص١٢٨.

الوعرة كعُمَان والأطراف النائية كالمغرب في إقامة دول لهم كان لهم فيها حكم ولهم عليها سلطان، كدولة الإباضية في عمان والصفرية في المغرب العربي[١].

أما في بلاد السند فلا توجد رواية واضحة تؤكد نشاط الخوارج فيها أيام الأمويين، ولكن يُفهم من بعض الإشارات التاريخية المتفرقة، أن بعض الخوارج الذين كانوا يفرون من البلاد العربية وغيرها يأتون إلى بلاد السند ويتخذونها ملجأ لهم، وأول رواية صريحة في هذا الجانب هي ما قام به العلافيون بعد مقتل عبد الرحمن بن الأشعث الكندي[٢] الخارج على الحجاج سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م، فقتلوا الوالي على مكران، واستولوا على الحكم، حتى قضى عليهم الحجاج سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م[٣].بعد ذلك لم يُسمع للعلافيين صوت في بلاد السند حتى خلافة مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية، ، عندما بُويع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في الكوفة أيده منصور بن جمهور الكلبي، ولما قُتِل عبد الله بن معاوية هرب منصور بن جمهور إلى بلاد السند واستولى عليها وأقام فيها حكومة مستقلة دامت ست سنوات[٤]. وتعتبر حكومته هي الثانية المؤقتة للخوارج ببلاد السند، حتى قُتل سنة ١٣٤هـ/ ٧٥١م في بداية الدولة العباسية على يد موسى ابن كعب التميمي أول ولاة بني العباس على السند[٥].

١ ـ غالب بن علي عواجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٦١،١٦٢.

٢ ـ عبد الرحمن بن الأشعث الكندي:كان أحد قادة الحجاج أرسله لفتح سجستان ولكنه انقلب عليه، ووقعت بينه وبين الحجاج معركة الزاوية ودير الجماجم وغيرها.يُنظر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٤٤.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٤، ص٢٣ـ٢٦.

٤ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص٢٠٣.

٥ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٥٨.

وكان كثير من زعماء الخوارج يلجأون إلى بلاد السند إذا ضُيّق عليهم الخناق، ومن هؤلاء رفاعة بن ثابت الخارجي الذي لجأ إلى منصور بن جمهور في السند فرحّب به واتخذه قائداً في جيشه ثم عيّنه نائباً لأخيه منظور بن جمهور في حكم المناطق الغربية، وعندما ذهب منصور إلى الملتان لضمها إلى دولته وتوحيد الحكومتين في حكومة واحدة تحت قيادته، استغل رفاعة السانحة وانقض على العاصمة المنصورة وهزم منظور بن جمهور، واستولى على مقاليد الحكم، فلما علم منصور بذلك عاد بسرعة إلى المنصورة وانتصر على رفاعة في معركة دامية وأسره وقرر أن يعاقبه، فأمر أن يُبنى له أسطوانة مجوفة من آجر وأدخله فيها وهو حي، وهكذا كان منصور كغيره من الخوارج قاسياً مع خصومه[1].

وعند مجيء العباسيين إلى السلطة، كان الخوارج قد أُنهكوا، ثم إن العباسيين استطاعوا أن يقضوا على بقية مراكزهم العسكرية بسهولة، وذلك لأن الخوارج كانوا يعملون مع العباسيين في كثير من المعسكرات المشتركة ضد الدولة الأموية، ولذلك كانت أسرار الخوارج وقوتهم ومراكزهم المهمة معروفة لدى العباسيين.ولكنهم مع ما أصابهم من ضعف فقد كانت مجموعة منهم تواصل جهودها في سبيل إقامة دولة لهم، وكان خوارج عمان يأتون إلى بلاد السند لكونها بعيدة عن نفوذ العباسيين، ففي سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م قدم حسان بن مجاهد الهمذاني الخارجي من الرقة إلى بلاد السند عن طريق البحر، وقام بجولة واسعة في أرجاء البلاد بحثاً عن مؤيدين لدعوته، يكوّن بهم قوة تتخذ المنطقة مركزاً لها ومنطلقاً لمحاربة العباسيين، ولكن الوالي العباسي عمر بن حفص لم يعطه الفرصة لتحقيق مهمته فاضطر للعودة إلى الموصل، بعدها اختفى أثر الخوارج في المنطقة[2]. وهكذا نجد أن هذه البلاد لم تر نشأة أو إقامة دولة للخوارج تدين بمذهبهم وتعمل على تحقيق

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص١٩٩.

٢ ـ تاريخ السند بالأردية: ص ١٥٢، نقلاً عن عبد الله بن مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٨.

مبادئهم، وكل ما حدث من محاولات قام بها بعض الخارجين على بني أمية ثم على بني العباس، استغلالاً لبُعد هذه البلاد، وكونها نائية عن مركز الخلافة، ورغبةً منهم في تكوين الأتباع ونشر المذهب وتكوين القوات والتعاون مع خصوم الحكومة الشرعية في نشر الفوضى وإشاعة الاضطرابات وعمل كل ما من شأنه إضعاف الخلافة المركزية والجلوس مكانها، ومع ذلك فلم يتمكن هؤلاء من إقامة دولة تحكم باسمهم.إلا أن هذه المحاولات إضافة إلى الفتن التي أشعلتها العناصر الأخرى وضعف الدولة العباسية في المركز قد ساعد على قيام دولتين شبه مستقلتين بإقليم السند والبنجاب ابتداءً من سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م هما الدولة الهبارية والدولة العربية بالملتان[١].

---

١ ـ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، القاهرة، ١٩٥٠م،ص٧٨.

(٣) أوضاع بلاد السند الاجتماعية

أسلفنا القول عند تحديدنا مفهوم الثقافة أنها طريقة المجتمع وأسلوبه في الحياة، وحقيقة جوهرية هي أنه بدون المجتمع لا يستطيع الفرد أن يستمر في الحياة، وبالطبع هو الذي يجعل الحياة الاجتماعية ممكنة، بل إن الثقافة نفسها لم تكن لتنبثق وتعمق جذورها دون وجود المجتمع. ومن أجل هذا كان فهم المجتمع من حيث عناصر بنائه الأساسية، وعوامل تغييره وطريقة تخطيطه وطبيعة مشاكله، خطوة ضرورية في اتجاه تحديد آثار الثقافة عليه.

وقد وُجِد بين الثقافة والمجتمع ارتباطٌ وثيق، لدرجة أنه يصعب في كثيرٍ من الأحيان أن نفصل بين ما هو ثقافي وما هو اجتماعي، فإذا كانت الحاجات الإنسانية يمكن أن تُفسر تفسيراً اجتماعياً، فإن طُرق إشباعها ترتد إلى العناصر الثقافية. فإذا نظرنا إلى الثقافة من ناحية تعلمها نجد أن جميع أجزائها يكتسبها الإنسان عضواً في المجتمع من خلال عملية التعلم، كما أن الثقافة تتأصل وتنمو من خلال التفاعل الإنساني، فالأب ينقل إلى الطفل والمعلم إلى التلميذ وهكذا[1].

والمجتمع السندي كانت له عناصره وتكويناته قبل الإسلام وقد أحدث فيه الإسلام تغييراً جذرياً، بل أعاد صياغته من جديد الأمر الذي يدعونا لتناوله في الفترتين، وسنقدم لذلك بعرضٍ للقبائل السندية وأوضاعها الاجتماعية، ثم نتبع ذلك بالقبائل العربية وتكويناتها وعلاقتها بأهل السند، وما نتج عن التقاء المجتمعين السندي والعربي ومدى تأثيره على المنطقة.

أولاً: القبائل السندية وأوضاعها الاجتماعية:

شبه القارة الهندية كتلةٌ بالغة الضخامة، وقد كان لوضعها الجغرافي أثره في الأجناس التي سكنتها، فهي محاطة بالمياه من ثلاث جهات، وقد عزلها عن بقية

١ ـ محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع نظريات وتطبيقات، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١١ ـ ٢٢.

اليابس الآسيوي أمنع متراس طبيعي بين بلدين وهو جبال الهملايا التي تُعرف بسقف الدنيا، فلم يبق إلا معبران نفذ منهما الغزاة والمهاجرون إلى القارة. المنفذ الأول يقع إلى الشرق من الهملايا، والثاني في الشمال الغربي، وقد كان الغزاة والمهاجرون يدخلون منهما ويستقرون في المنطقة الشمالية الغربية ــ السند ـ الأخصب أرضاً والأوفر ماءً، حتى إذا جاءتهم هجرات أخرى، فإما أن تعيش معهم أو تحتل أرضهم وتدفعهم صوب الجنوب، وهكذا كانت المنطقة بأكملها عرضة لهجرات متتالية توالت عليها في فترات متلاحقة، كانت نتيجتها بروز بيئة متباينة، تميزت بأجناسها المختلفة ودياناتها المتعددة ولغاتها الكثيرة.

وأقدم من سكن القارة الهندية قومٌ سود البشرة، لهم سمات الأجناس الحامية قطنوا الغابات، ولم يصل الباحثون إلى معرفة الجهة التي قدموا منها، ولا تزال بقاياهم إلى الآن في جنوب الهند ويتكلمون لغات يرجع أصلها إلى سكان جزر المحيط الهادي، الأمر الذي يجعل البعض ينسبهم إلى جزر سوماطرة وسيلان[١]. وقدم الهند من بعد ذلك موجات تورانية[٢]وافدة من الشمال فدفعوا بأهل البلاد الأصليين أمامهم صوب الأماكن الجبلية في الوسط، ثم استولى على شمال الهند الدراوريون الذين لم يُعرف تاريخ مجيئهم ولا البلاد التي قدموا منها، فمن قائل إنهم سكان شواطيء البحر الأبيض المتوسط، ومن قائل إنهم من سكان العراق، ومن المؤكد أنهم جاءوا من الغرب، بدليل اتفاق المؤرخين على نسبة جهة قدومهم إلى مناطق

---

١ ـ إحسان حقي: تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص١١.

٢ ـ التورانيون: من الفئات التي دخلت القارة الهندية قبل الدراوريين، فقاموا بطردهم صوب الجنوب واستولوا على مناطقهم الشمالية. Dunbar:Ahistory of India from the earliest times to the present day.vol.1p15

غربية[١] . ومن المرجّح أن الـدراوريون دخلـوا غـزاة لا مهـاجرين، فـترك لهـم بعـض السكان الأصليين المنطقة الشمالية ونزحـوا جنوبـاً، أمـا البقيـة مـنهم فقـد تزاوجـوا معهم ونتج عـن ذلـك جيـل عُـرف بالدَرَافِيـد، تمركـزوا في وادي السـند. ثـم جـاء الآريون على شكل هجرات كبيرة، فدخلوا بلاد السند واستوطنوا فيهـا، ثـم فكّـروا في القضاء على نفوذ الدَرَافِيد الذين كانت لهم حضارة عريقة لا تقل عن الحضـارات المعروفة آنذاك، وقد دلّت عليها الآثـار الـتي عُثـر عليهـا في مـدينتي مُوهَـانْ جُـودَار وهربا[٢]. وقد كان تاريخ الدَرَافِيد مجهـولاً قبلـها، وذلـك بسـبب كتابتـه علـى أيـدي الآريين الذين وصفوهم بأنهم أمة بدائية متخلفة، فأثبتت الحفريات أنهـم كـانوا أمـة متمدنة سبقت حضارتها الآريين بنحو أربعـة آلاف سـنة قبـل المـيلاد، وأنهـم كـانوا يتمتعون بحضارة راقية، ومدنية رفيعة، كما هو واضح مـن آثـارهم ومـا خلّفـوه مـن آلات النسيج والأواني الفخارية وقنوات المياه والشوارع المنظمة[٣].

ظهر الآريون عنصراً جديداً فرض نفسه على المنطقـة في بـدء الألـف الثـاني قبل الميلاد، فاختفت الحضارة الدَرَافِيدية، وهذا راجع لكون الجنس الآري موسـوماً بالبداوة والقسوة وشدة البأس، عكـس الدَرَافِيـد الـذين وصـلوا إلى أقصـى مـدارج المدنية والتحضر، فلـم يكـن في مقـدورهم مواجهـة الآريـين، فلمـا وجـد الآريـون أنفسهم أمام أمة لينة الجانب، ترفعوا عنها فلم يختلطـوا بهـا[٤]، وهنالـك عامـل آخـر وهو أن الآريين دخلوا مهاجرين لا محـاربين، والفـرق كـبير بـين الحـالتين، فـالجيش يكون عماده الرجال الذين سرعان ما يتصلون بنساء الشعب المغلوب ويتم التزاوج، أما الآريون فقد دخلوا بنسائهم وأطفالهم، وكانت عدم الحاجة للنساء مع الاستعلاء

---

١ ـ إحسان حقي:تاريخ شبه الجزيرة، مرجع سابق، ص١٢،١٣.ولكن محمد إسماعيـل النـدوي يرفض هذا الرأي ويقول إنهم سكان البلاد الأصليين.يُنظر الهند القديمة، مرجع سابق، ص٥٧.

٢ ـ مُوهَانْ جُودَار Mohan Jodar وهربا Harba:مدينتان على نهر السند اكتشفتا عـام ١٩٢٢م، محمد ضياء الرحمن الأعظمي:أديان الهند، مرجع سابق، ص٢١.

٣ ـ المرجع السابق، ص ٢١، ٢٢.

٤ ـ محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة، مرجع سابق، ص٦٤.

الذي يصحب النصر من أسباب ترفعهم على العنصر الدَرَافِيدي واحتقارهم له، وقد نتج عن ذلك فيما بعد ظهور نظام الطبقات الجائر[١] الذي وضعه الآريون ليضمنوا به بقاء السيادة والسلطة في أيديهم ونسبوه إلى كتبهم المقدسة، فقسّموا المجتمع إلى أربع طبقات، ووضعوا لكل طبقة أحكاماً ووظائف لا تتجاوزها، فخصصوا جميع أعمال الشرف والسيادة لطبقة (البراهمة) وجعلوها أعلى الطبقات البشرية، وزعموا أن وجودها مستمد من الإله (براهما)، فمن واجباتهم الإشراف على الشؤون المذهبية والمعابد وجمع النذور وتقديم القرابين إلى الآلهة ولهم السلطة المطلقة في البلاد، والطبقة الثانية هي الكَشْتَرِي التي تمثل الحكام والقواد المحاربين المتسبين إلى منطقة راجبوت التي تشمل السند والبنجاب وأجزاءً من الهند، وقد اتصف ملوكها بالقوة والتطور في آلة الحرب، فولاهم الآريون الملك حتى يضمنوا استقرار البلاد.أما الطبقة الثالثة فهي الوَيْشَ وهم التجار والصناع ومن واجبهم الاهتمام بالأمور الاقتصادية وتوفير وسائل العيش للطبقتين الأولى والثانية، وهؤلاء يرجعون إلى التورانيين ذوي الخبرة الواسعة في التجارة والزراعة الأمر الذي دفع الآريين لوضعهم في طبقة الوَيْش ليقوموا بهذه الأعمال. وأُطلق على الطبقة الرابعة الشُوَدَرا وهي تتألف من التورانيين، إضافة إلى فئات من الدراوريين الذين حاربوا الآريين مدة من الزمن ثم استسلموا، فأوجبوا عليهم القيام بخدمة الطبقات الثلاث في أحط الخدمات وأقذرها، فهم محرومون من جميع حقوق الإنسانية في الحياة، ويسكنون في مناطق مهجورة خارج المدن، ولا يجوز لهم الجلوس والركوب مع أفراد الطبقات الأخرى، ولا يسمح لهم بالعمل في التجارة وجمع الأموال، وإذا سمع أحدهم شيئاً من الكتب المقدسة صُبّ في أذنيه الزيت الحار، وإذا رفع صوته على أحد أفراد الطبقات الأخرى قُطِع لسانه، كما لا يجوز لهم الزواج من غير طبقتهم[٢].

ومن بين سكان السند قبائل تميزت بوجودها في جزيرة العرب، سنتناولها في موضع آخر، وقد كان لها أثر كبير في تقوية الصلات بين العرب وأهل الهند والسند،

---

١ ـ أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م، ص٢٤.

٢ ـ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: تاريخ الهند، حيدر أباد، الهند، ١٩٥٨م، ص٧٥.

وأهمها الزطّJote والميد Meds وكانتا من أكبر القبائل السندية وكانت لهم فرق كثيرة بأسماء قبائل عديدة، وكانوا يسكنون مناطق مختلفة من السند، وقد عملوا بالسفن والقرصنة في البحر، وكذلك بالرعي أو قطع الطرق في البر، وقد دخلت مجموعات كبيرة منهما الإسلام، وهنالك أيضاً السيابجة والأحامرة والأساورة والبياسرة والتكاكرة.

أما المرأة فقد كانت هي الأخرى مهضوماً حقها، فوأد البنات الذي عرفته الجاهلية في جزيرة العرب كان شائعاً في القارة الهندية[1]، وإذا مات عن المرأة زوجها فليس لها أن تتزوج بآخر وهي أمام أمرين، إما أن تبقى أرملة طوال حياتها أو تحرق نفسها معه وهو الأفضل عندهم، وهي لا تتوانى ما أتيحت لها الفرصة في أن تحرق نفسها مع جثمان زوجها، ولعل مما ساعد على ممارسة هذه العادة التي تُعرف بـ(الساتي) ما كان ينتظر المرأة من بؤس وشقاء، إذ تصبح منبوذة محتقرة من الناس جميعاً[2]فلم يكن لها مناص إذن من سلوك طريق الساتي التي لا تزال تمارس حتى يومنا هذا ما أفلت الناس عن رقابة الحكومة. وإذا حاضت المرأة ابتعد عنها زوجها فلا يأكل معها ولا يجالسها في مكان واحد، وكان محرماً عليها قراءة الكتب الدينية[3]، وكان مئات الفتيات الحسناوات يهبهن آباؤهن للأصنام تديناً أو خلاصاً من تربتهن، فكن يقمن بنظافة المعابد وتقديم بعض الرقصات أمام الصنم والكهان والسدنة، ويعشن طوال حياتهن داخل المعابد فلا يتزوجن، وعندما دخل المسلمون الديبل كان في معبدها سبعمائة جارية وغلام[4].

---

١ ـ أمير علي: روح الإسلام، ترجمة أمين محمود الشريف، القاهرة، ١٩٦١م، جـ١، ص٢٠.

٢ ـ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: تاريخ الهند، مصدر سابق، ص٤٢٨.

٣ ـ شرائع منو، نقلاً عن محمد ضياء الأعظمي: أديان الهند، مرجع سابق، ص ٨٣ ـ ٨٧

٤ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص١٠٦.

كان هذا حال المجتمع في شبه القارة الهندية ووضع المرأة وقت أن وصلت إليها الدعوة الإسلامية، القائمة على الفطرة والحرية والعدالة والإنصاف، وتتسم بالبساطة، فلا تكلّف المرء أن يطيع أمراً يتعذر عليه تنفيذه، ولا تعترف بامتيازات خاصة ولا طبقات.

القبائل العربية وتكويناتها:

قبل الحديث عن القبائل العربية في السند لا بد لنا أن ندرس المجتمع العربي أولاً، فهو أساس دولة الإسلام، وكان له أثره الكبير في بناء الدولة الإسلامية، وكان المجتمع آنذاك يتمثل في القبيلة، ونظامه يقوم عليها.

فالقبائل قبل الإسلام كانت على فئتين: فئة متحضرة نجحت في تأسيس ملك لها وكوّنت مدناً، وفئة ثانية تمثل أهل البادية، وهؤلاء قبائل متنقلة، يعيشون في الخيام، وليس لهم مستقر دائم.أما من الناحية الجغرافية، فقد انقسم العرب منذ زمن بعيد إلى قسم شمالي يمتد من الحجاز حتى الشام، وقسم جنوبي ينحصر في اليمن وحضرموت[١].هذا التقسيم الجغرافي يقابله تقسيم في النسب، فعرب الشمال يرجعون إلى عدنان وهو من ولد إسماعيل عليه السلام، وعرب الجنوب يمانيون يرجعون إلى قحطان[٢].

عرب الشمال ينقسمون إلى فرعين هما: مضر وربيعة، الأولى أقامت في الشمال الغربي للجزيرة العربية، ومنها قبائل سكنت الحاضرة، مثل قريش في مكة وهُذَيل في جبال قريبة من مكة وثقيف في الطائف، وقبائل بدوية مثل بني تميم في وسط الجزيرة. وهنالك قبيلة قيس وهي ذات شأن عظيم من الناحية الحربية، حتى

---

١ ـ يوسف العش: الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص١٨ـ ٢٤.

٢ ـ لم يصل النسّابون إلى أصل قحطان ولكن الراجح أنه ليس من ولد إسماعيل عليه السلام، يُنظر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ص ٧، ٨.

غلب اسمها أحياناً على مضر، فيُقال بنو قيس ويُقصد بهم مضر، ومن قيس هـوازن المقيمة شرقي الطائف، وسُلَيم شرقي المدينة، وغَطفـان شمـالي خيـبر وتضـم عبسـاً وذبيان، ومن هنا يتضح لنا حجم المساحة التي تمتد فيها قبائل مضر، فقد اتسـعت إلى شمال الجزيرة العربية وشرقها. أما ربيعة فقد أقامـت في الشـمال الشـرقي للجزيـرة العربية، وجميع فروعوها تسكن البادية، عدا بني حنيفة، ومن فروعها أيضاً وائل الـتي تضم بكراً وتغلب اللتين دفعتهما بنو تميم إلى العراق وقد سكن فرع غـير قليـل مـن بكر غرب بحر العرب، وكانت بدوية، استمرت حربهـا مـع تغلـب بسـبب المراعـي وغيرها.ومن ربيعة بنو حنيفة الذين أقاموا في اليمامة، ومـن أكـبر قبائـل ربيعـة بنـو عبد القيس التي سكنت البحرين، وقد استمرت على حياتها البدويـة، وهنالـك بنـو أسْد في شمال الجزيرة وبنو طيء.

أما عرب الجنـوب فهـم في الأصـل أصـحاب حضـارة ضـاربة بجـذورها في القدم، من أهمها حضارتا سبأ وحمير اللتان كونتا فرعين للعـرب، فانتسـبت السـبئية إلى كهلان، والحميرية إلى قحطان، أما كهلان فقد نزحت بعد أن أصابها سيل العـرم وخرّب سد مأرب، فتفرقت فروعها، ومن أهم قبائلها الأزد ومنهم الغساسنة الـذين أقاموا بجنوب الشام، وأسسوا ملـك بـني جَفْنَـة، ومنهـا الأوس والخـزرج في المدينـة النبوية، فكانتا على خلاف منعهما من إقامـة حضـارة تضـاهي حضـارة الغساسـنة، ومن كهلان أيضاً قبيلة لخم في غربي العراق التي كوّنت مملكة الحـيرة، ومـنهم أيضـاً كندة التي تضم طياً في هضبة نجد وقد حاولت كندة إقامة مملكـة تضـم القبائـل فيهـا ولكن الإسلام ظهر وقضى على مملكتهم.

أمـا قحطـان فقـد بقـي معظمهـا في الـيمن وانقضـت دولـتهم علـى أيـدي الأحباش، ومنهم بنو الحارث ومذحج، ومراد، وهمدان، وهنالك قبيلة هـاجرت إلى الشام هي قبيلة بني كلب وقد كان لها تأثير في الأحداث الـتي صـاحبت قيـام الدولـة الأموية[١] .

---

١ ـ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص٩ـ ١٥.

وعندما قدم الجيش الإسلامي بلاد السند فاتحاً كان فيه تمثيل لعدد غير قليل من تلك القبائل، لأن السند تتابعت عليها الجيوش قبل ابن القاسم، فما من قائد يخرج إليها إلا ويصحب معه أعداداً من بني قومه، وعندما قاد محمد بن القاسم حملته كان قوام جيشه من العراق، ثم أمدَّه الحجاج بقوات من الشام[١]، ومن أظهر العناصر التي وردت بلاد السند وكان لها تأثير واضح عليها، قبائل بكر وتغلب وثقيف من الشمال والأزد وبني كلب ومراد من عرب الجنوب.

المجتمع السندي الجديد بعد دخول المسلمين:

عندما قدم المسلمون إلى بلاد السند وجدوا النظام الطبقي هو السائد، يؤيده المذهب البرهمي والقانون المدني، ولم يفكِّر القادة المسلمون في التخلص من هذا النظام، الأمر الذي دفع بعض الكُتَّاب الغربيين للطعن في عدالة محمد بن القاسم، ونعته بأنه لم ينصف الدراوريين الذين قدَّموا له خدمات جليلة أثناء الفتح على أمل أن ينقذهم من جحيم الطبقية[٢].ولا ريب أن الإسلام له منهجه في التغيير، فقد بدأ ابن القاسم بدعوة الناس إلى الإسلام وأعلن لهم أن من دخله فله جميع الحقوق التي للمسلمين، وعليه جميع الواجبات التي عليهم. وكانت أظهر المذاهب التي ينتمي إليها معظم سكان السند آنذاك هي البرهمية وأهلها أهل نظام الطبقات، والبوذية، وكان الدراوريون هم أتباع البوذية المضطهدة مذهبياً واجتماعياً وقد لاقت الأمرّيَنْ من تشريد وتعذيب وحرق.ولما كان المذهب البوذي يدعو إلى العدل والمساواة في الحقوق والواجبات ونبذ الطبقية، وهو ما جاء به الإسلام وجد أتباعه ضالتهم في الإسلام فاقتربوا منه، وعاونوا الجيش وقاتلت مجموعات منهم في صفوفه فَعَرَفَت الإسلام عن كثب، فدخلت أعدادٌ كبيرةٌ منهم فيه[٣].

---

١ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ٩٧.

٢ ـ Havel:The history of Aryan Rule in India, London, n.d., p.151.

٣ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص ١١٣ ـ ١١٨.

أدى دخـول الـدراوريين وبقيـة البـوذيين في الإسـلام إلى تغـيير جـذري في أوضاعهم الاجتماعية، إذ أصبح لهم الحق في مزاولة الأعمال المختلفة والـزواج مـن الطبقات الأخرى، وقد أثبتوا جدارتهم في المهام التي أوكلت إليهم، فنال بعض منهم درجات وظيفية عالية في الدولة الإسلامية، وبذلك فقد البراهمة الطبقـة الـتي كانـت تخدمهم مما أحدث تغييراً كبيراً في نظام الطبقات، حيث انحصرت سـلطة البراهمـة في الإشراف على الشؤون المذهبية، وقد فقدوا كثيراً من قادة المناطق الذين أسلموا بعـد أن التقوا بمحمد بن القاسم، وبـذلك انتهـت عمليـات القتـل والتشـريد. أمـا طبقـة الكَشْتَرِي فقد قُتل عدد من أفرادها في الحروب ضد المسلمين والبعض الآخر هـرب إلى خارج البلاد، وربما انضم بعضهم إلى طبقة الوَيْش وسلكوا طريقـاً آخـر لكسـب العيش بعيداً عن الحكم والإدارة، وهنالـك مجموعـات مـنهم انضـمت إلى المسـلمين الذين استفادوا منهم في العديد من المناصب العسكرية والإداريـة وبقـي بعضـهم في منصبه مع تأييده للمسلمين، وبذلك تكون هذه الطبقة قد اختفت تماماً[١].

ومنذ أن وطئت أقدام المسلمين أرض السند تضاءل نظام الطبقية وانحصـرت سلطات بعضها، بل انتهت بعض الطبقات تماماً، ووجد الضعفاء والمضـطهدون مـن يدافع عن حقوقهم ويقتص لهم ممن ظلمهم، وقد تمثل هـذا في الحكومـة الإسـلامية، وبرز بذلك تكوين جديد للمجتمع السندي، انحصر أول أمره في دائـرة ضـيّقة تضـم المسلمين الفاتحين وأهل السند الذين أسلموا، ثم اتسعت هذه الدائرة عنـدما قـدمت مجموعات من أصحاب الحرف والمهن المختلفة والتجار إلى بلاد السند.

كـان الفـاتحون المسـلمون ومنـذ أول عهـدهم في عصـر بـني أمية يقيمـون المعسكرات خارج المدن، ويبنون فيها المساجد ويتزوجون بالنساء السـنديات ويـأتون بهن إلى المعسكر، ثم يأتي تلك المعسكرات المسلمون القادمون مـن الجزيـرة العربيـة والعراق في شكل رحلات تجاريـة أو دعـاة، فسـرعان مـا تتوسـع هـذه المعسـكرات لتصبح مدناً كـبرى يـتردد عليهـا أهـل السـند إمـا لعلاقـات المصـاهرة مـع العـرب

١ ـ المصدر السابق، ص ١١٦ وما بعدها.

المسلمين أو للتجارة وغيرها، وكان الحكام يفضلون الإقامة في تلك المعسكرات خارج المدن، فلا يدخلون المدينة إلا في حالة المناسبات الكبرى، وكان الولاة الأمويون بصفة عامة يسكنون بيوتاً عادية، والغالب في حياتهم خلوها من زخارف الحياة ما عدا قليل منهم مثل الوالي الجنيد بن عبد الرحمن وبعض ممن جاء بعده. وفي العصر العباسي أخذ المسلمون العرب ينتشرون من هذه المدن التي بنوها إلى أماكن أخرى كثيرة وبصورة أوسع في أنحاء البلاد، ويسكنون داخل المدن الكبرى وأخذوا يشيدون لأنفسهم القصور الفخمة التي تحيطها الحدائق والبساتين، وحولهم عشرات الحشم والخدم، ويحضر مجالسهم العلماء والشعراء والأدباء[1]، ولا تزال المظاهر العربية في الملبس شاهدة حتى يومنا هذا على آثار المسلمين على الرغم من طول المدة.وانتشر الزواج بين العرب والسنديات مع وجود العربيات، وقد كان لهذه المصاهرة أثرها في متانة العلاقة بين أهل السند والعرب، وقد تميز المسلمون في كل فتوحاتهم بالزواج من السكان الأصليين، ومما زاد أمر الاختلاط والتداخل بين المجتمعين العربي والسندي اتساع دائرة العلاقات التجارية والزراعية والاجتماعية، على أننا لا ننسى أن بعض المناطق السندية أو أجزاءً من المدن التي يسكنها المسلمون العرب قد ظلّت كما هي بدون اختلاط، ولذلك فإن سكانها لم يدخلوا في الإسلام ولم تحدث بينهم وبين المسلمين مصاهرة، بل ظل لهم نظامهم الخاص في المجتمع من الناحية المذهبية والاجتماعية والثقافية.

ولنتناول الآن نظام المجتمع السندي الجديد بعد الفتح الإسلامي، الذي تكّون أيضاً من طبقات ولكنها لم تنشأ هذه المرة بسبب الجنس أو العرق، وإنما بطبيعة العمل والمهنة، وميزانها في ذلك قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2].فقد كانت الطبقة العلياء المميزة في المجتمع السندي تضم الولاة ونوابهم

---

١ ـ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصدر سابق، جـ ١، ص٣٧٧.

٢ ـ سورة الحجرات: الآية ١٣.

وحكام المناطق والقلاع والمدن، وكبار العلماء والقضاة والأعيان وقواد الجيوش من العرب المسلمين، إضافة إلى بعض الأعلام الكبار من أهل السند كالوزراء والمستشارين والعسكريين والاقتصاديين، وبعض حكام الولايات والمناطق القبلية، وقواد الجيش والأعيان والعلماء الذين انضموا إلى المسلمين العرب أثناء الفتوحات وبعدها، والغالب أنهم أسلموا أو أسلم أبناؤهم، ومن هؤلاء: موكة بن بساية حاكم منطقة البودهية وراسل بن بساية حاكم منطقة بت، ومن الوزراء الأمير البرهمي سياكر، ومن المستشارين الأمير ككسة بن جندر ابن عم داهر، وبهندركن حاكم مدينة نيرون الأسبق، ومن الاقتصاديين قيلة بن مهترائج المدير الأسبق لسجن الديبل[١].أما الطبقة الوسطى فهي تتكون في الغالب من العرب ومن معهم من أهل السند المسلمين، وهؤلاء الأفراد هم عامة التجار وأصحاب المصانع والأملاك والأراضي، وحالتهم الاقتصادية فوق الوسط بسبب ما يشغلون من وظائف حكومية أو مراكز اجتماعية، وكذلك بسبب دخلهم من التجارة والصناعة والزراعة وغير ذلك، وهناك معهم أهل السند غير المسلمين وإن كان لهم مجتمعهم الخاص ولكنهم يلتقون مع المسلمين في الجوانب الاقتصادية.وهنالك طبقة العوام التي تشمل العمال والفلاحين والخدم وأصحاب الحرف الصغيرة، وكان الصيد من أهم وأقدم الحرف التي يمارسونها، فعلى ضفاف نهر السند والسواحل يصيدون الأسماك، وفي البر يصيدون الفيلة لاستخدامها في الحروب وحمل الأثقال، ودابة الزباد لاستخرج المسك، والثعابين للحصول على جلودها التي يستخدمونها في الصناعة[٢]، وهنالك أيضاً الرعي الذي يُعَد من الحرف المهمة عند أهل هذه الطبقة.

وهكذا بلغ نفوذ المسلمين بالسند ما بلغه في جميع الأقطار التي فتحوها، وهو ما لم يصل إليه اليونان والرومان من قبل، فتم لهم بهذه البلاد نظير ما فعلوه بوادي

---

١ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص١٠٧.

٢ ـ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصدر سابق، جـ١، ص١٨٩.

النيل حيث حولوا شعباً ـ كانت له أقدم الحضارات ـ عن دينه ولغته وفنونه وثقافته إلى دينهم ولغتهم وثقافتهم وفنونهم. وآية ذلك أنه بشبه القارة الهندية اليوم ما يزيد على مائة مليون مسلم من أصل هندوكي. وكان مما ساعد على إقبال هذه الكثرة الغالبة من الهنادكة على الدخول في دين الإسلام ما وجدوه فيه من عقيدة توافق الفطرة، فلا طبقات عندها ولا تفاضل بين أفرادها إلا بالتقوى[١]. ولكن الأوضاع في بلاد السند لم تستمر فقد تأثرت المنطقة بما كان يدور في مركز الخلافة من أحداث وصراعات متباينة يهمنا منها في هذا المبحث العصبية القبلية التي باتت تنخر في جسد الأمة وتسري فيه سريان النار في الهشيم.

العصبية القبلية وأثرها على المنطقة:

كان للعصبية بين قبائل العرب سلطان قوي قبل الإسلام، فلما بزغ نوره أَخْفَتَ صوتها وأَوْهَنَ قوتها فسكنت زمناً، وقد كادت العصبية أن تطل برأسها بعد وفاة الرسول ﷺ وأول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك عندما طلب أبو سفيان رضي الله عنه من علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يبسط يده حتى يبايعه ولكنه رفض[٢]، مما يدلّ على أحقيته في الخلافة حسب قانون العصبية، ولذلك استعظم أبو قحافة والد أبي بكر أمر تولية ابنه فقال:"أو رضيت بنو عبد مناف وبنو مخزوم"[٣].

---

١ ـ أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون تاريخ، جـ ١، ص٤٢ ـ ٤٥.

٢ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٤، ص٢٧ـ٣٠.

٣ ـ عمار الطالبي:آراء الخوارج، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص٤٧.

وفي عهد عثمان بن عفان ﵁ وجدت العصبية متنفساً لها[١]، خلاف عصر الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.والواقع أن الأمر قد صار بالمسلمين بعد أن وصفهم الله بالألفة والأخوة في قوله تعالى:﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢]، صار بهم الأمر إلى عصبيات فرقتهم شيعاً وأحزاباً، وفي عهد علي بن أبي طالب ﵁ كانت العصبية هي التي تحكم تصرفات الخوارج، فقد رفض الأشعث قبول أي مضري للتحكيم وأبى إلا أحد اليمنيين، وهو أبو موسى الأشعري ﵁[٣].ولعلّ أعظم الأمور التي حفّزت الخوارج على الخروج غير الحق الذي اعتقدوه، أنهم كانوا يحسدون قريشاً على استيلائهم على الخلافة واستبدادهم دون الناس[٤].

وبعد وفاة يزيد بن معاوية جاء ابنه معاوية بن يزيد الذي خلع نفسه بعد ثلاثة أشهر، فبايعت معظم الأقطار عبد الله بن الزبير، فانقسم أهل الشام إلى فريقين: فريق بايع ابن الزبير وهؤلاء كانوا من العدنايين القيسيين ومن لم يبايعه من اليمانيين[٥]، وقد اختلف المؤرخون في جذور الخلاف، فمن قائل إنه حدث زمن معاوية عندما قرّب الكلبيين الذين يمثلون اليمانيين، واختار منهم زوجته، أم يزيد

---

١ ـ المرجع السابق: ص٤٧.

٢ ـ سورة آل عمران:الآية١٠٣.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٣، ص١١٦.

٤ ـ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، جـ١، ص ٦٩،١٢.

٥ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٦، ص٤٣٥وما بعدها.

وعندما جاء يزيد إلى الخلافة قرّب أخواله أيضاً، وإن كان يوجد بين قواد معاوية عدد من القيسيين، ولكننا نجد أن قيساً لم تشارك في حروب بني أمية ضد أهل الحجاز، فقد كان غالب جيشها من كلب التي ترى بقاء الخلافة في الشام، بينما نجد القيسية قد مالت إلى ابن الزبير الحجازي.

وفي موقعة مرج راهط بين مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير غُلِبت قيس أمام اليمن، وهذا النصر أعاد فكرة الثأر وعادت العصبية القديمة التي قضى عليها الإسلام وبنفس صورتها الأولى فالأشعار تُقال والاغتيالات تحدث هنا وهناك[١]، إذن الشام لم يكن بأجمعه في قبضة عبد الملك بن مروان، بل كان له خصوم. وفي عهد الوليد بن يزيد بلغ العداء بين القيسية واليمانية إلى أن لقي الخليفة مصرعه على يد اليمانية وقضاعة، وقد نصّب هؤلاء يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وأتته البيعة من مضر كرهاً[٢]، ثم إن المضرية ثأرت لقتل الوليد بتأييدها لمروان بن محمد الذي تحرك من الجزيرة منادياً بالثأر للوليد لأن أخوال الوليد من قيس، مما نجم عنه انحراف اليمانية عن مروان، وانضمامهم إلى الدعوة العباسية[٣]، وهكذا أضعفت العصبية بني أمية وآذنت بزوال سلطانهم.

أما في العراق فلم يكن هنالك خلاف بين القيسيين واليمانية، فالفرعين يؤيدان ابن الزبير، لأنه لا يوجد بين الفئتين من هو حريص على سياسة الشام وعلى خلافة الأمويين، ولكنها كانت تضم أربع فئات لها خطورتها هي: الشيعة والخوارج والزبيريون والموالي.

وبعد مقتل الخليفة مروان بن محمد، وبدء العباسيين في ضم الأقاليم وتعقُّب الأمويين، ودخول العباسيين الشام انقسم أهل دمشق، وقد وصف ابن كثير حالة المدينة عندما حاصرتها جيوش بني العباس، بعد أن حصّنها مروان بن محمد بقوله:

---

١ ـ المصدر السابق: جـ٦، ص٤٧١ـ ٤٨٠.

٢ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ ٣، ص١٢٩.

٣ ـ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي:مروج الذهب: مصدر سابق، جـ٣، ص٢٤٥.

"وأن البلد كان قد حصّنه نائب مروان تحصيناً عظيماً، ولكن اختلف أهلها فيما بينهم بسبب اليمانية والمضرية، وكان سبب الفتح، حتى إنهم جعلوا في كل مسجد محرابين للقبيلتين، حتى في المسجد الجامع جعلوا منبرين، وإمامين يخطبان يوم الجمعة على المنبرين، وهذا من عجيب ما وقع، وغريب ما اتفق، وفظيع ما أحدث بسبب الفتنة والهوى والعصبية، نسأل الله السلامة والعافية.أ.هـ"[١].

ثم جاءت الخلافة العباسية والعصبية قائمة لم تنته، وإنما تهدأ حيناً، وتشتعل حيناً آخر، ففي عهد هارون الرشيد عادت الفتنة بأرض الشام مرة ثانية، وقتل من الفريقين أعداد كبيرة، ولما تفاقم الأمر بعث الرشيد من جهته موسى بن يحيى بن خالد البرمكي ومعه جماعة من القواد، فأصبحوا بين الناس وهدأت الفتنة واستقام أمر الرعية وكان ذلك عام ١٧٦هـ/ ٧٩٢م[٢].وفي سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م هاجت الفتنة مرة أخرى، فانزعج الرشيد لذلك، فندب جعفراً البرمكي في جماعة من الأمراء والجنود، فدخل الشام وكان مُهاباً، انقاد له الناس وقبلوا صلحه وقتل عدداً من اللصوص الذين استغلوا الفتنة فعاثوا في الأرض فساداً، ولم يدع بالشام فرساً ولا سيفاً إلا استلبه من الناس، فهدأت الفتنة ولكن إلى حين[٣]، لأن العباسيين وقعوا في نفس خطأ الأمويين من تقريبهم لفرع دون الآخر، فانتقلت هذه العصبية إلى الولايات، فكان لبلاد السند النصيب الأكبر من هذه الفتن وذلك لبعدها عن مركز الخلافة، ولأن مجموعة من الفارين اتخذوها ملجأ لهم ونقطة يجمعون فيها قواهم وترتيب صفوفهم ومن ثمَّ مهاجمة الدولة العباسية.

---

١ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ١٠، ص٥٠.

٢ ـ المصدر السابق، جـ١٠، ص١٨١، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٩، ص٩٩.

٣ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ١٠، ص١٨٩، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٩، ص١١٠.

عندما فتح محمد بن القاسم بلاد السند، وأقام فيها دولة إسلامية جاءت معه إلى السند قبائل عربية مختلفة من أهل الحجاز واليمن والشام والعراق وعمان والبحرين وغيرها، ولم يكن هناك أثر للعصبية في أول الأمر لأن المسلمين كانوا منهمكين في الحروب والفتوحات المتواصلة، هذا بالإضافة إلى خوفهم الشديد من سياسة الحجاج وعقوبته الصارمة، كما أن محمد بن القاسم كان شخصية محبوبة تميّز حُكمَه بالعدل والمساواة بين رعيته عرباً كانوا أو من أهل السند، وقد شهد له بذلك أهل السند من غير المسلمين فضلاً عن المسلمين، بل دخل كثير من أهل البلاد المفتوحة في الدين الإسلامي لتأثرهم بأخلاق ذلك القائد الشاب، ولكن روح الأخوة الإسلامية التي سادت البلاد لم تستمر بعد وفاة الحجاج والخليفة الوليد ومقتل محمد بن القاسم، فقد تغيرت أوضاع البلاد السياسية مع تولي سليمان بن عبد الملك للخلافة بحيث وصل كثير من اليمانية وغيرهم إلى مناصب عالية فضغطوا على النزارية وقتلوا بعضاً من زعمائهم ولا سيما آل عقيل من أقرباء الحجاج والمؤيدين لهم مثل قتيبة بن مسلم وغيره من كبار القواد، مما أدى إلى ظهور الخلافات القبلية واشتدادها بمرور الزمن في الولايات الإسلامية التابعة للخلافة بما فيها السند.

فبعد مقتل ابن القاسم خلفه على إدارة البلاد ولاة ضعفاء، نمت في عهدهم العصبية، نتيجة لما حدث في دمشق، إلى أن تسلم أمرها الجنيد بن عبد الرحمن المري ١٠٧هـ/ ٧٢٥م، فاستطاع بسياسته الحكيمة أن يخمد أوار العصبية، وأن يقضي على تلك الخصومات ويستأنف الفتوحات مرة أخرى، ويوسّع رقعة الولاية إلى بلاد الهند فيضم إقليم كجرات الهندي[١]، ثم جاء تميم بن زيد العتبي سنة ١١١هـ/ ٧٢٩م فأفسد ما أصلحه الجنيد وتجددت الخلافات القبلية، وقامت الحروب بين العرب،

١ ـ إحسان حقي:تاريخ شبه الجزيرة الهندية ، مرجع سابق، ص٤٩.

فاستغل أهل السند تفرق العرب ليثوروا ضدهم، ويستولوا على بعض المناطق ويطردوا منها العرب، الأمر الذي جعل الوالي يهرب من وجه أعدائه إلى العراق[١].

ثم تولى أمر السند الحكم بن عوانة الكلبي سنة ١١٢هـ/ ٧٣٠م فوجد البلاد في فوضى شاملة ولم يبق للعرب حصن يلجأون إليه، فبنى لهم مدينة المحفوظة، واتخذها مركزاً للقيادة العسكرية ومنطلقاً للجيوش ومقراً للحكم، فأعاد المناطق التي خرجت من أيدي المسلمين، وأخضع قبائل السند المحاربة، وأصلح بين القبائل العربية فعاد الاستقرار إلى المنطقة.ثم اشتعلت الفتنة مرة أخرى وقُتل خالد بن عبد الله القسري زعيم اليمانية سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٧م ، فانتقموا له بقتل الخليفة الوليد ابن يزيد، وكان والي العراق آنذاك منصور بن جمهور الكلبي، الذي اشترك في قتل الخليفة، وبايع عبد الله بن معاوية الخارجي حين قام بالثورة في بلاد فارس وانضم إليه، وبعد مقتله هرب إلى بلاد السند فقتل واليها واستولى على مقاليد الحكم، وبالرغم من أنه كان يحكم البلاد حكماً خارج نطاق دولة الخلافة إلا أن الفتنة في عصره سكنت تماماً وذلك لقوته ولأنه كان شخصاً مهاباً قاسياً مع أعدائه، فظلَّ حاكماً إلى أنْ قضى عليه الوالي العباسي سنة ١٣٤هـ/ ٧٥١م[٢].

وفي عهد العباسيين تجددت الخلافات بين القبائل في بلاد السند مرة أخرى، وأدى ذلك إلى نشوب حروب دامية قُتل فيها عددٌ من الولاة، وحارب بعضهم إلى جانب النزارية والبعض الآخر مال إلى اليمانية، وكان محصلة ذلك ضحايا من

---

١ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣١٧.وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٦٢٢.

٢ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ ٢، ص٣٢٤.

العرب في المنطقة، وعدم استقرار وتسلط من القبائل السندية على العرب، وخسائر لا تُحصى للدولة الإسلامية هناك.

وأول الولاة الذين أُرسلوا إلى السند، لقي مصرعه على يد منصور بن جمهور المتغلب على البلاد، بعد ذلك توجه موسى بن كعب التميمي على رأس عشرين ألفاً من الجنود، فقتل منصور بن جمهور وأعاد الاستقرار للمنطقة، ثم جاء بعده عيينة التميمي سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م وهو أول والٍ عباسي يدعم العصبية ويتعاهد بذرتها الخبيثة، فقد أيّد النزارية الذين وقفوا معه، فقبض على زعماء اليمانية وقتل بعضهم فثارت الفتنة وانهارت أوضاع البلاد، ففر هارباً ولكنه لم يفلت من قبضة اليمانية الذين طاردوه حتى قبضوا عليه وقتلوه في الحال[١].

ثم هدأت البلاد بعد أن تولى أمرها عمر بن حفص سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م، وأعقبه هشام التغلبي سنة ١٥١هـ/ ٨٦٨م، وفي عصريهما عادت حالة الاستقرار إلى الإقليم لما يتمتعان به من قوة ومهابة.وفي عهد الخليفة المهدي تعاقب على الحكم في إقليم السند أكثر من عشرة ولاة، جميعهم لم يفلح في إخماد نار العصبية، التي كانت تزداد اشتعالاً كلما عُيِّن والٍ جديد، إلى أن جاء إلى الخلافة هارون الرشيد، فاهتم بهذا الداء ـ العصبية ـ وبذل جهده للقضاء على الخلافات، فبعث سالم اليونسي والياً على السند، فبقي فيها أربع سنوات نجح خلالها في القضاء على الخلافات القبلية بالحكمة[٢]، فخلفه إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي وشهد عهده استقراراً ولكنه توفي بعد سنة واحدة من توليه حكم البلاد، ثم تولى الحكم طيفور بن عبد الله الحميري، فأيّد اليمانية وحارب النزارية الذين ثاروا ضده، فاضطر الخليفة هارون الرشيد لعزله، وبعد ذلك تولى الحكم كل من جابر بن الأشعث الطائي سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م وكثير بن مسلم بن قتيبة سنة ١٧٦هـ/ ٧٩٢م

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص٤٢٢.

٢ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: مصدر سابق، جـ٢، ص٤٠٩.

ولكنهما كانا ضعيفين لم يفلحا في القضاء على الفتن[١]، ثم تولى حكم البلاد محمد بن عدي التغلبي سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م فكان أوّل أعماله إشعال العصبية فضربت القبائل بعضها بعضاً، ومن الجانب الآخر ثارت القبائل السندية، وتزعم بعض الأمراء السند حركات انفصالية مستغلين الاضطرابات التي عمّت المنطقة، فلم يجد الوالي بداً من الهروب إلى الملتان، ولكن أهلها خرجوا إليه ومنعوه من الدخول خوفاً من أن ينقل إليهم داء العصبية، وتردت حالة البلاد فغضب الخليفة على واليه، لفشله الذريع وعزله عن حكم الإقليم[٢]. وعندها حاول الخليفة البحث عن شخصية كبيرة تخلص الإقليم مما هو فيه، فوقع اختياره على داؤد بن يزيد المهلبي سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م، فأرسل أخاه المغيرة مع الجيش إلى بلاد السند، فلما وصل إلى العاصمة المنصورة سدّ أهلها الأبواب في وجهه فوقع القتال بين الفريقين وانهزم المغيرة، فاضطر داؤد للحضور بنفسه وإدارة دفة الحكم، وكان في معيته جيش كبير اقتحم به حاضرة السند، فقتل أعداداً كبيرة من النزارية وسجن بعضهم ودمّر بيوتهم وأحرق متاجرهم، فأدخل الرعب في قلوب الأعداء وخمدت نار العصبية لسنوات طويلة[٣].

وفي عهد الخليفة المأمون سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م، تجددت الخلافات القبلية بين العرب ببلاد السند بعد وفاة داؤد المهلبي، الذي خلفه على البلاد كلٌ من بشر المهلبي وحاجب بن صالح وغسان بن عباد المهلبي بالترتيب، فكانت أيامهم مليئة بالفتن القبلية والاضطرابات السياسية، حتى تولى الحكم موسى بن يحيي البرمكي سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م، فنجح في نشر الأمن والطمأنينة بالبلاد وأصلح بين القبائل العربية وكان عادلاً رضي الجميع بحكمه[٤].

---

١ ـ المصدر السابق: جـ٢، ص٤٠٩.

٢ ـ المصدر السابق: جـ٢، ص٤٠٩.

٣ ـ المصدر السابق: جـ ٢، ص٤٠٩.

٤ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص٤٨٨.

وفي عهد الخليفة المعتصم العباسي تولى حكم السند عمران البرمكي سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٥م بعد وفاة أبيه وكان شاباً ضعيفاً قليل الخبرة، فاشتعلت نار العصبية من جديد وبلغت خطورتها عندما أيّد الوالي اليمانية، فثار ضده النزارية واختاروا عمر بن عبد العزيز الهباري زعيماً لهم، واستمرت المعارك بين الطرفين إلى أن قُتل الوالي سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م، فاستفاد أهل السند الأصليون من الشقاق الذي وقع بين العرب وانشغالهم بأنفسهم، فقامت القبائل السندية المشاغبة كالزط والميد بالفتن والاضطرابات في مناطق عديدة من البلاد، وفي المقابل قام بعض الحكام العرب في عدد من المدن والقلاع وأعلنوا الاستقلال عن المنصورة، وحكموا البلاد التي تحت أيديهم حكماً مستقلاً، وبذلك ضعف العرب في البلاد وضاعت هيبتهم بين القبائل[١].

وعندما تولى الخلافة العباسية الواثق بالله كان على السند عنبسة الضبي، الذي نجح في تهدئة الحالة بين القبائل العربية، واستعادة المناطق التي خرجت من أيدي العرب، وهكذا كانت العصبية معول هدم قضى على ما بناه المسلمون، فقد ضاعت هيبة الحاكم المسلم بين القبائل، وانتقصت أرض الإسلام بذهاب بعضها إلى خارجين عن الدولة، وبرزت إلى الساحة الدويلات المستقلة عن الخلافة، واستفاد أهل البلاد الأصليون من هذه الظروف واستولوا على بعض المناطق في أزمان مختلفة، ولذلك كان العرب مضطرين لفتح هذه المناطق مرة أخرى، وهو ما يكلّف الدولة جهوداً جبارة، وخسائر فادحة في الأرواح وضياع لأموال المسلمين، ولاشك أن كل ذلك له نتائجه السلبية على البلاد في جميع المجالات، فلا أمن ينشده الناس، ولا خراج يأتي لدولة الخلافة بل صرف من خزانة الدولة، وبدل أن يكون العربي المسلم قدوة يسير خلفه أهل البلاد فينهلون من ثقافته، يصبح مغنماً يسعى الأعداء

---

١ ـ المصدر السابق: ص٤٨٨.

لانتزاع الأرض من تحت أقدامه، فتُصاب الأمة بالـذل والهـوان والضـعف والخـور.

الفصل الثاني

وسائل انتشار الثقافة الإسلامية والعربية

في بلاد السند

(١) اهتمام الخلفاء وحكام السند بالتعليم

(٢) اللغة العربية وأثرها في التمازج والتداخل بين العرب وأهل السند

(٣) استقطاب العناصر المسلمة والمستعربة

وسائل انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند

ما إن خرج الإسلام من جزيرة العرب إلى الأطراف المحيطة بها، حتى بدأت في الحال أضخم عملية تزاوج فكري وحضاري في تاريخ البشرية جمعاء، إنها عملية الامتزاج بين ثقافة العرب الذين حملوا راية الإسلام، وبين الشعوب التي اعتنقت هذا الدين الحنيف الذي أنقذها من الظلم والاستعباد، وأخرجها من الظلمات إلى النور.

لقد كانت عملية التزاوج هذه أوسع انطلاقه فكرية عمّت البيئة الجديدة التي خلّفها الإسلام، وصبغ الحياة الفكرية والاجتماعية فيها بالصبغة الإسلامية العربية. والواقع أن المسلمين العرب كانوا وهم في غمار الزحف المقدس لنشر الإسلام، وترسيخ قواعده بين الشعوب الأخرى، يعملون في ذات الوقت على نشر ثقافتهم الإسلامية في كل صقعٍ يحلّون فيه، ويضعون أسس نهضة علمية وفكرية مزدهرة في كل بلد يصلون إليه، الأمر الذي دفع المؤرخ الإنجليزي هربرت جورج ولز (Herbert George Welz) إلى القول بأن:"العلم كان يثب على قدميه وثباً في كل موضع وطأته قدم الفاتح العربي"[١].فما قام به المسلمون من جهود في نشر الإسلام وثقافته، في كل أرض وطئوها لم يكن وليد الصدفة، وإنما كان نتاج بذلٍ صادقٍ لم تمح الأيام آثاره، ونحن هنا بصدد تتبع خطا المسلمين في بلاد السند لاستخلاص الوسائل التي سلكوها لنشر ثقافة الإسلام. وسنتناول ذلك عبر ثلاثة محاور، أولها جهود الخلفاء وبعض الحكام الذين تركوا بصماتٍ واضحة على صفحات ثقافة الإسلام في السند، ثم نتبع ذلك بتسليط الضوء على اللغة العربية التي كانت جسراً عبرت عليه الثقافة الإسلامية إلى أهل تلك البلاد، وهنالك أيضاً من الوسائل التي ساعدت على نشر الثقافة الإسلامية في بلاد السند، استقطاب العناصر المسلمة والمستعربة إلى البلاد.وفيما يلي بسط لكل محور على حده.

---

١ ـ هربرت جورج ولز: موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز جاويد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص٢٠٦.

(١) اهتمام الخلفاء الراشدين وحُكَّام السند بالتعليم

أولاً : جهود الخلفاء الراشدين :

تضافرت عوامل عديدة كان لها دور هام في إيصال رسالة الإسلام إلى الشعوب، ومن أهمها ما اتصف به المسلمون من خُلُقٍ رفيع.فالمتتبع لآراء الداخلين في الإسلام، أو بعض الناقدين له بعين الإنصاف والعدل يجد أن أخلاق المسلمين الاجتماعية والأخوية التي تربوا عليها في ظل الإسلام كانت تجلب المحبة لهم، والائتلاف بهم، واتخاذهم قدوة، فما كانوا يُشْعِرُون أهل البلاد المفتوحة بأنهم مغلوبون، بل كانوا يضعون في نفوسهم أنهم إخوة متحابون، وليسوا غالبين يتحكمون، فكانت هذه الأخلاق جالبةً للتآلف والمحبة، وإضافة إلى ذلك ما حمله الإسلام من حقائق تدركها العقول، وبالطبع فإن البراهين لا تدني إلى الإيمان وحدها، بل لابد أن يكون معها إلف وائتلاف[1].

فكان أمام غير المسلم أمران يجذبانه إلى الإسلام، أولهما تآلف النفوس، وثانيهما براهين العقول، فيدخل الإيمان إلى قلبه من غير تردد.وإن حسن المعاملة والإحسان إلى الجار من أوجب واجبات الإسلام، وقد أوجد الفتح الإسلامي جواراً بين المسلمين وغير المسلمين سواء أكان أولئك الجيران من العرب، أم ممن دخلوا في الإسلام من غير العرب، وقد دعا القرآن إلى هذه العلاقة، إذ قَرَنَ الإحسان إلى الجار بالإحسان إلى الأقربين، والإحسان بعبادة الله وحده لا شريك له، كما في قوله تعالى:﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ ا للّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾[2] ،وإن ذلك يقرّب النفوس، ويؤلفها، وإذا تآلفت النفوس سهُل وصول الحق إليها، ودخل

---

١ ـ محمد أبو زهرة: الدعوة إلى الإسلام تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن (بتصرف)،دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٥٢.

٢ ـ سورة النساء: الآية ٣٦.

إلى القلوب من أبوابها، وخصوصاً إذا كان العقل يؤيد ما يدعو إليه الداعي، فإن المعاملة الحسنة تدني، والجفوة تُبعد، والقول الطيب يهدي، وغيره ينفّر، كما قال سبحانه تعالى:﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[1].

وكذلك من العوامل التي ساهمت في نشر رسالة الإسلام، قوته وصلابة أهله.فمع أن الإسلام كان مُقنعاً بذاته، داعياً العقول مخاطباً لها، إلا أننا يجب أن نفترض فرضاً آخر، وهو أن الإسلام كان قوياً، وكان المسلمون هم الأقوياء وحكامهم أيضاً، فلابد إذن أن يقلدهم المحكومون، وتتحقق نظرية ابن خلدون: "... ولذلك ترى المغلوب يتشبَّهُ أبداً بالغالبِ في مَلبسِهِ ومركبِهِ وسلاحِهِ في اتِّخاذِها وأشْكالها، بل وفي سائرِ أحوالِهِ. وانْظُر ذلك في الأبناءِ مع آبائِهم كيف تجِدُهُمْ متشبِّهينَ بهم دائماً، وما ذلك إلا لاعتقادِهِم الكمالَ فيهم. وانْظُر إلى كلِّ قُطرٍ منْ الأقطارِ كيف يغلِبُ على أهلهِ زيُّ الحاميةِ وجندِ السلطانِ في الأكثرِ لأنَّهُمُ الغالبونَ لهم، حتى إنَّه إذا كانت أُمَّةٌ تجاورُ أخرى، ولها الغَلَبُ عليها، فيسري إليهم من هذا التشبُّهِ والاقتداءِ حظٌّ كبير"[2]، ولذلك نجد أن الضعيف مشغوف دائماً بتقليد القوي، ويظن أن كل ما فيه من أحوال وصفات من أسباب قوته وسر عزته وعظمته.

وبمقتضى هذه النظرية، التي تفرض أن أناساً من المحكومين ابتغوا الإسلام تقليداً للأقوياء وهم حُكام المسلمين، فكانت على هذا قوة المسلمين وسلطانهم من أسباب اتباعهم، ولكنها ليست وحدها السبب، لأن الإسلام لم يلزم الناس باتّباعه من غير اقتناع به، وحتى إذا سلّمنا بأن بعضاً من المسلمين قد دخلوا في الإسلام إعجاباً بقوة المسلمين، فمن المؤكد أن هذا التقليد سيجذبهم إلى دراسة الإسلام، ونبذ ما كانوا يعتقدون، وحيث درسوا وجدوا الحق المبين، فآمنوا صادقين في إيمانهم.

وإن استمساك المسلمين من غير العرب بدينهم الذي ارتضوا وهو الإسلام دليلٌ على أنهم اختاروه، ولم يُجبروا عليه، ولم يعتنقوه لمجرّد أنه دين الأقوياء، ولكن

١ ـ سورة الحج: الآية٢٤.

٢ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق: جـ١، ص١٥٦.

اختاروه لأنهم اقتنعوا به، وأدركوا حقائقه، ووازنوا بينه وبين ما كانوا عليه من أوهام منحرفة، وعقائد بالية، وبذلك يتبين أن المسلمين في الأراضي التي فتحها الإسلام ما دخلوا في الإسلام رهباً، وما دخلوا تقليداً للأقوياء، ولكن دخلوا رغبةً واقتناعاً وإدراكاً.

وأيضاً من الوسائل التي عبّدت طريق الإسلام إلى قلوب أهل البلاد المفتوحة ما وُصف به من أنه دين عدالة، وإذا كان لكل دين سمة تميزه عن غيره، فسمة الإسلام هي العدالة، فالإسلام يأمر أتباعه بأن يعدلوا مع الأعداء فضلاً عن الأصدقاء، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] ، فلما جاء الإسلام وقرر أن الدماء متساوية، وأنها جميعها حرام، ورأى من كان يعيش تحت سلطان فارس أو الروم أن ديناً يدعو إلى العدل، ويجعل لنفسه حرمة كحرمة دم الملك، فإنه بلا ريب سيختار الإسلام.

فعندما يقرأ غير المسلم قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[2]، وهو يرى نفسه بين حُكمين: حُكمٌ طغياني، فرضه الملوك والجبابرة، وحُكمٌ يجعله سواء بسواء مع الملك، وعزيزاً لا استعلاء لأحد عليه، ويرد الحقوق المسلوبة إلى أهلها، فإن صوت العقل يدعوه لاختيار العدل وترك الظلم، وأن يختار العزة ويترك الذلة، وأن يختار الحرية ويترك العبودية.

أما القدوة فكانت وما تزال من انجح الوسائل لنشر الإسلام.فلما كان الهدف الأول والأوحد من إرسال البعوث والحملات هو فتح الطريق أمام الدعوة الإسلامية، وكسر شوكة المعاندين، كان لابد لهؤلاء الفاتحين من حسن القدوة ومطابقة القول للعمل، حتى يصلوا إلى قلوب الشعوب الجديدة قبل أن يفتحوا

---

١ ـ سورة المائدة: الآية٨.

٢ ـ سورة النساء: الآية١٣٥.

أرضها، وهذا ما كانت تتمتع به جيوش الإسلام قادة ورعية، حتى إنهم ما دخلوا أرضاً إلا وقد حازوا ثقة أهلها وتأييدهم.هذه باختصار مرامي الدعوة إلى الله ومنها كانت منطلقات الإسلام، فقد اندفع المسلمون رغبة في هداية البشرية وتقديم الخير لهم، ونشر الإسلام في كل بقعة من بقاع العالم، ونقل أهل الأرض جميعاً من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

ومنذ لحظات الدعوة الأولى والإسلام يؤكد يوماً بعد يوم خطته (الانتشارية) صوب العالم، فقد جاء من أجل الإنسان في كل زمان ومكان:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[١]، فلم يحدد قبيلة ولا أمّة ولا قَرْناً مُعيّناً، فهو رحمة للعالمين على امتداد العالمين في الزمان والمكان.

وصوت الإسلام ومعطياته وقناعاته تصل إلى الإنسان بالكلمة فتُحْدِث معجزة الانتشار، ولكن ماذا لو وقفت في طريق التواصل هذه بين الكلمة والإنسان عروش وفراعنة وأصنام وآلهة وقيادات وطبقات مترفة، تقطع الطريق على الدعاة، وتمنع الكلمة بقوة السلاح وجبروت السلطان أن تطرق سمع الإنسان وعقله، وتعيده إلى الوفاق المفقود مع الكون والعالم والحياة؟.

ومن أجل ألا يكون الإسلام مثالياً يتحرك في الفضاء ويحلم بالعالم المؤمن المتوحد السعيد، كان الجهاد سعياً متواصلاً لتنفيذ عالمية الإسلام، أو بعبارةٍ أدق: تمهيد الطريق لتنفيذ عالمية الإسلام بإزاحة كافة الموانع التي تقف بين الإنسان وحرية الاختيار، من أجل ألا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

تلك بإيجاز شديد قضية الجهاد في الإسلام، وذلك هو مغزى حركة الفتح الإسلامي الذي يتهافت معه زعم الزاعمين، أن هدف الفتح هو إرغام الناس على اعتناق عقيدة الإسلام، وسنرى كيف سيكون التاريخ الإسلامي كله من بين سائر التواريخ على الإطلاق مصداقاً أميناً لهذه المقولة: أنه أتاح للعديد من الجماعات البقاء على أديانها بشرط رضوخها لدولة الإسلام ودفع الجزية[٢].

---

١ ـ سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

٢ ـ عماد الدين خليل: حول انتشار الإسلام وقائع وملاحظات، مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٥هـ، ص٤،٥.

ومن هنا بدأت الدعوة الإسلامية طريقها، وبهذه العوامل سار المسلمون بين الأمم يدعون الناس إلى هذا الدين، فهم يملكون منهاجاً يحبه المسلم ويطبّقه، ويقتنع به الذمي ويؤيده، ولا يرفضه الوثني، لأنه حفظ للكل حقوقهم، بل أعطاهم من الحقوق فوق طموحاتهم وآمالهم، ورفع عنهم من الآصار ما كانوا يظنون أنها واقعٌ لا فكاك منه. وفوق ذلك لم يكن الإسلام قوانين فُرضت على الناس، بل منهاج يسمعه المدعو ويراه على قائله، فقد حرص المسلمون على إيصال صوت الإسلام إلى كل بقعة من هذه الأرض، وبشتى الطرق والوسائل المشروعة، وكل العصور التي مرّ بها الإسلام، كانت الدعوة فيها على أشدها حتى ولو تعرّضت حكومة من تلك الحكومات لأزمات وفتن، فإن الدعاة لا يقفون بانتظار ما تسفر عنه هذه الفتنة أو تلك الثورة، بل كانوا يسيرون بدعوتهم بين الناس، يشرحون للناس منهاج الإسلام ويبثون ثقافتهم بين الأمم.

وهذه دوافع المسلمين في كل آن وحين، وفي كل شبر من أرض هذا العالم، أما شبه القارة الهندية علاوةً على تلك الدوافع لها مرام أُخرى، فإنّ حرص المسلمين على فتح القارة الهندية منذ بزوغ شمس الإسلام يرجع إلى بشارة الرسول ﷺ للصحابة بفتحها، وقد أفرد الإمام النسائي باباً في سننه عن غزو الهند، فيه تبشير للذين سيجاهدون في الهند بأنهم خير الشهداء عند الله تبارك وتعالى.ومن تلك الأحاديث أن أبو هريرة ﵁ قال:"وَعَدَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ غَزْوَةَ الْهِنْدِ فَإِنْ أَدْرَكْتُهَا أُنْفِقْ فِيهَا نَفْسِي وَمَالِي فَإِنْ أُقْتَلْ كُنْتُ مِنْ أَفْضَلِ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ أَرْجِعْ فَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ الْمُحَرَّرُ"[١].

أما أهم الوسائل والمؤسسات التي ابتدعها الخلفاء والحكام في السند من أجل نشر العلم والمعرفة، فقد تمثلت في الاستفادة من الجاليات السندية في العراق

---

١ ـ قوله (وعدنا) أي المؤمنين لا بأعيانهم فلذلك شكّ أبو هريرة في حضوره.(انفق فيها نفسي) بالحضور فيها والقتال لا بالقتل فإنه ليس في يد الإنسان. (المحرّر) أي المعتق من النار على مقتضى ذلك العمل. أحمد بن شعيب النسائي: سنن النسائي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، حديث رقم (٣١٧٥).

وغيرها، وبناء المساجد وحلقات العلم، وإرسال الدعاة.وسنحاول فيما يلي من فقرات تتبع استخدام الخلفاء والحكام لتلك الوسائل على أرض السند.

لم يكن لأول الخلفاء الراشدين ـ أبو بكر الصديق ﷺ ـ دور مباشر في نشر الإسلام ببلاد السند، ولكن في خلافته وبعد وفاة الرسولﷺ ارتد كثير من المسلمين في جزيرة العرب، فجاهدهم حتى استقام له أمر الإسلام، وكان ممن خرج رجل اسمه الحطم بن ضبيعة وتبعته بكر بن وائل على الردة، حتى نزل القطيف وهجر[1] فأيّده من كان بها من أهل السند من الزط والسيابجة، فقاتلهم العلاء بن الحضرمي ﷺ[2] وهزمهم، فركبوا السفن وهربوا إلى بلادهم، فمن المؤكد أنه كان لهذه الواقعه أثرها البالغ في نفوس أهل السند حين جاءهم قومهم منهزمين، فذكروا لهم ما لقوه من باس المسلمين، وحكوا لهم ما شاهدوه عن الإسلام[3].وكان لهذه السياسة التي اتبعها أبو بكر الصديق ﷺ ما ساهم في نشر معلومات عن الإسلام في تلك المنطقة.

وفي أول خلافة الفاروق ﷺ كان في بلاد فارس والعراق أعداداً كبيرة من أهل السند، فلما رأوا ظهور الإسلام وعز أهله كتبوا إلى أبي موسى الأشعريﷺ[4]

---

١ ـ القطيف وهجر: من مناطق الإحساء بشرق المملكة العربية السعودية.

٢ ـ العلاء بن الحضرمي: اسمه العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي، من حضرموت، كان حليفاً لبني أمية، ومن سادات المهاجرين، بعثه أبو بكر الصديقﷺ في جيش إلى البحرين عندما ارتد أهلها، توفي سنة ٢١هت، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ ١، ص٢٦٢، ٢٦٣.

٣ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٢، ص ١٤١، ١٤٢.

٤ ـ أبو موسى الأشعري:اسمه عبد الله بن قيس بن سليم هاجر إلى الحبشة وقدم منها عند فتح خيبر، واستعمله الرسول ﷺ مع معاذﷺ على اليمن، ثم ولي الكوفة والبصرة لعمر ﷺ ، كان عالماً وعاملاً صالحاً، تالياً لكتاب الله إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن.توفي سنة ٤٢هـ وقيل ٥٢هـ ، يُنظر محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي: مولد العلماء ووفياتهم، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ، جـ١، ص١٤٣.

طـالبين منـه الـدخول في الإسـلام و معـاونتهم علـى فهمـه، والقتـال في صـفوف المسلمين، واشترطوا بعض الشروط منها: أن لا يقاتلوا مع المسلمين إذا وقع خـلاف بينهم ـ إشارة إلى الردة التي اعتبروها خلاف بين العرب ـ، وأن ينزلوا حيـث شـاءوا من البلدان، وأن يوالوا من شـاءوا مـن القبائـل، فوافـق أبـو موسـى ﷺ علـى كـل شروطهم، فشهدوا معه حصار تُسْتَر[1]، وحالفوا بـني تمـيم، ونزلـوا البصـرة[2].وهكـذا خضع أهل السند للإسلام في أيام عمر بـن الخطـاب ﷺ بـدوافع قلـوبهم مـن غـير إجبار، بعد أن كانوا قبل سنوات مع المرتدين وحاربوا المسلمين في أيام أبي بكر ﷺ.

ولا شك أن وجود مثـل هـذه الجاليـات في العـراق سيمكنهم مـن التعلـيم والالتقاء بأفاضل العلماء وخيار الصـحابة، ومـن ثـم يـذهبون إلى قـومهم مبشـرين ومنذرين.وقد شجع وجود هذه المجموعات الخليفة على فتح السند، وبالفعل تم فـتح مُكْرَانُ، التي أصبحت ولاية إسلامية في عصره، وقـد شـهدت حركـة متواصـلة مـن العلماء والدعاة، وإن كانت المصادر لم تصرّح بذلك، ولكن إرسال الخليفـة للعلمـاء إلى أهل العراق يؤكد القيام بمثله تجاه أهل مُكْرَانُ، كما أن وجـود الصـحابي الجليـل عبد الله بن مسعود ﷺ وغيره من الصحابة في العراق للقيـام بمهمـة التعلـيم[3] يؤكـد وجود تلاميذ مـن أهـل السـند في حلقـاتهم، ووجـود أئمـة ودعـاة في مُكْـرَانُ، أمـا المساجد فقد كانت من أولى مهام الفاتحين، الأمر الذي يجعلنا نجزم بوجودهـا وبقيـام حلقات للعلم فيها شبيهة بنظيراتها في البصرة والكوفة.وقد أشار والي السند الحكـم ابن عمرو الغفاري إلى قيامه بالدعوة إلى الإسلام، والقيـام بشـعيرة الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك في قصيدته التي يقول فيها:

لَقَدْ شَبِعَ الأَراملُ غَير فَخْرٍ * بِـفيءٍ جَـاءَ من مُكْـرَانُ
أتاهُمْ بعـد مَسْغَبَةٍ وَجـهدٍ * وقد صَفِرَ الشتاءُ منْ الدُّخَانِ

---

١ ـ تُسْتَر: مدينة بخوزستان، جعلها عمر بن الخطاب مـن أرض البصـرة لقربهـا منهـا. شـهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ ٢، ص٤٤٣، ٤٤٤.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤١٩ـ ٤٢٢.

٣ ـ محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٦، ص٧.

فإني لا يَـذمُّ الجيشُ فِعْلِي * ولا سَـيْفِي يـُذَمُّ ولا سِـنَانِي
غداةَ أُدَفِّـعُ الأَوْبَاشَ دفْعاً * إلى السنْدِ العَريضـةِ والمدَاني
فلوْلا ما نُهى عنهُ أمِـيري * قَطعْـناهُ إلى الـبُدُدِ[1] الـزّوَانِي[2]

ولما تولى الخلافة عثمان بـن عفـان رضي الله عنه، اكتفـى بالحفـاظ علـى منطقـة مُكْـرَانُ المفتوحة من قبل.فتوالت الحملات عليها لرد الخارجين على الدولة وقد كـان لوجـود جيوش المسلمين الـتي بقيـت مـدة مـن الـزمن في المنطقـة أثـره في دعـوة أهـل الـبلاد للإسلام. فقـد جـاءت جماعـات المسـلمين واسـتقرت في مُكْـرَانُ، وأقطعهـم الخليفـة القطـائع، فبنـوا المنـازل، وعمـروا الأرض، وحفـروا فيهـا القنوات.وهـذا التواجـد للمسلمين العرب بهذه الأعداد الهائلة يؤكـد وجـود حمـلات منتظمـة للـدعاة، ونشـر للإسلام وثقافته في المنطقة[3].

ثم جاءت خلافة علي بن أبي طالـب رضي الله عنه، ورغـم اخـتلاف الأمـة في عصـره، وكثرة الفتن إلا أن ذلك لم يصرفه عن أمر السند، فأرسل جيوشه إلى مُكْـرَانُ، وكانـت له علاقة طيبة مع الزط والسيابجة، وكانوا من رجاله الخُلّص، حتى أنـه جعـل أربعـين منهم على بيت مال البصرة، وكان أميرهم أحد الصالحين اسمـه أبـو سـالمة الزطـي[4]، ووجود أمثـال هـؤلاء في عقـر دار الإسـلام، وأرض العروبـة وقيـامهم علـى أخطـر مؤسسة ـ بيت المال ـ يدلُّ على أنهم قد وصلوا إلى مسـتوى عـالٍ مـن فهـم للإسـلام

١ ـ البدد الزواني: أصنام في السند عليها أوقاف من الزواني والزناة، ومـن أراد أن يكـرم ابنتـه جعلها وقفاً عليه.أبو عبد الله بن أبي بكر البناء المقدسي: أحسـن التقاسـيم في معرفـة الأقـاليم، مصدر سابق، ص٤٨٣.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:تاريخ الأمم والملـوك، مصـدر سـابق، جــ ٥، ص١٧٣، ١٧٤.

٣ ـ القاضي أبو المعالي أطهر المبـاركبوري: العقـد الـثمين في فتـوح الهنـد ومـن ورد فيهـا مـن الصحابة والتابعين، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٨٨هـ، ص٧١.

٤ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٢٢.

وقواعده، ووجود أمثال أبو سالمة[1] في البصرة يعني توافر الكثيرين من أمثاله في مُكْـرَانُ دعاة إلى الله وحملة للإسلام وثقافته.

ثانياً: جهود الخلفاء الأمويين:

في عصر بني أمية توالت الحملات على جبهة السند، وذلك في عهـد أول خلفائها، الأمر الذي يدلُّ على اهتمام الدولة بهذه المنطقة، ويؤيد إصرار الدولة الأموية على فتح بلاد السند ما فقدته من قواد وجيوش وعتاد على أرضها، وما لاقته من صـعوبات تمثّلـت في حـالات التمـرد المتتاليـة لأهـل السـند، وسـرعة انقلابهم على قائدهم متـى مـا أحسـوا بضـعفٍ فيـه، أو اضـطرابات في مركـز الخلافة. فإذا أحصينا عدد الذين تولوا ثغر السند على عهد بني أمية فقط نجدهم خمسة عشر والياً، مات منهم خارج السند سبعة، وقُتل منهم أو مـات في السـند ثمانية، أي أن معدل الخسائر في الولاة وهـم قـادة الفـتح سـتون بالمائـة، وهـذا معدل يدلُّ دلالة واضحة على أن الفتح الإسلامي في بلاد السند لم يكـن نزهـة من النزهات الترفيهيـة، بـل كـان جهـاداً أساسـه الجمـاجم والأرواح[2]. ولكـن بالرغم من ذلك فقد اهتم الأمويون ببسط نفوذهم على السند ونشـر الأمـن في ربوعها لتحقيق الهدف السامي الذي جاءوا من أجله وهو نشر الإسلام والثقافة الإسلامية والعربية، وقد اتبعوا في ذلك وسائل عديدة من بينها:إرسـال الـدعاة والعلماء، والزواج من السنديات، وبناء المساجد التي كان أظهـر أدوارهـا فـترة حكم محمد بن القاسم الأمر يجعلنا نكتفي بذكره نموذجاً، ومـن الوسـائل أيضـاً الدعوة إلى الإسلام إما بالطريقة المباشرة أو بالقدوة أو عن طريق الرسائل وهذه كانت واضحة في خلافة عمر بن العزيز، وتقليد أبناء السند المسـلمين المناصـب الهامة، وفتح الطريق أمام طلاب العلم السند للنزوح مـن أجـل طلـب العلـم، وكذلك تشجيع العلماء للهجرة إلى السند وممارسة الدعوة والتعليم فيها.

---

١ ـ أبو سالمة: ستأتي ترجمته في الفصل الرابع.

٢ ـ محمود شيت خطاب: قادة فتح السند وأفغانستان، دار الأنـدلس الخضـراء، جـدة، الطبعـة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ١٦٤.

فقد واصل معاوية بن أبي سفيان ﵁ حملات من سبقه لنشر الإسلام، فأرسل العلماء والدعاة والأخيار من الصحابة، وكان منهم عبد الله بن سوار العبدي[1]، ومنهم أيضاً الصمة بن عبد الله القشيري وهو من معاصري التابعين، وكان شاعراً ناسكاً عابداً من شعراء نجد، وكان يسكن بادية العراق، فانتقل إلى بلاد الشام، ثم إلى السند فكان من الذين ساهموا بجهود مقدَّرة في نشر الإسلام وثقافته ونشر اللغة العربية[2].ومنهم أيضاً كرز بن أبي كرز العبدي الحارثي الكوفي، وهو من أتباع التابعين وخليفة عبد الله بن سوار على القيقان، كان من العُباد، قَدِم مكة فأتعب من بها من العابدين، وكان إذا دعا أُجيب، وكانت السحابة تظلله وهو المراد بقول الشاعر عبد الله بن شبرمة الضبي:

لو شئتُ كنت ككرز في تعبّدهِ * أو كابن طارق حولَ البيتِ والحرم
قد طال دون لذيذ العيش خوفُهما * وسارعا في طلاب العزِّ وَالكَرَم[3]

ومنهم أيضاً أبو إياس معاوية بن قرة المزني البصري، كان عالماً، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جاء وافداً إلى عبد الملك بن مروان فسأله عبد الملك عن الحجاج، فقال:إن صدقناكم قتلتمونا، وإن كذبناكم خشينا الله عز وجل، فنظر إليه الحجاج فقال له عبد الملك: لا تعرض له، فنفاه إلى السند، فقام بنشر الإسلام فيها[4]. وقد وصف الإمام ابن كثير أيام الفتوح في عصر الوليد بن عبد الملك بكثرة العلماء والصالحين الذين كانوا في معية جيوش الفتح بقوله:"...فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علتْ كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها وقد أذلوا

١ ـ عبد الله بن سوار العبدي: كان صالحاً سخياً، لم يوقد أحد ناراً غير ناره في عسكره.أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٧٧.

٢ ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني: أسد الغابة، مصدر سابق، جـ٤، ص٢٠٤.

٣ ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني: الإصابة، مصدر سابق، جـ٣، ص٣٠٢.

٤ ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: المنتظم، مصدر سابق، جـ ٨، ١٩٨.

الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين في كل جيش منهم شرذمة عظيمة، ينصر الله بهم دينه ..."[١].

أما عملية الزواج من السنديات سواء كن في العراق أو السند فقد لعبت دوراً مهماً في تغيير الوضعية الاجتماعية للمجتمع السندي منذ صدر الفتوحات الإسلامية[٢].فقد ذكر الطبري قول ابن الزبير:"شهدت القادسية مع سعد فتزوجنا نساء من أهل الكتاب، ونحن لا نجد مسلمات، فلما قفلنا فَمِنَّا مَنْ طلَّق، ومِنَّا منْ أمسك"[٣].وكان لهذا الزواج أثره الكبير في الاختلاط والاندماج بين العنصر العربي المسلم والعناصر السندية وغيرها، فظهر جيل جديد يحمل الدم العربي والسندي معاً، بل يحمل خصائص وصفات الأمم المختلفة المتكوِّن منها، وفي ذلك يقول دينار الفارسي:"يا معشر أهل الكوفة أنتم أول من سررتم بنا، كنتم خيار الناس فعمّرتم لذلك زمان عمر وعثمان، ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع:بخل، وخب، وغدر، وضيق، ولم يكن فيكم واحدة منهن، فرمقتكم فإذا في مولديكم، فعلمت من أين أوتيتم، فإذا الخب من قِبَل النبط، والبخل من قِبَل فارس، والغدر من قِبَل خراسان، والضيق من قِبَل الأهواز"[٤].وهذا يوضِّح لنا مدى تأثير الزواج والاختلاط في أخلاق وصفات الشعوب المتصاهرة، وقد انعكس بصورة فعلية على صفات العربي وأخلاقه.أما بلاد السند فمن المعلوم أن الجنود الذين قدموا إليها لم تصحبهم ذراريهم، وإن وُجِدت فهي قلة، أضف إلى ذلك أن المسلمين كانوا حريصين على التسري بنساء السند من أجل بناء

١ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ ٩، ص٩٤.

٢ ـ ثابت إسماعيل الراوي: العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٥م، ص١٢٥.

٣ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ ٤، ص٤١٤.

٤ ـ المصدر السابق: ص جـ ٤، ص٢٤٥.

علاقات اجتماعية متينة، والانصهار في المجتمع السندي حتى يتقبل الدعوة، كما أن زواج المسلم من السندية يعتبر من أقوى الوسائل لإسلام تلك الزوجة، فيكون كسبها أول مفتاح للدخول على أقاربها. وقد كان لكبار قادة المسلمين وأعيانهم نساء سنديات فضلاً عن الجنود، بل من أهل بيت النبي مَنْ تسرّى بهن، فقد تزوج الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ سندية يُقال لها سلافة وقيل غزالة فولدت له الإمام علي بن الحسين[1]. وتزوج علي بن الحسين سندية ولدت له الإمام زيد بن علي بن الحسين، وقد كتب له عبد الملك بن مروان يعيّره بذلك، فردّ عليه: "قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، فقد اعتق رسول الله ﷺ صفية بنت حيي رضي الله عنها وتزوجها، وأعتق زيد بن حارثة ﷺ وزوَّجهُ ابنة عمه زينب بنت جحش رضي الله عنها"[2]. وكذلك يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري والي العراقين لمروان بن محمد أمّهُ سندية[3].

ومن الوسائل الهامة التي كان لها دورها في نشر الثقافة الإسلامية في المناطق غير العربية، ما قام به الخليفة الأموي عبد الملك من مروان من تعريب الدواوين، وإن كان قد سبقه خلفاء في هذا الأمر، ولكن يظهر عمله في التعريب بأمرين جليلين هما: تعريب ديوان الخراج، وتعريب السكة والنقد. أما ديوان الخراج فيعتمد على الحساب والأرقام، فهو الديوان الذي يحوي أسماء الأراضي ومقدار محاصيلها ومقدار الخراج الموضوع عليها، كل ذلك كان يُكتب بلغة البلاد المفتوحة، بما فيها أرض السند، ولا ريب أن ترجمة هذا الديوان إلى اللغة العربية أمر صعب جداً، فهو لا يقتصر على نقل الأرقام إلى العربية، بل يجب نقل أسماء المناطق إلى اللغة العربية، وتعلم أهل السند للغة العربية حتى يستمروا على مناصبهم. أما الأمر الثاني فهو

---

١ ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: المعارف، مصدر سابق، ص٩٤.

٢ ـ المصدر السابق، ص٩٤، ٩٥.

٣ ـ المصدر السابق، ص١٧٩.

تعريب النقد أو السكة، فقد جعل وزن النقود متفقاً مع حسابات الزكاة، وهذا الأمر يتطلب من الكل معرفة اللغة العربية، ومعرفة أحكام الزكاة، وبهذه الخطوة الجرئية من عبد الملك انتشر بين أهل السند وغيرهم ضرورة تعلم الإسلام وثقافته[١].

وتعتبر أيام محمد بن القاسم، أول بذرة حقيقية للدعوة الإسلامية في السند، فقد كان نشر الإسلام ودخول الناس في الدين من أوليّات حكمه، فأول المدن التي فتحها مدينة الديبل، فبدأ ببناء أحياء للمسلمين وأنزل فيها أربعة آلاف منهم، وهذا يعني قيام دعوة لشرح مبادئ الإسلام، ثم قام ببناء مسجد جامع لتعليم الناس دينهم، وأسند الأمور المالية لأحد رجال المدينة يُدعى قيلة بن مهترائج[٢]، وذلك تشجيعاً له بعد أن أعلن إسلامه، وكانت أخبار معاملة الجيوش الفاتحة لأهل الديبل، وشهامة المسلمين قد ملأ صيتها الأرض ووصلت إلى الأسماع قبل وصول الجيوش، فأيقن الناس أن هؤلاء الفاتحين الجدد من طراز غير الذي عهدوه من قبل ونتيجة لذلك انضمت أفواج من الميد و الزط إلى المسلمين تجاوزت أعدادهم الأربعة آلاف، فكانوا خير معين لجند المسلمين، وذلك لمعرفتهم بطرق المنطقة، إضافة إلى شدة بأسهم، وكانوا ضربة قاضية لأمراء السند، وقد ازداد بهم سواد المسلمين، وتناقصت أرض الكفر[٣].ولما فتح ابن القاسم نيرون أحسَّ بوداعة أهلها وخاصة البوذيين، الذين بادروا بإرسال الأعلاف للجيش الإسلامي، فكتب إليه الحجاج بالاهتمام بهم وإعطاء الأمان لمن طلبه، فقام ببناء مسجد مكان معبد الأوثان بعد هدمه و عيّن إماماً له، وأخذ الناس يؤمونه للصلاة، ولم تذكر كتب التاريخ احتجاج أهل البلد على إزالة معبدهم مما يشير إلى أن المسلمين قد أزالوه من القلوب أولاً[٤].

---

١ ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، مرجع سابق، جـ ١، ص٣٦٢ ـ ٣٦٨.

٢ ـ قيلة بن مهترائج:كان يقوم على سجن المسلمين المحتجزين في الديبل، وقد كانت معاملته للمسلين حسنة، فلما دخل المسلمون المدينة استدعاه ابن القاسم وعرض عليه الإسلام فأسلم. علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص١٠٧.

٣ ـ المصدر السابق: ص١٠١ـ ١٠٩.

٤ ـ المصدر السابق: ص١١٥،١١٦.

وبعد أن فرغ ابن القاسم من نيرون توجه إلى سيوستان، فحارب المحاربين وسالم البوذيين، وجمع الغنائم وأبقى للبوذيين ممتلكاتهم، وذلك في رسالة واضحة بأن الفاتحين الجدد لا يهدفون إلى نهب خيرات البلاد، بل يرمون إلى إزاحة كل عقبة أمام تقدم الدعوة الإسلامية، وأنهم يمدون أيديهم بيضاء لمن يريد السلام، وكان لهذا التصرف من ابن القاسم أثره في نفوس البوذيين، الأمر الذي دفعهم للاستفسار عن هذا الدين الجديد، فكان معظم الداخلين الإسلام من هذه الفئة، فقد اختصر بحسن قدوته الطريق، ودخل إلى القلوب قبل عساكره[١].

وعندما انتصر ابن القاسم في المعركة الفاصلة، وقتل ملك السند داهر، بعث بالرسائل إلى رجال الدولة وأمرائها يدعوهم للإسلام، فاستجابت له مجموعة وعلى رأس هؤلاء وزير داهر (سياكر) فعيّنه ابن القاسم وزيراً له، ولما جاءه محمد العلافي[٢] الخارج على الدولة الإسلامية طالباً الأمان أعطاه إياه وأرسله إلى الولايات الأخرى لنشر الإسلام وترغيب الملوك فيه وترهيبهم إن هُم وقفوا أمام المد الإسلامي، وقد استفاد ابن القاسم من خبرة العلافي بمناطق السند، لا سيما وأنه صديق لمعظم الأمراء فلا شك أنهم يعتبرونه حليفاً لهم ويأخذون بنصائحه، فلذلك دخلت مجموعات كبيرة منهم في الإسلام، بدعوة هذا الرجل العالم بلغة أهل السند وطبيعة أهلها[٣].

---

١ ـ علي بن حامد الكوفي:فتح السند، مصدر سابق، ص ١١٨، و Elliot, The history of India, vol,1.p.p.158,159.

٢ ـ محمد العلافي: من عرب قضاعة المقيمين في الشام، ذهب إلى السند مع جيوش الفتح، فخرج على الدولة وقتل والي مكران سعيد بن أسلم الكلابي، واستولى على مكران، علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٦٩ و٨٥و٨٦.

٣ ـ المصدر السابق، ص ١٥٨ ،١٥٩.

وتعتبر السياسة التي اتبعها محمد بن القاسم من أهم العوامل التي أدت إلى نجاح حملته العسكرية، فكل يوم يكسب أرض جديدة على بلاد السند التي أصبح أهلها إما مسلمين دخلوا الإسلام عن قناعة تامّة، أو ذميين لا عداء لهم مع المسلمين، رغبة في الحفاظ على الأمن الذي ساد البلاد ورهبة من الجيوش الإسلامية القاهرة، وحباً لهذا القائد العادل.ومن أبرز المواقف التي يتجلى فيها أثر القدوة على غير المسلمين ما فعله أهل الملتان، فقد استمرت المعارك العنيفة حول الحصن سبعة أيام واستشهدت مجموعة من جيش المسلمين، وهم يحاولون إيجاد نقب يدخلون منه إلى الحصن، حتى جاءهم رجل من داخل الحصن ودلَّ ابن القاسم إلى مكان دخل منه المسلمون، ولما خلص المسلمون إلى المعبد أخبرهم حارس الوثن البرهمي بمكان الأموال والذهب والياقوت المدفون تحت الصنم، فحصل المسلمون على غنائم لا تحصى، ولما انتهى ابن القاسم من فتح المدينة بنى بها مسجداً، وعمّرها، وعيّن عليها أميراً نظّم شؤونها[١].وبعد فتح العاصمة أرور (الور) واستسلام أهلها، دخل المسلمون المدينة وتجوَّل محمد بن القاسم في شوارعها، فوجد معبداً قد لجأ إليه أهل البلدة، فعلم أنه معبد يُدعى (نوبهار)[٢] ، فلما دخله وجد فيه صنماً من الذهب الخالص على ظهر حصان مكللاً بالجواهر واليواقيت وفي يده سوار من الزمرد فمدّ ابن القاسم يده وأخذ ما في يد الصنم، ثم دعا كاهن المعبد وسأله: هل هذا معبودك؟فأجابه: نعم، فقال له: ألا ترى شيئاً ينقصه؟ فقال: نعم، إن إحدى يديه خاليه فقال ابن القاسم: وأين سواره؟ فأطرق الكاهن برأسه إلى الأرض، فضحك ابن القاسم وقال: إنه لا يعلم شيئاً إنه حجر أصم، ثم أرجع يده[٣]، في إشارة واضحة إلى حرص محمد بن القاسم على نشر الدعوة، وإيصالها لكل فرد واستغلال الفرص

١ ـ المصدر السابق، ص٢٣١ـ٢٣٣.

٢ ـ نوبهار: أي المعبد الجديد وكان معبداً برهمياً أقيم خلال فترة السيطرة البرهمية، المصدر السابق، ص٢١٦، هامش رقم (١).

٣ ـ المصدر السابق، ص٢١٦،٢١٧.

لإيضاح أصول الدين وأن هذه الآلهة لا تنفع ولا تضر، وذلك عن طريق الإقناع والمناقشة الهادئة، فالدعوة الإسلامية ليست قوانين يُلزم بها الناس قهراً.

وبينما كان محمد بن القاسم ينتقل من نصر إلى نصر، وعجلة الدعوة تسير بخطىً سريعة، وكل يوم تزداد رقعة الإسلام وتُنقص أرض الكفر من أطرافها، فيموت الحجاج ثم يتبعه الخليفة الوليد، فيخلفه سليمان بن عبد الملك عدو الحجاج وأسرته، ويروح ابن القاسم ضحية الأحقاد، فثارت القلاقل في البلاد المفتوحة، مما اضطر الولاة الذين خلفوا ابن القاسم لاسترداد ما فتحه من قبل.فلم تهدأ ثورة البلاد حتى جاء إلى الخلافة عمر بن عبد العزيز، الذي تمثِّل فترة حكمه غرَّة في جبين الأمويين، فقد كان العلماء معه تلامذة، فندب نفسه للنظر في المظالم، بعيداً عن كبرياء الملوك وجبروتهم، فأعاد للناس سيرة الخلفاء الراشدين، ووضع الجزية عمّن أسلم[1]، وأعاد للدعوة مجدها، فكتب الرسائل إلى الأمراء والملوك يدعوهم إلى الإسلام، وقام واليه على السند عمرو بن مسلم الباهلي، بجهودٍ مثمرة لتنفيذ مضمون تلك الرسائل، فدخل الكثيرون من أمراء السند الإسلام، أما الذين لم يسلموا فقد قبلوا الطاعة للمسلمين مع البقاء على عقيدتهم ودفع الجزية، وكانت سيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز وأخباره هي الدافع الأساسي لدخول أهل السند في طاعته[2]، وما تبعه من خلفاء تعاقبوا على عرش الدولة الأموية، وولاة تتابعوا على حكم بلاد السند لم تكن لهم جهود تذكر في نشر الدعوة وذلك لانشغالهم بالقضاء على الفتن التي سادت البلاد طولاً وعرضاً، وكثر الثائرون في كل أقاليم الدولة لأهداف ومطالب متفاوتة، فالعصبية مستعرة بين القبائل، والخوارج قد نشطوا في كل مكان وصارت لهم صولات وجولات، فهذه الأوضاع لم تترك لوالٍ أن يهتم بشأن الدعوة الإسلامية، وما نجح من ولاة بعد ذلك، لم يتعد نجاحهم بسط

١ ــ شوقي أبو خليل: في التاريخ الإسلامي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٣١٧، ٣١٨.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص٤٨٤،٤٨٥.

الأمن في بلاد السند، أو إعادة بلدةٍ أُنْتُزِعَتْ. أما دعاة العباسية فقد وجدوا الفرصة لتحريك دعوتهم، مستفيدين من تلك الأجواء.

ثالثاً: جهود الخلفاء العباسيين في عصرهم الأول:

من أهم الوسائل التي سلكها العباسيون في نشر دعوتهم ـ غير ما ذكرنا في السابق مما قام به الخلفاء الراشدون والأمويون ـ استخدام الدعوة الأحادية، والتي لم تكن أمراً محدثاً بل كانت من أهم وسائل الدعاة في صدر الإسلام، فعندما كانت الدعوة الإسلامية تسير على المنهاج المستقيم في عصر الصحابة وعصر التابعين، وكان مع الجيوش الإسلامية كتاب الله تعالى، والعدل، والخلق الإسلامي، فكان الفتح، وكانت الدعوة الإسلامية القويمة، وكان دخول الناس في الإسلام أفواجاً، وكان الناس يؤمنون بالله رغباً لا رهباً، بلا إغراء ولا استهواء، وكانت الجيوش الإسلامية، تفتح الحصون، وتزيل العقبات التي صنعها الأباطرة والملوك، فيخلص الدعاة إلى الشعوب. وإذا كان الحكام لا يعنون بالدعوة، ولا يرعونها حق رعايتها في أوقات الأزمات التي تهدد سلطان دولتهم، فإن المؤمنين من العرب وغيرهم كانوا يعنون بها آحاداً وجماعات، ولكن الآحاد كانوا أبعد أثراً، فهم بتخلقهم بأخلاق القرآن، وبائتلافهم مع الناس من غير استعلاء، بل يعاملونهم كإخوان لهم ينشرون الإسلام بالقول والعمل، الأمر الذي دفع أعداداً كبيرةً من أهل فارس وخراسان وما وراء النهر وبلاد السند للدخول في الإسلام عن طريق الدعاية الآحادية والجماعية، فكانت الجيوش الإسلامية تتقدم والدعوة تسير من خلفها تبشر الناس بالرسالة المحمدية، وذلك بطرق ثلاث:أولها الاختلاط والائتلاف، فالأليف يقرّب أليفه ويدنيه.وثانيها: التبيين، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع تأليف القلوب والموعظة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١].

وثالثهما: إزالة الأوهام التي تسيطر على الناس فيما يتعلق بالأوثان، وقد كان الوثنيون لا يزالون أسرع استجابة، وأسهل اقتناعاً من غيرهم، لأنهم ما عبدوا هذه الأوثان إلا رغبة فيما عندها، فلما علموا أنها مجرد أوثان لا تنفع ولا تضر انصرفوا عنها.

وقد أنفقت الدول العباسية وقتاً وجهداً كبيراً في ملاحقة الأمويين، والقضاء عليهم في كل أرض سلكوها، ولذلك كانت الفترة الأولى من العصر العباسي فترة تثبيت لأركان الدولة، وبلاد السند كانت هدفاً للعباسين أيضاً، فقد أرسلوا الجيوش لضمّها، ففقدوا الرجال فيها، وكان اختيار موسى بن كعب الذي كان رئيساً للشرطة، يدلُّ على اهتمام بني العباس بأمر السند، فقد استقرت الأوضاع في عهده، وتفرغ لنشر الدعوة الإسلامية وتبصير الناس أمور دينهم، والتركيز على تعليم الدين الإسلامي وبث مفاهيمه بين أهل البلاد وقد لاقت هذه الدعوة آذاناً صاغية، بدليل التوسعة التي قام بها في مسجد العاصمة المنصورة[٢]، واهتمامه بدراسة أحوال البلاد المذهبية والفكرية، وإبلاغ دار الخلافة بما يدور في السند من هذه الناحية، مما يدل على متابعة العباسيين للأفكار المناهضة لهم، والمجموعات المناوئة للدولة من أجل القضاء عليها فكرياً وعسكرياً.

وفي عهد أبي جعفر المنصور اشتدت العصبية في بلاد السند فأوقفت عجلة الدعوة، وخاصة عندما قام بتأييدها بعض الولاة أمثال موسى بن كعب، ثم استؤنفت مرة أخرى في فترة حكم عمر بن حفص الذي اختفت العصبية في عهده ولكنه، رعى بذرة التشيع في السند، فقد بايع محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، وفتح الباب لداعته فدخلوا بلاد السند وبثوا الدعوة لآل البيت وكان على رأس الشيعة

---

١ ـ سورة النحل: الآية ١٢٥.

٢ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٢٦١.

عبد الله الأشتر، ثم جاء بعده هشام بن عمرو التغلبي الذي كلّفه الخليفة العباسي بالقضاء على الشيعة وقطع دابرهم، ومحاربة أمراء السند الذين أيدوهم وآوهم، ولكنه كره أن يكون قتل رجلٍ من آل البيت على يده فكان يتحايل على الخليفة ويظهر له سعيه الجاد للقضاء على الشيعة وأنصارها، إلى أن قُتل الأشتر عن غير قصد من الوالي، بعدها تحرك هشام بحملاتٍ ضمّ فيها بعض المناطق التي خرجت من أيدي المسلمين، واهتم بنشر الإسلام في ربوع القارة الهندية، وأعاد فتح منطقة قندهار ونشر الإسلام فيها وهدّ بيت الصنم فيها وأقام مكانه مسجداً، وقد نجح هشام التغلبي في بسط سلطانه على المنطقة حتى استقرت، مما كان له أبلغ الأثر في نشر الدعوة الإسلامية، وقد حرص الوالي على رفاهية الشعب فشهدت البلاد في عصره استقراراً وطمأنينة وأمناً، ولم يُسمع عن اضطرابات في عهده، وهذا بدوره انعكس على الحياة العلمية، فقد أصبحت بلاد السند ملتقى للعلماء والشعراء، وكانت مجموعات الدعاة والتجار تأتي إليها من الجزيرة العربية والعراق والشام، وهذه الفئات كان لها دور واسع في نشر الدعوة الإسلامية في السند، وإيصال الدعوة لأماكن وفئات من المجتمع ما كان لها أن تسمع بالإسلام[١].

وفي عصر الخليفة المهدي ازدهرت الدعوة الإسلامية وذلك لحرصه الشديد على تبليغ كلمة الله، فقد أرسل الرسائل والوفود إلى البلدان المختلفة، يشرح لهم مبادئ الإسلام، ويحثهم على الدخول فيه، وكان من بين تلك الرسائل ما خصّ به أمراء وملوك الهند والسند فاستجاب له عدد من الملوك والأمراء، وعندما بعث عبد الملك بن شهاب المسمعي سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م إلى أرض السند كان من بين جنده الدعاة، بل تميزت حملته بكثرة المتطوعة فيها، مما يدلُّ على أن الدعوة كانت على أشدها وأن الدعاة قد لمسوا من الخليفة جديةً في نشر الإسلام فتفاعلوا مع حملاته، وبالفعل أعادت تلك الحملة الاستقرار في بلاد السند، ولكنها تعرضت للوباء في منطقة كجرات، فمات عدد غير قليل من الجنود والمتطوعة، ولما عادت

---

١ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ٣، ص٢٠٢.

الحملة عن طريق البحر غرقت البقية[1]، فعادت الإضطرابات مرة أخرى.وتتابع الولاة على البلاد دون جدوى إلى أن تولى أمر السند الليث بن طريف سنة ١٦٤ـ١٧٠هـ/ ٧٨٠ـ٧٨٦م، فبدأ بداية موفقة حيث عمل على دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية دراسة دقيقة ووضع خطط الإصلاح في ضوء ما توصلت إليه تلك الدراسة، فجمع زعماء العرب وعقد صلحاً بينهم بشكل أرضى كل الأطراف وحقق لها أهدافها، ونجح في تكتيل هؤلاء معه ضد الزط الذين قاموا بإضطرابات عنيفة، وكتب إلى الخليفة المهدي فأمده بالجنود وفي الحال قضى على كل المفسدين وعاد الأمن فتفرغ المسلمون لنشر الإسلام بين أهل البلاد وخاصة الزط فتحولت مجموعات كبيرة منهم إلى الإسلام، واستخدمتهم الدولة في العمل بالزراعة والصناعة وتحولوا من مصدر إزعاج للدولة إلى عناصر منتجة، وهذا بدوره أدى إلى ازدهار العلوم فتوالت الوفود العلمية بين بلاد السند ودار الخلافة[2]. وعندما تولى أمر السند سالم اليونسي استفاد من جهود سلفه وعرفت البلاد الهدوء والطمأنينة في زمنه وكان حسن السيرة، رضيت به كل فئات الشعب، وساسهم بلا مشاكل على مدار أربع سنوات، فكان قدوة صالحة جذب أهل البلاد للإسلام بأفعاله أولاً[3].ولما تولى أمر السند داود بن يزيد المهلبي سنة ١٨٤ـ٢٠٥هـ/ ٨٠٠ ــ٨١٠م، قضى على الفتن ثم تفرغ لتنظيم البلاد، فنجح في تحقيق ذلك إلى حد كبير، فازدهرت السند على امتداد ولايته الطويلة في ميادين الثقافة والعلوم والتجارة وتحسنت العلاقات العربية السندية، فنشطت قوافل الدعوة الإسلامية بين السند والبلاد العربية[4].ومن أبرز الدعاة الذين زاروا الهند وقاموا بجهود واضحة في نشر الإسلام والثقافة

---

١ ـ المصدر السابق: جـ٣، ص٢٠٩،٢٠٨.

٢ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٤٠٩.

٣ ـ المصدر السابق: جـ٢، ص٤٠٩.

٤ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير:الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٦، ص٣٦٢.

الإسلامية، الربيع بن صبيح السعدي، والذي كان من أفاضل العلماء، بل قيل أنه أول من صنّف في الإسلام[١]. ومنهم أيضاً الفقيه العالم نجيع بن عبد الرحمن أبو معشر السندي صاحب المغازي، الذي زار السند وأقام الدروس وحلقات العلم في مساجدها[٢].

وما أعقب داود من ولاة قد أفرغوا جهدهم في القضاء على المتمردين، وإخماد الفتن والاضطرابات التي قادها الميد و الزط أسوة بأخوتهم الذين خرجوا على الدولة في العراق، إلى أن جاء عنبسة بن إسحاق الضبي سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م، فعمل على القضاء على الخلافات بين النزارية واليمانية، وبنى سجناً مركزياً ليتم فيه التحفظ على المفسدين، فادخل الرعب في قلوب الأعداء وعاد إلى البلاد أمنها، وقويت وحدة الجماعة العربية وتفرغ الدعاة لنشر الدعوة الإسلامية، وهكذا نجد أن الدعوة الإسلامية تنشط حينما تستقر البلاد ويقبل الناس على الإسلام، أما إذا عادت الإضطرابات التي يتزعمها الزط والميد والفتن بين العرب أنفسهم حينها تضعف الدعوة ويخفت صوت الإسلام.

---

١ ـ عبد الحي بن فخر الدين الحسني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر في تراجم علماء الهند وأعيانها من القرن الأول الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٣٨٢هـ ، جـ١، ص ٢٤، ٢٥.

٢ ـ المرجع السابق، جـ ١، ص٢٤، ٢٥.

(٢) اللغة العربية وأثرها في التمازج والتداخل بين العرب وأهل السند

الحديث عن اللغة العربية وأثرها لا يعني أننا من أولئك الذين يؤمنون بالعروبة عقيدة، وينظرون إلى الأمة العربية كأمة لا تعيش إلا على مواهبها الكامنة، ولغتها العظيمة، وموقعها الجغرافي وأهميتها السياسية.

وهؤلاء يجيبهم التاريخ: هل كان للعرب أن يؤثروا هذا الأثر العظيم الذي أحدثوه في العالم، وأن يشغلوا سمع الزمان وبصره، وأن يغيّروا مجرى التاريخ لولا هذه الرسالة السماوية التي تُسمى الإسلام، ولولا هذا الكتاب العظيم الذي يُعرف بالقرآن؟

فقد مضى على الأمة العربية آلاف السنين وهي تعيش على هامش الأمم، وفي عُزلة عن العالم، كما أنه ليس من المنطق أن نقول: إن الإسلام ولغته انتشرا بتأثير السيادة الإسلامية على العالم، وبفضل الحكومات التي قامت في أطراف الدولة الإسلامية كما انتشرت اللغات الأخرى. فإن اللغات غير العربية التي دخلت أراضٍ جديدة، تختلف عن العربية في أنها تبعت حكوماتها ورافقتها في تقدمها ومغامراتها، وعاشت عالةً عليها، ولهذا فكلما نالت أمةٌ استقلالها ثارت على هذه اللغة الوافدة واجتثتها من عروقها باعتبارها لغة أجنبية، لا تربطها بها عقيدة دينية أو عاطفة روحية، وإنما هي لغات فرضها الغزاة، أما اللغة العربية فلم يغبْ نجمها حتى بعد ضعف الحكومة الإسلامية وزوال السيطرة الإسلامية، وظلّت تهيمن على رقعة كبيرة من العالم الإسلامي، هذا كله بسبب الإسلام الذي أضفى عليها قدسية ليست لغيرها من اللغات، وغرس حبها في نفوس المسلمين، وفي سويداء قلوبهم حتى أصبحوا يؤثرونها على لغة آبائهم وبلادهم، وقد أخفقت الحكومات الجبارة في اقتلاع هذا الحب من نفوس شعوبها المسلمة[١].

---

١ ـ أبو الحسن الندوي: العرب والإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ، ص٦٥ـ٧٠.

والذي يُعنى بأمر الحضارة الإسلامية ينبغي أن يقف وقفة طويلة مع وعاء هذه الحضارة ولغتها، منذ كانت تتشكل تشكلاً يهيؤها للنهوض بدور ممتد وطويل لا ينتهي حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها، وذلك في السنوات القليلة التي سبقت ظهور الإسلام.

فقد كانت القبائل العربية في الجزيرة العربية على اتصال مستمر بقريش التي تقطن مكة، وتحتل مركزاً تُشد إليه الرحال، وتُضرب إليه أكباد الإبل، فظهرت لغة قريش، وطغت على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة، واستأثرت بميادين الأدب في شعرها وخطابتها ونثرها في مختلف القبائل العربية، فأصبح العربي أياً كانت قبيلته، يؤلف شعره وخطابته ونثره الأدبي بلهجة قريش. وقد ساعد على تغلُّب هذه اللهجة عوامل كثيرة أهمها:العامل الديني حيث أن أهل قريش هم سدنة البيت المحرم، الذي تحج إليه جميع القبائل العربية في جاهليتها. وبجانب هذا السلطان الديني، فقد كان لقريش سلطان اقتصادي خطير، إذ أن تجارها يتنقلون بتجارتهم في مختلف بقاع الجزيرة العربية من الشام شمالاً إلى اليمن جنوباً، كما يحدثنا القرآن عن تلك الرحلة ـ الشتاء والصيف ـ ، وبسبب هذا النفوذ الديني والاقتصادي تحقق لقريش أيضاً نفوذ سياسي قوي في سائر بلاد العرب[١]. وفي ذلك يقول أبو بكر الصديق ﷺ في خطبة السقيفة الشهيرة التي وجهها للأنصار بعيد وفاة الرسول ﷺ :"ولنْ تعرف العرب هذا الأمر ـ يعني الخلافة ـ إلا لهذا الحي من قريش، هُمْ أوسط العرب نَسَباً وداراً"[٢]

وعلى الرغم من ذلك فقد كان جمهور العرب وخاصة في الشمال أمّة أمية، يعتمدون على الرواية الشعرية في نقل الأشعار والخطب والحِكَمْ والأمثال وتراثهم الحضاري بصفة عامة. وجاء الإسلام والعرب يفاخر بعضهم بعضاً في الفصاحة والبيان، فإذا كتاب الإسلام الخالد، تَتَنَزَّل آياته تقرع أسماعهم، وإذا هذا الكلام الذي يسمعونه لأول مرة على لسان رجلٍ منهم، عاش بينهم أربعين عاماً أمياً لا

١ ـ علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، مرجع سابق، ص١٠٨ ـ ١١٢.

٢ ـ عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، مصدر سابق، جـ ٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤.

عهد له بالقراءة، يبهرهم بروعة ما يتلوه عليهم.فيؤمن المؤمن موقناً أنه ليس قول بشر، وإنما هو كلام الله، ويجحد الكافر معانداً فيدّعي أنه سحر. وتحدى القرآن العرب الذين كانوا يتفاخرون في البيان ويتسابقون فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، ولقد جاوز القرآن تحديه العرب إلى غيرهم، بل تجاوز حتى البشر إلى الجن، قال تعالى : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2]، وعندما عجز العرب عن معارضة القرآن مضوا يجرّدون سيوفهم ويغمدون ألسنتهم.

ومن أول يوم ارتبطت فيه اللغة العربية بالإسلام، فقدت صفتها المحلية أو القومية، واكتسبت صفة عالمية، جاءت من عالمية الرسالة الإسلامية، وأصبح الناس بها يتعبدون وبها يجتهدون لاستنباط أحكام حياتهم، وبها يعرفون الحلال والحرام، وبها يحملون الدعوة إلى أي مكان يصلون إليه وفيه بشر.ولعل من أبرز آثار الإسلام وفضائله على العربية بعد ذلك وهي تسير في موكبه، أن جمع العرب على لهجة قريش التي لم تكن سيادتها على لهجات القبائل العربية الشمالية تامّة[3].

جاء الإسلام والأميّة متفشية في موطنه الأول، على الرغم من نبوغ شعراء وظهور خطباء وحكماء، فقد كانت القراءة والكتابة في مكة قليلة، فأعلن الحرب على الأميّة وفرض القراءة من أول يوم لتكون مفتاحاً للمعرفة، وطريقاً لحياة فكرية واعية، فكانت الآيات الأولى التي استهل بها الوحي رحلته مع رسول الله ﷺ تعبّر عن ذلك تعبيراً لا لَبْسَ فيه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[4].وقد حرص عليه الصلاة والسلام على تحريك أمته المسلمة نحو التعلم، ففتح الباب أمام أبناء المسلمين

---

١ ـ سورة البقرة: الآية ٢٣.

٢ ـ سورة الإسراء: الآية٨٨.

٣ ـ علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، مرجع سابق، ص١٠٨ ـ ١١٢.

٤ ـ سورة العلق: الآية ١.

لتعلم القراءة والكتابة، ومن أبرز مظاهر ذلك أنه كان يفرض على الأسير تعليم عشرة من المسلمين الكتابة ليطلق سراحه[١].

وفي موكب الإسلام اكتسبت اللغة العربية معاني لم تكن تعرفها من قبل ولا كانت تعرف التعبير عنها، كالفرقان والكفر والإيمان والإسلام والنفاق والصلاة والزكاة والتيمم والركوع والسجود. ثم انتشرت اللغة العربية مع الفتوح في مشارق الأرض ومغاربها، ومن حسن حظ العربية أنها ارتبطت بالإسلام وصار تعلمها واجباً من الواجبات، فتلاوة القرآن فرض مكتوب على المسلم، والإسلام يحث على حفظه، أو حفظ أجزاء منه، وعكف على تلاوته الكبير والصغير، ولقد أتاح ذلك للغة العربية لا أن تنتشر هذا الانتشار فحسب بل أن تُحفظ أيضاً وتظل على مرّ العصور جديدة غضة، لا تبلى مع الزمان، الأمر الذي بهر أعداء الإسلام وخصومه، فما استطاعوا أن يحبسوا ألسنتهم وأقلامهم في التعبير عن إعجابهم بها، وفي ذلك يقول المستشرق رنان:"إن انتشار اللغة العربية ليعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلّها، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادي ذي بدء، فبدأت فجأة على غاية من الكمال، سلسة أي سلاسة، غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أدنى تعديل، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامّة مستحكمة، ولا أدري هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض قبل أن تدخل في أدوار أو أطوار مختلفة"[٢].لقد فتح الإسلام بقرآنه العظيم القلوب، فإذا أهل الأمصار التي فُتحت يقبلون على الإسلام، ويدخلون فيه أفواجاً، ويتعلمون اللغة العربية، فيأخذهم أسلوب القرآن المعجز ويهجر كثير منهم لغاتهم الأصلية، جاعلين المقام الأول للغة العربية لا لأنها لغة قوم أو شعب غالب، بل لأنها لغة الدين الذي اعتنقوه، وأصبحوا شركاء في حمله، والجهاد في سبيله لإعلاء شأنه ونشره، فوطّدت اللغة العربية أقدامها في البلاد المفتوحة، وحلّت محل اللغات المحلية شيئاً فشيئاً،

١ ـ محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ ٢، ص١٦.

٢ ـ محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، مرجع سابق، جـ١، ص١٨١،١٨٠.

وأقبل على تعلمها الجميع حتى بعض الذين لم يدخلوا في الإسلام.وإذا أردنا أن نخصص الحديث عن اللغة العربية في بلاد السند بصفة خاصة فإنه يتطلب منّا تناولها عبر العناصر التالية:

(١) انتشار اللغة العربية في بلاد السند:

تعتبر اللغة العربية حلقة الوصل بين الشعوب العربية وغير العربية، وقد كان للطبيعة الجغرافية للجزيرة العربية الأثر الإيجابي في معرفة اللغة العربية لدى كثير من الشعوب، وحتى فيما قبل الإسلام، إذ أصبح لزاماً على جزيرة العرب أن تصبح بلداً تجارياً، وذلك لطبيعتها المناخية وموقعها الجغرافي، فالبحار تحيطها من ثلاث جهات، وأرضها قاحلة وقليلة الإنتاج، ولكنها تجاور من جهاتها الأربع بلاداً خصبة ومزدهرة بالتجارة، كالعراق والشام والهند ومصر. وكانت الهند أكثر البلاد ملاءمة للتجارة البحرية مع البلاد العربية الواقعة على الشاطيء الغربي لبحر العرب المواجه لشبه القارة الهندية، وكانت السفن العربية التجارية تتجه منذ فجر التاريخ إلى الموانى الهندية الغربية لتنقل بضائعها المختلفة إلى الموانى العربية، وبالأخص البحرين (الأحساء) وحضرموت وعُمَان واليمن وغيرها، ثم تُنقل تلك البضائع على ظهور الجمال براً إلى الأسواق في الحجاز وإلى الشام ومصر عن طريق البحر الأحمر، ومن هنالك تصل البضائع الهندية عن طريق البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا[١]. ولذلك نجد أن اللغة العربية لم تكن غريبة على أهل القارة الهندية فقد حملها إليهم التجار العرب، وجاءت فئات من أهل السند إلى الجزيرة العربية إما بغرض التجارة أو للعمل في الجيش الفارسي في اليمن والعراق، وهؤلاء بلا شك تعلموا العربية ونقلوها إلى قومهم ونشأ أبناؤهم في الجزيرة العربية وتعلموا لغة أهلها وهكذا أصبح جيل غير قليل من السند يتحدث اللغة العربية، بل نجد أن هؤلاء السند قد أثروا في لغة العرب، لذلك نجد مصطفى صادق الرافعي يقدح في فصاحة العرب الذين يسكنون سواحل الخليج العربي فيقول: " ...وخاصة الذين كانوا يسكنون أطراف بلادهم المجاورة لمن حولهم من الأمم، فإنه لا يؤخذ من لغة

---

١ ـ الفستون: تاريخ الهند، ترجمة عادل زعيتر، مصر، بدون تاريخ، جـ١، ص١٨٢.

عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة..."[١].

فعندما دخل الإسلام إلى بلاد السند لم يكن العرب عنصراً مجهولاً على أهلها، وكذلك لغتهم العربية، وقد وصف الشهرستاني العلاقة بين العرب وأهل القارة الهندية وصفاً دقيقاً بقوله:" كبار الأمم أربعة، العرب، والعجم، والروم، والهند، فالعرب والهند يتقاربان على مذهب واحد، وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء، والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحانية"[٢]، إذن هنالك علاقات أزلية بين العرب والسند، وعندما فتح المسلمون بلاد السند كانت هنالك مجموعات من أعيان السند وعوامها قد تعلّمت العربية بحكم احتكاكها بالمسلمين بعد الفتح، ومن هؤلاء قيلة بن مهترائج الذي كان مشرفاً على سجن الديبل عندما دخلت كتائب الفتح الإسلامي بقيادة محمد بن القاسم، وقد أسلم هذا الرجل على يد محمد بن القاسم، فأرسله مترجماً لرئيس الوفد الإسلامي إلى ملك السند داهر، ثم عيّنه مشرفاً على الشؤون المالية في مدينة الديبل[٣]، ولم يكن قيلة هو المترجم الوحيد لابن القاسم فقد كان له مترجم يتنقل معه داخل السند، وهو بلا شك قد تعلّم اللغة العربية في جزيرة العرب وأسلم فيها حتى حاز ثقة المسلمين فأصبح ملازماً لقائدهم محمد بن القاسم[٤]. وهنالك عامل مهم أدى إلى انتشار اللغة العربية وهو السبايا الذين جيء بهم من بلاد السند إلى الشام والعراق والجزيرة العربية أرقّاء ثم تمَّ بيعهم في البلاد العربية، فعاشوا بين العرب وتعلموا لغتهم وحسن إسلامهم، بل حمل بعضهم الدعوة إلى قومه، وأقام الدروس العلمية وحلقات تحفيظ القرآن فكان خير سفير بين العرب المسلمين وقومه[٥]. ففي منطقة

---

١ ـ مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مصر، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، ص١١٨.

٢ ـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني:الملل والنحل، مصدر سابق، ص٦.

٣ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص١٠٧.

٤ ـ المصدر السابق: ص١٠٨.

٥ ـ المصدر السابق: ص ١٠٦.

برهمناباد وحدها بلغ عدد الأسرى عشرين ألفاً من الرجال والأطفال والنساء، أستخرج منهم الخمس وأُرسل إلى دار الخلافة، ووُزِّع الباقون على الجند، فكان منهم الزوجات والغلمان وأصحاب المهن الذين يعملون وسط معسكرات المسلمين في بلاد السند[1]، ولم يكتف ابن القاسم بتنظيم المناطق المفتوحة إدارياً، بل شرع في إسكان القبائل العربية فيها بغية تعريبها كما فعل ذلك في أشبهار والديبل[2]، وهكذا نجد أول فاتح لأرض السند يقوم بخطوات واضحة لنشر اللغة العربية في البلاد وذلك لأنها الجسر الذي من خلاله تعبر الثقافة الإسلامية ويتفقه الناس في أمر دينهم.

وكلما فتح ابن القاسم مدينةً بنى مسجداً فيها، وكان المسجد في صدر الإسلام هو المدرسة الأولى للمسلمين، فيه يعلّمون أبناءهم القراءة والكتابة ويتعلم المسلمون فيه أمور دينهم، إضافة إلى أنه ملتقى يجتمع فيه المسلمون بشتى أجناسهم وألوانهم، فلا شك في أن المسجد كان يضم مسلمين عرب وغيرهم من أهل السند، كما أن في المسجد دروساً يقوم بها الدعاة الذين قدموا بلاد السند يشرحون فيها للناس مبادئ الإسلام[3].

(٢) أثر اللغة العربية في التمازج والتداخل بين العرب وأهل السند:

كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد المفتوحة، مما شجّع سكان تلك البلاد وخاصة الطبقات العليا منهم والمتعاونة مع الحكومة الإسلامية في حكم البلاد على تعلم اللغة العربية، خاصة وبعد أن أصدر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أوامره بتعريب الدواوين، فكان لزاماً على أهل السند تعلم العربية والاحتكاك بأهلها والتداخل معهم.إضافة إلى أن الكثيرين من أهل تلك البلاد رغبوا في تعلمها بعد دخولهم الإسلام لحاجتهم إلى فهم تعاليم الدين الحنيف، فاضطروا لتعلم العربية وكان المسجد هو وسيلة إليها، فكان بمثابة القلب النابض

---

١ ـ المصدر السابق: ص١٩٧.

٢ ـ المصدر السابق: ص٢٠٨.

٣ ـ المصدر السابق: ص ١١٦.

الذي يبث دماء العربية في عروق الشعوب، ففـي سـاحته التقـى العربـي بالسـندي، وجلسوا إلى بعضهم البعض الكل مقبل لتعلم دينه ولغته. بالإضافة إلى مشاركة أهـل السند مع العرب في المهن المختلفة والجيش والزراعة، وهذه المشاركة الميدانية حتّمت عليهم تبني لغة مشتركة وهي اللغة العربيـة، لغـة الدولـة الرسميـة، وبهـذه الطـرق انتشرت اللغـة العربيـة بـين الشـعب السـندي، مـع بقـاء اللغـات المحليـة المسـتعملة عندهم[1].

وهكذا نجد أن اللغة العربية بحلاوتهـا ومرونتهـا، وبكثـرة اتسـاعها في شـرح العلـوم وتفسـيرها، وبجمالهـا المتمثـل في إعرابهـا وتعبيرهـا، وإعجازهـا وإيجازهـا، ومترادفاتها وأمثالها وكثرة معانيها، قد اجتذبت إليها جماعة من العلماء الذين عكفـوا على أسرارها يدرسونها بشوق وصبر، وقد تجاوز عدد الذين صـنفوا باللغـة العربيـة في العصـر العباسـي مـن غـير العـرب المئـات وكلـهم ذوو بـاع طويـل في التـدوين والتأليف، فمن هؤلاء عبد الله بن المقفع مترجم كتاب كليلة ودمنـة، وبـديع الزمـان الهمذاني مبتكر فن المقامات، وقابوس بن وشمكير صـاحب رسـائل البلاغـة، وابـن مسكويه صاحب تجارب الأمم، وابن سينا صاحب الشـفاء في الفلسـفة والقـانون في الطب، والثعالبي صاحب يتيمة الدهر، والبيروني صاحب الآثار الباقية عـن القـرون الخالية وعشرات الكتب العلمية، والخوارزمي صاحب مفاتيح العلـوم، والزمخشـري صاحب أساس البلاغة، والشهرستاني صاحب الملل والنحل وغيرهم كثيرون.

(٣) إسهامات السنديين في التأليف بالغة العربية:

أدت محاولات العلماء المسلمين في البحث عن معاني القرآن الكريم وإقرائـه وتفسير غريب آياتـه وألفاظـه وبيـان مشـكله وتوضـيح أحكامـه ـ كـذلك الحـديث النبوي ـ إلى جمع اللغة عـن القبائـل العربيـة الفصـيحة وظهـور الدراسـات اللغويـة وتطورها.

وكـان مـن أوائـل المهـتمين بـذلك العلمـاء الـذين اسـتقروا في البصـرة والكوفة.وتعتبر البصـرة منبـع تلـك الدراسـات، والشـمس الـتي شـعّ نورهـا علـى

١ ـ المصدر السابق: ص١٠٨.

الناطقين بالضاد، وغمرت بضوئها بلاد العرب والمسلمين بعد أن استطاع رجالها القائمون على هذه الدراسات أن يضعوا أصولها وضوابطها وأقيستها التي بها يستطيعون أن يفسروا آيات القرآن وأحاديث المصطفى ﷺ وأساليب أسلافهم من العرب الفصحاء، وأن يفهِّموا من عاصرهم أو جاء بعدهم ممن دخلوا في الإسلام وانضوا تحت لوائه من أبناء الألسن المختلفة والأجناس المتعددة[١].وكانت الكوفة مركزاً ثانياً إلا أن دراسات اللغة العربية جاءتها متأخرة، فقد كان اهتمامها مُنْصَبّاً حول الفقه والقراءات[٢]. وقد نبغ في هذين المصرين جماعة كبيرة من علماء اللغة العربية الذين أخذوا على عاتقهم جمع اللغة وروايتها وتدوينها، وانتقلت مجموعات منهم إلى بغداد بعد تأسيسها، فأصبحت العراق بصفة عامة قبلة العربية، وبما أنها كانت أكثر المناطق العربية اكتظاظاً بأهل السند والهند فقد كان لها القدح المعلى في تخريج علماء في العربية من أصول سندية أو عربية استقروا في بلاد السند.

ومن أبرز هؤلاء العلماء محمد بن زياد بن الإعرابي الكوفي، صاحب اللغة، وكان يحضر مجلسه خلق كثير ويملى عليهم، وله عدة تصانيف منها كتاب تاريخ القبائل، وكتاب تفسير الأمثال، وكتاب الألفاظ، توفي سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م[٣].ومنهم أيضاً أبو عطاء أفلح بن يسار السندي المتوفى سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م، وله أشعار رائعة باللغة العربية، ذكر أبو تمام مجموعة منها في ديوان الحماسة[٤].ومنهم أبو نصر البغدادي سندي بن صدقة، الكاتب الشاعر، كان معاصراً لأبي نواس المتوفى سنة

---

١ ـ نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م، جـ ٧، ص١٩٩.

٢ ـ شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ، ص١٥٣.

٣ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم، مصدر سابق، جـ ٩، ص٦٨٤.و أبو المعالي القاضي أطهر المباركبوري: رجال السند، مرجع سابق، ص ٢١٤ ـ ٢١٧.

٤ ـ المرجع السابق، ص ٢٧١ ـ ٢٧٥.

٢٠٠هـ/ ٨١٥م[1]. وغيرهم كثير من العلماء الذين كتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية، فأثروا المكتبة الإسلامية في شتى العلوم والمعارف.

وكان مما ساعد علماء السند على التقدم في مجال اللغة العربية ونشرها بين أهل تلك البلاد ما أبداه خلفاء بني العباس من اهتمام بها.فبعد أن انتظمت الأمور الإدارية للدولة الإسلامية في بلاد السند، أقام المسلمون مدناً جديدة ومساجد كثيرة وزاد عدد العلماء العرب، ومعهم العلماء السند الذين يتكلمون العربية، فأخذت اللغة العربية في الانتشار بسبب اهتمام أهل السند بها ولا سيما بعد دخول الكثيرين منهم في الإسلام ودراستهم للعلوم الإسلامية، بالإضافة إلى الاهتمامات الخاصة من جانب بعض المفكرين العرب بنشر اللغة العربية التي تعتمد عليها العلوم الإسلامية في انتشارها في تلك البلاد، فقد اهتم بهذا العمل الجليل علماء الدين واللغة ورجال القضاء وحتى المترجمون الذين يجيدون اللغتين العربية السندية، فقد كانت لهم مجالس علمية لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية[2].

وبعد أن نشطت حركة التدوين والتأليف عند المسلمين في عهد العباسيين، بدأ المؤرخون العرب وكُتَّابهم وسُيّاحهم يهتمون بأمور السند وجَمعْ المعلومات عنها وتدوينها في مذكراتهم وكتبهم. ويمثل العصر العباسي العصر الذهبي للغة العربية في بلاد السند، التي دخلها عدد كبير من الرحّالة والعلماء، فكتبوا عن الجاليات العربية هناك وأثرها، وتناولوا الحركة العلمية التي انتظمت البلاد في تلك الفترة، فعندما زار المسعودي بلاد السند سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، أشار إلى وجود كمٍ هائلٍ من العلماء العرب والقضاة والخطباء الذين يبذلون الجهود لخدمة اللغة العربية ونشرها، وإن الناس في هذه البلاد يقدسون اللغة العربية وكثيرون منهم يتحدثون بها ولا سيما الطبقة الحاكمة والخواص من أهل السند[3]، ولا شك أن هذه الصورة التي نقلها

---

١ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٢٠١.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص ٤٨١ ـ ٤٨٩.

٣ ـ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي:مروج الذهب: مصدر سابق، جـ١، ص٣٧٨.

المسعودي عن وضع اللغة العربية في بلاد السند لم تأت بين يوم وليلة وإنما جاءت نتيجة جهود استمرت على مدى طويل، بدأ بالفتح الإسلامي و بلغ ذروته أيام العباسيين.

ويذكر ابن حوقل الذي زار السند سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م أن اللغة العربية حتى منتصف القرن الرابع الهجري كانت ولا تزال مستعملة في الدواوين الحكومية ودور القضاء والأسواق التجارية، كما كانت هي اللغة المفضّلة عند الخواص، أما العوام في بلاد السند ومدنها الكثيرة فكانوا يتكلمون اللغة السندية واللغات المحلية في حياتهم العامة[١].

أما الأصطخري فقد أشار إلى توسع اللغة العربية، وأن أهل السند في مدينة المنصورة العاصمة وما حولها من المدن الكبيرة يتكلمون اللغة العربية وكذلك لغتهم المحلية، وأهل الملتان وأكثريتهم من العرب والمسلمين والأقلية من الكفار يتحدثون اللغة العربية بجانب لغتهم البنجابية المحلية، وأهل الديبل وقراها البالغ عددها نحو مائة قرية بالرغم من أن معظم السكان فيها غير مسلمين، إلا أن كلامهم فيها سندي وعربي مشترك[٢].

وقد ظلّت اللغة العربية في بلاد السند حتى القرن الخامس الهجري لغة رسمية مستعملة في الدواوين الحكومية، ودور القضاء والمدارس والمعاهد والأسواق التجارية الكبيرة، كما كانت لغة الطبقة الحاكمة والطبقة العالية والعلماء والخواص من أهل السند وأهالي المدن المعروفة في تلك البلاد، بل أكثر من ذلك إن أغلبية الشعب السندي من العوام أيضاً في مدن السند وفي الملتان كانوا قد بدأو في الاهتمام باللغة العربية، وكان من الممكن أن نجد جميع أهالي السند بعد زمن قليل يتكلمون اللغة العربية، ولولا زوال الحكم العربي منها سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م لكان للغة

---

١ ـ أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل:صورة الأرض: مصدر سابق، ص٢٢٦.

٢ ـ إبراهيم بن محمد بن إسحاق الاصطخري:المسالك والممالك: مصدر سابق، ص١١٧.

العربية شأن آخر[1]، ومن أعظم ثمار تلك الجهود السالفة إجادة أهل السند اليوم لرسم المصحف، بالرغم من ضعف لغتهم العربية مما يدل على اهتمام المسلمين الأوائل بنشر القرآن وعلومه والتركيز الشديد على إبراز العلوم الإسلامية وإتقانها، فهي لا تزال غضة طرية إلى يومنا هذا وكأن الفاتحين لم تمح آثار خيولهم.

وخلاصة القول أن علماء اللغة في السند كان لهم القدح المعلى في تدوين لغة العرب في تلك المنطقة، فجعلوا دراستها علماً، وألفوا فيها الكتب المتنوعة، وكانت جهودهم وعنايتهم باللغة تدل على مدى حرصهم على الحفاظ عليها وصيانتها، لتبقى لغة القرآن الكريم خالدة نقية وسليمة من التحريف والفساد.

١ ـ عبد الله بن مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، جـ١، ص٤٠٦.

(٣) استقطاب العناصر المسلمة والمستعربة

كانت شبه القارة الهندية عنصر جذب للإنسان العربي قبل الإسلام لما تكتنزه أراضيها من خيرات، وعندما دخل الإسلام أصبحت للقارة الهندية مزيّة أخرى في نفس العربي المسلم تتمثل في إيصال رسالة الإسلام إلى تلك المنطقة التي تعلّق بها، ولعلّ تناول العلاقة الهندية العربية قبل الإسلام تبيّن لنا كيف كانت العوامل والظروف ممهدة لتسهيل الاتصال بين هاتين البقعتين، وارتباط الأمتين الهندية والعربية منذ أقدم العصور ومن ثمّ انتقال العرب المسلمين وغيرهم إلى بلاد السند يحملون إليها ثقافتهم، وفيما يلي سنلقي الضوء على المقوّمات التي دعمت الروابط في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والحضارية والفكرية ومهّدت لاستقطاب العناصر المسلمة والمستعربة. ومن أهم تلك المقومات تشجيع حركة التواصل بين العناصر السندية المقيمة بجزيرة العرب وأوطانها الأصلية.واستقطاب القبائل العربية للإقامة في السند. وكذلك الاهتمام بالشعر وإكرام رواده من المقيمين والزائرين بين بلاد العرب والسند.بالإضافة إلى شريحة التجار التي ساهمت بدور واضح في نقل الإسلام وثقافته إلى أرضٍ لم يصلها الفاتح المسلم، ولم تقم فيها للمسلمين دولة.

(١) حركة التواصل بين العناصر السندية المقيمة بجزيرة العرب وأوطانها الأصلية:

إذا نظرنا إلى الناحية الجغرافية نجد أن المناطق الساحلية الغربية والجنوبية الغربية لشبه القارة الهندية تواجه المناطق الجنوبية والشرقية لشبه جزيرة العرب، ولا يحول بينهما إلا بحر العرب[١] الذي كان له الأثر الأكبر فيما قام بين هذين القطرين من علاقات أزلية منذ فجر التاريخ وإلى يومنا هذا.وقد ساعد هذا التقارب الطبيعي على كثرة الرحلات بين القطرين بطرق برية وبحرية وازدياد معدل المصالح التجارية والاقتصادية بينهما، فكانت السفن التجارية تتردد بين موانيء الهند والسند والمدن

---

١ ـ يُنظر الخريطة المضافة إلى الملاحق في آخر الرسالة.

التي على شواطيء دجلة وميناء الأُبُلَّةُ[١] حتى اشتهر هذا الميناء باسم (فرج الهند) أي ركيزة الهند، نظراً للعلاقات الوطيدة بين القارة الهندية وبين هذا الميناء[٢]، وكانت أسواق الحجاز محل البضائع الهندية وخاصة السيوف الهندية والبخور[٣]، وعلى هذه المناطق الساحلية كانت تقوم الروابط الاجتماعية والثقافية والحضارية بين الأمتين الهندية والعربية منذ القدم، وبهذه الطرق استوطنت جاليات هندية وسندية في أرجاء بلاد العرب، وذلك بسبب ما لاقوه من تقدير وإكرام من جانب العرب، حتى اعتبرتهم عدة قبائل عربية كبرى كأفراد منها، وكانت تقوم برعايتهم، احتراماً لحق الجار وكرم الضيافة[٤]. أما وجود عناصر عربية في الهند فإن كتب التاريخ القديم لم تشر إلى ما يثبت وجودهم فيها بصفة دائمة، مع أن الهنود كانوا أوفر حظاً في النواحي الاقتصادية والتجارية وأكثر إغراءً لما كان في بلادهم من وسائل المعيشة الهانئة بالنسبة للحياة الخشنة المنتشرة في جزيرة العرب.ولعل السبب في ذلك راجع إلى طبيعة العربي الذي ما كان يرتضي استبدال حياته الحُرَّة الطليقة بقوانين ودساتير الملوك المقيِّدة. كما أن التجار كانوا يجلبون البضائع الهندية إلى الأسواق العربية، وبالتالي وجد العرب كل ما يحتاجون إليه من بضائع الهند في جزيرتهم[٥]. والأمر نفسه نجده في بلاد السند، فلم تذكر كتب الرحالة والمؤرخين وجود جاليات

---

١ ـ الأُبُلَّةُApologos:تقع على شاطيء دجلة وهي اسم يوناني وتضم اليوم أجزء من مدينة البصرة، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي:معجم البلدان، مصدر سابق، جـ ١، ص ٧١، ٧٢.وكي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، مرجع سابق، ص٦٦.

٢ ـ عندما فتح المسلمون الأُبُلَّةُ في عصر عمر بن الخطاب ﷺ على يد عتبة بن غزوان وجدوا بها خمسمائة من الأساورة يحمونها. يُنظر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش:غزوات بن حبيش، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، جـ٢، ص٢٤٠ ـ ٢٤٣.

٣ ـ صالح أحمد العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، بغداد، ١٩٥٣م، ص٢١٧ ـ ٢٢٠.

٤ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤١٩ ـ ٤٢٢.

٥ ـ محي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية وتطورها، مرجع سابق، ص٧٧ ـ ٨٣.

عربية فيها، ولعل انعدام الأمن في تلك المناطق والخوف المتمثل في وجود القراصنة من أهل السند وعدم سيطرة الحكام عليهم من الأسباب التي جعلت العرب يعودون إلى بلادهم عند انتهاء مهامهم التجارية مباشرةً، وقد كان من الأسباب المباشرة لفتح السند على يد محمد بن القاسم تعرّض إحدى السُفُنْ القادمة إلى دار الخلافة للقرصنة[١].

أما من الناحية الحضارية والفكرية فقد كتب الشهرستاني مبيّناً مظاهر التقارب العقدي بين العرب والهند منذ القِدَمْ:" ...فأما بيوت الأصنام التي كانت للعرب والهند فهي البيوت السبعة المعروفة المشهورة المبنيّة على السبع الكواكب... ثم أشار إلى بيتين معروفين في كل من الهند والبلاد العربية، فقال: ومنها بيت (سدوسان) من أرض الهند أيضاً.وفيه أصنام كبيرة كثيرة العجب، والهند يأتون البيتين في أوقات من السنة حجاً وقصداً إليهما ... ومنها بيت غمدان الذي بمدينة صنعاء اليمن..."[٢]، ولذلك نجد أنّ الديانة البوذية التي ظهرت في القارة الهندية كان لها أتباع في العراق والشام، وكانت تُعرف عندهم بالسمنية[٣]، وأدى هذا التقارب الجغرافي والترابط الفكري والحضاري بين الهند والعرب إلى وجود جاليات هندية في سواحل جزيرة العرب، وكانت هذه الجاليات تقيم بين العرب بأعداد كبيرة، ومما يدلُّ على قوة نفوذها، ما رواه ابن هشام في سيرته عندما تناول حادثة استيلاء الحبشة على اليمن، وشكوى حاكم اليمن سيف بن ذي يَزَن إلى كسرى أنو شِرْوَان بقوله:"أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغْرِبة". فقال كسرى:"أيّ الأغْرِبة: الحبشة أم السند؟" فقال:"بل الحبشة"[٤].ولعل من أقوى أسباب ارتحال سكان شبه القارة الهندية إلى بلاد العرب وطول إقامتهم فيها هو ترحيب العرب وحسن سلوكهم مع

---

١ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٩٠.

٢ ـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني:الملل والنحل: مصدر سابق، جـ٢، ١٢٢٤،١٢٢٥.

٣ ـ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص ١٣ ـ ١٥.

٤ ـ عبد الملك بن هشام:السيرة النبوية: مصدر سابق، جـ ١، ص٤٥، ٤٦.

المستوطنين الجدد بفضل ما جُبِل عليه العربي من كرم الضيافة وسعة العيش، إضافة إلى التقارب العقدي بين الفريقين، الأمر الذي ساعد على اندماج الشعبين وتوثيق الصلات بينهما قبل ظهور الإسلام، ولعل النظام الطبقي القاسي الذي يعيشه أهل تلك البلاد دفعهم للبحث عن وطن آخر يشعر فيه الفرد بإنسانيته، كما أن هنالك أعداداً كبيرةً منهم جاءت للعمل في الجيش الفارسي. وقد دوَّنت كُتب السِيَرْ والتاريخ لسكان السند بعد البعثة النبوية جملةً من الوقائع التي تشير إلى قوة نفوذهم في المناطق الساحلية الجنوبية والشرقية من جزيرة العرب، إضافة إلى بعض المناطق الداخلية والوسطى والشمالية كمكة والمدينة ونجد واليمامة وتبوك.فذكر ابن هشام أن النبي ﷺ لما آذاه قومه واضطهدوه في مكة، عاتبهم أبو طالب ونظم قصيدة ورد فيها ذكرُ الهنود ومنها:

فَما أَدركوا ذَحلاً وَلا سَفكوا دَماً * وَلا حالَفوا أشـرارَ القَبائِلِ

بَني أمَّـةٍ مَجنونَةٍ هِندكـيَّةٍ[1] * بَني جُمَحٍ عُبَيدَ قَيسِ بنِ عاقِلِ[2]

ويُفهم من هذه الرواية أن الهنود كانوا يسكنون مكة وأن أهلها عرفوا عنهم الكثير، ومما يدلّ على وجود طائفة من الزط، ومعرفة أهلها التامّة عن صفاتهم وهيئتهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة، ما رواه الترمذي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعِشَاءَ ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ حَتَّى خَرَجَ بِهِ إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ فَأَجْلَسَهُ ثُمَّ خَطَّ عَلَيْهِ خَطًّا ثُمَّ قَالَ لَا تَبْرَحَنَّ خَطَّكَ فَإِنَّهُ سَيَنْتَهِي إِلَيْكَ رِجَالٌ فَلَا تُكَلِّمْهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَلِّمُونَكَ قَالَ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ أَرَادَ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي خَطِّي إِذْ أَتَانِي رِجَالٌ كَأَنَّهُمْ الزُّطُّ أَشْعَارُهُمْ وَأَجْسَامُهُمْ لَا أَرَى عَوْرَةً وَلَا أَرَى قِشْرًا وَيَنْتَهُونَ إِلَيَّ وَلَا يُجَاوِزُونَ الْخَطَّ ثُمَّ يَصْدُرُونَ إِلَى رَسُولِ ﷺ...)[3] ،وتدل

---

١ ـ هندكية: رجل هندكي من أهل الهند.

٢ ـ عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، مصدر سابق: جـ١، ص٢٧٩.

٣ ـ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذي: سنن الترمذي، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ كِتَاب الْأَمْثَالِ.

هذه الرواية على أن ابن مسعود كان يعرف تمام المعرفة ما كان للزط من هيئة □وصورة .

ومن الروايات التي تدلُّ على أن أهل السند والهند كانوا يقيمون بكثرة في منطقة نجران، وأن العرب قد تأثروا إلى حدٍ كبير بحياتهم، واقتبسوا كثيراً من عاداتهم وتقاليدهم، ما رواه ابن هشام عن إيفاد النبي ﷺ خالد بن الوليد ﵁ إلى قبيلة بني الحارث في نجران ليدعوهم إلى الإسلام، فقبلوا دعوته من دون تردد، فجاء وفدٌ منهم إلى المدينة، فلما رآهم الرسول ﷺ قال: "من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند، قيل له يا رسول الله هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب"[١]، والذي ينبغي أن يُلاحظ في هذه الرواية أن الاختلاط والتقارب في مظاهر الحياة قد بلغ بين القبائل العربية في نجران وبين المستوطنين الهنود حداً قد صعُب التمييز بين الفريقين في الملابس والهيئات والأشكال.وبعد معركة القادسية كان مع رستم[٢] أربعة آلاف من الأساورة، فأسلموا بعدما رأوا من هزيمة فارس، فأنزلهم سعد بن أبي وقاص﵁ الشام وسكنت منهم مجموعات البصرة والكوفة[٣]، وكان الخليفة علي بن أبي طالب ﵁ قد عيّن رجالاً من قبيلة السيابجة السندية على مصارف البصرة لمهارتهم في الأعمال المصرفية والحسابات وكان عليهم يومئذ أبو سالمة الزطي وكان رجلاً صالحاً، وهذا ما يدلُّ على مدى نفوذ السند في الشؤون المالية والسياسية في البلاد العربية حتى العهود الأولى للإسلام[٤].

ومع وجود تلك الأعداد من الجالية السندية في جزيرة العرب إلا أنه ظلّ الكثيرون منهم، كغيرهم من العرب المستوطنين في المناطق النائية عن مكة في شبه الجزيرة العربية، غير مدركين للإسلام عند بداية ظهوره، وذلك بسبب ما كان يقع من ظلم واضطهاد على مدى الثلاثة عشر سنة الأولى في مكة، حتى انتشرت الدعوة

١ ـ عبد الملك بن هشام:السيرة النبوية، مصدر سابق، جـ ٢، ص ١٠١٤.

٢ ـ رستم: قائد الفرس في معركة القادسية.

٣ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٣٢٤.

٤ ـ المصدر السابق: ص٣٦٩.

الإسلامية في اليمن والحبشة وغيرهما، بعد هجرة الصحابة إلى الحبشة وهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، حيث واتت الفرصة للذين يسكنون في سواحل جزيرة العرب والبلاد المجاورة لها لمعرفة الإسلام.وعندما انتشر الإسلام في الجزيرة العربية في آوخر أيام الرسول ﷺ ، أسلم كثيرٌ من سكان السواحل الجنوبية والشرقية من العرب والعجم، وكان بينهم من أهل الهند والسند والفرس وغيرهم من الجاليات المستوطنة في تلك المناطق.وكان في اليمن أيام كسرى أنو شروان عدد كبير من سكان السند والهند، وكان من قوتهم وشوكتهم ما مضى ذكره.

وهكذا يمكننا القول إنه بعد البعثة النبوية وانتشار الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية، تشكّل مجتمع جديد داخل جزيرة العرب، وأصبح لدينا مجموعات غير عربية اعتنقت الإسلام، وعرفت فضله ومحاسنه وأنه يأمر بإنذار الأقربين، فانطلقوا به إلى أهليهم في السند وغيرها مبشرين ومنذرين، فوُجد داخل السند من يجيد العربية والسندية في آن واحد، فينشر الإسلام بين قومه، ومن هؤلاء من كان يمارس مهنةً في جزيرة العرب فيتردد بين بلاده وبين جزيرة العرب، فيكون بذلك خير سفير للإسلام وثقافته، وكان بعض من المسلمين يصطحبون معهم أسرهم أيام الفتح، كعادة الكثيرين من جنود الفتح خوفاً من أن يطول بهم المقام أو رغبة في المكث هنالك، وقد كان لوجود تلك العائلات الأثر الفعّال في بذر فسيلة المجتمع المسلم المصغّر، وتعتبر منطقة مكران أُولى المناطق التي حُظيت بهذه الهجرات، ولا شك أن وجود مثل هذه الأُسر سيساعد أهل البلاد الأصليين على الفهم و التطبيق العملي للإسلام[١]، وفي المقابل نجد مجموعات أخرى من رجال الفتح قد تركوا أسرهم في بلادهم[٢] وهؤلاء بدورهم اتصلوا بأهل البلاد الأصليين وتزاوجوا معهم، الأمر الذي يؤكد بروز جيل

١ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٧٨.

٢ ـ محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٨، ص ٣٤٤.

مستعرب، يحمل الإسلام روحاً وفكراً ويتحدث أفراده اللغة العربية والسندية في آن واحد.

(٢) استقطاب القبائل العربية للإقامة في السند:

تميّزت الجيوش الإسلامية المقاتلة في العراق بصبحة النساء، ولعل ذلك بسبب طول المكث في تلك المنطقة، أو الرغبة في البقاء فيها من أجل تبليغ رسالة الإسلام، وقد شاركن تلك النسوة في معركة القادسية، فكن يسقين ويداوين الجرحى[١]، بل تميزت بعض القبائل دون غيرها بكثرة النساء مثل قبيلة بجيلة والنخع وقد كان لتشجيع خالد بن الوليد تلك القبائل أثره في اصطحاب نسائها، حتى عُرفت النخع بأصهار المهاجرين من كثرة زواج الجيوش المحاربة من تلك القبيلة[٢].وبالتأكيد فإن هذه الجيوش كانت نواة الفاتحين لمنطقة مكران، وبالفعل انتقلت تلك الجيوش إلى مكران، التي أصبحت ملتقى للقبائل العربية منذ خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وعندما أرسل معاوية بن أبي سفيان ﷺ جيوشه بقيادة عبد الله بن سوار مع أربعة آلاف مقاتل لفتح السند، انتبه ابن سوار إلى نار موقدة في معسكره ليلاً، فبعث أحد رجاله ليتحرى عن الموضوع فجاءه الخبر بأن امرأة كانت تلد[٣]. مما يدلّ على تواجد البعض بعائلاتهم.

وعندما جاء محمد بن القاسم إلى السند فاتحاً، كان في معيّته عدد من القبائل العربية التي تجمّعت من العراق والشام، بأعداد كبيرة لدرجة أن البلاد أصبحت فيما بعد ميداناً للصراع القبلي الذي بدأ في الشام والحجاز في أواخر أيام بني أمية وعجّل بزوال ملكهم، وعلى الرغم من أن العصبية كانت من أهم عناصر ضعف الحكومة الإسلامية في بلاد السند إلا أنها تشير بصورة صريحة إلى قوة نفوذ القبائل فيها، كما أن وجود مثل هذه القبائل بأعداد كبيرة يختصر الطريق لوصول الإسلام إلى أهل

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم، مصدر سابق، جـ ٤، ص٤٠٦، ٤٠٧.

٢ ـ المصدر السابق: جـ٤ ، ص٤٠٦.

٣ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص ٧٨، ٧٩.

البلاد، ونشر الثقافة والتقاليد الإسلامية.وكانت فترة ابن القاسم التي لم تتجاوز ثلاث سنوات من أكبر الوسائل التي فتحت الباب لدخول المسلمين العرب وغيرهم إلى المنطقة، فضلاً عمّا تمتع به القائد من محبة أهل البلاد وولائهم له، فوجد الإسلام طريقه إلى قلوب القوم في سهولة ويسر. وبعد اغتيال ابن القاسم تتابعت الفتن على المنطقة، وفتر اهتمام الخلافة بأمر السند، إذ كانت بوادر الانحلال والضعف قد بدأت تظهر على الدولة الأموية، وشُغل أكثر الولاة في السند بحفظ الأمن داخل البلاد وعلى حدودها، فانصرفوا عن التفكير الجدي في المُضي فيما بدأه ابن القاسم، وأخذت الاضطرابات تنتشر في السند حتى قامت الفتن بين القبائل العربية نفسها النزارية واليمانية، الذين لم يتركوا بقعة حلوا بها في أراضي الدولة الإسلامية الواسعة، سواء في أرض الشام أو بلاد الأندلس أو السند إلا واعتركوا فيها[1].

ويلاحظ بصفة عامة أن معظم الولاة الذين أتوا بعد محمد بن القاسم، قلّما كانوا يقومون بأعمال كبيرة أو فتوحات جديدة أو اجتذاب للشخصيات العربية المؤثرة للسند من جزيرة العرب، بل على العكس من ذلك فقد خرجت مناطق عديدة من أيدي المسلمين، وحاول الولاة الأقوياء منهم إعادة فتحها، وكان كل ذلك التذبذب والتدهور للمسلمين في بلاد السند بسبب استمرار الاضطرابات السياسية في الدولة الأموية وظهور أحزاب معادية لها من ناحية، وبسبب نشوب الخلافات القبلية بين العرب المسلمين ببلاد السند، من ناحية أخرى.

وعندما تحرك دعاة العباسيين في الأمصار يبشرون بدعوتهم كان لبلاد السند نصيب من أولئك الدعاة، ويظهر ذلك من موقف رفاعة بن ثابت بن نعيم الذي قدم المنصورة عندما تغلّب عليها منصور بن جمهور[2]، فأكرمه الأخير وجعله خلَفَهُ مع أخيه منظور بن جمهور، فلما قامت الدولة العباسية جاء المفلس بن السري العبدي إلى السند من قِبَل الخليفة العباسي، وعندما علم رفاعة أن مفلساً قد دنا من

---

١ ــ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ ١٠، ص١٨١و٢٠٩.

٢ ـ المصدر السابق:جـ١٠، ص٦١.

السند، وثب على منظور وقتله بالمنصورة، وقد ذكر ابن حبيب البغدادي قصة اغتيال منظور، فذكر أن رفاعة بن ثابت بن نعيم، كان من المقربين لمنظور وكان يسامره وينادمه، ولما علم رفاعة بمقدم مفلس العبدي، قعد هو ومنظور ووصيف لمنظور يشربون، فلما أخذ منهم الشراب نام منظور ووصيفه وخرج رفاعة، فأتى منزله، وجاء بسيفه وبمولى له، حتى أفضيا إلى غرفة منظور، فقتل منظوراً مع ثمانية من رجاله، فوصف أحد الشعراء هذا الموقف قائلاً:

يا رفاعُ بنِ ثابتٍ بن نعيمٍ * ما جَزَيْتَ الإحسانَ بالإحسانِ[١]

ويظهر من إقدام رفاعة بن ثابت على قتل منظور بن جمهور أنه كان من رجالات بني العباس ودعاتهم الذين قدموا للتبشير بالدعوة العباسية، وكان في معيته جمعٌ من الدعاة الذين جابوا البلاد شرقاً وغرباً وأحدثوا حركة فكرية لا بأس بها وإن كان طابع هذا التحرك سياسياً بحتاً إلا أن وجوده أحدث أثراً كبيراً في التلاحم الثقافي بين العرب والعناصر المستهدفة من أهل السند وغيرهم.ولما وجّه السفاح قائده موسى بن كعب لقتال منصور بن جمهور، كان معه ثلاثة آلاف من العرب والموالي، وألفٌ من بني تميم خاصة، فلما التقى بجيوش منصور كان جند بني العباس قد بلغوا اثني عشر ألفاً[٢]، وهذه الكثرة الغالبة من العرب والموالي الذين تربوا في البصرة، وعرفوا الإسلام وفقهه وأجادوا اللغة العربية، من المؤكد أنهم لعبوا دوراً هاماً في نشر الثقافة العربية الإسلامية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وكان لليمانية النزارية نفوذ قوي في بلاد السند أيام أبي جعفر المنصور، وذلك أنه عندما كان على السند عيينة بن موسى بن كعب ثار اليمانية ضده،

---

١ ـ محمد بن حبيب البغدادي: أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، ضمن نوادر المخطوطات ص١٨٥، نقلاً عن القاضي أبي المعالي أطهر المباركبوري: الهند في عصر العباسيين، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ص ٩، ١٠.

٢ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص ٣٦٩، ٣٧٠.

وكسروا أقفال بيت المال وأخذوا أرزاقهم[١]، الأمر الذي دفع المنصور لمعاتبة عامله حين بلغه الخبر قائلاً له: "لو عدلت لم يشغبوا، ولو وفّيت لم ينهبوا"[٢]. وقام النزارية بالعملية نفسها في عصر الرشيد، فطلبوا من الوالي داود بن يزيد بن حاتم المهلبي أن يقسّم البلاد أرباعاً، بين قريش وقيس وربيعة، ويطرد اليمانية[٣].ومن المجموعات التي قدمت السند في خلافة المنصور الوفد الذي وجهه محمد بن إبراهيم بن الحسن بقيادة ابنه عبد الله المعروف بالأشتر، والذي صحبه في رحلته أربعمائة من رجاله، كان هدفهم الدعوة لآل البيت، وتجييش أهل الأمصار ضد الدولة العباسية، وبعد مقتل محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم، لجأ الأشتر إلى أحد ملوك السند بإيعاز من والي السند، فكان في أمان يدعو لآل البيت ويبث الدعوة والثقافة الإسلامية بين أهل البلاد، ولعل أهم أثر تركه ذلكم الوفد ما حدث من تزاوج مع أهل البلاد الأصليين، وأصبحت لهم عائلات مسلمة تتحدث العربية والسندية، وتعكس الإسلام بوضوح لغير المسلمين، وعاش الأشتر بين أتباعه عيشة الملوك حتى إنه عندما قُتل كان في رحلة صيد[٤].

وفي عصر الخليفة المهدي نشطت الدعوة إلى الإسلام، وتتابعت الوفود على الأمصار تدعو الناس للدخول في الإسلام، وقد صحب تلك الجموع عدد غير يسير من العلماء، فعندما أرسل المهدي حملته لفتح مدينة باربد الهندية بقيادة عبد الملك بن شهاب المسمعي، كان معه ألفين من أهل البصرة من جميع الأجناس، وسبعمائة من أهل الشام، وأربعة آلاف من الأساورة السيابجة، وألفاً وخمسمائة من الدعاة، وكان

---

١ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي:تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٧٣.

٢ ـ أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، مصدر سابق، جـ ٤، ص٣١٢.

٣ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ٢، ص٤٠٩.

٤ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ١٠، ١١٦.

العلماء متوافرون في تلك الحملة وعلى رأسهم الربيع بن صبيح[١]، فكان لتلك الحملة أهدافاً أخرى غير الفتح تتمثل في نشر الإسلام وثقافته، وتعليم الناس الدين، وبناء مجتمع متكامل يكون فيه التزواج بين المسلمين ونساء تلك المنطقة، وإنتاج جيل يدين بالإسلام وثقافته، ومما يدل على أهداف الحملة الدعوية الأعداد الكبيرة من أهل السند (الأساورةو السيابجة) الذين قدموا إليها من العراق بعد أن عرفوا الإسلام وتفقهوا فيه، فجاءوا يدعون قومهم بلغتهم.

(٣) الاهتمام بالشعر وإكرام رواده من المقيمين والزائرين:

يعتبر الشعراء من الشرائح المهمة التي دخلت بلاد السند وأسهمت إسهاماً فاعلاً في نشر الثقافة الإسلامية، لا سيما وأنهم كانوا يمثلون ذاكرة العرب قبل الإسلام، وسجِل المسلمين الذي وثّق لأحداثهم قبل التدوين. ويمكننا تصنيف الشعراء الذين زاروا السند إلى عدة فئات، فمنهم مجموعة صحبت الجيوش الإسلامية الفاتحة في عهد الخلفاء الراشدين وبني أمية، سواء كانوا من القواد أو الفرسان، وسجلوا كثيراً من الوقائع المهمة في أشعارهم، وهنالك فئة أخرى زارت بلاد السند وشاهدت ما بها وعرفت أحوالها عن كثب، فعبّرت عنها في قصائدها، أما المجموعة الأخيرة فتضم أولئك الذين نشأوا وترعرعوا في بلاد السند، ويظهر تيار هذه الفئة بوضوح في العصر العباسي الذي يمثل قمة التمازج بين العرب والسند، ويتميز هؤلاء عن غيرهم بإجادتهم اللغتين العربية والسندية، فجاءت أشعارهم معبرةً عن تعاليم الإسلام وثقافته، كما أنها كشفت عن عادات وتقاليد أهل تلك البلاد بعد صبغها بالصبغة الإسلامية. وقد دخل الشعراء بلاد السند منذ عهد مبكر، ففي عصر الفاروق رضي الله عنه كان الحكم بن عمرو الغفاري قائد الحملة على مكران شاعراً، ومن شعره

١ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٦، ص١٦.

هذه الأبيات التي كتبها حينما منعه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ من عبور نهر السند (مهران) والتقدم نحو العاصمة:

ومهـرانٌ لنَا فيمَـا أَرَدْنَـا * مُطِيعٌ غَيَر مُسْتَرخِي العَنانَ
فَلوْلا ما نُهى عَنْهُ أَمِيري * قَطَعْـنَاهُ إِلى البَدَدِ الزَّوَانِي[١]

وكان في معية المهلب بن أبي صفرة شاعر أشاد بفتوحاته، ولا سيما بلدة (بنة)[٢] ، وأيضاً صحب بعض الشعراء الوالي عبد لله بن سوار العبدي فوصفوا سخاءه وشجاعته وإقدامه في الحرب[٣].وعندما كان سنان بن سلمة والياً على السند مدحه أحد الشعراء المقيمين في تلك البلاد[٤]، أما الشاعر ابن مفرغ[٥] فقد كان أحد الغزاة الذين صحبوا الوالي عباد بن زياد عندما غزا القندهار، فدوّن أحداث الموقعة وأخبار الشهداء[٦].وعندما استشهد والي مكران المنذر بن الجارود العبدي رثاه أحد الشعراء الذين كانوا في مكران بقوله:

حلّ بقصدارَ فأضحَى بها * في القبرِ لمْ يغفلْ معَ الغَافِلين
لله قـصدارُ وَأَعـنَابُهـا * أيُّ فَتىً دُنْيَـا أَجْنَتْ ودِينِ[٧]

---

١ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير:الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٣، ص٣٥.
٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٧٧.
٣ ـ المصدر السابق: ص٤٧٧.
٤ ـ المصدر السابق: ص٤٧٧.
٥ ـ ابن مفرغ: هو يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري: شاعر غزل، كان هجاءً مقذعاً وله مديح، توفي سنة ٦٩هـ/ ٨٦٦م، خير الدين الزكلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م، جـ٥، ص٣٤.
٦ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق: ص٤٧٨.
٧ ـ المصدر السابق: ص٤٧٨.

أما والي مكران حري بن حري الباهلي فقد كان أيضاً بين فرسانه شاعراً ذكر حملات المسلمين على مدينة البوقان، وعندما توفي والي مكران مجاعة بن سعر التميمي أنشد أحد الشعراء قصيدة رثاه فيها[١]. ولما بدأت الفتوحات الحقيقية للسند بقيادة محمد بن القاسم، كان بين القواد والفرسان عشرات الشعراء الذين اهتموا بإبراز الوقائع الحربية المهمة في أشعارهم، ومنهم الشاعر الفارس قابل بن هاشم الذي قاتل ببسالة في تلك المعارك، وقد أُصيب بستة عشر جرحاً، ومع ذلك ظل يقاتل بصلابة عجيبة وهو ينشد ما يشجع به أصحابه على مواصلة القتال، وقال عن نفسه في نهاية المعركة:

أَلاَ أصْحَابِي قَبْلَ وَقْعَةِ دَاهِر * وقَبْلَ المَنَايَا قَدْ غَدَوْنَ بَواكِرِ
وَقَبْلَ غَدٍ يا لَهفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ * إِذَا مَا غَدَا صَحْبِي فَلَسْتُ بِباكِرِ[٢]

ومنهم أيضاً قاتِلْ داهر ملك السند الذي نظم أبياتاً مفتخراً فيها بنفسه، ومسجلاً الكيفية التي قتل بها ملك السند[٣]، وعندما فتح ابن القاسم مدينة الكيرج، وقتل حاكمها دوهراً أنشد أحد الشعراء الذين كانوا في معيته قصيدة افتخر فيها بصلابة الجيوش الإسلامية وظفرها برأس حاكم المنطقة[٤].

وكان بعض الشعراء يزورون بلاد السند ويقيمون فيها فترة من الزمن، ثم يعودون إلى أوطانهم حاملين معهم ذكريات طيِّبة عن تلك البلاد، ويسجلون أخبارهم في أشعارهم ودواوينهم.ففي سنة ١٥٢هـ/ ٧٦٩م حضر الشاعر مطيع بن

---

١ ـ المصدر السابق: ص٤٧٨.

٢ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص ١٧٦، ١٧٧.

٣ ـ المصدر السابق: ص١٧٨.

٤ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص ٤٨٣.

إياس إلى بلاد السند وأقام عند واليها هشام بن عمرو التغلبي الذي كان معروفاً بين الولاة بتكريمه العلماء والشعراء[١].

وهكذا كان للشعراء المسلمين أثر كبير في تدوين الأحداث التاريخية والوقائع الحربية بين المسلمين وحكام السند في تلك الفترة، وكانت أشعارهم تُعد من أهم المصادر التي اعتمد عليها الباحثون والمؤرخون في تسجيل تلك المنطقة، كما أن وجودهم في تلك البلاد أسهم إسهاماً كبيراً في تثبيت اللغة العربية والثقافة الإسلامية، لا سيما أن هؤلاء الشعراء كانت لهم جهود واضحة في تقريب أصول الدين بنظمها في قصائد حتى يسهل حفظها، ووجود هذه الشريحة بهذه الكثرة تؤكد إقامتهم للمنتديات الأدبية مثل ما كانوا يفعلونه في بلادهم العربية.

(٤) تشجيع وتسهيل حركة التجارة بين بلاد العرب والسند :

أما الشريحة الثالثة الأخيرة التي استقطبت إلى بلاد السند، وأسهمت إسهاماً كبيراً في نشر الثقافة الإسلامية فهم التجار، فقد كانت التجارة عاملاً مهماً من عوامل انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية في مناطق وأقاليم قاصية. ذلك أن المسلمين حلوا سياسياً وعسكرياً محل الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، ومن ثمّ قبضوا على أعنة التجارة العالمية في العصور الوسطى، وقد عاشت التجارة في ظل الدولة الإسلامية متمتعة بالحماية والرعاية والتنشيط بحيث أُتيح لجميع الأقوام أن ينعموا بثمراتها ويفيدوا من أرباحها. وفي مقدمتهم العرب إلى جانب الفرس والروم والهند والسند[٢].

---

١ ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير:الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جـ٦، ص٦.

٢ ـ Von Kremer; on the Budget of incomes of the Abbasid Empire for the year 306H.Vienna 1887,p33

وكان من عادة التجـار يومئـذ إمـا أن يسـافروا مـع زوجـاتهم وأطفـالهم، أو يبحروا بمفردهم، ومن ثمّ تضطرهم الظروف إلى الزواج من نساء المناطق التي يحلـون بها[١]، ويعتبر الزواج وسيلة فاعلـة لإزالـة الفـروق الاجتماعيـة، وعامـل قـوي مـن العوامل التي ساعدت هذه الفئة الوافدة علـى إثبـات وجودهـا بـين مجتمـع المنطقـة. وكانت السفن تحمل البضائع، ويسير بها التجار على مراحل عبر الموانيء، فيحطّـون رحالهم أينما طاب لهم البيع والشراء، فيقيمون أمداً يطول أو يقصر بحسب ما تقـرره مصالحهم التجارية وظروف رحلتهم.وقـد ارتـبط تطـور التجـارة مـع الشـرق بقـوة الدولة الإسلامية وامتدادها إلى أقـاليم شاسـعة ممتـدة مـن جـزر الكنـاري في غـرب إفريقية إلى حدود الصين شرقاً، وقد أدى ضم بلاد السند لرقعة الدولة الإسلامية إلى تنشيط التجارة مع الشرق، وبخاصة مع الهند.ويُعَدُّ بناء مدينة بغداد من قِبـل الخليفـة أبي جعفر المنصور حدثاً مهماً في النشاط التجاري مع الشـرق، إذ ارتبطـت عاصـمة الدولة الإسلامية ولأول مرة مباشرة بطريق المواصـلات المائيـة بـالبحر العربـي عـبر موانيء الخليج العربـي كالأبلـة وصـحار ودارين الـتي اسـتمرت تلعـب دورهـا في التجارة مع الشرق. في حين قُدر للبصـرة أن تغـدو علـى مـرِّ الـزمن أبـرز المـوانيء الإسلامية، ومحط رحال التجار ومركز تبادل الصادرات والواردات، ومخزن البضـائع المستوردة من الهند والسند وغيرها[٢].

وكانت بلاد السند من أهم محطات أؤلئك التجار، الذين كـانوا يـأتون كـثيراً إلى السواحل الهندية والسـندية فيحملـوا منتجاتهـا ويصـدرونها إلى الجزيـرة العربيـة والعراق و مصر والشـام، ومـن الأخيرتـين يصـدرون بضـائعهم إلى أسـواق العـالم. وبسبب المعرفـة الضـئيلة لليونـان والرومـان بمصـادر هـذه البضـائع، فقـد ظنـوا أن المنتجات التي كانت تصدرها بلاد العرب هي منتجات عربيـة، بمـا في ذلـك التوابـل

١ ـ Van Leur: Indonesian Trade and Society, Bandung, 1960, p.53.

٢ ـ جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهنـدي في العصـور القديمـة وأوائـل القرون الوسطى، ترجمة يعقوب بكر، الكويت، ١٩٥٨م، ص٣٤.

والأطياب والمنسوجات والأحجار الكريمة، لذلك طمع الرومان في السيطرة على بلاد العرب لكي يضعوا أيديهم ـ كما ظنوا ـ على موارد هذه الثروة، وما دروا أن العرب كانوا تجاراً نشطين، وكانوا وسطاء في نقل البضائع الشرق إلى الغرب وبالعكس[١].

ولم يكن أولئك النفر تجاراً فحسب بل كانوا دعاةً حملوا لتلك البلاد الإسلام، ونقلوا لإقرانهم التجار في السند ثقافتهم بعد أن بهروهم بصدق التعامل ونبذ الغش والخداع، الأمر الذي أثار فضول هؤلاء التجار، ودفعهم لمعرفة المزيد عن هذا الدين، ولم يكن التجار المسلمون في انتظار من يأتيهم مستفسراً بل كانوا دعاة في كل آن وحين يستغلون كل سانحة في تبليغ رسالتهم لغيرهم. ونتيجة لهذا النشاط الثقافي وُجد بين المجتمع السندي من يدين بالإسلام وخاصة طبقة التجار، ولما كان هؤلاء التجار السند يمثلون أرفع الطبقات كان تأثيرهم في غيرهم من الطبقات الدنيا قوياً، وأصبح العامة يقلدونهم ويدينون بهذا الدين الذي اعتنقته صفوة المجتمع[٢].

وخلاصة القول إن بلاد السند استقطبت فئات متباينة من المجتمع المسلم، يجمع بينها فهمها العميق للدين، وحرصها على نشر الثقافة الإسلامية، واتفقت جميعها في تأثيرها القوي على المنطقة، فأهل السند الذين كانوا يقيمون في جزيرة العرب أصبحوا حلقة وصل بين بلاد الإسلام وقومهم، أما الشعراء فقد كانوا يمثلون أهم وسائل الإعلام آنذاك فازدادت الثقافة الإسلامية بجهودهم قوةً وتوسعاً، ثم جاء التجار ليكملوا الحلقة فيصلوا إلى فئة لم يحتك بها الفاتح المسلم، وكان تأثيره عليها قليلاً.

---

١ ـ المرجع السابق، ص٣٦ وما بعده.

٢ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٢١٧.

الفصل الثالث

العلوم الدينية والعقلية في بلاد السند

(١) العلوم الدينية في بلاد السند.

(٢) الترجمة وأثرها في العلوم عند المسلمين.

(٣) العلوم العقلية في بلاد السند.

العلوم الدينية والعقلية في بلاد السند

العلم عنصرٌ له مكانته وأثره في الفكر الإسلامي، فهو يحمل بين طيّاته كل ما فيه صلاح الأمّة، وهو عامل أساس لنهوضها، والابتعاد عنه هو سر تخلفها وتراجعها[١]، ولما كان الإسلام فاتحاً لعهد الرُّشد البشري، فإن اهتمامه بالعلم كان اهتماماً بالغاً وكبيراً، فقد بدأ الوحي بالأمر بالقراءة والإشادة بالعلم:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢] ، فالإسلام يُعِدُّ العلم عنصراً من عناصر تكوين الإنسان، ولعلّ السرَّ في البعث الجديد لأمة العرب، ذلك البعث الذي نقلهم من رعاية الغنم إلى قيادة الأمم، وكانوا في قيادتهم الجديدة بعد جاهليتهم الأولى خير أمة أُخرجت للناس يكمن في أمرين: أحدهما شخصية الرسول ﷺ الذي اختاره الله لدعوة الناس أجمعين إلى الإسلام، وأعدّه بفضلٍ منه لهذا الاختيار.أما الأمر الثاني فيكمُنُ في إقامة الله ـ عز وجل ـ دعوة الإسلام على إيجاب العلم على كل مسلم ومسلمة، ومخاطبة العقل والفكر في جميع نواحي دعوة الإسلام. فبدأ الإسلام إصلاحاته مبكراً ومن أول لحظة بمعالجة الأُميّة بعد أن عدّها أمراً يجبُ إزالته، فهذا رسول الله ﷺ يجعل فداء الرجل من أسرى بدر، تعليمه عشرة من المسلمين القراءة والكتابة[٣]، وذلك من أجل إعداد الإنسان عن طريق العلم أولاً، ليكون نواةً لمجتمعٍ جديدٍ مبدعٍ ومتقدم.

وجاءت السنة النبوية لتزيد الموقف القرآني من العلم توضيحاً وتفصيلاً، فاعتبرت:"طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"[٤]، وجعلت فضيلة العلم خيراً من

---

١ ـ يوسف عبد المعطي: أمة معرضة للخطر، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص ٨ وما بعدها.

٢ ـ سورة العلق: الآيات ١ ـ ٥.

٣ ـ محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٢، ص١٦.

٤ ـ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ، بيروت، بدون تاريخ، حديث رقم (٢٢٤)، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم.

فضيلة العبادة. عن أبي أُمَامَة البَاهليِّ قال: ذُكرَ لرَسول اللهِ ﷺ رجُلانِ أحَدُهُما عَابدٌ والآخَرُ عالِمٌ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ:"فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :"إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النّاسِ الْخَيْرَ"[1].

ومفهوم العلم عند المفكرين المسلمين يعني العلم الشامل بشقيه: الشرعي والكوني، أما الشق الشرعي فيضمُ العلوم التي تعتمد الوحي ـ قرآناً وسنة ـ مصدراً للاستنباط والاستدلال، وهذه العلوم تُعنى بأمور العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق والقيم والتصور العام للوجود والنفس الإنسانية، ونظام المجتمع، وغير ذلك من أمور مفصّلة في كتب الشريعة والفقه والعقائد.

أما الشق الكوني فهو علوم البحث في ظواهر الكون والحياة، ويعتمد الإنسان فيها على الملكة العقلية، والملاحظة البصرية، والتجربة العملية، ليصل من خلال ذلك كله إلى المعرفة الصحيحة بطبائع الأشياء وخواصها، وغير ذلك، على أن تظلّ العلوم الكونية دنيوية لعلاقتها مع الأشياء، وتعبُّدِية في الوقت نفسه لصلتها بالله الخالق الواحد سبحانه وتعالى[2].فليس العلم الذي يشيد به القرآن مقصوراً على نوع معيّن من العلوم، فهو يشمل العلوم كلها[3].

ولما كانت العلوم هي حادية ركب الثقافة الإسلامية، والنور الذي أضاء كل بقعة من هذه الأرض بما في ذلك بلاد السند، جاء الحديث عنها في البحث، فتمّ تناولها بتقسيمها الذي ذكرناه في ثلاثة محاور. فبدأنا بالعلوم الدينية، وذلك لكونها

---

١ ـ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي:سنن الترمذي، حققه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، جـ٤، ص٤١٦، حديث رقم (٢٦٨٥).

٢ ـ يحيى حسن علي مراد: آداب العالم والمتعلم عند المفكرين المسلمين من منتصف القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن السابع، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٤٠.

٣ ـ أحمد الحوفي: القرآن والتفكير، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٠. وعدنان محمد زرزور: نحو فلسفة إسلامية للعلوم، من منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٤٠.

أسبق العلوم التي وجدت عناية وحرصاً كبيرين في الثقافة الإسلامية، وعليها قامت الحركة العلمية في المجتمع الإسلامي، وأول العلوم التي نقلها المسلمون إلى البلاد المفتوحة ومنها بلاد السند على وجه الخصوص، وقبل تناول العلوم العقلية والتجريبية كان لا بد لنا ـ لكي نتعرف على ملامح النهضة العلمية التي شهدتها بلاد السند في هذا المجال ـ أن نتعرض أولا للحديث عن الترجمة وأثرها في العلوم العقلية عند المسلمين.

(١) العلوم الدينية في بلاد السند

للحديث عن العلوم الدينية في بلاد السند يحسن بنا أن نذكر أولاً بعض الروايات التي أشارت إلى بعض الوفود من الصحابة، ثم نعرض لأهم العلوم في عصر بني أمية، ونختم ذلك بتناول جهود العباسيين في نشر العلوم الدينية.

أولاً: العلوم الدينية في عصر النبوة والعهد الراشدي:

لم تكن الكتابة منتشرة لدى العرب قبل الإسلام، وقد عُرِفت مجموعة قليلة من أهل مكة كانت تكتب.وتدلُّ الأخبار أن الذين كانوا يكتبون في مكة بعد الإسلام أكثر من أهل المدينة، بدليل أن الرسول ﷺ أذن لأسرى بدر المكيين بأن يفدي كل كاتب منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المدينة الكتابة والقراءة[١].فلذلك نجد أن أهم العلوم في عصر النبوة كانت القرآن والسنة، وكان الصحابة يعوِّلون في حفظهم للسنة على الاستظهار في الصدور، لا على الكتابة وذلك لانصرافهم إلى تلقِّي القرآن وانشغالهم بجمعه وكتابته، وخوفهم من التباسه بالحديث إذا كُتِب، لا سيما وأن رسول الله ﷺ نهى عن كتابة الحديث في أول الأمر كما في رواية أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"لا تَكْتُبُوا عَنِّي ومَنْ كَتَبَ عَنّي غَير القُرْآن فَلْيَمْحُهُ"[٢].ولسنا هنا بصدد الاستطراد في سرد أقوال العلماء في الحديث[٣]، فالذي يهمنا أن السُنَّة دُونت في عصر النبوة وكانت هنالك بعض الصحف، ولكن الوضع السائد آنذاك هو حفظ القرآن والسنة في الصدور، مع وجود كتابة قليلة ومحصورة.

أما عن بدايات تبليغ الدعوة الإسلامية في بلاد السند والهند، فقد حاولت بعض الروايات أن ترجعها إلى العصر النبوي، ومن تلك الروايات أن الرسول ﷺ

---

١ ـ محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ ٢، ص١٩.

٢ ـ مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، مصدر سابق، جـ٤، ص٢٢٩٨،حديث رقم ٣٠٠٤.

٣ ـ لمعرفة المزيد عن تدوين السنة في عصر النبوة يُنظر مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٠٥ ـ ١١٠.

أوفد رُسُلَه من الصحابة إلى حاكم قنوج بالهند، وأن هذا الحاكم قد أسلم على أيـدي الصحابة المبتعثين. وقد علّق الحافظ ابن حجر على هذه الرواية بقوله:"زعـم ـ يعـني حاكم قنوج ـ أن النبي ﷺ أنفذ إليه حذيفـة وأسـامة وصـهيباً يدعونـه إلى الإسـلام، فأجاب وأسلم وقَبِلَ كتاب النبي ﷺ ، وقد قال الذهبي في تجريد أسماء الصـحابة، إن هذه الرواية كذب واضح"[١].وهنالك رواية أخرى ذكرت أن خمسة مـن الصـحابة ﷺ قد وصلوا إلى بلاد السند، وأن اثنين منهم رجعا وبقـي ثلاثـة مـنهم، بعـد أن قـاموا بتسليم حاكم نـيرون السـندية كتـاب رسـول الله ﷺ ، وقـد اسـتمر وجـود هـؤلاء الثلاثة للقيام بمهمة نشر العلوم الإسلامية، وتعليم أهل الـبلاد أحكـام الـدّين إلى أن ماتوا هنالك، وهي أيضاً رواية غير صحيحة[٢]، فقـد وُجـدت ضـمن مجموعـة أشـار إليها القاضي المباركبوري باسم (جمع الجوامـع) والواقـع أنـه لا يوجـد كتـاب بهـذا الاسم[٣].وعليه يمكننا الجزم بأنه لم يصل إلى بلاد السند شـيء مـن العلـوم الدينيـة في العصر النبوي.

أما أول وجود للمسلمين في بلاد السند علـى الأرجـح فقـد كـان في عهـد الفاروق ﷺ، وتحديداً في منطقة مكران[٤]. وكان تركيز المسلمين في تلـك الفـترة علـى علوم القرآن الكريم، المتمثلة في القرآن الكريم والتفسير والحديث.وقد كان مصحف عثمان ﷺ منتشراً في الأمصار منذ سنة ٣٠هـ/ ٦٥١م، واستمر الوضع هكـذا إلى أن ظهرت القراءات[٥].ويُعَدُّ علم التفسير من أهم علوم القرآن وذلـك لأهميتـه في فهـم القرآن، وكان وصوله إلى العراق في عصر الفاروق ﷺ على يد عبد الله بن مسـعود ﷺ، وذلك عندما بعثه الخليفة مـع أمـير الكوفـة عمـار بـن ياسـر ﷺ، ولا شـك أن

١ ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، مصدر سابق، جـ٢، ١٢١.
٢ ـ القاضي أطهر المباركبوري: العقد الثمين، مرجع سابق، ص ٣٠ ، ٣١.
٣ ـ القاضي أطهر المباركبوري: العرب والهند في عهد الرسالة، مرجع سابق، ص١٢٩.
٤ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٥، ١٧٢، ١٧٣.
٥ ـ عبد الله خورشيد البري: القرآن وعلومه في مصر (٢٠ ـ ٣٥٨هـ)، دار المعـارف، القـاهرة، ١٩٧٠م، ص١٦٦.

تلاميذ ابن مسعود قد تفرقوا في المناطق التابعة للعراق، ومنها مكران، وإذا أخـذنا في الاعتبار وجود الكثير من أهل مكران في العراق، جاءوا إليها للعمل أو كانوا سبايا، أو تجاراً فهؤلاء خير من يبلّغ تلك العلوم إلى عشيرته، وكـذلك وجـود تلاميـذ كُثـر لابن مسعود في الكوفة، أمثال علقمة بـن قـيس بـن عبـد الله النخعـي المتـوفى سـنة ٦١هـ/ ٦٨٠م الذي كان أشهر رواة ابن مسعود وأجمعهـم لعلمـه وأشـبه النـاس بـه هدياً وسمتاً[١].وهكـذا يمكننـا القـول إن مدرسـة ابـن مسـعود في التفسـير هـي الـتي وضعت اللبنات الأولى لعلـم التفسـير في العـراق، وكـذلك الحـديث لأن الصـحابة كانوا لا يفرقون بين التفسير والحديث، لكون التفسير هو كلام الرسـول ﷺ[٢]، وقـد تطورت تلك العلوم ـ القرآن والتفسير والحديث ـ في عصر عثمان وعلي رضي الله عنهما، وازداد عدد التلاميذ فتفرقـوا في الأمصـار، وكانـت العـراق مصـدر إشـعاع لأرض مكران وذلك لقربها الجغرافي، وتبعيتها السياسية لمنطقة العراق، ومعرفة أهل العراق بها عن طريق التجارة وانتشار الجالية المكرانيـة فيها.وعـدم إفصـاح المصـادر عن علماء لتلك العلوم في مكران لا يعني عدم وجودهم، وذلك إذا علمنا أن الوالي الذي يُكلف بحكم منطقة أو فتحهـا في العصـر الراشـدي دائمـاً مـا يكـون موسـوماً بالعلم، فهو إمام الصلاة وقائد الجيوش، وقاضي المسلمين، وعـالمهم، ولكـن بعـض الأمصار لاتسعاها قد تحتاج إلى عالم متفرغ، يقوم بنشـر العلـوم الإسـلامية كـالعراق مثلاً.وعليه يمكننا الجزم بأن ولاة مكران في عصر الخلفـاء الراشـدين كـانوا يقومـون بنشر العلوم الإسلامية المنتشرة آنذاك، وهي القرآن والتفسير والحديث.

(٢) العلوم الدينية في عصر بني أمية :

جاء الفتح الإسلامي لبلاد السند قاطبة علـى أيـدي الأمـويين، وقـد وصـلت قواتهم إلى عمق المنطقة وهو ما لم يحدث في العهد الراشدي. ولكننا إذا تتبعنا تـاريخهم فإننا لا نجد بياناً واضحاً عن كيفيـة انتشـار العلـوم الإسـلامية في بـلاد السـند،

١ ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر: تهذيب التهذيب، مصدر سابق، جـ ٧، ص٢٧٦ ـ ٢٧٨.

٢ ـ عبد الفتاح فتح الله سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص١٦.

مثلما نجده في غيرها من البلاد المفتوحة، خلا بعض الإشارات العامة التي وردت خلال الأحداث التاريخية والأخبار المختلفة في كتب التاريخ و الجغرافية والأدب وكتب العلوم الإسلامية، وما سجَّله الرَّحالة الذين زاروا بلاد السند في العصر العباسي.

ويُعدُّ بناء المساجد وانتشار العلماء المسلمين والقضاة من أهم الوسائل التي أدت إلى نشر العلوم الإسلامية في أرجاء دولة بني أمية، الذين لم تتجاوز مدة حكمهم على بلاد السند الأربعين سنة (٩٢ــ١٣٢هـ/ ٧١٠ــ٧٥٠م)، وكان المسلمون مشغولين خلال تلك الفترة بتنظيم أمور حكومتهم في هذه البلاد الواسعة، وقد عانوا الكثير من المتاعب، وأنفقوا المال والرّجال والوقت والفكر لتثبيت أركان الحكم هنالك، وواجهتم عقبات كأداء في كل النواحي وشتى الأصعدة، وذلك بسبب قلة عددهم وكثرة أهل البلاد الأصليين، ولكن بالرغم من ذلك فإن المسلمين لم يهملوا واجبهم الذي من أجله قادوا الحملات، وهو نشر العلوم الإسلامية في هذه البقعة من العالم، ولذلك نجد القائد المظفر محمد بن القاسم، ومن شدة اهتمامه بهذا الواجب المقدس، لم ينتظر تكميل فتوحاته لبقية المدن السندية، بل لم ينتظر الحرب المصيرية مع ملك السند داهر، ولا فتحْ العاصمة وإخضاع الحُكام الآخرين، ولكنه مُنذ اللحظة الأولى وعلى الرغم من انشغاله بالحرب والقتال، والتخطيط لكسب المعارك، والخروج من المخاطر والفتن التي واجهته خلال فترة حكمه التي لم تتعد ثلاث سنوات، على الرغم من كلِّ ذلك كان يبني المساجد في كل مدينة يفتحها[١]، ويعيّن الأئمة فيها و العلماء والقضاة للإشراف على الشؤون الدينية، والقيام بتدريس العلوم الإسلامية ونشرها، والدعوة إلى الإسلام بين أهل البلاد المفتوحة بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان يرحِّب بالأمراء والزعماء والوفود من أهل السند الذين كانوا يأتون إليه أيام الفتوحات منذ سنتها الأولى، يعلنون طاعتهم له أو إسلامهم لديه، فيدخلون في دين الله عن رغبة ودراية ودراسة، ويطلبون منه أن

١ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص١١٠ و١١٦ و٢١٢و٢٢٥.

يبعث معهم من يعلمهم أمر دينهم، في الوقت الـذي لم يكـن محمـد بـن القاسـم قـد انتهى بعد من فتوحاته وتنظيم حكومته الإسلامية[١].

ويُعدُّ المسجد من أهم الروافد التي استغلها قادة الدولة الإسلامية لنشر العلم بين الناس.فالمسجد له مكانته السامية الـتي يسـتمدها مـن كونـه مضـافاً إلى الله عـز وجل بحسبانه بيته الذي وضعه لعباده ، فهو مصدر توجيه المجتمع إيمانياً ومادياً، وهـو مؤسسة للعلم تعلماً وتعليماً، وهو ندوته الأدبيـة تسـليةً وترويحـاً، وشـحذاً للـهمم ورفعاً للمعنويات. وهو مكان تعارف المسلمين ووسيلة تآلفهم، ففي المسـجد يتربـى المسلم على أرفع المثل الاجتماعية، وفي مقدمتها النظام والقـدوة، ومعالجـة الأنانيـة، وإزالة الفوارق والطبقـات. ومـن هنـا تتضـح الضـرورة الملحَّـة إلى المسـجد لمجتمـع الإسلام وذلك من خلال حاجته إلى تحقيق أمور اجتماعية أساسية تتمثـل في تكـوين الفرد المسلم والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة، لبِنَات هذا المجتمـع الـذي لا يصـلح إلا بصلاح تلك اللّبنات. ففي المسجد يتعلم المسلمون، صغاراً وكباراً أمـور ديـنهم، ويعلمون أحوال إخوانهم في البلاد النائية، فيمدون لهم يد العون ويقدموا لهم الـرأي والمشورة إن كانوا في حاجة لها. كما أن المسجد بمنـبره يُعـدُّ أخطـر مؤسسـة إعلاميـة اعتمدها الإسلام، يبث من خلالها علوم الإسلام بين رواده.ولذلك اهتم الأمويون بالمساجد وتشييدها، لا في البلاد المفتوحة فحسب، بـل حتـى في أرض العـرب ودار الخلافة[٢].

وتتضح أهمية المساجد في بلاد السند مـن خـلال الآثـار الـتي خلّفتْهَـا، ومـا أحدثته من نهضة علمية، ففي بلاد السند قرى وضواحي معروفة صار سكانها مـن المسلمين، ومنها على سـبيل المثـال، ناحيـة بـإقليم سيوسـتان يُعـرف سـكانها بقـوم (جنة)، وكانوا بوذيين دخلوا جميعاً في الإسلام منـذ السـنة الأولى للفـتح الإسـلامي على يد محمد بن القاسم الثقفي سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م، الذي أكرمهم كـثيراً، وقـد كـان

---

١ ـ المصدر السابق، ص١٠٦ وما بعدها.

٢ ـ يُنظر عبد الله قاسم الوشلي: المسـجد ونشـاطه الاجتمـاعي علـى مـدار التـاريخ، مؤسسـة الكتب للثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ١٣ ـ ١٨.

لمسجده الذي بناه في تلك المنطقة أثر كبيرٌ في نشر العلوم الإسلامية، لأنه كان يقصده العلماء من دار الخلافة لنشر ما علموا من شرائع[١].

أما الأئمة والعلماء فقد كانوا يشرفون على أداء الفرائض الدينية في تلك المساجد، ويقومون بتدريس أبناء المسلمين، ونشر العلوم الإسلامية بين أهالي بلاد السند، وكان هنالك بعض العلماء من المسلمين العرب قد تولوا مناصب القضاء والدعوة إلى الإسلام في كثير من المدن السندية، وقد قاموا بجهود مثمرة في سبيل نشر العلوم الإسلامية واللغة العربية، ومن هؤلاء القاضي موسى بن يعقوب الثقفي[٢]الذي عيّنه محمد بن القاسم سنة ٩٣هـ/ ٧١١م قاضياً على مدينة الرّور، عاصمة بلاد السند قبل الفتح الإسلامي، واستمر أفراد أسرته يتوارثون هذا المنصب حتى سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م[٣]، وهي السنة التي زار فيها علي الكوفي ـ صاحب كتاب فتح السند ـ قاضي الرّور وسليل هذه الأسرة.وكذلك هنالك العالم الذي ذكرته المصادر باسم الشيباني، والذي عُين مسؤولاً عن القضاء والإفتاء والخطابة ونشر الدعوة والعلوم الإسلامية في مدينة سيوستان[٤] التي زارها الرحالة ابن بطّوطة سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م وقال :"لقيت بهذه المدينة خطيبها المعروف بالشيباني، أراني كتاب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ لجده الأعلى بخطابة هذه المدينة، وهم يتوارثونها من ذلك العهد إلى الآن، ونصُّ الكتاب:هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لفلان . وتاريخه سنة تسع وتسعين وعليه مكتوب بخط

١ ـ تاريخ معصومي بالفارسية، ص٢٢، نقلاً عن عبد الله بن مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، جـ١، ص٣٩٧.

٢ ـ موسى بن يعقوب بن طائي بن سيبان بن عثمان الثقفي: كان القضاء في أولاده متوارثاً على مدينة الرور، القاضي أطهر المباركبوري: رجال السند، مرجع سابق، ص٥٣٣.

٣ ـ ججنامه بالفارسية، ص٢٣٥. نقلاً عن عبد الله بن مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، جـ ١، ص٣٩٣.

٤ ـ سِيوسِتان: تسمى اليوم يهوان بجمهورية باكستان الإسلامية.

أمير المؤمنين: الحمد لله وحده"[١].وظلّت مهمة الخطابة لصلاة الجمعة والإشراف على الشؤون الدينية والأمور التعليمية في هذه الأسرة لقرون عديدة في سبيل خدمة العلم والإسلام.

وهكذا يمكننا القول إن العلماء الأوائل من المسلمين الذين قدموا على بلاد السند، قد وضعوا الأسس الأولى لمناهج التعليم الديني، ومراكز العلم والثقافة في تلك البلاد في العصر الأموي، وقاموا بنشر العلوم الإسلامية بين أهل البلاد الأصليين و العرب، مستفيدين من معرفتهم لغات أهل السند، وعلمهم التام بما هم عليه من عادات تخالف جوهر الإسلام.

(٣) العلوم الدينية في عصر بني العباس:

أما في العصر العباسي ـ وإذا نحن تخطينا ما هو متفق عليه في مجال التربية الإسلامية من أن الإسلام هو الباعث الأول على طلب العلم والحث على تحصيله والترغيب في تأليفه ونشره، والترهيب من كتمانه، وما اشتملت عليه نصوص الكتاب والسنة من بيان أهمية العلم والتعلُّم، وفضل ذلك ومنزلته في الدنيا والآخرة ـ فإن من أهم العوامل التي ساعدت على نشر العلوم الإسلامية في بلاد السند في ذلكم العصر:كثرة المساجد واتساعها، وانتشار مجالس العلماء التي كانوا يعقدونها داخل منازلهم، وكثرة مجالس العلم التي تُعقد في الضواحي والطرقات والأسواق والتي كثيراً ما يقوم بها التجار، وانتشار مهنة الوراقة وحوانيت الوراقين وانتشار المكتبات الخاصة والعامة، ومن العوامل أيضاً اتجاه الموالي إلى العلوم الدينية وغيرها.

والمسجد هو أقدم مؤسسات التعليم في الإسلام، وظلّ منذ ظهوره في فجر الدعوة الإسلامية يقوم بالجانب الأهم في التربية الإسلامية، وفي التثقيف العلمي

---

١ ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، جـ٢، ص١٣.

للمسلمين، حيث كان يقوم في عصور الإسلام الأولى مقام المدارس والجامعات[1].وقد كان لمساجد السند دورها الكبير في نشر العلوم الإسلامية.ويمدنا البلاذري بمقتطفات عن حلقات العلم والتعليم في بعض مساجد السند، ففي المنصورة نجد موسى بن كعب التميمي ـ من أوائل الولاة الذين حكموا السند ـ قام بزيادة مساحة مسجد المنصورة، وهذا دليل على ازدياد عدد المسلمين، واتساع دور المسجد كمؤسسة تعليمية يؤمها طلبة العلم[2].أما منازل العلماء فقد كانت هي الأخرى مفتوحة لطلبة العلم، وذلك مثلما يجري في عاصمة الخلافة، فالخطيب البغدادي يروي في تاريخه عن الفقيه الحنفي محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة١٨٩هـ/ ٨٠٤م، أنه كان يُحدِّث في منزله ببغداد، فيمتلىء عن آخره[3]. وإن كانت المصادر لا تسعفنا بتفصيل عن مثل هذا النشاط في العصر العباسي الأول ببلاد السند، فإن ما ظهر في العصر العباسي الثاني (٢٣ــ٣٣٢هــ/ ٨٤٦ ـ٩٤٣م) دليل على أن هنالك جهوداً بُذلت في العصر الأول، فكانت في السند مجالس علمية خاصة في بيوت كبار العلماء، وذلك تأثراً بالنهضة العلمية التي انتظمت الدولة بأكملها وكانت بغداد مركز إشعاع علمي لكل المعمورة، فعندما زار المقدسي بلاد السند سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م وجد جلسة علمية منتظمة يقوم بالتدريس فيها قاضي المنصورة ـ عاصمة السند ـ أحمد بن محمد المنصوري، وهو إمام في المذهب الظاهري[4]، وصاحب

---

١ ـ حسن عبد العال: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م، ص١٨٨ بتصرف.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص ٤٧٨.

٣ ـ تاريخ بغداد: مصدر سابق، جـ ٣، ص ١٧٣.

٤ ـ المذهب الظاهري:إمامه أبو سليمان داؤد بن علي الأصفهاني البغدادي المعروف بداؤد الظاهري، عاش في الفترة بين عام ٢٠٠ـ٢٧٠هـ/ ٨١٥ـ٨٨٣م، ونشأ في بغداد وتلقى الفقه بها عن تلاميذ الشافعي، ولكنه انتحل لنفسه مذهباً خاصاً، أساسه العمل بظاهر القرآن والسنة، يُنظر، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي:طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م، ص٩٢.و عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي:طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، جـ٢، ص ٢٨٤ـ ٢٨٧.

تأليفات مهمة في العلوم الإسلامية[١].وانتشرت أيضاً مجالس العلم في الضواحي والأسواق، وهذه في الغالب كان يقوم بها التجار الذين يأتون السند للتجارة، وهم مع عملهم بالتجارة يحملون همّ الدعوة الإسلامية، فيعقدون الجلسات العلمية، وقد أورد البلاذري حادثة تدلُّ على مدى تأثير التجار في أهل البلاد، وأن صوتهم قد وصل للملوك والأعيان، وذلك أن بلداً اسمه العسيفان بين قشمير والملتان، كان به ملك عاقل، وكان أهل ذلك البلد يعبدون صنماً قد بُني عليه بيت، فمرض ابن الملك فدعا سدنة ذلك البيت، وطلب منهم أن يدعو الصنم حتى يبرىء ابنه فغابوا عنه ساعة، ثم أتوه وقالوا: قد دعوناه فأجابنا إلى ما سألناه، فلم يلبث الغلام أن مات، فوثب الملك على البيت فهدمه، وعلى الصنم فكسره، وعلى السدنة فقتلهم، ثم دعا قوماً من تجار المسلمين فعرضوا عليه التوحيد فوحّد وأسلم[٢].

ولم تكن مهنة الوراقة مقتصرة على بيع الكتب والاتجار فيها، وإنما أسهمت هي الأخرى في حركة التعليم وانتشار العلوم الإسلامية، ولعلّ في وجود أفضل العلماء وأماثل الفقهاء في طائفة الوراقين في هذا العصر ما يلقي الضوء على عمق ما كان يدور في حوانيت الوراقين من محاورات ومناظرات فهي ملتقى لأفاضلهم، يتذاكرون ويتناقشون فيها في مجالس علمية يحضرها طلاب العلم والمعرفة[٣]، ونتيجة لذلك انتشر ورق البَرديّ، وكان في بغداد شارع يُسمى درب القراطيس، وكان ورق البَرديّ[٤] يُجلب من مصر، ونسبة لاشتهار العاصمة بغداد بالعلم والعلماء، وُجدت فيها كميّات هائلة من هذا الورق، حتى أن الخليفة المنصور وقف على كثرة القراطيس في خزائنه، فدعا أحد أعوانه وقال له:"إني أمرت بإخراج حاصل

---

١ ـ أبو عبد الله بن أبي بكر البناء المقدسي:أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم:مصدر سابق، ص٣٨١.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٨٩.

٣ ـ حسن عبد العال: التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص١٩٢.

٤ ـ البَرديّ: بفتح الباء وتشديد الياء نبات مصري له ورق عريض يصنع منه ورق الكتابة، عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، مرجع سابق، ص٢٤.

القراطيس في خزائننا، فوجدته شيئاً كثيراً جداً، فتولَّ بيعه، وإن لم تُعط بكل دينار إلا دانقاً[١]، فإن تحصيل ثمنه أصلح منه، وكان الطومار[٢] في ذلك الوقت بدرهم".ولكن المنصور عاد فتدارك ما قد ينجم عن ذلك، فدعا الرجل وقال له: "فكّرت في كتبنا وإنها قد جرت في القراطيس وليس يؤمَنُ من حادث بمصر، فتنقطع القراطيس عنّا بسببه، فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم تتعوده عمالنا، فدع القراطيس على حالها"[٣].
وتقدم في بغداد فن الوراقة، ويقصدون به نسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها، وكلُّ ما يتعلق بإخراج الكتاب، وكان الورّاقون يبيعون هذه الكتب في دكاكينهم، والمهتمون بالحياة الثقافية يترددون على هذه الدكاكين للقراءة أو لشراء ما يلزمهم من الكتب والمصنفات، وكان ببغداد نحو مائة ورّاق، دكاكينهم أشبه بالمكتبات العامة في يومنا هذا، واهتم الخلفاء بإسناد الوراقة إلى رجال من ذوي الدراية والمعرفة، ولعل اشتغال ابن النديم بمهنة الوراقة قد أتاحت له كتابة سجله الحافل بتاريخ الحياة العلمية في المشرق بصفة عامة ونعني به كتاب الفهرست، الذي تناول أسماء العديد من الكتب السندية.

أما خزائن الكتب الخاصة التي انتشرت في أرجاء الدولة انتشاراً واسعاً فكان لها أثرها الواضح في تيسير العلوم، وتشجيع الطلاب على الاستمرار في الدراسة والبحث، وقد امتلأت بغداد بالمكتبات الخاصة ، فالواقدي المؤرخ المشهور (المتوفى سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) حينما أراد أن ينتقل من غرب بغداد ، كان له مائة وعشرون

---

١ ـ الدانق: بفتح النون وكسرها سدس الدرهم والدينار، محمد أبو بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، جـ١، ص٨٩. وأبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، جـ١٠، ص١٠٥.

٢ ـ الطومار: هو الصحيفة، وقيل من الكلمات الدخيلة على اللغة العربية، المصدر السابق، جـ٤، ٥٠٣.

٣ ـ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري: الوزراء والكتاب، مصدر سابق، ص٦٧.

صندوقاً من الكتب[١]،ولا شك أن وجود علماء في السند أمثال الشيباني، والمنصوري وغيرهم يقتضي عدم خلو بيت أيّ منهم في الغالب من مكتبة خاصة، وإن كانت المصادر لم تصرّح بذلك إلا أن ما يحدث في بغداد ينعكس على الأقاليم لا سيما القريبة منها.

أما أكبر دار علم في بغداد والعالم الإسلامي بأسره زمن العباسيين فهي بيت الحكمة التي كانت نتاجاً للحركة العلمية التي انتظمت البلاد، فقد ظهرت الحاجة إلى المحافظة على الكتب والمصنفات، فأُقيم بيت الحكمة، وهو عبارة عن مكتبة كبيرة فيها مختلف الكتب، وسُميت خزانة الحكمة وبيت الحكمة. وإن كان الاعتقاد السائد لدى كثير من المؤرخين، ولا سيما الغربيين منهم بأن الخليفة المأمون هو الذي أسس بيت الحكمة[٢]، والذي يظهر من كتابات المؤرخين المسلمين أن الرشيد هو أول من أنشأ بيت الحكمة، فقد ذكر كل من ابن النديم وابن القفطي عند الحديث عن ترجمة كتاب (المجسطي)[٣]من اليونانية إلى العربية، أن الكتاب تُرجم عدة مرات، وكان أول من عُني بإخراجه يحيى بن خالد البرمكي، فقد فسّره له جماعة فلم يتقنوه، فندب إلى تفسيره (أبا حسان) صاحب بيت الحكمة فاجتهد في تصحيحه، بعد أن أحضر النقَلة

---

١ ـ شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم الأدباء، دار المأمون، مصر، ١٩٣٦م، جـ ١٨، ص٢٨١.

٢ ـ كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد بكر يعقوب ورمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٧٥م، جـ ٤، ص٩١.وماكس مايرهوف: تراث الإسلام، ترجمة جرجيس فتح الله، بيروت، ١٩٥٤م، جـ ١، ص١٧٤.

٣ ـ المِجِسطي: كلمة يونانية معناها النظام العظيم. مؤلفه بطليموس الفلكي اليوناني. وهو من أهم الكتب التي اعتمد عليها المسلمون في بداية نهضتهم العلمية في علم الفلك. يُنظر جلال مظهر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٨٨.

المجوّدين[١] .وقد ازدهر في عهد المأمون ازدهاراً بالغاً، وبمرور الوقت أصبح أهم وأعظم معهد ثقافي نشأ بعد المتحف السكندري الذي أُسس في القرن الثالث قبل الميلاد.وقد أضفى الخلفاء على المترجمين أعظم أنواع التشريف والدعم، الأمر الذي شجّعهم على نقل العلوم والمعارف التي كانت للأمم التي سبقتهم[٢]، فاستفاد المسلمون منها أكبر فائدة، حتى نبغوا فيها، بل تفوقوا على غيرهم بعد أن أضافوا إلى تلك العلوم مبتكرات جديدة[٣]. وشهد عصر الخليفة المأمون ازدهاراً لبيت الحكمة، وذلك بسبب ميله إلى الفلسفة والعلوم العقلية، فأنفق أموالاً طائلة في نقل الكتب إليه من مناطق عدة، وكان يعمل في بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافاتهم ومعارفهم، وكان صاحب الخزانة في عهد المأمون هو الشاعر الفارسي الشعوبي سهل بن هارون[٤]، ولم تكن مهمة هذه الدار العتيقة تقتصر على الترجمة، بل كانت تقوم بدور التعليم والبحث العلمي، ولا شك أن بها علماء سند ومسلمين عرباً من السند.

وقد تميز العصر العباسي الأول بازدهار الحياة الثقافية نتيجة لنظرة الخلفاء العباسيين إلى الموالي من الفرس وغيرهم، وهي تختلف كل الاختلاف عن نظرة

---

١ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٢٧٦، وأبو الحسن علي بن يوسف القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر سابق، ص٩٨.

٢ ـ يُنظر سليم طه التكريتي: بيت الحكمة في بغداد وازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص ١٩٧ ـ ٢٠٨.

٣ ـ ميخائيل جميعان: المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية، الأردن، عمان، المطبعة الاقتصادية، ١٩٨٣م، ص٢٥.

٤ ـ عصام عبد الرءوف الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٩٩ـ١٠٥. وأحمد شلبي: موسوعة الحضارة الإسلامية، الجزء الخامس، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، مكتبة النهضة، مصر، الطبعة العاشرة، ١٩٩٤م، ص١٨٩.

الأمويين لهم، فقد حقق لهم العباسيون مطالبهم التي نادوا بها، فأقبلوا على بغداد فور تأسيسها فاستقروا بها، ومما لا شك فيه أن الموالي بلغوا درجة كبيرة من التقدم في مضمار الحياة الثقافية، ودفعهم اعتناقهم للإسلام والاندماج في الحياة العامة إلى تعلم اللغة العربية، فنقلوا خلاصة معارفهم من الفارسية والسندية إلى العربية، وصنّفوا مصنفات قيّمة في العلوم العربية والدينية، أدّت إلى ازدهار الحياة الثقافية.

ونتيجة لهذه الحركة العلمية توسعت العلوم بصفة عامة، أما العلوم الإسلامية فقد أخذت تتشعب وتتفرع منها علوم جديدة، وأخذ الاهتمام يزداد بالعلوم الإسلامية والعربية، لا سيما بعد ظهور الفرق الدينية، ومحاولة كل منها إيصال فكرتها إلى أكبر جمع من المسلمين، فنتج عن ذلك أسلوب المناظرات بين العلماء، وبرزت إلى السطح المذاهب الإسلامية، فأصبح لكل مذهب ومدرسة أتباعها الذين يدعون إليها في كل مكان.ونتيجة لذلك ازداد عدد العلماء في بلاد السند، وتضاعف نشاطهم العلمي والثقافي تدريساً وتبليغاً وتأليفاً، وأُقيمت مدن جديدة لتكون مراكز للثقافة الإسلامية والغالب فيها أنها كانت معسكرات للجيش الإسلامي الذي يتألف معظم أفراده من المسلمين العرب، ومن أهمها مدينة المنصورة[١]، وفي الوقت نفسه ازداد اهتمام المسلمين بالعلوم العقلية، فلما ظهرت الفِرَقْ الكلامية اضطر العلماء المسلمون لدراسة علم الكلام[٢] والمنطق من أجل مواجهة تلك الفرق التي هددت عقيدة الإسلام، وتفنيد حججها بالأدلة العقلية القياسية، الأمر الذي مكّن المسلمين من الرد على المعارضين للعقيدة الإسلامية، ودحض أسانيد المنكرين[٣].

---

١ ـ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري: الوزراء والكتاب، مصدر سابق، ص٤٨٨.

٢ ـ علم الكلام: هو العلم الذي يبحث فيه الأحكام الشرعية الاعتقادية التي تتعلق بالإلهيات أو النبوات أو السمعيات، من أجل البرهنة عليها ودفع الشبة عنها.يُنظر حسن محمود الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٢٠ ، ٢١.

٣ ـ عصام الدين محمد علي: بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة من أواخر القرن الأول وحتى منتصف القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص١١.

وكان لانبساط رقعة الدولة العباسية ووفرة ثروتها ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد بدا أن الناس جميعاً غدوا طلاباً للعلم، فكان كثير منهم يقطعون المسافات من الأندلس إلى إفريقية والشام والحجاز سعياً وراء موارد العلم والعرفان، ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جميع التلاميذ المتلهفين للعلم، ثم يصنّفون ما درسوه إلى مصنفات في علوم مختلفة، وكان لهؤلاء القدح المعُلّى في إيصال تلك العلوم إلى بلاد العالم التي لم تكن تعرف مثل هذه العلوم من قبل كبلاد السند وذلك مع مطلع العصر العباسي.

فظهرت الحاجة إلى الاستفادة من العلوم التي توصل إليها الناس في العصر العباسي الأول، فقسّم العلماء المسلمون العلوم إلى نقلية تتصل بالقرآن الكريم، وتشمل[1]:علوم التفسير والقراءات وعلوم الحديث والفقه وعلم الكلام، وعلوم اللغة العربية، كالنحو والصرف والبيان، ويُطلق عليها أحياناً العلوم الشرعية، والنوع الثاني، العلوم العقلية وتشمل: الفلسفة والطب وعلوم النجوم والكيمياء والتاريخ والجغرافيا ويُطلق عليها أحياناً العلوم الحكمية، أو علوم العجم أو العلوم القديمة.

أما العلوم النقلية فهي مستندة إلى الخبر عن الله، ولا مجال فيها للعقل، إلا بإلحاق الفروع من مسائلها بالأصول.ولذلك ظهر في هذا العصر نوعان من العلماء: النوع الأول من العلماء هم الذين يغلب على ثقافتهم النقل والاستيعاب، ويُسمون أهل علم،والثاني من العلماء هم الذين يغلب على ثقافتهم الابتداع والاستنباط، ويُسمون أهل حكمة، وقد جاء هذا التقسيم بعد عصر الصحابة، لأن المسلمين احتاجوا إلى وضع التفاسير وتدوين الحديث مخافة ضياعه، وإلى معرفة الأسانيد والتأكد من صحتها لظهور الوضّاعين وادعائهم بأن ما وضعوه من أحاديث هي من أقوال الرسول ﷺ ، وذلك بسبب انقسام المسلمين إلى طوائف، وأصبح كل فريق

---

١ ـ محمد محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٢٤ ، ٢٥.

يؤيد موقفه بالقرآن والسنة، فأوّلَت بعض هذه الطوائف القرآن على غير حقيقته، وحمّلوا نصوص السنّة ما لا تحتمله، فإذا عزّ عليهم التأويل نسبوا إلى رسول الله ﷺ ما لم يقله تأييداً لدعواهم، لا سيما في فضل أئتمهم[١]، فظهر نتيجة لذلك علم الجرح والتعديل الذي تكلم فيه كثير من أئمة التابعين، ومنهم محمد بن سيرين البصري (المتوفى سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م) الذي يقول:"لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة[٢] قالوا:سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[٣] ثم احتيج إلى استنباط الأحكام من القرآن والسنة، وإلى وضع قواعد للنحو لفساد الألسنة، نتيجة التمازج الذي حدث بين العرب وغيرهم من الأمم، وصارت العلوم الشرعية كلها مادة للاستنباط والاستخراج والقياس، ولذلك كان لابد من تدوين العلوم الدينية والعربية، وبالفعل تمّ ذلك في مُستهل العصر العباسي الأول.

وأبرز العلوم الدينية التي شهدتها بلاد السند، علوم القران والحديث والفقه الإسلامي واللغة العربية.وهنا لابد أن نشير إلى أنه في القرن الهجري الثالث لم يكن هنالك فرق بين أصحاب علوم القرآن وخاصة التفسير وأئمة الحديث، بمعنى أن التفسير لم يُفرد له تأليف، وإنما وُجد من العلماء من يجوب الأمصار المختلفة ليجمع الحديث النبوي، فيدوِّن بجوار ذلك ما روى من تفسير منسوب إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة أو إلى التابعين وجميع ما نقله هؤلاء المفسرون عن أسلافهم من أئمة

---

١ ـ مناع خليل القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، التشريع والفقه، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٢٨٠.

٢ ـ المقصود بالفتنة هنا أحداث القتال التي وقعت بين المسلمين عقب مقتل عثمان بن عفان ﷺ سنة ٣٥هـ/ ٦٥٤م، يُنظر أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي: المعرفة والتاريخ، حققه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، جـ ٣، ص٣٢١.

٣ ـ مسلم بن الحجاج القشيري النيسسابوري: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م، جـ ١، ص٨٤

التفسير نقلوه بالأسانيد[١]. فلذلك نجد أكثر تراجم العلماء من أهل السند تشير إلى أنهم كانوا أهل حديث.ومن هؤلاء إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، أبو إسحاق القيقاني البصري المعروف بابن علية، المتوفى سنة ١٩٣هـ/ ٢١٤م، وله من الكتب التي ذكرها ابن النديم:كتاب التفسير، وكتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، وكتاب المناسك[٢]. أما المدارس الفقهية فقد انتشرت في بلاد السند ومنها المذهب الشافعي، وكان من أبرز أئمته أبو حامد أحمد محمد العبادي المنصوري[٣]. ومن أشهر علماء اللغة محمد بن زياد بن الأعرابي الكوفي المتوفى سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م، الذي كان أحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها[٤]، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من المستفيدين، وله العديد من المصنفات[٥].

ونلاحظ أن ثمرة تلك الجهود العلمية قد بدأت تؤتي أكلها في بلاد السند في العصر العباسي الثاني، وهنالك بعض المدن التي زارها الرحالة في أواخر القرن الثالث الهجري، ووصفوها بأنها أراضٍ إسلامية صرفة، مثل مدينة البيلمان ومدينة سرست في وسط السند، وكانت بها مساجد ومجالس علمية للاهتمام بالشؤون الدينية والتعليمية، وأيضاً مدينة بوقان في إقليم مكران وكان يسكنها البوذيون وقد صاروا مسلمين في القرن الرابع الهجري، ولابد أنهم قد اهتموا ببناء المساجد وتشكيل مجالس للعلم ونشر المعرفة الإسلامية. وعندما زار البشاري المقدسي بلاد السند سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، أشار إلى أن الشيخ أحمد بن محمد المنصوري الذي كان قاضياً في المنصورة، كانت له جلسة علمية منتظمة يقوم بالتدريس فيها[٦]، كما كان

---

١ ـ محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦١م، جـ١، ١٤١.

٢ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: مصدر سابق، ص٢٧٩.

٣ ـ القاضي أطهر المباركبوري: رجال السند والهند، مرجع سابق، ص٤٥.

٤ ـ أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ص١٦٠.

٥ ـ سيأتي الحديث عن العلماء السند في شتى الفنون في الفصل الرابع إن شاء الله.

٦ ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص١٨١.

أحفاد الشيخ موسى بن يعقوب الثقفي الذي عيّنه ابن القاسم قاضياً على العاصمة الور، هم الذين يتعاقبون على التدريس والقضاء إلى زمن العباسيين.

وإلى جانب ذلك فقد كانت بقية المدن السندية الكبرى التي كان أغلبية سكانها من المسلمين تغص بالعلماء وطلاب العلم في القرن الرابع الهجري.فقد وصف المقدسي سكان مدينة المنصورة بأنهم أهل لباقة ومروءة، والعلماء فيها متوافرون[١]، وهذه الصفات فيها إشارة إلى تكاثر العنصر العربي المسلم بصفة خاصة وتأثيره في أهل البلاد الأصليين حتى أصبحت المدينة بكاملها ذات سمت إسلامي عربي، وهذا ناتج عن توافر العلم الديني فيها، وشيوع الأخلاق الإسلامية[٢].أما مدينة الملتان فيغلب على سكانها العنصر العربي والسندي من المسلمين إضافة إلى أقلية من غير المسلمين[٣]، فكان لوجود هذه الغالبية المسلمة أثره في ظهور شرائع الإسلام، فأحكام الدين قائمة في البلد والحدود تُطبق على مرتكبي الفواحش، وأهل المدينة لا يعرفون الكذب في بيعهم ولا يبخسون، كما أن تأثير العادات العربية في المنطقة واضح، خاصة في حبهم وإكرامهم لمن يأتي إليهم غريباً أو عابر سبيل[٤]. وهنالك مدينة الديبل أول أرض وطأتها خيول المسلمين فقد كانت اللغة العربية رائجة بين أهلها، وذلك بسبب علاقتها القديمة بالعرب، وأنها بوابة المسلمين إلى بلاد السند، فكثرت فيها مجالس العلم والدعوة إلى الإسلام[٥]، ومدينة قنوج في أقصى بلاد السند كانت تشتهر بكثرة العلماء الكبار الذين قدّموا للعلم والإسلام خدمات جليلة[٦].

---

١ ـ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب، مصدر سابق، جـ١، ص٣٧٧.

٢ ـ أبو عبد الله بن أبي بكر البناء المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص٣٧٩.

٣ ـ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب، مصدر سابق ، جـ١، ص٣٧٧.

٤ ـ أبو عبد الله بن أبي بكر البناء المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص٣٨٠.

٥ ـ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب، مصدر سابق ، جـ١، ص٣٧٧.

٦ ـ أبو عبد الله بن أبي بكر البناء المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص٣٨٠.

وكان من الطبيعي أن يكثر العلماء الأفاضل ويزداد عددهم في العصر العباسي بمرور الأيام والسنين في بلاد السند، تمشياً مع النهضة العلمية التي أخذت تعُم أرجاء الدولة الإسلامية، وكان هؤلاء العلماء يقومون بواجباتهم الدينية والثقافية والإشراف على الشؤون الدينية وتوجيه الناس نحو الخير والفلاح، وكذلك تبليغ الإسلام وتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية سواء كان ذلك في المساجد أو في جلسات علمية بمنازل العلماء وكبار الشخصيات والأعلام، على شكل مجالس العلم في قصور الحكام والأمراء كعادة العرب في ذلك العصر.

ولذلك تعتبر الفترة التي تبدأ بتأسيس مدينة بغداد (عام ١٤٥هـ/ ٨٦٢م) وتمتد إلى حتى نهاية القرن الرابع الهجري هي التي شهدت قمة الازدهار العلمي في تاريخ الفكر الإسلامي، وظهر فيها أرقى ما وصل إليه المسلمون من نتاج وإبداع علمي.وقد بذل الخلفاء العباسيون قصارى جهودهم لأن تكون بغداد مركزاً للمعارف[١]، وأن تتفوق على دمشق العاصمة السابقة لبني أمية، وبالفعل دعا مؤسسها المنصور عدداً من العلماء ليأتوا إلى بغداد من مختلف الأقطار، وبذل هو ومَنْ جاء بعده كل جهد ليجتذبوا هؤلاء العلماء إلى عاصمتهم، فازدحمت بهم في كل فن، وأدت المساجد الدور الأول في تلك النهضة.ولعل أبلغ ما قيل في فضل بغداد وتفوقها على جميع الأمصار الإسلامية قول الإمام الشافعي حينما سأل يونس ابن عبد الأعلى: يا يونس، دخلت بغداد؟ قال: لا.قال الشافعي:"ما رأيت الدنيا، ولا رأيت الناس"[٢].وقد أجمل اليعقوبي وصف عظمتها بقوله:"هي المدينة التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها، سعة وكبراً وعمارة، وكثرة مياه وصحة هواء، لأنه سكنها الناس وأهل الكور، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية، وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم، فليس من أهل بلد إلا ولهم فيها محلة ومتجر

١ ـ لمعرفة أهمية موقع بغداد يُنظر كي لسترنج: بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة بشير يوسف فرنسيس، المطبعة العربية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ص١٤ وما بعدها.

٢ ـ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مصدر سابق، جـ١، ص٤٥.

ومتصرف، فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا...وباعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت أخلاق أهلها، ونضرت وجوههم، وانفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والأدب والنظر والتميز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكل مناظرة، وإحكام كل مهنة، وإتقان كل صنعة، فليس عالم أعلم من عالمهم، ولا أروى من راويتهم، ولا أجدل من متكلمهم، ولا أعرب من نحويّهم، ولا أفصح من قارئهم، ولا أمهر من متطببهم، ولا أحذق من مغنيهم، ولا ألطف من صانعهم، ولا أكتب من كاتبهم، ولا أبين من منطقيهم، ولا أعبد من عابدهم، ولا أورع من زاهدهم، ولا أفقه من حاكمهم، ولا أخطب من خطيبهم، ولا أشعر من شاعرهم"[1].

ولا شك أن هذه المكانة الرفيعة التي حُظيت بها بغداد جعلت منها مدينة عالمية، ولا عجب حينئذ في أن تجتذب الناس إليها من كل صوب لتحصيل العلوم، فجاءها أهل المغرب والأندلس فما بالك بأهل السند[2]، فهؤلاء بلا شك وفدوا إلى هذه المدينة بصورة متتابعة بغية التتلمذ على علمائها والعودة إلى بلادهم بالزاد الوفير من المؤلفات والمرويات، وشاركوا في بناء السند وأقاموا بها دولتهم الإسلامية التي استمرت أكثر من ثلاثة قرون (٩٢ ـ ٤١٦هـ)، وشيدوا فيها المدن العامرة والمساجد الكبيرة، حتى صارت تلك المدن مراكز إسلامية أضاءت بنور الإيمان والعلم كل ركنٍ من أركان تلك البلاد الواسعة التي أصبحت في الوقت الحاضر من أكبر بلدان العالم الإسلامي، وهي باكستان الإسلامية التي يُعتبر تأريخها جزءاً عزيزاً

---

١ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: كتاب البلدان، مصدر سابق، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥.

٢ ـ طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبية: الحضارة الإسلامية، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، جـ ١، ص ٥ ـ ٨.

من تاريخنا الإسلامي المجيد[١].ولعل أكبر دليل على انتشار العلوم الإسلامية في بلاد السند هذا الكم الهائل من العلماء ذوي الأصول السندية أو العربية من أبناء تلك الأُسَر التي قطنت بلاد السند فنشأ أبناؤها في مساجدها وتأثروا بنهضتها العلمية فبرزوا في العلوم الدينية وبلغت شهرتهم الآفاق، وصاروا مراجع لأهل البلاد العربية. ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء الفقيه عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الشامي الأوزاعي (٩٠ـ ١٥٦هـ/ ٧٠٧ـ ٧٧٣م)، الذي وُلِد ببعلبك، وسكن عجلة الأوزاع بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطاً إلى أن مات، وقد كثر أتباعه في بلاد الشام والأندلس،و هو من أصل سندي[٢].وهنالك أيضاً الإمام أبو حنيفة الملقب بالإمام الأعظم، وهو مؤسس المذهب الحنفي، أول المذاهب الأربعة ظهوراً عند أهل السنة في العالم الإسلامي، واسمه النعمان بن ثابت بن زطي التيمي، فهو ينتمي في الأصل إلى قبيلة الزط السندية، وكان والده مملوكاً لبني تيم من المسلمين العرب الذين فتحوا بلاد فارس، وقد انتقلت أسرته بعد ذلك إلى العراق حيث توجه والده مع جيش الفتح إلى العراق، وفي الكوفة وُلد الإمام أبو حنيفة سنة ٨٠هـ/ ٦٩٨م، وظلّ مولى لبني تيم[٣]ولذلك عُرف بالتيمي، وقيل مات مسموماً سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م[٤]. وهكذا فإن المتتبع لتراجم العظماء في كل عصر يجد أنه مليء

---

١ ـ عبد الله بن مبشر الطرازي:انتشار العلوم الإسلامية في بلاد السند، المجلة العربية، المملكة العربية السعودية، السنة الرابعة، العدد التاسع، صفر ١٤٠١هـ / ديسمبر١٩٨٠م، ص ١١٠ـ ١١٢.

٢ ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ ٧، ص١٢٧. وأحمد فريد: من أعلام السلف، الدار السلفية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، جـ ١، ص١٨٤ ـ ١٩٤.

٣ ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ ٦، ص٣٩٩.

٤ ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: العبر، مصدر سابق، جـ ١، ص١٦٤.

بالعلماء من ذوي الأصول السندية، أو من المسلمين العرب الذين نشأوا في بلاد السند، ثم تفرقوا في الآفاق فهؤلاء وإن كانوا في عصور متأخرة، وكانت لهم مؤلفاتهم التي لم تكن في العصر الأموي أو العباسي الأول إلا أنهم يعتبرون وبلا ريب ثمرة لجهودٍ بُذلت في ذلكم العصر.

(٢) الترجمة وأثرها في العلوم عند المسلمين

تُعدُّ الترجمة رائد المسلمين في مجال العلوم العقلية أو التجريبية، لأنهم استطاعوا عن طريقها معرفة التراث الثقافي والعلمي لأهالي البلاد المفتوحة، ولأن جهودهم لم تتوقف في الواقع عند حد النظر والاجتهاد الشخصي، بل عمدوا أيضاً، بسبب ما أثاره الإسلام فيهم من حماسة للعلم، وما حثهم عليه من تسامح إزاء الديانات والثقافات الأخرى، إلى التزود بقسطٍ نافعٍ من علوم الأوائل، كالفرس واليونان والهنود والمصريين عن طريق نقلها إلى اللغة العربية[١].

وللحديث عن الترجمة وأثرها على العلوم يحسن بنا أن نتناول أولاً معنى الكلمة وأصلها في اللغة، ثمّ نَتَتَبَّعْ ظهورها منذ فجر الإسلام، والأطوار التي مرت بها، بدءاً بالطور الأول في عصر بني أمية، والطور الثاني الذي يضم زمن أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد، مستعرضين أهم العلوم السندية التي قام المسلمون بترجمة كتبها، كالطب والرياضيات والفلك والأدب، ونذكر بين ثنايا ذلك آثار المسلمين وما قاموا به من تطوير لتلك العلوم.

أولاً: الترجمة، أصلها في اللغة وأول ظهورها:

ذكر أهل اللغة أن كلمة ترجمة من الكلمات الدخيلة على اللغة العربية، وذلك نتيجة لاختلاط العرب بالآراميين واليونان، مما أدى إلى حَمْلِ قاموس اللغة العربية لكثير من الكلمات ذات الأصل الدخيل. فكلمة (ترجمة) التي منها اسم الفاعل (ترجمان) والتي وُصِف بها الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، كان يُظن قديماً أنها مشتقة من الفارسية (تراجومان)، ولكن الدراسات الحديثة أبانت أنها مشتقة من الفعل الآرامي (ترجم)، الذي يعني أن الإنسان يعمل مترجماً، أو يلقي خطاباً، أو يشرح أو يعظ[٢].وحتى لغة الترجوم العبرية آرامية الأصل. يقول

---

١ ـ عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٤٨.

٢ ـ محمد عبد السيد حمد: إسهام الرقة وديار مضر في الترجمة، ضمن أبحاث المؤتمر السادس لتاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص١٠٦.

المسعودي:"إن للإسرائيليين بالعراق لغة سريانية تُعرف بالترجوم يفسرون بها التوراة من العبرانية الأولى"[١].وقد ذكرت المراجع العربية معاني الترجمة في اللغة بأنها: نقل الكلام من لغة إلى أخرى وهي نوعان:

(١) التَّعريب: وهو نقل الكلام من اللغات غير العربية إلى اللغة العربية[٢].

(٢) التعجيم: وهو النقل من اللغة العربية إلى لغات أخرى[٣].

أما معرفة العرب للغات غير العربية فهي ترجع إلى ما قبل الإسلام، فقد كان في أهل مكة مَنْ يتحدث ويكتب بلغات أخرى غير العربية، كورقة بن نوفل[٤] الذي كان يكتب ويقرأ العبرانية، وهو الذي بشَّر الرسول ﷺ بالنبوة.ولما بُعِثَ الرسول ﷺ كلّف بعض الصحابة بتعلُّمِ لُغات الأخرى، حتى ينقلوا الكتب التي تَرِدُ عليه من أقطار غير عربية إلى اللغة العربية، فعن زيد بن ثابت ﵁ ، قال: قال لي رسول الله ﷺ:"إنّـِي أَكْتُبُ إلى قومٍ فأخافُ أنْ يَزِيدُوا عَلَيّ أَوْ يُنَقّصوا، فتعلّم السريانية، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً"[٥] ، وهذه المدة القصيرة التي تعلّم فيها زيد

---

١ ـ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، ١٩٣٨م، ص٦٩.

٢ ـ محمد الأمين بن فضل الله المحبي: قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، تحقيق وشرح عثمان محمد الصيني، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، جـ١، ص١٠٥.

٣ ـ يُنظر فريد جحا: أثر الترجمة في النهضة العربية الحديثة، ضمن أبحاث المؤتمر السنوي السادس ، ص٧٨.

٤ ـ ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، ابن عم خديجة رضي الله عنها، حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام وتنصّر، أدرك عصر النبوة ولم يدرك الدعوة،. يُنظَر أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري:المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م، ص٥٩.ومحمد يوسف الصالحي الدمشقي:سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق مصطفى عبد الواحد، لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٤هـ، جـ٢، ص٣٢٦.

٥ ـ أحمد بن علي بن محمد الكناني بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بدون تاريخ، باب ترجمة الحكام.

ﷺ اللغة السريانية، تدلُ على أنه كان على معرفة سابقة بها، وعلى حضورها القوي بمكة، وعلى صفاء قريحة زيد ﷺ ، وعلى التقارب بين اللغتين العربية والسريانية. ويؤكد هذه الصفة الأخيرة مقولة طاهر المقدسي:"إنه لا فرق بين السريانية والعربية، إلا في حروف يسيرة، فكأن السريانية قد سُلِخَتْ من العربية، والعربية قد سُلِخَتْ من السريانية"[١].ولعل ما حدث من ترجمة في عصر النبوة لا ينطبق على ما نقصده فيما بعد، إذ أننا نعني بها الحركة التي استقطب المسلمون عن طريقها العلوم العقلية، فهذه تبقى مجرد جذوة أشعلها من أتى بعد ذلك.

ثانياً: الطور الأول للترجمة في القرن الهجري الأول (العصر الأموي):

يمثل العصر الأموي أول طور من أطوار حركة الترجمة، وعلى الرغم من أن الترجمة في هذا العصر كانت ترجمة بدائية وضعيفة المستوى إذا ما قُورنت بالترجمة في الأطوار التالية، إلا أن هذا العصر كان بحق قد وضع حجر الأساس لبناء هذه الحركة عموماً، كما أنه كان المنطلق الأول لها في أنحاء العالم الإسلامي مشرقه ومغربه[٢]. وكانت الترجمة في تلك الفترة مقصورة على بعض العلوم الطبيعية كالكيمياء والطب، دون أن يتعدى ذلك إلى العلوم العقلية الأخرى كالمنطق وما وراء الطبيعة.ولعل السبب في ذلك راجع إلى أن اهتمام الناس كان موجهاً بكليَّته إلى العلوم الإسلامية، وكان المسلمون ينظرون إلى العلوم التي تُدرّس في المراكز الثقافية القديمة على أنها علوم غير المسلمين، مما أدى إلى انصرافهم عنها، وظلّت قاصرة على النصارى والصابئة[٣] واليهود على اختلاف مذاهبهم ونحلهم[٤].

---

١ ـ مطهر بن طاهر المقدسي:البدء والتاريخ: مصدر سابق، جـ١، ص٦٢.

٢ ـ رشيد حميد حسن الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، مطبعة الجماهيرية الليبية، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٧، ٢٨.

٣ ـ الصابئة: هم ولد صابيء أخي نوح عليه السلام، وقيل إنهم أبناء صابيء بن إدريس وكان على الحنيفية، يُنظر عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ١، ص١٣٣.

٤ ـ محمد كامل حسن: الحياة الفكرية والأدبية بمصر، مطبعة مصر، ١٩٥٩م، ص٦٣.

ولعل الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية[١] المتوفى سنة ٥٨هـ/ ٧٠٤م، والذي نُعِت بحكيم آل مروان، هو أول شخصية مسلمة بحثت في العلوم العقلية.وقد دفعه تحمّسه للعلم والمعرفة إلى الحصول على مصنفات الإغريق والسريان، حيث أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل الإسكندرية، ويتفصَّح بالعربية، فأمرهم بنقل الكتب في الكيمياء من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة[٢]. ومن هؤلاء الراهب الرومي مريانوس الذي طلب منه خالد بن يزيد أن يعلّمه صناعة الكيمياء، فلما تعلمها أمر بنقل كتبها إلى العربية، فنقلها له رجل اسمه اصطفان القديم أو الإسكندراني[٣].وقد نُسب إليه أيضاً ترجمة كُتب النجوم والحروب والآداب وآلات الصناعة، بَعدَ أنْ أُقصي عن الخلافة، وإن كان العلامة ابن خلدون قد عَمد إلى التشكيك فيما نُسب إلى خالد هذا من جهود قائلاً:"ومن المعلومِ البيِّنِ أنَّ خالداً من الجيلِ العَربيِّ، والبداوةُ إليهِ أَقربُ، فهو بعيدٌ عن العُلومِ والصَّنائعِ بالجملةِ، فكيفَ لهُ بصناعةٍ غريبةِ المنحى مبنيّةٍ علَى معرفةِ طبائعِ المركّباتِ وأمزجتها؟! وكُتبُ الناظرينَ في ذلك من الطبيعيّاتِ والطبِّ لم تظهر بعدُ ولم تُترجم، اللّهمَّ إلا أن يكونَ خالدُ بنُ يزيدٍ آخَرُ، من أَهلِ المداركِ الصِّناعِيَّة تشبَّهَ باسمهِ فَمُمكِن"[٤].وقد شجّعت عبارة ابن خلدون هذه

---

١ ـ خالد بن يزيد:هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الأمير أبو هاشم الأموي، كان من نبلاء الرجال، ذا علم وفضل وصوم وسؤدد، قال ابن خلكان: كان من أعلم قريش بفنون العلم، وكان بصيراً بهذين العلمين: الطب والكيمياء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي:سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٦، ص٣٩٦.

٢ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٢٤٢. وشاكر مصطفى: حول حركة التعريب عن الثقافات الأوائل في القرون الثلاثة الأولى للإسلام، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العدد السادس، ديسمبر ١٩٧٤م، ذو القعدة ١٣٩٤هـ، ص ٣١ ـ ٥٩.

٣ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٣٤٣،٣٤٤.

٤ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ١، ص٥٨٦.

البعض على الشك فيما نُسِب إلى خالد بن يزيد من جهود في مجال الترجمة ونقل الكتب[١]، بهدف غمز الإسلام، وطمس دوره في ظهور أعظم حضارة عرفتها البشرية في العصور الوسطى.وهنالك أيضاً الطبيب البصري الأصل، الفارسي الجنس ماسرجويه، الذي قام بنقل كناش[٢] لأهرون السكندري في الطب، من السريانية إلى العربية في أيام الخليفة مروان بن الحكم[٣].

وفي عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز أسلم عبد الملك بن أبجر بدعوة من الخليفة، وكان أحد علماء مدرسة الإسكندرية فصار طبيب الدولة الإسلامية[٤].

وهكذا بدأت حركة الترجمة بسيطة رقيقة في زمن الخلافة الأموية، وتمثلت في محاولات فردية كانت تذبل بزوال رعاتها.واعتمدت بالدرجة الأولى على الثقافة اليونانية من خلال ترجمة بعض كتب التراث اليوناني، ومن خلال الاستعانة ببعض علماء مدرسة الإسكندرية، وكان اعتمادها على العلوم الفارسية ضعيفاً، ولكن ما تمت ترجمته من مؤلفات فارسية فإن لم تكن سندية الأصل فإنها بلا شك تحمل بين طياتها أفكاراً سندية، وذلك للاختلاط الكبير بين الثقافتين.وقد اقتصرت الترجمة في عصر بني أمية على العلوم التطبيقية كالكيمياء والطب والنجوم[٥].

---

١ ـ فيليب حتى: تاريخ العرب، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٢٠.

٢ ـ الكناش: بضم الكاف وتشديد النون، الأوراق التي تُجعل كالدفاتر يُقيّد فيها الفوائد والشوارد للضبط. وعليه يكون الكناش المنسوب إلى القس أهرون عبارة عن كتاب في الطب، يُنظر محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، المطبعة الأميرية، ١٣٠٧هـ ، مادة كنش.

٣ ـ غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي بن العبري:تاريخ مختصر الدول، نشر الصالحاني، بيروت، ١٨٩٠م، ص١٩٢.وأبو داؤد سليمان بن حيان الأندلسي بن جُلْجل:طبقات الأطباء والحكماء، حققه فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٦١.

٤ ـ أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة: كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، القاهرة، ١٨٨٢م، جـ١، ص١١٦.

٥ ـ توفيق الطويل:في تراثنا العربي الإسلامي، مطابع الرسالة، الكويت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٧١.

ثالثاً: الطور الثاني للترجمة في القرن الهجري الثاني (العصر العباسي الأول):

عند مجيء العباسيين كانت مدرسة الإسكندرية قد ضعفت، وذلك بسبب انغماسها في الجدل الديني حول بعض قضايا العقيدة النصرانية[١]، وكذا بُعدها النسبي عن مقر الخلافة العباسية، التي ازدهرت في عهدها مدارس أخرى، كمدرسة حرّان[٢] في بلاد الجزيرة، ومدرسة جنديسابور في إقليم فارس[٣]، فاحتلت الصدارة في زمن العباسيين، وازدهرت حركة الترجمة في أيامهم وذلك بسبب تشجيع خلفاء هذه الدولة للمترجمين ورعايتهم لهم، ولعل من أهم عوامل انفتاح النصارى على الدولة الإسلامية ما لاقته النصرانية من الفرس أيام حكمهم من اضطهاد بدافع التعصب الديني، فلما جاء الفاتحون المسلمون رحبوا بهم لأنهم وجدوا فيهم المنقذ الذي يخلصهم من ظلم الأكاسرة، كما وجدوا فيه تخليصهم من الخدمة العسكرية، وأملاً في تمتعهم بالحرية الدينية، فتوافدوا عليها من كل مكان ولذلك عندما رغب خلفاء بني العباس في ترجمة بعض الكتب، وجدوا في دولتهم من يقوم بذلك[٤].

والحقيقة أن المسلمين شعروا بعد الفتح الإسلامي الكبير لدول المشرق والمغرب بالحاجة الماسة إلى اقتباس العلوم والآداب، والتعرّف على فكر وحضارات الأمم السابقة، وعلومهم الطبيعية والفلكية والطبية والكيميائية والرياضية،

---

١ ـ فاسيلي فلاديميرويج بارتولد:تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، ص٥٠.

٢ ـ حرّان: مدينة قديمة، قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم، يُنظر صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، جـ ١، ص٣٨٩.

٣ ـ أبو الحسن علي يوسف القفطي:إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر سابق، ص١٥٨، ١٦٠، ٣٨٣.

٤ ـ علي حسني الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، مصر، ١٩٦٩م، ص١٠٢. وتوفيق سلطان اليوزبكي:تاريخ أهل الذمة في العراق، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٠٩ وما بعدها.

ليستفيدوا منها في تحديد مواقيت الصلاة والصوم والحج والعمرة ومعرفة على مسببات الأمراض والأدوية المناسبة لعلاجها، فكان طابع الترجمة والنقل يتجه اتجاهاً قوياً نحو ترجمة الكُتب العلمية والطبية[١].

وقد كان لعلماء المسلمين الفضل الأكبر في حفظ التراث اليوناني من الضياع والنسيان والإهمال، لأن أغلب النصوص اليونانية قد فُقدت، ولم يبق غير الترجمة العربية لهذه النصوص، ومن هذه الترجمة أُخذت ترجمة عبرية، وعنها ترجمة لاتينية، ويُعد هذا فضلاً عظيماً للمسلمين على التراث اليوناني[٢].

وربما يرجع اهتمام العباسيين بالترجمة إلى تأثرهم بالعنصر الفارسي، فالخلفاء العباسيون وإن كانوا من عنصر عربي، إلا أن تنشئة كثير منهم لم تكن عربية خالصة، كتنشئة الأمويين، وهم بحكم هذه التنشئة، وربما بدافع إرضاء الرجال المبرزين من عصبيتهم السياسية وهُم الفرس، كانوا يظهرون ميلهم للعلم بمختلف ميادينه وفروعه، كما كانوا يعملون على تشجيع العلماء[٣].فقد أكدت الشواهد التاريخية أن العباسيين قد فتحوا أبواب عاصمتهم الجديدة بغداد أمام العلماء وأجزلوا لهم العطاء، وأضفوا عليهم ضروب التشجيع، فنزح علماء السريان من حرّان، وهم عنصر نصراني يتكلم اللغة السريانية التي تشبه العربية في أصولها[٤]،فعمد هؤلاء السريان إلى نقل كتب التراث اليوناني التي استطاع المسلمون الحصول على كثير منها بفضل توسعهم في أملاك الروم، الذين كانت

١ ـ عامر النجار: حركة الترجمة وأهم أعلامها في العصر العباسي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٨.

٢ ـ عبد الرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، بيروت، دار القلم، ١٩٧٩م، جـ٣، ص١٤٧.

٣ ـ محمد البهي: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٢٢٨.

٤ ـ عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول، مرجع سابق، جـ١، ص٣٥١.

دولتهم مركزاً رئيساً للحضارة اليونانية، كما حدث في خلافة هارون الرشيد، فقد غنِمَت الخلافة مجموعة كبيرة من مخطوطات عمورية وأنقرة[١].وكانت طريقة هؤلاء السريان في نقل كتب اليونان هي نقلها إلى لغتهم السريانية، ثم يقومون بعد ذلك بترجمتها إلى العربية، لذلك كانوا حلقة الوصل بين الثقافة اليونانية والعربية.وقد اشتهر من بين التراجمة السريان ثيوفيل بن توما الرهاوي المتوفى سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م، الذي نقل من السريانية أحد كتب جالينوس[٢]،وجورجيس بن بختيشوع المتوفى سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م، رئيس أطباء مارستان جنديسابور، الذي كان يجيد اليونانية فضلاً عن السريانية والفارسية والعربية، ونقل للخليفة المنصور بعض كتب الطب من اليونانية[٣]، وغيرهم كثير من العلماء الذين قاموا بترجمة التراث اليوناني إلى اللغة العربية، بل ذكرَ بعضهم أن الخليفة أبا جعفر المنصور كتب إلى ملك الروم يطلب منه بعض الكتب العلمية، وكذلك أرسل الخليفة المأمون إلى إمبراطور الروم يطلب منه تزويده بمجموعة من الكتب اليونانية[٤].

ولكن البعض شكك في مدى صحة هذه الروايات بحجة أن العداء كان مستحكماً بين المسلمين والروم، فرجّحوا أخذْ تلك الكتب من قبرص التي عادت إلى السيطرة العباسية، أو من صقلية التي فتحها المسلمون في أيام المأمون[٥]الذي كان

١ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: كتاب البلدان، دي غوية، ليدن، ١٨٩٢م، جـ٢، ص٤٨٦.و فاسيلي فلاديميرويج بارتولد:تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمه عن الروسية حمزة طاهر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٤٢م، ص٢١.

٢ ـ زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، ١٩٨١م، ص١٨٤.

٣ ـ أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، مصدر سابق، جـ١، ص١٢٤.

٤ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ١، ص٤٨٠، وفيلب حتى:تاريخ العرب، مرجع سابق، ص٣٧٨.

٥ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ٢٣٩، وعبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول، مرجع سابق، جـ١، ص٣٥٢.

يطلب من أمراء البلاد المفتوحة الكتب بدلاً من الغرامة المفروضة عليهم، فلما انتصر على الروم سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م مثلاً ونما إلى علمه أن اليونان حينما انتشرت النصرانية في بلادهم جمعوا كتب الفلسفة من المكتبات وألقوا بها في السراديب، فطلب من ملك الروم أن يعطيه هذه الكتب مكان الغرامة التي فرضها عليه، فقبل ملك الروم بذلك، وعَدَّهُ كسباً كبيراً له، أما المأمون فاعتبر ذلك نعمةً عظيمةً عليه[1].

ومع أن حركة الترجمة كانت في الأصل بمبادرة من الخلفاء ورعاية منهم، سواء في ذلك الأمويون أو العباسيون، إلا أن هذه الحركة كانت في الواقع تجري على نطاق فردي محدود، ومن دون أن تكون لها مؤسسة تتولى شؤونها، وتنهض بأعبائها. غير أن تطوراً كبيراً قد حدث في هذا الموضوع في عصر هارون الرشيد، فالرعاية الفائقة التي أولاها هذا الخليفة للعلم والعلماء، قد دفعت به إلى أن يخص موضوع الترجمة بعناية فائقة لم تحظ بها من قبل، وأن ينشيء لها مؤسسة خاصة قائمة بذاتها، عُرِفت باسم (بيت الحكمة)، الذي ازدهر في عهد المأمون ازدهاراً بالغاً، وبمرور الوقت أصبح أهم وأعظم معهد ثقافي.وقد أضفى الخلفاء على المترجمين أعظم أنواع التشريف والدعم، الأمر الذي شجّعهم على نقل العلوم والمعارف التي كانت للأمم التي سبقتهم[2]، فاستفاد المسلمون منها أكبر فائدة، حتى نبغوا فيها، بل تفوقوا على غيرهم بعد أن أضافوا إلى تلك العلوم مبتكرات جديدة[3].وكان بيت الحكمة حجر أساس لمدرسة بغداد التي ظلّ تأثيرها حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر، ويرجع الفضل ـ بعد الله ـ

١ ـ عمر فروخ: الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب، بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ص٩٨.

٢ ـ يُنظر سليم طه التكريتي: بيت الحكمة في بغداد وازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص ١٩٧ ـ ٢٠٨.

٣ ـ ميخائيل جميعان: المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية، الأردن، عمان، المطبعة الاقتصادية، ١٩٨٣م، ص٢٥.

إلى هذه المدرسة الزاهرة في الحفاظ على استمرارية الحضارة، وإصلاح سلسلة المعارف الإنسانية التي حطَّمها بقسوة في القرن السادس الميلادي اضمحلال روما وسقوطها، ولو اقتصرت حضارة الإسلام على مجرّد إنقاذ الحضارة القديمة والحفاظ عليها بعناية ثم نقلها للأجيال التالية، لكانت هذه خدمة تجلُّ عن الوصف، ولكن لم يكن الأمر كذلك، فإن علماء وفلاسفة مدرسة بغداد، ورثة روح وتعاليم مدرسة الإسكندرية، أضافوا إلى الحضارة القديمة إضافات مبتكرة في كل فروع العلم، وباكتشافات لا حصر لها في الفنون التطبيقية، وفوق كل ذلك باكتشاف طرق جديدة للبحث والاستكشاف[١].

أما بلاد الهند والسند فلم تكن مجهولة للمسلمين، فقد عرفها المسلمون منذ أقدم العصور، وأُعجبوا بعلومها قبل الإسلام، وكانت تربطهم بها علاقات أزلية، وقد نقل الهنود الذين كانوا يسكنون جزيرة العرب قبل البعثة كثيراً من علومهم، وكان الطب الهندي معروفاً عند المسلمين، فقد روى البخاري عن العمرية الأنصارية ربيبة عائشة رضي الله عنها تحت باب بيع الخادم من الأعراب:"عن عمرة أن عائشة رضي الله عنها أصابها مرض، وأن بعض بني أخيها ذكروا شكواها لرجل من الزط يتطبب، وأنه قال لهم إنكم لتذكرون امرأة مسحورة سحرتها جارية لها، في حجر الجارية الآن صبي قد بال في حجرها، فذكروا ذلك لعائشة رضي الله عنها فقالت ادعوا لي فلانة ـ لجارية لها ـ قالوا: في حجرها فلان ـ لصبي لهم قد بال في حجرها ـ فقالت: ايتوني بها فأتيت بها فقالت: سحرتيني؟ قالت: نعم قالت: لمه؟ قالت: أردت أن أُعتق وكانت عائشة رضي الله عنها أعتقتها عن دبر منها فقالت: إن لله علي أن لا تعتقي أبداً. انظروا أسوأ العرب ملكة فبيعوها منهم واشترت بثمنها جارية فأعتقتها"[٢].

---

١ ـ حيدر بامات: إسهام المسلمين في الحضارة، ترجمة ماهر عبد القادر، نشر المركز المصري للدراسات والأبحاث، الإسكندرية، ١٩٦٨م، ص٣٥.

٢ ـ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي: السنن الكبرى، ، نشر دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، جـ ٨، ص١٣٧. و محمد بن إسماعيل البخاري:الأدب المفرد، دار البشائر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٦٨.

ولما فتح المسلمون بـلاد السـند، أفرغـوا جهـدهم في تثبيـت أركـان دولـتهم الناشئة، فلم تكن العناية بالتراث السندي من أوليّاتهم، أضف إلى ذلك الفترات التي مرَّت بها البلاد من اضطرابات أعقبت اغتيـال الفـاتح محمـد بـن القاسـم، ثـم داء العصبية الذي فتك بالمنطقة، وجعل أهلها شـيعاً يقتـل بعضـهم بعضـاً، إلى أن تـولى زمام الأمر بنو العباس، الذين انفتحوا على التراث الفارسي بصورة جعلت الـبعض يصف دولتهم بأنها دولة فارسـية، فقـد كانـت كتـب الـتراث الفارسـي كـثيرة جـداً لدرجة أن العرب عندما فتحوا بلاد فارس طرحوا بعضها في الماء وأحرقـوا الـبعض الآخر، ويعتبر التراث الفارسي السبيل الذي سلكه المسلمون إلى التراث السندي[١] .

ولذلك نجد أن كثيراً من الباحثين قد حددوا فترتـين متميـزتين بلـغ التعـاون الإسلامي ـ السندي الهندي فيهما أقصى مداه:

الفترة الأولى تمثل عصر الخليفة أبـي جعفـر المنصـور، وتمتـد مـا بـين عـامي ١٣٦و١٥٨هـ / ٧٥٤و٧٧٥م، والتي انتقلت فيها العديـد مـن البعثـات العلميـة إلى بغداد قادمة من بلاد السند، وأحضرت معها كتباً مهمة إلى حاضرة الخلافة.

أما الفترة الثانية فقد ضمّت عصر الخليفـة هـارون الرشـيد، وتمتـد مـا بـين عامي١٧٠و١٩٣هـ / ٧٨٧و٨٠٩م، وذلـك عنـدما كانـت أسـرة البرامكـة في أوجْ قوتها، وقد تولَّت وزارة بني العباس نصف قرن من الزمان[٢]، وفي هذا الصـدد يـذكر المؤرخون وزير الرشيد يحيى البرمكي بصفة خاصة، وكـذلك ابنـه موسـى، وحفيـده عمران، وكلاهما حكم بلاد السند لبعض الوقت، فقـد أولـوا جميعـاً الهنـد والعلـوم الهندية اهتمامهم.ولا عجب فالبرامكة لهم علاقة قوية ببلاد فارس والهند، وذلـك إذا أخذنا في الاعتبار ما حِيكَ حـولَ أصـلهم مـن أسـاطير ، والـذي يظهـر أن الأسـرة

---

١ ـ حاجي خليفة: كشف الظنون عـن أسـامي الكتـب والفنـون، القـاهرة، ١٣١١هــ، جــ١، ص٤٤٦.

٢ ـ أحمد عبد الباقي: معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركـز دراسـات الوحـدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ٢٦٧.

البرمكية كانت من بيوتات بَلْخُ[١]، وكان جدهم برمك من مجوس بَلْخُ[٢]، وكانت الفرس تعظِّم معبدهم المعروف بالنوبهار، وتحج إليه وتهدي له، وتُلبسه أغلى الثياب، وتنصب على قبته الأعلام، وكانت ملوك الهند والسند والصين تعبد هذا النوبهار أيضاً، وكانت سنتهم أنهم إذا أتوا هذا الصنم سجدوا له وقبَّلوا يد برمك. ولما فُتحت البلاد في عهد عثمان بن عفان ﷺ أسلم سادن النوبهار فقتله أحد الملوك مع أولاده فلم ينج منهم سوى طفل، وهو برمك أبو خالد، فهربت به أمه إلى بلاد السند، فنشأ هنالك وتعلم الطب والنجوم وأنواعاً من الحكمة، وهو على دين آبائه، ثم إن أهل بلاده أصابهم طاعون فتشاءموا بمفارقة دينهم ودخولهم في الإسلام، فكتبوا إلى برمك حتى يقدم عليهم، فأجلسوه في مكان آبائه وتولى النوبهار، ثم تزوج من بخارى، وقد وردت أقوال عديدة حول إسلام[٣] برمك، ولكن الثابت أن خالداً اعتنق الإسلام وتبعه أخواه الحسن وسليمان، واسماهما أكبر دليل على ذلك[٤]، والذي يهمنا أن البرامكة نشأوا في بلاد فارس والسند، وتأثروا بالعلوم السندية والفارسية، فلما تولوا الوزارة العباسية قاموا بنقل تلك العلوم إلى دار الخلافة. وقد أرسلوا علماء إلى شبه القارة الهندية ليدرسوا الطب وعلم العقاقير أو الصيدلة، كما شجعوا علماء الهند على المجيء إلى بغداد، وجعلوا

---

١ ـ بَلْخُ: من أجلّ مدن خراسان وأكثرها خيراً، افتتحها الأحنف بن قيس في أيام عثمان بن عفان ﷺ .وهي الآن من مدن أفغانستان، يُنظر شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ ٢، ص٣٧٨.

٢ ـ محمد بن علي بن طباطبا الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، مصدر سابق، ص١٥٦.

٣ ـ يُنظر أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان، مصدر سابق، جـ ٦، ٢١٩. و محمد بن علي بن طباطبا الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، مصدر سابق، ص ١٩٧.

٤ ـ يُنظَر هَولو جَودَت فرج: البرامكة سَلْبِيَّتهم وَإِيجَابيَّتهُمْ، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص٩ـ ١٦.

بعضهم من كبار الأطباء في المستشفيات وطلبوا منهم ترجمة كتب الطب والعقاقير، وكُتب علم السموم والفلسفة والفلك وغيرها من اللغة السنسكريتية إلى اللغة العربية[١].

هذا وقد جاء اهتمام العباسيين بالطب الهندي السندي بسبب ما قام به البرامكة من نقل وترجمة الكتب الهندية السندية في المجالات المختلفة، وأيضاً بسبب فشل الأطباء اليونانيين في علاج أمراض أصابت بعض الخلفاء، بينما نجح أطباء من شبه القارة الهندية في تشخيصها وعلاجها.فعندما أُصيب الخليفة أبو جعفر المنصور، مثلا، بمرضٍ في الجهاز الهضمي سبَّبَ له آلاماً في الأمعاء، فشل معالجوه من اليونانيين في تطبيبه، بينما أفلح أطباء الهند في تشخيص الداء ووصف الدواء، وكذلك أُصيب الخليفة هارون الرشيد بمرض أعجز كبار المعالجين في القصر، فاستحضر له البرامكة الطبيب الهندي (منكه Manka)، فشفي الخليفة بإذن الله[٢]، وأيضاً نجح الطبيب الهندي ابن بهلة في علاج إبراهيم بن صالح ـ عم الرشيد ـ بعد أن جزم طبيب الخليفة بختيشوع[٣] باستحالة برئه[٤]، ولكن بالرغم من ذلك فإن ما تمّ ترجمته في المجال الطبي وغيره من العلوم الهندية السندية يُعتبر ضئيلاً، وذلك لعدة

---

١ ـ M.A.Ali and A.S.Bukhari:Anew history of India,Lahore,Pakistan,1980,p149. وعمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، حققه حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، جـ ١، ٩١.

٢ ـ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٦٨م، ص٢٠٢.

٣ ـ بختيشوع: هو بختيشوع بن جورجيوس رئيس الأطباء في عهد الرشيد، توفى سنة ١٨٥هـ/ ٨٠١م، وقد تبوأت أسرته مكانة مرموقة في بغداد. يُنظر أبو الفرج بن هارون الملطي بن العبري: تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢٢٦، ٢٢٧.

٤ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٤٢١.ومحمود محمد عبد الله:اللغة العربية في باكستان:دراسة وتاريخ، باكستان، ١٩٨٤م، ص ١٨، ١٩.

عوامل أهمها أن كتب الطب السندي جيء بها إلى مدرسة جنديسابور التي يسيطر عليها الأطباء اليونان فأُضيفت إلى الطب اليوناني الذي كان واضح التغلب[١]. وكان أيضاً من أسباب ضعف التراث السندي مع كثرته أنه كان للفرس تأثير ملحوظ في الكوفة والبصرة، كما كان للحضارة الفارسية تأثيرها الواضح على الحضارة الإسلامية منذ القرن الهجري الأول، وذلك لقرب هذه الحضارة من الحضارة العربية، فقد قام الموالي والرقيق بدور خطير في تأثر العربية بالفارسية، وقد أدى ذلك إلى ظهور أسلوب عربي مولّد له خصائص ومميزات يفترق بها عن أسلوب اللغة العربية الأصيلة التي جاء بها العرب المهاجرون إلى البلاد المفتوحة، وقد تكوّن هذا الأسلوب المولّد من العوائد اللغوية الراجعة إلى اللهجة الدارجة في المناطق العربية القديمة. ومما ساعد على وجود هذا الأسلوب المولّد ظهور شعراء من غير العرب منذ النصف الثاني للقرن الهجري الأول مثل زياد الأعجم وأبي عطاء السندي ولا يعني هذا أن الأسلوب العربي الفصيح قد انتهى أمره وغلبه هذا الأسلوب المولّد، ولكن كان لكل منها تيار يسير فيه.وكان عصر الرشيد نفسه من أزهى العصور بالنسبة لحياة اللغة العربية والتأليف فيها، ويكفي أن يُذكر من علماء هذه الفترة الكسائي والأصمعي والفراء وأبا زيد الأنصاري[٢]. وعندما عكف هؤلاء الموالي على نقل التراث الفارسي إلى العربية، نقلوا بين طياته أجزاء من ثقافة السند والهند وعلومهم، بحكم ما كان بين الطرفين من علاقات قبل الفتوح الإسلامية، فعُرفت تلك العلوم بأنها فارسية وليست سندية. فكثير من الكتب السندية أصلها فارسي وكذلك العكس، وعليه يمكننا الجزم بأن كثيراً من التراث السندي قد اكتسى ثوب الفارسية قسراً أو حكماً.

أما العلاقات التجارية والثقافية بين المسلمين وأهل السند والهند فقد ازدادت وقويت بعد الفتح الإسلامي لهذه البلاد سنة٩٢هـ/ ٧١٠م، ثم زادت تلك

---

١ ـ إسماعيل مظهر: تاريخ الفكر العربي، دار العصور، القاهرة، ١٩٢٨م، ص١٢٤.

٢ ـ محمد هدارة:المأمون الخليفة العالم: سلسلة أعلام العرب، الهيئة العامة للكتاب، مصر، بدون تاريخ، ص٩٦.

العلاقات قوة في عهد العباسيين، وبالأخص في عصر الخليفة أبي جعفر المنصور الذي دعا العالم السندي منكه إلى بغداد سنة١٥٤هـ/ ٧٧١م، فاصطحب معه إلى بغداد كتاباً في الفلك باللغة السنسكريتية يُسمى (السِّدَ هانْتْ Siddhanta) ، ومؤلفه هو الفلكي والرياضي (بَرَاهماغبتا Brahmgupta)[١].وألّف أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري كتاباً بناه على كتاب (السِّدَ هانْتْ) واستخرج فيه قانوناً حوّل فيه سني الهنود النجمية إلى سنين قمرية[٢]، وترجم العرب كتاب (الأركند Arkand) وكتاب (الأرجبهر) وهما من الكتب الهندية في علم الفلك أيضاً[٣].

ونقل المسلمون عن الهنود بعض المصطلحات الرياضية كلفظة الجيب في حساب المثلثات[٤]. وأخذوا عنهم أيضاً نظام الترقيم بدلاً من حساب الجُمَل الذي كانوا يستعملونه.وكذلك كان الهنود يستعملون (سونيا) أو الفراغ لتدل على الصفة، ثم انتقلت هذه اللفظة الهندسية إلى العربية باسم الصفر واستعملها الإفرنج.وتمتاز الأرقام العربية أو الهندية بأنه يمكن تركيب أي عدد منها مهما كان كبيراً، أما الأرقام الرومانية فتحتاج إلى أشكال عديدة، كما أن الأرقام العربية تقوم على النظام العشري، والقيمة الوضعية للعدد بحسب موضعه في الآحاد والعشرات[٥].

وهكذا نجد أن المسلمين لم يكونوا عالةً على غيرهم، أو لصوصاً جاءوا لنهب خيرات البلاد، ولكنهم كانوا رسل سلام نقلوا البلاد المفتوحة من جور الحكام إلى

---

١ ـ السد هانتا:في الأصل كانت تعني المعرفة والعلم والمذهب، ثم لم يلبث أن أُطلق اصطلاحاً على كل مُصنّف في الفلك على طريقة الهند. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، مصدر سابق، ص٢٠٨، وكراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، مرجع سابق، جـ١، ص ٧٠.

٢ ـ أبو الحسن علي بن يوسف القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر سابق، ص١٧٧.

٣ ـ نيلو: علم الفلك وتاريخه عند العرب، مرجع سابق، ص ١٧٢ ، ١٧٣.

٤ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٤٢١،٤٢٢.

٥ ـ عامر النجار: حركة الترجمة، مرجع سابق، ص٤٢.

عدل الإسلام، واستبدلوا شريعة الغاب بشريعة رب الأرباب، وأخذوا ما عندهم من علوم فهذبوها وسبروا غورها فأخرجوا للبشرية حضارة لم ير التاريخ صنواً لها.

وقد ذكر صاحب الفهرست، أن من أسماء كتب الهند في الطب الموجودة بلغة العرب، كتاب مسد، عشر مقالات، والذي أمر يحيى بن خالد البرمكي بتفسيره لمنكه الهندي ويجري مجرى(الكناش)، وكتاب (استانكر) الجامع لتفسير ابن دهن، وكتاب(سيرك) الذي فسره عبد الله بن علي من الفارسية إلى العربية، لأنه نقل أولاً من الهندية إلى الفارسية[1].

ومن أطباء الهند المشهورين شاناق وله كتاب السموم، الذي يتكون من خمس مقالات، فسَّره من الهندية إلى الفارسية منكه الهندي، وقد نقله إلى العربية ابن حاتم الباجي بأمر خالد البرمكي، ثم نُقل للخليفة المأمون على يد العباس بن سعيد الجوهري مولاه، وكان المتولي قراءته على المأمون[2]..وقد بلغت العلوم الهندية مستويات متقدمة، ومما يذكر في هذا الصدد أن ملوك الهند كانوا إذا أرادوا الغدر بأحد أعدائهم، عمدوا إلى الجواري إذا وُلِدْن، و فرشوا لهنَّ نوعاً من النبات مدّة من الزمن، ثم يجعلونه تحت ثيابهن زماناً، ثم يطعموهن منه في اللبن، حتى تصير الجارية إذا كبرت تتناول منه ولا يضرها، ثم يبعثون بها مع الهدايا إلى من أرادوا الغدر به من الملوك فإذا غشيها مات[3].

ولم يكتفِ المسلمون من الحضارة الهندية بالعلوم الرياضية والطبية بل قاموا أيضاً بترجمة بعض كتب الفلسفة والسلوك، ولعل أشهر تلك المؤلفات كتاب كَليلَـةَ ودِمْنَة، وهو كتاب في إصلاح الأخلاق، وتهذيب النفوس، وضعه فيلسوف هندي اسمه بَيْدَبَا منذ نيف وعشرين قرناً لملك هندي اسمه (دَبْشَليم)، ذكروا أنه تولى الهند

١ ـ اد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٤٢١.

٢ ـ المصدر السابق: ص٤٢١.

٣ ـ ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي:شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، جـ١، ص٦٢٨.

بعد الاسكندر المقدوني وطغى وتجبر على رعيته، فأراد بَيْدَبَا إصلاحه، فألَّف هذا الكتاب وجعل النصح فيه على ألسنة البهائم والطيور على عادة البراهمة، وترجع مواضيع النصح في هذا الكتاب إلى ما يحتاج إليه الناس في معاملاتهم، كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعي والنمّام، وسوء خاتمة الأشرار، وعدم جواز الأمن من كيد الأعداء، ومضار الإهمال والغفلة، وآفة التعجل، وفائدة الحزم.وقام بنقله إلى اللغة العربية عبد الله بن المقفع[١].

وهكذا تعرَّف علماء المسلمين على علوم اليونان وفارس والهند من خلال الترجمة واستوعبوا مؤلفاتهم الطبية، وأصبحوا يتحدثون عنها بطلاقة ولما أحسوا بأنهم أدركوا كل ما في ذلك الطب من أسرار رأوا أن يؤلفوا كتباً على غرار مؤلفات القوم، ولا تكون منقولة عنها[٢].

ومن أهم بواعث النقل في الإسلام لكتب الطب والعلوم والفلسفة إلى اللغة العربية ما يلي:

(١) احتك المسلمون بغيرهم من الأمم واطلعوا على ثقافاتها فأحبوا أن يوسعوا بها آفاقهم الفكرية، ولعلّ ذلك كان في أول الأمر عاملاً من التقليد المحض.

---

١ ــ عبد الله بن المقفع: هو روزبةُ بن دازويه، فارسي الأصل، وُلِد في البصرة سنة ١٠٦هـ/ ٧٢٤م، فتعلم الفارسية والعربية والهندية، كان والده كاتباً لخراج فارس أيام الحجاج بن يوسف، فنقم عليه فضربه حتى تقفعت يده، فلُقِّبَ بالمقفع، وعُرِف ابنه بابن المقفع، وصفه بعضهم بأنه أذكى العجم وأفصحهم، كان كاتباً لوالي كرمان وعلى يديه أسلم وسُمي بعبد الله، ثم عمل لوالي البصرة،ولما خرج عبد الله بن علي ابن أخيه المنصور، طلب الخليفة تسليمه، فرفض أخواه إلا بأمان يمليان شروطهما، فكتبه ابن المقفع وتشدد وبالغ في شروطه، فنقم عليه الخليفة ودبر أمر قتله سنة١٤٢هـ/ ٧٥٩م. يُنظر عبد الله بن المقفع: كتاب كليلة ودمنة، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص٧، ٨. ونجيب محمد البهبيتي:تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص٢٢٣.

٢ ـ محمد كامل حسين: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، القاهرة، بدون تاريخ، ص٢٤.

(٢) فرض الإسلام على معتنقيه القيام بتكاليف معيَّنة كالصلاة والصوم والحج. ويتطلب أداء هذه الواجبات معرفة بداية الشهور وعدد أيامها، ومعرفة أجزاء اليوم. ولم تكن للعرب المعرفة العلمية الكافية التي تؤهلهم لوضع ضوابط علمية ثابتة تعين على تحديد هذه المواقيت، ولذلك لجأوا إلى ترجمة الكتب التي تعينهم في ذلك وخاصة الكتب اليونانية والهندية والفارسية.

(٣) القرآن الكريم وحثه على التفكير وطلب العلم.

(٤) العلم من توابع الحضارة: فحينما تزدهر البلاد سياسياً واقتصادياً ويكثر فيها الترف، ويستبحر العمران تتجه النفوس إلى الحياة الفكرية والتوسع في طلب العلم[1].

(٥) إطلاع المتكلمين من المسلمين على المنطق اليوناني، والفلسفة اليونانية، والحكمة الهندية، ونقلها إلى العربية بتشجيع من بعض الخلفاء العباسيين، مثل المنصور والرشيد والمأمون، إضافة إلى رغبة المسلمين في التسلح بتلك العلوم ضد خصومهم من أهل الديانات الأخرى[2].

وقد ذكر بعض المستشرقين أن حُب السريان لثقافتهم وحرصهم على نشرها، حَمَلَهُم على نقل الكتب الفلسفية إلى اللغة العربية. ولا وجه لهذا الزَّعم لأن الكتب المنقولة لم تكن سريانية مسيحية، بل وثنية يونانية أو هندية، ثم إن هؤلاء النَقَلة السريان لم ينقلوا هذه الكتب تطوعاً وابتداءً من عند أنفسهم، ولا هُمْ نقلوا الكتب التي أحبوا نقلها، بل كانوا ينقلون ما يُطلب منهم نقله بأجر[3].

---

١ ـ عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، مرجع سابق، ١٠٣.

٢ ـ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني: علم الكلام، دار الثقافة، القاهرة، بدون تاريخ، ص٢٣.

٣ ـ عمر فروخ:تاريخ العلوم عند العرب، مرجع سابق، ص١٠٣.

وخلاصة القول أن المسلمين أدركوا من استقرائهم لتاريخ نهضات الأمم، أن الأمة حين تهم بالنهوض والتيقُّظ بعد سُبات، لابد لها أن تتصل بتراث الأمم ذات الحضارات، فتترجمه وتستعين به في نهضتها، فانفتحوا على تراث الأمم المتحضرة كفارس والهند والسند واليونان فنقلوا تراثها، واتصلت هذه الروافد بالتراث الإسلامي الأصيل وتفاعلت معه في ضوء خبرات المسلمين الحسية وتأملاتهم العقلية، فكان ذلك التراث العلمي الحافل بوجوه الأصالة والابتكار.واحتل المسلمون منذ مطلع العصر العباسي الأول قيادة العالم الفكرية خمسة قرون من الزمان، تفاعل فيها الفكر الأجنبي الدخيل مع التراث الإسلامي الأصيل، وبالترجمة تخلّت أوروبا عن تخلفها الذي رَزَحَتْ تحته قروناً، لتأخذ مكانها وقد تسلَّمت القَبَس من المسلمين في صقلية والأندلس، وأضحت بذلك منارة العالم ومركز قيادته[١].واستطاع العلماء والدارسون للترجمة أن يتعرفوا على ثقافات الأمم السابقة وعلومها، وأن يلموا بها وينهلوا منها مما وسّع آفاق تفكيرهم العلمي بما يناسب المستوى الحضاري الذي وصلوا إليه، وكذلك انتفع فقهاء المسلمين من كتب الفلسفة والمنطق في الرد على أهل الكلام. ولا شك أن ما تمَّ نقله من كُتب زاد من مستوى حضارة وثقافة المسلمين، وإذا كان لغير المسلمين فضل النقل في حركة الترجمة، فإن للمسلمين فضل الحفاظ على هذه المنقولات، فقد حافظت العربية على تراث اليونان، ولذلك أقبل الإغريق على العربية لاستعادة تراثهم المفقود. وكذلك الأمر بالنسبة للفرس، فقد ترجموا العديد من كتبهم التي ضاع أصلها الفارسي وبقيت ترجمتها العربية فأعادوها إلى لغتها الأصلية، وقد ذكر ابن النديم عدداً منها، وأشهرها كتاب كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، بالإضافة إلى أقوال حكمائهم وفلاسفتهم وملوكهم، مما

---

١ ـ توفيق الطويل: في تراثنا العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٨٨.

نجده منثوراً في بعض كتب الأدب العربية، كالعقد الفريد، وعيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، بل إن بعض جذور لغتهم ضاعت، فوجدوها في الكتب العربية[1].

---

١ ـ يُنظر خالد ماغوط ومحمد علي خياطة: أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب، منشورات جامعة حلب، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ص ٣٩، ٤٠.وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: كتاب عيون الأخبار، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، جـ ١، ص٤٠.

(٣) العلوم العقلية في بلاد السند

عُرفت العلوم التي اهتم بها المسلمون أول عهدهم بالعلوم الشرعية أو النقلية، وقد ارتبطت بها علوم أخرى كالنحو والأدب واللغة التي عُرفت عند البعض باسم العلوم اللسانية[١]، وما خرج عن نطاقها عُرف بالعلوم العقلية[٢]، والتي أُصطلح على تسميتها أيضاً بالعلوم الدخيلة[٣] أو بعلوم العجم أو بعلوم الأوائل[٤]،لأنها لم تظهر بظهور الإسلام وإنما عُرفت من خلال الاحتكاك بشعوب البلاد المفتوحة، وإن كان للفقيه الحنبلي ابن تيمية[٥] رأيٌ مخالف بالنسبة للتفريق بين العلوم الشرعية والعلوم العقلية، إذ يرى أنه:"من الخطأ الظن بأن العلوم الشرعية هي ما أخبر به الشارع فقط، بل هي كل علم دلّ عليه الشارع وأرشد إليه، وأنَّ

---

١ ـ جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، القاهرة، ١٩٠٦، جـ٣، ص٧٤.

٢ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ١، ٤٧٨، وحسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، مرجع سابق، جـ١، ص٤٩٦.

٣ ـ جرجي زيدان:تاريخ التمدن الإسلامي، مرجع سابق، جـ٣، ص١٣٥.

٤ ـ أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة:عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصدر سابق، جـ١، ص١٣٣.

٥ ـ ابن تيمية:هو الإمام الفقيه، المجتهد، المحدث، الحافظ، المفسّر، الأصولي، شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية، النميري، الحراني، ثم الدمشقي الحنبلي، وُلد بحران شمالي شرقي تركيا سنة٦٦١هـ/ ١٢٦٢م، لُقب بشيخ الإسلام، نشأ في أسرة علمية، عاصر التتار والصليبيين على المشرق الإسلامي، وخاض المعارك ضد التتار، وقاد الأمة إلى الجهاد ونصح الحكام، كان مهاباً، تسلط عليه الأعداء المخالفون له فسجن عدة مرات، آخرها في الشام حيث توفي في السجن سنة٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م.أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ١٤، ص١٤٨ـ ١٥٣.

عامّة المتفلسفة وجمهور المتكلمة جاهلة بمقدار العلوم الشرعية ودلالة الشارع عليها، وبوهمهم علو العلوم العقلية عليها، فإنّ جهلهم ابتنى على مقدمتين جاهليتين: إحداهما أن الشرعية ما أخبر الشارع بها، والثانية أن ما يُستفاد بخبره فرع للعقليات التي هي الأصول، وكلتا المقدمتين باطلة، فإنَّ الشرعيات ما أخبر الشارع بها، وما دلّ الشارع عليها، وما دلّ الشارع عليه ينتظم جميع ما يحتاج إلى علمه بالعقل"[١].وهذا يعني أن ابن تيمية يعدُّ أكثر العلوم العقلية، من طب ورياضيات وفلك وفيزياء وكيمياء على عصره (٦٦١ـ٧٢٨هـ/ ١٢٦٢ـ١٣٢٧م)[٢] ضمن العلوم الشرعية، ما دام الشرع يدلنا عليها كما يُفْهَمْ من قوله:"وأما إذا أُريد بالشرعية ما شرع علمه، فهذا يدخل فيه كل علم مستحب أو واجب، وقد يدخل فيه المباح...وما عُلم بالعقل وحده فهو من الشرعية أيضاً، إذا كان علمه مأموراً به في الشرع"[٣].وذلك على العكس تماماً من الفقيه ابن عبد البر[٤]، الذي عمد إلى تقسيم العلوم إلى ثلاثة أقسام، مخالفاً بذلك ما ذهب إليه أغلب الباحثين عند تناولهم لها،

---

١ ـ عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن علي بن تيمية الحراني الحنبلي مجد الدين أبو البركات: مجموع فتاوى ابن تيمية، عالم الكتب، بدون تاريخ، جـ١٩، ص١٥٥.

٢ ـ إبراهيم محمد العلي: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رجل الإصلاح والدعوة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص٣٧وما بعدها.

٣ ـ عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن علي بن تيمية الحراني الحنبلي مجد الدين أبو البركات:مجموع فتاوى ابن تيمية، مصدر سابق، جـ١٩، ص١٥٥.

٤ ـ ابن عبد البر:هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ولد سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م، وولي قضاء أشبونة مدة، وكان أولاً ظاهرياً ثم صار مالكياً فقيهاً حافظاً مكثراً عالماً بالقراءات والحديث والرجال والخلاف، كثير الميل إلى أقوال الشافعي مات ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي:طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، جـ١، ص٤٣١.

فهو يرى أن:"العلوم عند جميع أهل الديانات ثلاثة: علم أعلى، وعلم أسفل، وعلم أوسط، فالعلم الأعلى عندهم علم الدين، الذي لا يجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أنزله الله في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم نصاً. والعلم الأوسط هو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره، ويُستدل عليه بجنسه ونوعه، كعلم الطب والهندسة. والعلم الأسفل هو أحكام الصناعات وضروب الأعمال، مثل السباحة والفروسية والزي والتزويق والخط، وما أشبه ذلك من الأعمال التي هي أكثر من أن يجمعها كتاب، أو يأتي عليها وصف، وإنما تحصل بتدريب الجوارح فيها"[1].

وعلى كل فإن ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية من جمع للعلوم الشرعية مع العقلية، أو ما ذهب إليه ابن عبد البر من تقسيمها إلى ثلاثة أنواع، لا يعدو أن يكون مجرد تنظيم للعلوم، وعليه فسنحاول تتبع النهضة العلمية التي ازدهرت في العالم الإسلامي، وذلك بدراسة ما أصطلح على تسميته علوماً عقلية، لنقف على جهود المسلمين في ترقية هذا العلم، في بلاد السند بصفة خاصة.

وتُعدُّ الترجمة الجسر الذي عبرَ به المسلمون إلى العلوم العقلية، وعن طريقها تعرّفوا على العلوم الأخرى.وكان الدافع الأساسي للمسلمين هو ما تميزوا به من اهتمام بالأمور الثقافية والتعليمية[2]، فكانوا يبذلون الجهود لنشر العلم والمدنية على أوسع نطاق، ذلك لأن الدين الإسلامي يأمرهم بذلك، فلم يكن من عادتهم القضاء على الثقافات والحضارات القائمة في البلاد المفتوحة، بل كانوا يقومون بدراستها ويسعون لأخذ العلوم التي يرونها نافعة لهم، والتي لا تتعارض مع الإسلام، ثم

---

١ ـ أبو عمر يوسف بن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، القاهرة، ١٣٤٦هـ، جـ٢، ص٣٧.

٢ ـ عصام الدين محمد علي: آفاق الحضارة الإسلامية والأوروبية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م،ص ٣٧٨ ـ ٣٨٢. فقد ذكر نماذج توضح شغف المسلمين بالتحصيل والمعرفة، وموت بعضهم حسرة بسبب عدم فهمه المنطق.

يمزجونها بثقافتهم وحضارتهم[١]، وهذا الموقف المرن والمتوازن من ثقافة الغير لم يكن أمراً طارئاً على الإسلام، وإنما منهج سار عليه المسلمون، فإذا أخذنا بعض الأمثلة التي تؤكد الانفتاح العلمي وقبول مبدأ الأخذ والعطاء والتبادل الفكري بين الشعوب، ومن ذلك ما قاله ابن رشد في العلوم العقلية:"...ثم ننظر في الذي قالوه وما أثبتوه، فما كان موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه ..."[٢]، ويؤكد الإمام الغزالي الموقف نفسه فيقول:"الكلام المعقول في نفسه المؤيد بالبرهان، ينبغي أن يُقبل ولا يُهجر بدعوى أنه صادر من المخالف ..."[٣].ونتيجة لذلك التسامح وهذه المرونة نشأت حضارة جديدة عُرفت بالحضارة الإسلامية، صارت هي المنقذ والقائد للأمة جمعاء في كل زمان ومكان[٤].

وعندما فتح المسلمون بلاد السند في عصر بني أمية، حاولوا الاستفادة من العلوم والفنون المختلفة بها.ولكن ميدان النشاط في هذا المجال كان ضيّقاً أمامهم ، وذلك لانشغالهم بتنظيم شؤون حكومتهم واهتمامهم بالشؤون المذهبية ونشر العلوم الإسلامية واتخاذ المساجد التي بنوها كمعاهد للدرس والعلم، وجعلْ المدن الكبيرة التي تكثر بها المساجد ويكثر بها العلماء مراكز للثقافة الإسلامية.

---

١ ـ عبد الله مبشر الطرازي: تقدم العلوم العقلية في عهد العرب ببلاد السند، المجلة العربية، العدد العاشر، السنة الرابعة، ربيع أول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م، ص١٠٢ ، ١٠٣.

٢ ـ أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي الفيلسوف: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق أبو ريدة، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص٦٠.

٣ ـ أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي: المنقذ من الضلال،راجعه عرفان عبد الحميد، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، عمان، ١٩٩١م، ص١٠٣.

٤ ـ فاروق عمر فوزي: نشأة الحركات الدينية والسياسية في الإسلام، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص٩ـ١٧.

وفي مطلع العصر العباسي انتظمت البلاد موجةٌ عارمةٌ من الحركة الثقافية وأخذ الناس يقبلون إلى العلوم بنهم منقطع النظير، وذلك تمشياً مع النهضة العلمية التي ظهرت في بغداد دار الخلافة العباسية منذ منتصف القرن الثاني الهجري، حين اهتم الخلفاء كالمنصور والرشيد والمأمون بالعلوم العقلية ونشرها بين المسلمين، وخاصة علم الرياضيات والطب وعلم الفلك والنجوم، وبما أن مثل هذه العلوم كانت معروفة ببلاد السند، فإن حكام السند قد أخذوا بزمام المبادرة فأرسلوا الوفود العلمية والكتب القيّمة والعلماء والأطباء السند والهنود إلى دار الخلافة بصفة خاصة والولايات الإسلامية بصفة عامة، مساهمةً منهم في نشر العلوم العقلية التي كانت في المرحلة الأولى من مراحل نهضتها عند المسلمين في ذلك العصر، في تلك المناطق.

وتُعدُّ بلاد السند والهند من المراكز القديمة للعلوم العقلية، التي يُظن أنه قد بدأ تاريخ نهضتها العلمية بدخول الأسكندر تلك البلاد سنة ٣٣٢قبل الميلاد، نتيجة للاتصال الفكري بين السند واليونان، ثم قام أهل السند بتطوير هذه الذخيرة العلمية، وأصبحوا من المعروفين بهذه العلوم عند أهل المشرق[١]، ومن أشهر العلوم السندية التي عرفها المسلمون وأسهموا في تطويرها بعد أخذها من السند:

أولاً: العلوم الرياضية:

عُرفت العلوم الرياضية عند أهالي الشعوب القديمة من بابليين ومصريين وإغريق وهنود وصينيين وغيرهم، ممن كانوا قد قطعوا شوطاً لا يُنكر في مجال العلوم الرياضية، بسبب أثرها المهم بالنسبة للعديد من العلوم النقلية مثل الفلك والفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة، لذلك كان من الطبيعي ألا تغفل الحضارة الإسلامية وهي في طور النشأة الاستفادة من تراث تلك الشعوب القديمة في الرياضيات، فعمد علماؤها إلى نقلها وترجمتها، ثم خطوا بها خطوات واسعة نحو الأمام، وأضافوا إليها إضافات مهمة صارت مثار إعجاب ودهشة

---

١ ـ صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي الطليطلي: طبقات الأطباء، تحقيق: لويس شيخو، بيروت، ١٩١٢م، ص ٩ ـ ٢٢.

لدى علماء الغرب، الـذين لم يـترددوا في الاعـتراف بفضـل المسـلمين وأثـرهم العظيم في تقدم العلوم الرياضية من حساب وجبر وهندسة وحساب مثلثات[1].

فالحساب يعرّفه ابن خلـدون بأنـه:"صـناعة عمليـة في حسـبان الأعـداد بالضم والتفريق، فالضم يكون في الأعداد بالأفراد وهـو الجمـع. وبالتضـعيف، أي يُضاعف عددٌ بآحاد عدد آخر وهذا هو الضرب. والتفريـق أيضـاً يكـون في الأعداد إما بالإفراد مثل إزالة عدد من عـدد ومعرفـة البـاقي وهـو الطـرح، أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة"[2]، كما أشـار إلى أن صناعة الحسـاب مـن الصـناعات الحادثـة، ربمـا بسـبب اسـتنكاف المسـلمين العرب في صدر الإسلام من تعلمه، لأنه كان من اختصاص عُمّال الخـراج مـن بين أهل الذمة والموالي، وربما كان ذلـك أيضـاً بفعـل تـأثير مـا جـاء في وصـية الخليفة الأموي عمر بـن عبـد العزيـز ﷺ الـذي كتـب إلى الأمصـار:"أمـا بعـد فعلّموا أولادكم السباحة والفروسية، ورووهم مـا سـار مـن المثـل وحسـن مـن الشعر"[3]. بيد أنهم سرعان ما أدركوا مدى افتقارهم إلى علم الحسـاب فعمـدوا إلى تعليمه لأبنائهم بعد أن شاع فيهم قول ابن التوأم:"علّم ابنك الحسـاب قبـل الكتاب"[4]، وذلك لأن من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره أنه يغلـب عليـه الصدق لما في الحساب من صـحة المبـاني ومناقشـة الـنفس فيصـير ذلـك خُلقـاً ويتعود الصدق ويلازمه مذهباً[5].وقد اقتبس المسـلمون أول أمـرهم عـدة طـرق حسابية عن أهالي بعض البلاد التي فتحوها، ومن أبرزها استعمال الحـروف في

---

١ ـ أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٤٣.

٢ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ١، ص٥٣٥.

٣ ـ أبو عثمان عمرو بن عمرو الجاحظ: البيان والتبيين، القـاهرة، ١٣٣٢هــ، جــ٢، ص٩٢.

٤ ـ المصدر السابق: جـ١، ص٢١٣.

٥ ـ عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ١، ص٥٣٥.

العد، وهي ما عُرِف بحساب الجُمَل، فمثلاً كلمة (أبجد): أ= ١، ب=٢، ج=٣، د=٤، وهكذا[1].

إلا أنّ هذا النظام سرعان ما فقد قيمته بعد أن اطلع علماء المسلمين على نظام الترقيم الهندي، الذي تُستخدم فيه الأرقام التسعة المعروفة اليوم[2]، بالإضافة إلى الصفر، وذلك عندما حمل العالم الفلكي الهندي كنكه إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٣م كتاب سدهانت، وهذا الكتاب وإن كان في الفلك إلا أنه تضمن أقساماً في الحساب، وقد أمر الخليفة بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية وأن يُعمل كتابٌ على نهجه يتخذه العرب أصلاً في حركة الكواكب، فتولى ذلك محمد بن إبراهيم الفزاري، وأخرج كتاباً عُرف بالسند هند الكبير[3]، فكان من أهم الكتب في هذا المجال حتى عصر الخليفة المأمون، ثمّ قام محمد بن موسى الخوارزمي بتصحيحه وإدخال بعض الإضافات عليه[4].

وكان لدى الهنود أشكالاً عديدة للأرقام، هذّب علماء المسلمين بعضها وكوّنوا منها سلسلتين عُرفت إحداهما بالأرقام الهندية (١،٢،٣،....) وهي المستعملة حالياً في معظم الأقطار الإسلامية، وعُرفت الثانية بالأرقام الغبارية، وذلك لأن أهل الهند كانوا يأخذون غباراً يبسطونه على لوح من الخشب أو غيره ثم يرسمون عليه الأرقام التي

---

١ ـ قدري حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، القاهرة، ١٩٥٤م، ص٣٨.وابن سيده: المحكم والمحيط، تحقيق محمد علي النجار، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ، جـ ٧، ص٣١٥.

٢ ـ أوليري: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، نقله إلى العربية تمام حسان، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٥٧م، ص١٥٧.

٣ ـ Aziz Ahmad, Studies in Islamic Culture in the Indian Environment, Oxford, Clarendon Press, 1964, p, 108.

٤ ـ أبو الحسن علي بن يوسف القفطي:إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر سابق، ص٢٧٠.

يحتاجون إليها في عملياتهم أو معاملاتهم التجارية، وقد انتشر هذا النوع من الأرقام في بلاد المغرب والأندلس وانتقل منها إلى أوربا حيث عُرف بالأرقام العربية[١].ويعتقد بعض العلماء أن الأرقام الغبارية كانت مرتبة في الأصل على أساس الزوايا، فالرقم واحد يتضمن زاوية واحدة، والرقم اثنين زاويتين وهكذا.ثم تعرّضت هذه الأرقام الغبارية لبعض التحوير والتعديل حتى أخذت في النهاية الأشكال المعروفة حالياً[٢].

ومن مزايا هذا الترقيم تسهيل جميع أعمال الحساب من جمع وطرح وقسمة بدلاً من العمليات الطويلة العريضة التي كانت تحتاج إليها هذه العمليات. ويُعد استعمال الصفر وإدخاله في المنازل الخالية من أهم مزايا نظام الأعداد الهندي، وكان الهنود يستخدمون سونيا Sunya بمعنى الفراغ للدلالة على الصفر، الذي عبّروا عنه بنقطة في الأرقام الهندية، وبدائرة صغيرة في الأرقام الغبارية، ثم انتقلت هذه اللفظة الهندية إلى العربية باسم الصفر. وكان العرب يستخدمون الصفر قبل الإسلام بمعنى لا شيء، بيد أن هذا المعنى لم يعن أي رقم حسابي قبل معرفة نظام الأعداد الهندي[٣].

كان لاستخدام الصفر فوائد متعددة، تتمثل في نقل العدد من منزلة إلى أخرى، كما أن له مميزات كثيرة في حل المعادلات الرياضية وغيرها، وإنه من الصعب على الإنسان أن يتخيل شكل الحساب لو لم يكن اكتشاف الصفر.وابتكر المسلمون علامة الكسر العشري، التي تُنسب إلى العالم الرياضي غياث الدين جمشهد الكاشي، وما تبعها من حساب النسبة بين محيط الدائرة وقطرها، ولم يسبقه أحد في إيجاد هذه النسبة بهذه الدقة المتناهية.ولما كان الحساب الغباري يحتاج إلى ورقة وقلم، جاء العرب بالحساب العملي الآني، الذي يعتمد على الحساب الذهني، فلا يحتاج

---

١ ـ قدري حافظ: تراث العرب العلمي، مرجع سابق، ص٣٨،٣٩.

٢ ـ عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٩٢،٩٣.

٣ ــ قدري حافظ: تراث العرب العلمي، مرجع سابق، ص٣٩، وعبد الحليم منتصر:تاريخ العلم والعلماء، مرجع سابق، ص٩٣.

استعماله إلى أدوات وله طرق وقوانين وهو عظيم النفع للتجار في الأسفار وأهل السوق والعوام الذين لا يعرفون الكتابة.وقد وضع المسلمون مؤلفات كثيرة في الحساب، تُرجمت إلى اللغات الأجنبية وكانوا يقسِّمون الحساب إلى أبواب، منها ما يتعلق بحساب الصحاح ومنها ما يتعلق بحساب الكسور، وثمة فصول للجمع والتضعيف، والثاني في التصنيف والثالث في التفريق (الطرح) والرابع في الضرب والخامس في القسمة والسادس في استخراج الجذور، وكان لهم أسلوبهم في إجراء هذه العمليات ويذكرون لكل منها طرقاً عديدة. فالمسلمون لم يأخذوا تلك العلوم فحسب بل عملوا على تطويرها، وإدخال المبتكرات فيها.

كما أجادوا في بحوث النسبة من عددية وهندسية واستخرج المجهول بواسطتها، وكانوا يكثرون الأمثلة والتمارين في مؤلفاتهم ويأتون بمسائل عملية تتناول ما يقتضيه العصر ويدور على العمليات التجارية والصدقات والغنائم والمواريث والرواتب، وكذلك عرفوا المتواليات الحسابية والهندسية، ووضعوا قوانين خاصة لجمعها كما أتوا على قواعد لاستخراج الجذور وجمع المربعات المتوالية والمكعبات[١].ومن المعروف أن الأرقام الهندية تقوم على النظام العشري بدلاً من النظام الستيني المعروف بحساب المنجمين، الذي كان شائعاً عند العرب من قبل، حيث تتغير قيمة العدد حسب موضعه، فهو في منزلة الآحاد غيره في منزلة العشرات أو المئات أو الألوف، فالأول منها واحد، وهو عشرة، وهو مائة، وألف[٢].

ويعتبر محمد بن موسى الخوارزمي المتوفى سنة٢٣٢هـ/ ٨٤٦م في عهد الخليفة المأمون أول من ألّف كتاباً بيّن فيه نظام الأعداد الهندي، وطريقة استخدامه عملياً عن طريق ضرب الأمثلة، وعرض فيه العديد من الأمثلة على تقسيم الميراث بطريقة مبسطة، وشرح فيه طُرق الجمع والضرب والطرح والقسمة

١ ـ عبد الحليم منتصر: محاضرات في العلوم عند العرب، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٩٤ـ٩٦.

٢ ـ حكمت نجيب عبد الرحمن: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل، ١٩٦٩م، ص٨٤.

وكيفية وضع الصفر. وقد انتقل كتاب الخوارزمي إلى الأندلس فتُرجم إلى اللغة اللاتينية واستخدمه الغرب، حيث حلّ محل النظام الروماني الذي يتصف بالتعقيد الشديد والصعوبة البالغة[١].

ولم تقتصر جهود علماء المسلمين في مجال علم الحساب عند حد استعمال الأرقام الهندية، ونقلها إلى الغرب الأوروبي، بل عمدوا أيضاً إلى تقسيم هذه الأعداد إلى زوجية وفردية، وتوصلوا إلى معرفة علامة الكسر العشري وطُرق استخدامه[٢]. وعرف المسلمون أيضاً تقسيم الحساب العملي إلى غباري ويُقصد به الحساب الذي يحتاج إلى ورقة عند استعماله، وهوائي أي الحساب الذهني الذي لا يحتاج إلى أدوات عند استعماله، لأنه يقوم على إمعان الذهن في العمليات الحسابية. وهذا النوع الأخير كان عظيم الفائدة للتجار في أسفارهم، وللخواص إذا ما عجزوا عن إحضار آلات الكتابة[٣].لذلك كان من الطبيعي أن يبرز في علم الحساب كثير من علماء المسلمين الذين أمدتنا المصادر التاريخية بنتف من أخبارهم، وفي مقدمتهم محمد بن موسى الخوارزمي، فهو أول من وضع كتاباً في علم الحساب، يُعد الأول من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة.كما يرجع إليه الفضل ـ بعد الله ـ في تعريف الناس بالأرقام الهندية وكذا نقلها إلى الغرب الأوروبي، حيث عُرفت هنالك في أول الأمر باسم Algorisms نسبة إليه[٤]، وأبو كامل شجاع الحاسب المصري، عالم زمانه، وصاحب كتاب الجمع والتفريق، وكتاب الخطأين، الذي كان بمثابة

---

١ ـ زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، مرجع سابق، ٧٤ـ٧٥. R.Ball,A Short History of Mathematices,London,1927,pp.155,156

٢ ـ قدري حافظ: تراث العرب العلمي، مرجع سابق، ص٤٠٢.

٣ ـ حاجي خليفة:كشف الظنون، مرجع سابق، جـ١، ص٤٣٧.

٤ ـ مونتجمري وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤٩.وفيليب حتى: تاريخ العرب، مرجع سابق، ص٤٥٠.

المرجع لبعض علماء القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وتتلمذ على يديه العديد من الطلاب[١].

أما علم الجبر فهو من العلوم العربية المنشأ، على الرغم من أن الأصول الأولى له عُرفت عند الشعوب القديمة من بابليين وإغريق وفرس وهنود[٢]، إلا أن فضل المسلمين لا ينكر بالنسبة للجبر، بدليل أنه ما يزال يحتفظ إلى يومنا هذا باسمه العربي في أغلب لغات العالم فهو بالإنجليزية والألمانية والإيطالية والروسية Algebra.ويُعدُ الخوارزمي أول من ألف فيه[٣]، إذ استطاع وبما يملك من عبقرية فذة أن يضع لنا علماً متكاملاً في كتابه الموسوم بالجبر والمقابلة، الذي وضعه بتشجيع من الخليفة العباسي المأمون، وضمنه ما يلزم الناس من مواريثهم ووصاياهم، وفي مقاسمتهم، وأحكامهم، وتجارتهم، وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأرض وكرى الأنهار والهندسة وغير ذلك[٤].

وهكذا يمكننا القول أن العلوم الرياضية كانت معروفة في بلاد السند قبل الإسلام، وقد استفاد منها المسلمون في القرن الثاني الهجري، ثم أفادوا أهل السند في القرون التالية بالإضافات العلمية والأبحاث القيّمة في هذا العلم، وبذلك زاد تقدم العلوم الرياضية ببلاد السند في عهد المسلمين بفضل العلاقات العلمية الطيبة بين الطرفين، وهنا يظهر الفرق بين الفاتح المسلم والغازي الذي لا يفكر إلا في نهب

---

١ ـ أبو الحسن علي بن يوسف القفطي:إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر سابق، ص٢١١. Cajori, A history of Mathematical Notation, New York, 1919, p.121

٢ ـ محمد بن إسحاق بن النديم، مصدر سابق، ص٣٩٤.

٣ ـ محمد عبد الرحمن مرحبا: الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، ١٩٧٩م، ١٢٩، ١٢٨.

٤ ـ محمد بن موسى الخوارزمي: كتاب الجبر والمقابلة، نشره على مصطفى مشرفة ومحمد مرسي أحمد، القاهرة، ١٩٣٧م، ص١٥،١٦.

خيرات البلاد وأخذ كل ما عندها وتحويلها إلى أرض بور وإلحاق الذل والهوان بأهلها، أما الفاتح المسلم فإنه يقدم الخير للبلاد المفتوحة ويرفع عنها الظلم والجور ويساوي بين الناس، ثم يقدم لها ديناً تقبله الفطرة السليمة ولا يأباه العقل، ويهذّب ما عندهم من علوم ويضيف عليها ويعيدها إليهم في قالب بهيّ.

ثانياً: علم الهيئة:

وهو علم يُعرف به أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها[١]. وقد عُرِف بعلم الأفلاك وعلم النجوم، وصناعة النجوم، وعلم التنجيم، وهو من العلوم القديمة التي عرفها قدماء المصريين، والبابليين الذين توصلوا فيه إلى نتائج عظيمة، وعند الكلدانيين الذين كانوا بحق أساتذة العالم في علم النجوم والفلك، وعُرف أيضاً عند الإغريق والهنود والفرس، بل وعند عرب ما قبل الإسلام، حيث عُثر على بعض رسوم البروج في المعابد اليمنية، وجاء ذكره في كثير من آيات القران، مثل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٢]، وهنالك من العرب من اشتهر بمعرفة النجوم أمثال بني مارية وبني مرة بن همام الشيباني[٣].

بيد أن معرفة عرب الجاهلية بالفلك لم تكن تعتمد على دراسات منظمة، وكانت لا تتجاوز بعض الضروريات المتمثلة في النظر إلى السماء ومتابعة حركات الأجرام السماوية للاستفادة منها في معرفة أحوال الرياح وحوادث الجو في الفصول الأربعة، وفي تحديد المواسم والأعياد، ومواعيد

---

١ ـ طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ترجمه أحمد بن مصطفى بن خليل، الهند، حيدر أباد، ١٣٢٩هـ ، جـ١، ص٣٧٢.

٢ ـ سورة الأنعام: الآية٩٧.

٣ ـ إبراهيم إمام أحمد: تاريخ الفلك عند العرب، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٥.

الرحلات التجارية[١]، وفي كبس السنين أي النسيء الذي حرّمه الإسلام، فكان العرب يحلّون الشهر من الأشهر الحرم، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل، ويؤخرون ذلك الشهر[٢]ففيهم أنزل الله تعالى:﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٣].

واستمر الحال على هذا المنوال في صدر الإسلام حتى مجيء الأمويين، باستثناء ما قام به خالد بن يزيد بن معاوية، الذي تُرجم له أول كتاب في الفلك اسمه (عرض مفتاح النجوم) لهرمس الحكيم[٤] سنة١٢٥هـ/ ٧٤٣م، وأورد ابن القفطي أن الوزير الفاطمي أبا القاسم علي بن أحمد الجرجاني عثر في خزانة الكتب الفاطمية سنة ٤٣٥هـ/ ١٠٤٤م على كُرَة من نحاس من عمل بطليموس مدوَّن عليها "حملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية"[٥]، مما يؤكد اهتمام خالد بالفلك إلى جانب شغفه بعلم الكيمياء.

---

١ ـ المرجع السابق، ص١٥.

٢ ـ عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، مصدر سابق، جـ١، ص٣٠.

٣ ـ سورة التوبة: الآية٣٧.

٤ ـ هرمس الحكيم: فيلسوف كثرت حوله الخرافات بين المسلمين.وقد فرّق البعض بين ثلاثة يحملون هذا الاسم، الأول والثاني من بابل، والثالث مصري، ونُسب إلى المصري عدة كتب في أحكام النجوم والكيمياء والسحر. يُنظر محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٤٩٤.

٥ ـ أبو الحسن علي بن يوسف القفطي:إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر سابق، ص٢٨٦.

والحق أن اهتمام المسلمين الحقيقي بعلم الفلك لم يحدث إلا في عصر الدولة العباسية، فقد كان أبو جعفر المنصور محباً لعلم النجوم[١]، فعمد إلى تقريب المنجمين و استشارتهم، بل واصطحابهم في أسفاره ورحلاته مثل نوبخت الفارسي الذي اشترك مع محمد بن إبراهيم الفزاري والطبري في اختيار الوقت المناسب لوضع أساس مدينة بغداد[٢].

أما أهل السند فلم يكن اهتمامهم بالفلك والنجوم من جهة معرفة أسرار الكون فحسب، بل حتى من الناحية الاعتقادية فهم يثقون في أقوال المنجمين ويبنون عليها سياستهم وشؤونهم العامة، وذلك عكس المسلمين الذين جاء اهتمامهم به من حيث هو علم يبحث في أسرار الكون والأجرام السماوية، دون الاعتقاد بما يقوله هذا العلم على لسان علمائه السند والهند بالمغيبات، لأنه يصادم أصل الإسلام وعقيدة المسلمين، فالغيب من العلوم التي اختص بها الله سبحانه وتعالى نفسه، قال تعالى :﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[٣] ، فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وحده، وقد يطلع رسله على ما شاء من غيبه لحكمة ومصلحة، قال تعالى:﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[٤]، أي لا يطّلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لرسالته، فيظهره على ما يشاء من الغيب، لأنه يستدل على نبوته بالمعجزات التي منها الإخبار عن الغيب الذي يطلعه الله عليه.

---

١ ـ أبو داود سليمان بن حسان بن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٦٧.

٢ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: كتاب البلدان، طبعه المستشرق الهولندي دي خويه، ليدن، ١٨٩٢م، ص٢٣٨.

٣ ـ سورة النمل: الآية٦٥.

٤ ـ سورة الجن: الآيتين ٢٦،٢٧.

فأخذ المسلمون هذا العلم عن طريق علماء السند والهند، وانتشرت كتبهم في العصر العباسي، ومن أقدم الكتب التي عرفها المسلمون في هذا المجال كتاب (السِّدَ هانْتْ Siddhanta)، لمؤلفه الفلكي(بَرَهمَكَبْت Brahmgupta)[١]،وهو مكتوب باللغة السنسكريتية، وقد أحضره إلى بغداد في عصر الخليفة أبي جعفر المنصور سنة١٥٤هـ/ ٧٧١م العالم السندي منكه، وكان عالماً بالفلك، وقد تغيّر اسم هذا الكتاب أو حُرِّف في الوسط الإسلامي تحت تأثير الاشتقاق إلى لفظ (السند هند) الذي تنعكس فيه التسمية العربية لشطري الهند، ثم لم يلبث أن أطلق اصطلاحاً على كل مُصنّف في الفلك على طريقة الهند[٢].وألّف أبو إسحاق إبراهيم ابن حبيب الفزاري كتاباً بناه على كتاب (السند هند) واستخرج فيه قانوناً حوّل فيه سني الهنود النجمية إلى سنين قمرية[٣].ويقول كراتشوفسكي في هذا الصدد:"وقد استعمل الفزاري في كتابه، الأسس والمناهج الهندية في الحساب لوضع جداول فلكية جديدة وحفظ لنا على العموم أصل المذهب الذي أطلق عليه في العلم العربي (مذهب الهند سند) ولكنه أجرى فيه بالطبع تعديلات وإضافات جوهرية، وقام بتحويل حساب التوقيت الهندي إلى سني العرب، أي أنه استبدل بنظام الكلبا Kalpaحساب السنين القمرية المستعمل لدى المسلمين"[٤].ولم ينفرد الفزاري

---

١ ـ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٢٠٨. وأبو الحسن علي بن يوسف القفطي:إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر سابق، ص١٧٧.

٢ ـ كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، طبعة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٧م، جـ ١، ص٧٠.

٣ ـ كرلونلّينو: علم الفلك:تاريخه عند العرب في العصور الوسطى، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩١١م، ص١٦٢ ، ١٦٣.

٤ ـ كراتشوفسكي:تاريخ الأدب الجغرافي: مرجع سابق، صجـ١، ٧١ ، ٧٢.

بالاشتغال بالسند هند ونشرْ تعاليمه في زمن المنصور ومن بعده، فقد كان هنالك عالم آخر اهتم أيضاً بالفلك الهندي، وهو يعقوب بن طارق، وكان مشهوراً بين أهل الفلك، وله تصانيف جيدة فيه، ومن أهمها كتاب (الزيج[1] محلول في السند هند)[2] ـ أي مستخرج منه ـ ، وله أيضاً كتاب تركيب الفلك، الذي جمع بين دفتيه المعلومات التي استقاها من العلماء الهنود الذي قدموا إلى بغداد سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م.واعتماداً على بعض المعلومات التي ذكرها البيروني يتضح لنا أن يعقوب بن طارق لم يكتفِ في معلوماته على كتاب السند هند وحده، وإنما استعان بعددٍ من الآثار الأخرى، مما يدل على أنه كان أوسع من الفزاري معرفة بكتب الهند وأكثر اطلاعاً على أخبارهم[3].

وهنالك كتب هندية أخرى في علم الفلك تُرجمت مثل كتاب (الأركند Arkand)وهو عبارة عن زيج صغير، للعالم الفلكي (بَرَهمَكَبْت)، الذي ألفه في القرن الخامس الميلادي بعد كتاب سد هانت، وتُرجم الكتاب أيضاً إلى اللغة العربية ، وقد تعلَّم طريقته العالم الفلكي الرياضي يعقوب بن طارق في عام ١٦١هـ/ ٧٧٧م من عالم سندي لم تذكر المصادر اسمه، أتى بغداد أيام الخليفة المنصور[4].أما الكتاب الثاني الذي وصل إلى المسلمين من بلاد السند فهو كتاب

---

١ ـ الزيج: عبارة عن جداول فلكية حسابية مبنية على قوانين عددية توضح حركة كل كوكب، ويُفهم منها مواقع الكواكب في أفلاكها، وتواريخ الشهور والأيام والتقاويم. يُنظر عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر، مصدر سابق، جـ١، ص٥٤١.

٢ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٣٨٨.

٣ ـ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة، مصدر سابق، ص ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١.

٤ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ١، ص٩٣.

(الأرجبهر)[١]، الذي ألفه آريه بهت في القرن السابع الميلادي، وهو يعتبر تكملة لكتاب سد هانت، وإن اختلف عنه في بعض أصوله، وقد تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية على يد أبي الحسن الأهوازي في نهاية القرن الثاني الهجري، واستفاد منه العلماء المسلمون في بعض المعلومات التي لم تكن موجودةً في كتاب سد هانت[٢]. ولكن هذه الكتب لم تنل عند المسلمين شهرة مثلما نالها كتاب السند هند الذي عني به الفزاري، فلم يزل أساساً لأزياج المسلمين، وفي هذا السياق يقول القفطي عن (السند هند):"وبقي سائداً سيادة مطلقة حوالي الخمسين عاماً إلى ابتداء عصر المأمون، حيث بدأ المذهب اليوناني يزاحمه بترجمة كتاب (المجسطي) لبطليموس[٣].غير أنه لا يمكن القول بأنه قد اختفى العمل بالسند هند مرة واحدة بعد ظهور المجسطي، وإنما اتبع مذهبه عدد من علماء الفلك، وعنوا بإصلاحه وتهذيبه والإضافة إليه، ففي أيام المأمون وضع محمد الخوارزمي زيجه المسمى (السند هند الصغير)، وقد اعتمد فيه على النظام الهندي، إلا أنه غيَّر بعض المسائل لتتفق مع مذاهب الفرس واليونان، وأضاف إليه أبوباً حسنة، فاستحسنه أهل زمانه وطاروا به في الآفاق، وما زال نافعاً عند أهل العناية بالتعديل إلى زماننا هذا ـ أي زمان القفطي المتوفى سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م ـ أ.هـ."[٤] وعندما وصلت أصول السند هند الصغير إلى بلاد الأندلس القرن الرابع الهجري قام العالم مسلمة بن أحمد الجريطي المتوفى

---

١ ـ نلينو: علم الفلك وتاريخه، مرجع سابق، ص ١٧٢، ١٧٣.

٢ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ١، ص٩٣.

٣ ـ أبو الحسن علي بن يوسف القفطي:إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر سابق، ص١٧٧.

٤ ـ المصدر السابق، ص ١٧٧، ١٧٨.

سنة٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م بتلخيصه، ثم تـوالى علمـاء الأنـدلس يضـيفون عليـه إلى أن وصل إلى أيدي العلماء الأوروبيين فنقلوه إلى بلادهم[١].

ولم ينحصر دور العلماء المسلمين في نقل تلـك الكتـب فحسـب، بـل كـانوا يبذلون أقصى جهودهم في تقدمها وإضافة الجديد إليها، والعمل على تقدمها، حتـى أصبحوا شريكاً أساسياً في ركب الحضارة العلمية، وقدَّموا للعالم بحوثـاً قيّمـة، وكـان خلفاء بني العباس أنفسهم يهتمون بتقدم العلوم العقلية ليظهر بين المسـلمين عبـاقرة يضيفون لهذه العلوم، لا أن يبقوا مجرد مُقلِّدين، فقد أرسلوا الوفود العلميـة إلى بـلاد السند والهند من أجل البحث والتحقيق في كثير من المسائل العلمية المتعلقـة بـالعلوم المختلفة، كما كان كبار علمـاء بـلاد السـند يـأتون إلى حاضـرة الخلافـة الإسـلامية، وينشرون كتبهم ويدرّسـونها، ويتبـادلون الآراء مـع علمائهـا، وهكـذا اسـتفاد كـلا الجانبين الإسلامي والسندي، الأمر الذي ساعد على تقدم العلوم عندهما.وإن كـان ما دُوِّن من تلك الرحلات قد جاء في مراحل متأخرة، فمن العلماء الذين نزلوا بلاد السند، واختلطـوا بعلمائهـا وأخـذوا مـنهم علـوم الفلـك وقـدموا مـا عنـدهم مـن معلومات، محمد بن إسماعيل، في القرن الثالث الهجري، الذي كان مشهوراً في علـم الفلـك والنجـوم والرياضـة، وفي المقابـل حضـر علمـاء سـند إلى حاضـرة الخلافـة العباسية بغداد[٢].

ولا ننسى ما قام به الفرس من نقل إلى المسلمين بعـض كتـب الفلـك، ومـن بين تلك المصنفات الفارسية كتاب اشتهر باسم (زيج الشهريار)، ومعناه زيج الملـك، وقد نقله إلى العربية أبو الحسن علي بن زياد التميمـي، في منتصـف القـرن الهجـري الثاني. وهذا الزيج بُني على أصول أغلبها هندية، ويبدأ حساب توقيتـه ببدايـة ملـك يزدجرد الثالث آخر ملوك آل ساسان عام ٦٣٢م[٣].

---

١ ـ صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، مصدر سابق، ص٩٣.

٢ ـ صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي:طبقات الأمم، مصدر سابق، ص٩٨.

٣ ـ محمد بن إسحاق بن النديم:الفهرست، مصدر سابق، ص٣٤٢.

وهكذا ظهر لنا أثر علماء المسلمين في مجال الهيئة والنجوم، لم يقتصر على النقل والترجمة فقط، وإنما أسهم هؤلاء في العمل على تقدم هذا العلم بما أضافوه إليه من تصحيحات وآلات وأدوات جديدة بسبب حاجتهم الماسة إلى علم الفلك في تنظيم أمورهم الدينية والمعيشية، كمعرفة المواقع الجغرافية للبلدان، وتحديد مواقيت الصلاة في شتى أنحاء الخلافة، ومعرفة الكسوف والخسوف لأداء الصلاة، وتعيين جهة القبلة التي تُعد من مستلزمات الصلاة، وتحديد بداية الصوم والفطر، وحساب الأشهر والسنين لتحديد مواقيت الحج، وغير ذلك من الجوانب النافعة التي دفعت المسلمين لمعرفة المزيد من أسرار السماء والكواكب، لاسيما وقد دعت كثير من الآيات القرآنية إلى تأمل ذلك والتفكر في قدرة الخالق سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[١].

ثالثاً: العلوم الطبية :

الطب من العلوم القديمة، عرفه الإنسان منذ بدء الخليقة، غير أنه ارتبط عند أغلب الشعوب القديمة بالسحر والكهانة، فالمرض لم يكن سوى أرواح شريرة حلّت في الأبدان، ولا أمل في الشفاء منها إلا بالرقى والتعاويذ[٢]، ولكن بالرغم من ذلك فقد أسهمت بعض الشعوب بأثر بارز في تقدم المعارف الطبية، فقد كانت بلاد مصر الفرعونية غاصّة بالأطباء المتخصصين[٣]، كما ازدهر الطب عند البابليين والآشوريين في بلاد ما بين النهرين الذين كانت لهم ثلاث طرق لعلاج المرضى، منها العلاج بالطب الوقائي، والعلاج عن طريق تشخيص المرض ووصف الأدوية له، والعلاج

---

١ ـ سورة آل عمران: الآية١٩٠.

٢ ـ حياة سعيد عمر با أخضر: موقف الإسلام من السحر، دار المجتمع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، جـ١، ص٧٩ ـ ١٣٩.

٣ ـ هرودوت يتحدث عن مصر: ترجمة محمد صقر خفاجة، شرح أحمد بدوي، القاهرة، ١٩٦٦م،ص١٩٢، ١٩١.

بالسحر، وكانوا يعرضون مرضاهم في شارع معروف على المارة الذين سبق أن مرضوا ثم تعافوا للاستفادة منهم في التعرف على الأمراض التي أصابتهم والأدوية التي عُولجوا بها، ويكتبون ذلك على ألواح تُعلق ليقرأها كل إنسان[١].

وكان للإغريق أيضاً دراية بالعلوم الطبية، وشاع ذكر العديد من أطبائهم منهم جالينوس[٢] إمام أطباء الإغريق، وعالم التشريح الذائع الصيت[٣].وازدهر الطب أيضاً عند الفرس الذين عرفوا خليطاً من الطب الإغريقي والطب المصري القديم والطب الهندي[٤]،وخاصة بعد أن صارت مدينة جنديسابور أحد مراكز الطب المهمة، بعد إغلاق مدينة الرها سنة٤٨٩م، وما ترتب عليه من هجرة العلماء إلى جنديسابور، فاهتم بهم الأكاسرة وشجعوهم، فقاموا بتعليم الطب مما جعل طب جنديسابور أرقى بكثير من طب البلاد المجاورة، بما في ذلك بيزنطة وإنطاكية والإسكندرية إلى وقت ظهور الإسلام.

أما عرب الجاهلية فقد كان أغلب طبهم متوارثاً، اعتمدوا فيه على الكهانة والعرافة والرقى والتمائم، بالإضافة إلى استخدام بعض العقاقير

---

١ ـ شوقي موفق الشطي: موجز تاريخ الطب، دمشق، ١٩٥٧، ص٣.

٢ ـ جالينوس: ظهر بعد المسيح عليه السلام بسبع وخمسين سنة، ولم يتنصر، وإنما ظلّ على وثنيته، وكان كثير التنقل في البلدان، وأكثر أسفاره إلى روما، وكان محبوباً لدى الملوك والأمراء. لمعرفة المزيد من المعلومات عنه يُنظر أبو داود سليمان بن حيان بن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، مصدر سابق، ص٤١. وأبو الحسن علي بن يوسف القفطي:إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصدر سابق، ص٨٥ ـ ٩٢.

٣ ـ محمد بن إسحاق بن النديم:الفهرست، مصدر سابق، ص٤١٦.

٤ ـ فيلب حتى، مرجع سابق، ص٣١٩.وعبد الحليم منتصر:تاريخ العلم ودور العلماء، مرجع سابق، ص١١٤.وسامي خلف حمارنة:تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب، المطبعة الوطنية بعمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ص٣٥ ـ ٤٥.

النباتية والأشربة، أو الاستعانة بالجراحة كالفصد والحجامة والكي[١]، وكان هنالك أطباء خالطوا الفرس والروم وأخذوا عنهم بعض معارفهم الطبية، وامتد ببعضهم العمر فأدركوا الإسلام، مثل الحارث بن كلدة الثقفي، المسمى بطبيب العرب، الذي زار كسرى الفرس خسرو أنو شروان ونصحه بعدم إدخال الطعام على الطعام، وعدم دخول الحمام حال الشبع، وألا يغشى أهله وهو سكران، إلى غير ذلك من النصائح[٢].

وبظهور الإسلام عُرف نوعٌ جديد من الطب، هو الطب النبوي، الذي يشتمل على مجموعة من الأحاديث النبوية، تتناول بعض العلل كالصداع والشقيقة والرمد ....إلخ.كما تتعرض أيضاً لبعض طرق التداوي التي أجملها الرسول ﷺ في حديث سعيد بن جُبَيرٍ عنِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:"الشِّفاءُ في ثلاثة: في شَرطةِ محجم، أو شَربةِ عَسَل، أو كيَّةٍ بنار. وأنهى أُمَّتي عن الكيِّ"[٣]، كما عرف المسلمون في المدينة النبوية الطب السندي، فعندما اشتكت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من مرض من الأمراض عالجها طبيبٌ من الزط[٤].

---

١ ـ محمد كامل حسين: في الطب والأقراباذين، كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، القاهرة، ١٩٧٠، ص٢٦٨.

٢ ـ أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصدر سابق، جـ١، ص١١٠،١١١.

٣ ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، حديث رقم٥٥٥٣.

٤ ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: الأدب المفرد، مصدر سابق، ص٢٧.ولمعرفة المزيد عن الطب النبوي يُنظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد الزرعي بن قيم الجوزية:الطب النبوي، حققه عبد المجيد طعمه الحلبي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ٩وما بعدها.

واستمر الطب في الجزيرة العربية يسير وفق هذا المنوال طوال عهد الخلفاء الراشدين، حتى آلت الخلافة إلى بني أمية، فاستعانوا ببعض أطباء مدرسة الإسكندرية، مثل أبي الحكم النصراني الذي اتخذه معاوية طبيباً خاصاً له ولآل بيته[١] .وشهد هذا العصر أيضاً ترجمة بعض كتب التراث الإغريقي في الطب، على يد خالد بن يزيد، حين أمر بترجمة كتب النجوم والطب والكيمياء[٢]، وتتحدث المصادر أيضاً عن اعتماد الخليفة الأموي عمر بن العزيز على الطبيب السكندري عبد الملك بن أبجر في صناعة الطب بعد أن أسلم على يديه[٣].

وزاد تأثر المسلمين بالطب الإغريقي بشكل واضح في عصر بني العباس، وذلك بسبب استعانتهم بمدرسة جنديسابور، التي كانت تُعد أحد أشهر مراكز الطب الإغريقي، بدليل أن الخليفة أبا جعفر المنصور عندما مرض استقدم جورجيس بن بختيشوع، رئيس أطباء هذه المدينة، وصار جورجيس طبيبه الخاص، ومنذ ذلك الوقت وجد الأطباء النصارى طريقهم إلى بلاط الخلافة في بغداد، فعاشوا في عز وجاه على مدى قرنين ونصف تعاقب خلالها ستة أجيال من أطباء هذه الأسرة[٤].

ولم يكتف المسلمون بالمدرسة اليونانية في الطب، فقد أخذوه أيضاً من الفرس وأهل السند والهند، حتى أصبح الطب عندهم خلاصة لتجارب الأمم المختلفة، وكان المسلمون في بداية العصر العباسي قد بحثوا عن هذا العلم فما من مدرسة إلا

---

١ ـ أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصدر سبق، جـ١، ص١١٩.

٢ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٣٤٣،٣٤٤.

٣ ـ أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصدر سابق، جـ١، ص١١٦.

٤ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٢٩٦. وأبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصدر سابق، جـ١، ص١٢٣ـ١٢٥.

وقد شدوا إليها الرحال، وذلك بحكم طبيعتهم الميَّالة إلى العلم والمعرفة، إضافة إلى اهتمام العباسيين بصفة خاصة بالعلم.

وكان اهتمام المسلمين بالطب الهندي السندي أكثر من غيره، وذلك لعدة دوافع منها ما ذكره أصحاب التراجم والمؤرخون من أن أهل الهند والسند كانوا ذوي حضارة غنية في فروع عديدة من العلوم والمعارف، كالمهن الصحية والمداواة ومعرفة العلاج والسموم جعلتهم في مصاف الشعوب الراقية[1]، إضافة إلى اهتمام البرامكة بالعلوم السندية الهندية والعمل على ترجمتها إلى العربية، ومنها أن بعض الخلفاء أُصيبوا بأمراض فشل الأطباء العرب واليونان في معالجتهم، بينما نجح الأطباء السند والهند الأمر الذي جعل الأنظار تتجه إليهم، فاسْتُقْدِمُوا إلى دار الخلافة ببغداد، ومنذ ذلك الحين بدأ الخلفاء وكبار رجال الدولة يهتمون بالطب السندي والهندي[2]، وإرسال الوفود العلمية إلى تلك البلاد، كما فعل الوزير العباسي يحيى بن خالد البرمكي عندما أرسل وفداً علمياً للبحث عن الأدوية والعقاقير الطبية وإحضارها إلى العراق[3]، وكذلك بإحضار الكتب الطبية واستقدام كبار الأطباء للعمل في بغداد، وقد كان الطبيب ابن دهن الهندي رئيساً على دار الشفاء للبرامكة في بغداد[4]، كما كان الطبيب الهندي منكه (Mankah) مشرفاً على دار الحكمة للترجمة من اللغة السنسكريتية إلى اللغة العربية[5]، ويُقال إنه هو الذي ترجم كتاب شاناق في السموم

---

١ ـ صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي:طبقات الأمم، مصدر سابق، ص٩.

٢ ـ أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصدر سابق، جـ٢، ص٣١. محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٤٢١.

٣ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٢٤٥.

٤ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جـ١، ص١٠٥.

٥ ـ محمد بن إسحاق بن النديم:الفهرست، مصدر سابق، ص٢٤٥.

والترياق، ومن المرجح أن هذا المؤلَّف يحوي معلومات سرية، محفوظة في خزائن الملوك والأطباء ولا يطلع عليها أحد، حتى أعضاء العائلة المالكة، وهي تصف أنواع المواد السامة وتأثيراتها، واكتشاف العلامات التي تشير إلى وجودها لئلا يُصاب أحد الملوك بأذى من عدو.وقد استفاد المسلمون من أطباء السند والهند الذين عملوا معهم، وأفادوا العلوم الطبية بأبحاث وتحقيقات وإضافات عربية كان لها إسهامها البارز في تقدم هذا العلم المهم، ولم يمض وقت طويل حتى برز المسلمون وظهر منهم أطباء عباقرة قدَّموا للعالم حضارةً راقية اخترقت الغرب الأوروبي وأفادت البشرية جمعاء، بما في ذلك أهل السند والهند أنفسهم الذين نقلوا تلك الكتب إلى لغتهم، نتيجة لما حوته من منهج جديد وإضافات مهمة في المجال الطبي، لا سيما أن الأدوية المتداولة عند أهل السند والهند كانت عبارة عن الأدوية المستخرجة من العقاقير المعروفة في بلادهم، فقدّم إليهم المسلمون العرب أدوية جديدة وأبحاثاً طبية حصلوا عليها من مناطق أخرى أو اكتشفوها هم، ولم يعرفها أهل السند من قبل[١].

وقد تُرجمت في العصر العباسي عشرات الكتب العلمية للأطباء السند والهند، من السنسكريتية والسندية إلى العربية في بغداد بواسطة العلماء السند والهند بالاشتراك مع العلماء المسلمين العرب، وكان لحركة الترجمة هذه أثر كبير في تقدم علم الطب عند المسلمين، ومن أشهر الكتب في علم الطب والأدوية والأمراض، كتاب (شسرد)، الذي يحتوي على عشرة أبواب فيها تفصيل عن علامات وظواهر الأمراض المختلفة وطرق علاجها والأدوية اللازمة لها[٢]، وكتاب (شيركا Charaka) الذي اشتهر

---

١ ـ أبو الحسن علي بن سهل الطبري: فردوس الحكمة، تحقيق محمد الصديقي، مؤسسة جيب، برلين، ١٩٢٨م، ص ٢ ـ ٨.

٢ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٣٠٣.

باسم مؤلفه الطبيب الهندي جرك[١]، وكتاب (سندستاق) ومعناه صفوة النجاح[٢]، وكتاب (ندان) الذي يحوي بيانات مهمة لوصف أربعمائة وأربعة من الأمراض، وهو لا يحوي شرحاً لعلاجها، وهنالك كتاب (استانكر)[٣]، وكتاب الأدوية الهندية واليونانية وميزاتها، وكتاب آخر يضم العقاقير الطبية ، وكتابان للطبيب نوقشتل، أحدهما فيه أسماء مائة مرض و مائة دواء، والثاني فيه بيان لظواهر الأمراض وأسبابها وعلاجها[٤]، وهنالك كتاب للطبيبة الهندية روسا يبين علاج أمراض النساء، وكتاب في بيان المخدرات[٥].وعرف المسلمون أيضاً من أهل الهند والسند بعض الأدوية التي يُقال أنها تعمل على إطالة الحياة، الأمر جعل بعض المسلمين يحرصون على اقتنائها[٦].

وفي علم الطب البيطري أيضاً وُجدت عدة كتب في العصر العباسي، منها كتاب شاناق الذي عُرف باسم مؤلفه الطبيب الهندي شاناق، وهنالك كتب في علم السموم (toxicology)، ومنها كتاب علم الثعابين للعالم الحكيم راي، وقد حوى الكتاب معلومات مهمة عن أنواع الثعابين وسمومها[٧]،إضافة إلى كتاب آخر للطبيب شاناق في علم السموم كان موجوداً بالعربية حتى القرن الرابع الهجري، وقد كتب عنه الطبيب ابن أبي أصيبعة بأنه يحتوي على خمسة أبواب[٨].

---

١ ـ المصدر السابق: ص٣٠٣.

٢ ـ المصدر السابق: ص٣٠٣.

٣ ـ المصدر السابق: ص٣٠٣.

٤ ـ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، المطبعة العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٣٧م، ص٤ـ ٣١.

٥ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٣٠٣.

٦ ـ F.S.Taylor:The Alchemists,London,1958,p.68.

٧ ـ محمد بن إسحاق بن النديم:الفهرست، مصدر سابق: ص٣٥٣.

٨ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصدر سابق، جـ٢، ص٣٣.

وقـد عـرف أطبـاء العصـر الإسـلامي العـلاج السـريري مـن خـلال البيمارستانات التي عني الخلفاء بتشييدها في شتى بقاع العالم الإسلامي لتوفير العلاج المجاني للمرضى.والبيمارستان لفظة فارسية تتألف من مقطعين (بيمار) بمعنى مريض أو مصاب، و(ستان) بمعنى مكان أو دار، وبـذا يكـون المعنـى موضـع المرضـى، أي المستشفى، ثم اختُصِرَتْ في الاستعمال فصارت (مارستان)[١]. وقد كان معروفـاً عنـد الإغريق، فقد جعل أبقراط بستانه موضعاً لعلاج المرضى وفيه عدد من الخدم الـذين يقومون بمداواة المرضى[٢].وعُرفت المارستانات أيضـاً في بـلاد فـارس، ومـن أشـهرها مارستان جنديسابور الذي شُيّد فيها قبل الإسلام بثلاثة قـرون، واسـتعان المسـلمون بالعديد من أطبائه، وعلى هذا فليس ببعيد أن يكـون قـد تـرك بصـماته أيضـاً علـى المارستانات الإسلامية، التي أُقيم أول مثال لها في الإسلام علـى يـد الخليفـة الأمـوي الوليد بن عبد الملك في مرج عذراء شمال شرقي دمشق سـنة ٨٨هـ/ ٧٠٦م، علـى الرغم من أنه كان قاصراً على رعاية المجذومين لئلا ينقلوا مرضهم إلى الآخرين[٣].

أما في العصر العباسي فينسب إلى الخليفة العباسي هـارون الرشـيد بنـاء أول مارستان على نمط مارستان جنديسابور، فقد أوكـل إلى طبيبـه الخـاص جبرائيـل بـن بختيشوع الإشراف علـى تشـييده في مدينـة بغـداد، وأراد في بـادىء الأمـر أن يعهـد برئاسته إلى دهشتك الهندي، رئيس مارستان جنديسـابور، إلا أنـه اعتـذر لـه ورشَّـح بدلاً عنه ماسويه الخزي، فقلَّدَهُ الرشيد إيَّاه[٤].

---

١ ـ المصدر السابق، جـ١، ص٢٧.وأحمد عيسـى: تـاريخ البيمارسـتانات في الإسـلام، دمشق، ١٩٣٩م، ص٤.

٢ ـ أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصـيبعة: عيـون الأنبـاء في طبقـات الأطبـاء، مصدر سابق، جـ١، ص٢٧.

٣ ـ فرج محمد الهوني: تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، بنغازي، ١٩٨٦، ص٢٠.

٤ ـ ابن أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصدر سابق، جـ١، ص١٧٤.

وشيّد البرامكة بدورهم مارستان آخر في بغداد، عهدوا برئاسته إلى الطبيب الهندي ابن دهن[١]، واستمرت هذه المارستانات خلال عصور الدولة العباسية وانتشرت في كل أرجاء الدولة، وعرف العالم الإسلامي نوعاً آخر من المارستانات المحمولة، التي كانت تُزوَّد بالأطباء والصيادلة وجميع ما يلزم المرضى من أدوية وعقاقير وأطعمة وأشربة وملابس بهدف مصاحبة الجيوش أثناء الحرب، ترجع فكرتها إلى صدر الإسلام عندما كانت بعض الصحابيات يتبعن الجيوش الإسلامية لمعالجة المرضى[٢].

وكان من جرّاء هذا التقدم الهائل الذي حققه الطب الإسلامي إبان العصور الوسطى، أن أقبل الغرب الأوربي على مصادره ينهل منها في محاولةٍ لسد النقص الذي كان يخيم على الطب الغربي آنذاك، فقاموا بترجمة أهم المؤلفات إلى اللغة اللاتينية[٣].ويكفي للدلالة على مكانة الطب الإسلامي ومدى استفادة الغرب الأوربي منه أن نذكر ما كتبه المستشرق الألماني بيتر باخمان في هذا الصدد إذ يقول: "يمكن أن أُشبِّه الطب العربي بجزيرة واسعة عجيبة واقعة في المحيط، ذات جبال عالية، ورياض مزهرة، وأنهار جارفة، وبساتين فائحة، كما أن فيها صحراء خالية ليس فيها من الحياة إلا ما عاش في بعض الواحات. وإذا بالمكتشفين يجتازون البحر من جميع النواحي في طلب هذه الجزيرة يرغبون في اكتشاف أسرارها ويرومون النزول إلى معادنها، ويقصدون إلى اقتطاف أزهار رياضها، وأما الجبال العالية والرياض المزهرة والأنهار والبساتين، فهي رموز إلى أعلام الطب العربي وإلى مؤلفاتهم الرائعة البديعة، وأما الصحراء الخالية التي فيها بعض الواحات، فهي صور الأطباء الذين اختصروا مؤلفات متقدميهم، وشرحوها الشروح التي قد كُتبت من قبل. وأحياناً عبَّروا عن فكرة جميلة جديدة، وأحياناً أقدموا على نقد القدماء، وعلى

١ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٢٤٥.

٢ ـ محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ ٨، ص٣١٢.

٣ ـ مونتجومري وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مرجع سابق، ص ١٨ ـ ٢٣.

سلوك طرق لم يسلكها أحد من قبلهم. وأما المكتشفون الذين يجتازون البحر من جميع النواحي، فهم الباحثون عن تاريخ الطب العربي وأعلامه وتطوره. وهم هيئة تتألف من علماء بلدان مختلفة من جميع الأجناس والأديان، ويدل على هذا الاهتمام العالمي بالطب العربي على أن الكتب الطبية العربية فيها قوة عقلية لم تزل تؤثر على الناس حتى يومنا هذا وستظل في المستقبل إن شاء الله"[١].

ومما تقدم يتبين لنا الإسهام الكبير الذي قدمه المسلمون السند للحضارة الإسلامية في مجال العلوم العقلية، فقد وصلوا في فترة وجيزة من عُمر التاريخ إلى أقصى ما يمكن اكتسابه من المعارف في هذه العلوم، وكان لهم الفضل ـ بعد الله ـ في تقدمها وازدهارها بكافة فروعها، ذلك التقدم الذي استحقوا عليه أن يكونوا حقيقة أساتذة للأجيال اللاحقة.وقد تأكد لنا أن خدمة هؤلاء العلماء لتلك العلوم لم تقتصر على حفظ ونقل تراث الأمم السابقة، بل كانت لهم إسهامات هائلة في إغنائها والإضافة إليها، وقد استفاد العلماء المسلمون من تلك العلوم فأخذوها وأضافوا إليها العديد من الحقائق العلمية الجديدة، ولهذا حفل التراث العلمي الإسلامي بالكثير من أفكارهم ونظرياتهم العلمية الأصيلة التي أجمع المؤرخون لتاريخ العلم على أهميتها.

---

١ ـ نقلاً عن محمد كامل حسين: الموجز في تاريخ الطب، ص٢٥٢،٢٥٣.

الفصل الرابع

نتائج التمازج الفكري

بين الثقافة الإسلامية العربية والسندية

(١) حركة التواصل العلمي والفكري بين بلاد العرب والسند.

(٢) إسهام علماء السند في الصرح العلمي الإسلامي.

(٣) تطور اللغة السندية.

نتائج التمازج الفكري بين الثقافة الإسلامية العربية والسندية

يقف المرء مشدوهاً أمام الفتوحات الإسلامية، التي تُعتبر معجزة التاريخ الإنساني على مرِّ العصور.فقد استطاع بدو الصحراء وبلا سابق تجربة أن يخوضوا معارك عُظْمَى فاصلة، ضد جيوشٍ نظاميّة مدرَّبة، وبسلاحٍ بسيط، استطاعوا أن يغيّروا الإنسان ـ وليس خارطة الأرض ـ فكراً وثقافةً ونمط حياة.

فلو قلنا أن سرّ هذه الانتصارات كان بسبب ضعف فارس ووَهَن الروم، فنجد أن هؤلاء الفاتحين قد خاضوا في اليرموك معركة كان فيها الروم أضعاف عددهم، ومعهم عدد غير قليل من نصارى العرب، وفي الوقت نفسه كانوا يحاربون الفرس في القادسية[١]، وترتيبات الفرس والروم وإمداداتهم عريقة، وهما يحاربان في أرض سيطروا عليها منذ زمن طويل. بل نجد أن المسلمين انتصروا في الجزيرة العربية وهم قلّة على إخوانهم وأبناء عمومتهم وهم كثرة، خصوصاً في حروب الردة، فالبنية الجسدية واحدة، والبيئة واحدة.

ولو قُلنا أن الفاقة دفعت هؤلاء البدو إلى الأراضي الخصيبة، والمدن العامرة في الممالك المجاورة في الشمال.فقد عرض مشركوا مكة على رسول الله ﷺ المال والجاه والنساء، من قَبْلُ فكان ردُّه:"...ما جئتُ بما جئتُكم به أطلبُ أموالَكم، ولا الشّرفَ فيكم، ولا المُلْك عليكم، ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ..."[٢]، فدانت له ﷺ جزيرة العرب، وبقي على تقشفه وزهده.وكان ردُّ زُهرة بن حويَّة رضي الله عنه[٣] على رستم في القادسية عندما قال له: انصرف وقومك ولكم منّا جُعلاً.قال له:"إنّا لم نأتكم

---

١ ـ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص٧٠، ٧١.

٢ ـ عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، مصدر سابق، جـ١، ص ١٩٥.

٣ ـ زهرة بن حوية: أحد قواد سعد بن أبي وقاص في القادسية، "قيل أنه هو الذي قتل قائد الفرس رستم". خليفة بن خياط:تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص ٧٢.

بطلبِ الدّنيا، إنما طَلَبَنَا وهِمّتنا الآخرة..."[١].ولـو أراد المسـلمون الثـروة والغنيمـة، فتكفيهم فلسطين، أو غوطة دمشق، أو نصف دلتا مصر، أو سواد العراق، فَلِمَ فتوح السند، وما وراء النهر، والأندلس؟[٢].

لقد عرف التاريخ فاتحين كُثُر، مثل:الهيكسوس الذين اجتاحوا مصر، ولكنهم عادوا إلى بلاد الشام يحملـون ديانـة الفراعنـة وأنمـاط حيـاتهم.والمغول قضـوا علـى الخلافة الإسلامية في بغـداد بقيـادة هولاكـو، ولكـنهم لم يسـتطيعوا إقامـة حضـارة، فعادوا إلى بلادهم مسلمين[٣]. أما الفتح الإسلامي فلم ينحسر عن عزيز وذليـل، بـل انحسر عن تحريرٍ وعلمٍ وطمأنينة، ووحدة في العقيدة والمنهج، وتـداخل أفـراده مـع الشعوب الأخرى، فتزاوجوا معهم وأخذوا ما عندهم من علـوم، فهـذّبوها وشـذبوا عنها ما يخالف عقيدتهم، وبسطوا إليهم عقيدة الإسـلام برفـق ويسـر، فـأقبلوا علـى الإسلام رغبة، وتعلموا اللغة العربية، وتركوا لغة أجـدادهم، وبقـي الإسـلام فـيهم حاكماً وبين ظهرانيهم قائداً، فلم يغب نجمه عندما زال ملك المسلمين، الأمـر الـذي يدفعنا لإبراز نتائج ما حدث من تمازج بين المسلمين وأهل السند في الناحية الثقافيـة، وسنتناول ذلك عبر محاور ثلاث.أولها حركة التواصل العلمي والفكـري بـين السـند وبلاد العرب.وثانيها ما قام به علماء السند من إسهامات في بناء الصرح الإسـلامي، وثالثها تطور اللُّغة السندية ومدى تأثرها باللغة العربية.

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٤، ص٣٤١، ٣٤٢.

٢ ـ شوقي أبو خليل: في التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص٢٧٣ ـ ٢٩٥.

٣ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ١٣، ص٢٧٩.

(١) حركة التواصل العلمي والفكري بين بلاد العرب و السند

هنالك عوامل عديدة دفعت المسلمين إلى تلقِّي العلم، ومن ثمّ بثه بين المسلمين الذين لم تسمح لهم ظروفهم بالتفرغ وأخذ العلم من أفواه العلماء، وفي المقابل هنالك أيضاً دوافع كانت وراء اهتمام أهل السند من غير المسلمين لتعلُّم العلم ـ العقلي خاصة ـ ونشره بين المسلمين.

فلو نظرنا إلى دوافع المسلمين لتلقِّي العلم نجدها كثيرة ومتنوعة، ولذلك سنأخذ منها ما نظنُ أنه ينطبق على ما حدث من ثورة علمية في بلاد السند.ومن أهم تلك الدوافع:الدافع الديني لطلب العلم، فقد حثَّ المفكرون المسلمون المتعلمين على حُسن النية في طلب العلم، وأرشدوهم إلى ضرورة مراعاة ذلك في سلوكهم العلمي، بل هنالك ما يشير إلى أنهم أدركوا أن طلب العلم والمثابرة عليه والاندفاع في طلبه قد يؤدي إلى تصحيح النية، لأن العلم في الغالب يقود صاحبه إلى رضا الله والدار الآخرة، قال الحسن البصري:"كنّا نطلب العلم للدنيا فَجَرَّنا إلى الآخرة"[١]، ويظهر الانتفاع بالعلم من خلال بذله للآخرين، وبذل العلم زكاة له، كما في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "عِلمٌ لا يُقالُ بهِ كَكَنْزٍ لا يُنفَقُ مِنْهُ"[٢].ومن الدوافع أيضاً لطلب العلم، الدافع الاجتماعي، فلما كان حُب الإنسان لنيل المنزلة الاجتماعية المحترمة، كان العلم دافعاً قوياً لذلك، فقد نال جماعة بالعلم من السيادة ما لم ينله حتى الأمراء والحكام، ومن ذلك ما رُوِيَ أن الحجاج بن يوسف قال لخالد بن صفوان:"مَنْ سيِّد البصرة؟ قال له الحسن، فقال وكيف ذلك وهو مولى؟ فقال:احتاج الناس إليه في دينهم، واستغنى

---

١ ـ برهان الدين الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص٣٦.

٢ ـ محمد ناصر الدين الألباني:صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، جـ٢، ص٧٤٤.

عنهم في دنياهم، وما رأيت أحداً من أشراف أهل البصرة إلا وهو يروم الوصول في حلقته ليستمع قوله، ويكتب علمه، فقال الحجاج:هذا والله السؤدد"[١].

وإذا كان البعض قد يطلب العلم ابتغاء منزلة اجتماعية محترمة داخل المجتمع، فإن البعض الآخر قد يطلبه من أجل مزيد من الكسب والثروة، ولعلَّ هذا الدافع كان أكثر بروزاً في العصر العباسي، فقد وَجَدَ طلبة العلم تشجيع الخلفاء لهم، وبذل المال والهدايا إليهم. وبالتالي ساهمت عطايا الحكام والولاة في الإقبال على طلبه والبروز فيه، ومن تلك العلوم التي وجدت حظها من الدعم، مهنة الطب إذ كان للعطاء السخي الذي يناله الطبيب في صورة أجور وهدايا الأثر الإيجابي لتعلُّم تلك المهنة[٢]، وعلى النهج نفسه أقبل المتعلمون على دراسة الفقه والكلام والجدل والمناظرة فقد وصف الغزالي هذه الفئة بقوله:"...فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة..."[٣].وهكذا نجد أن المتعلم المسلم سواءً كان من العرب أم من أهل السند، قد توفرت له دوافع متعددة لطلب العلم، وتكوّنت لديه حوافز عدة للإقبال عليه.

أما إذا نظرنا إلى دوافع أهل السند من غير المسلمين لتعلم العلم ونشره في أوساط المسلمين فنجدها تشترك مع دوافع المسلمين في عاملين هما: الدافع الاجتماعي وطلب الثروة، وهنالك دافع خفي يمكن أن نستشفه من بعض الأحداث، وهو رغبة بعض ممن عجزوا عن مواجهة الإسلام في ميدان القتال،

---

١ ـ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، مصدر سابق، جـ١، ص٦٢.

٢ ـ عبد الرحمن النقيب: الإعداد التربوي المهني للطبيب عند المسلمين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٠٥.

٣ ـ أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الريان، القاهرة، بدون تاريخ، جـ١، ص٤٢.

فقرروا الكيد له من الداخل بالتسلق في سلالم السلطة، وبث عقائدهم الخربة بدلاً عن عقيدة الإسلام، وهذا لا يتأتى إلا لمن أخذ بحظ من العلم وافر، جعله مثار إعجاب الخلفاء الذين لم يتوانوا في تقليده أرفع المناصب[1].

ومهما يكن من أمر فإن العلماء وطلبة العلم، قد توافروا في بلاد السند، وانتقل بعض العلماء من المسلمين العرب إلى السند، وقدِم بعض العلماء السند إلى بلاد العرب فأصبحت هنالك حركة تواصل بين بلاد العرب والسند.وبدأت هذه الحركة مع بداية الفتوح الإسلامية في عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﵁، ثم تتابعت في العصرين الأموي والعباسي، الأمر الذي يدفعنا لإلقاء الضوء على تلك الحركة خلال العصور المذكورة، مع الأخذ في الاعتبار أن هنالك بعض القادة كانوا من جملة العلماء، وبجانب ذلك فقد كان بعضاً منهم لا يتجاوز دورهم الحملات العسكرية، فلذلك لم نتعرض لهم.

(١)حركة التواصل العلمي والفكري في عصر الخلفاء الراشدين:

بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وانتشار الإسلام في ربوع المعمورة، على أيدي الصحابة ﭫ، تفرَّق أصحاب رسول الله ﷺ في الأمصار، يُعلِّمون الناس الدين وينشرونه بينهم، ولم يكدْ ينتهي عصر هؤلاء الصحابة الكرام، إلا وقد ظهر على الساحة العلمية تلاميذ لهم قادوا الحركة العلمية، ودفعوا عجلتها إلى الأمام، حيث بدأت حلقات العلم تزدهر في كل أرض إسلامية.

ولما حدثت أُولى المحاولات لفتح السند في عصر الفاروق ﵁، وتحديداً في منطقة مكران، كان قادة الفتح من الصحابة والعلماء والدعاة، وكان

---

١ ـ كالدور الذي قام به الوزير الشيعي ابن العلقمي في إسقاط الخلافة العباسية وبعض الزنادقة. يُنظر سعد بن حذيفة الغامدي: سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام، دار ابن حذيفة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٣٣٠ وما بعدها.

معهم نخبة من العلماء، ومن هؤلاء القادة الحكم بن أبي العاص الثقفي ﵁، وأخوه المغيرة بن أبي العاص، وحكيم بن جبلة العبدي، والحكم بن عمرو الغفاري[١]، فهؤلاء وإن كان ظاهر عملهم قيادة فتح إلا أنهم كانوا علماء قدَّموا للناس ما عندهم من علم شرعي، فربطوا المنطقة بعاصمة الخلافة علمياً[٢]. أما وجود علماء من أهل السند في دار الخلافة، فهذا لم يحدث وذلك لقلة مَنْ برز منهم في مجال العلوم الشرعية،إضافة إلى أن الخليفة الفاروق ﵁ لم يكن يسمح بوجود الأعاجم في المدينة النبوية[٣]، عدا بعض المجموعات من الأطباء السند في المناطق التي توجد بها جاليات سندية، أو أولئك الذين كانوا يقيمون في عاصمة الخلافة منذ أمدٍ بعيد، فقد ذكرت المصادر وجود طبيبٍ أُحضر لعلاج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[٤]. ولنأخذ بعض النماذج لأولئك العلماء القادة الذين قدموا بلاد السند:

أ ـ الحكم بن عمرو الغفاري ﵁:

اسمه الحكم بن عمرو بن مجدع بن الحرث بن عبد مناة بن كنانة، صحب الرسول ﷺ حتى قُبض[٥]، ثم تحوّل إلى البصرة فنزلها، كان قائد لواء مكران عندما أذن عمر بن الخطاب ﵁ بالانسياح في فارس، فتقدّم بجيوشه

---

١ ـ أبو جعفر محمد بن حبيب بن عمرو الهاشمي البغدادي: كتاب المحبر ، صححه ايلزة ليختن شتير ،دار الأوقاف ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص٢٩٥.

٢ ـ عبد الحي فخر الدين الحسني الندوي: نزهة الخواطر، جـ١، ص٥ـ ٧.

٣ ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام، مصدر سابق، جـ٢، ص٦١.

٤ ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: الأدب المفرد، مصدر سابق، ص٢٧.

٥ ـ عبد الباقي بن قانع أبو الحسين: معجم الصحابة، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، جـ١، ٢٠٩. ومحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م، ص٦٠.

حتى وصل نهر السند (مهران)، وبعث بالأخماس والفيلة إلى الخليفة. وقد كان راوية للسنة، حدّث عنه الحسن البصري ومحمد بن سيرين.مات بمرو سنة ٥٠هـ/ ٦٦٩م[١].

ب ـ صحار بن عباس العبدي ﵁:

كان في وفد عبد القيس الذين جاءوا إلى الرسول ﷺ، وهو من علماء البصرة، كان بليغاً لسناً، مطبوع البلاغة، مشهوراً بذلك[٢].روى عنه أبناءه عبد الرحمن وجعفر، وهو أيضاً من النسّابين والخطباء أيام معاوية بن أبي سفيان ﵁، وكان عثمانياً، روى عن النبي ﷺ حديثين أو ثلاثة، وله من الكتب كتاب الأمثال[٣].ولما أعاد الحكم بن عمرو الغفاري فتح مكران، بعث بالأخماس والفيلة مع صحار العبدي للخليفة الفاروق ﵁.فسأله الخليفة عن مكران ـ وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذي يجيء منه ـ فأجابه: "سهلها جبل، وماؤها وشل، وتمرها دقل، وعدوّها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها شر منها" فقال له عمر﵁:"أساجع أنت أم مخبر؟قال: لا بل مخبر، قال:لا،والله لا يغزوها جيش لي ما أُطِعْتُ"[٤]

وفي عصر الخليفة عثمان بن عفَّان ﵁ تتابع الفاتحون من العلماء على أرض السند، ومنهم عبيد الله بن معمر التيمي[٥]. وكانت سياسة عثمان بن

---

١ ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٢، ص٤٧٤.

٢ ـ أحمد بن علي بن محمد الكناني بن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، مصدر سابق، جـ٣، ص٥٥٨.

٣ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص١١٨.

٤ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٥، ١٧٣.

٥ ـ عبيد الله بن معمر: هو عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي . مختلف في صحبته . قتل باصطخر سنة ٣٢ هـ/ ٦٥٢م.يُنظر شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تجريد أسماء الصحابة ، مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٣٦٤ . وشهاب الدين عبد الحي بن أحمد العسكري بن العماد الحنبلي:شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٣٨ .

عفان ﷺ تجاه الأعاجم تختلف عن سياسة الفاروق ﷺ، فقد سمح لهم بـدخول عاصمة الخلافة، فدخل منهم أصحاب المهن كالحدادة، والنجارة، ولاشـك أن أنه وجد بينهم بعض الأطباء من أهل السند.

ولما تولَّى علي بن أبي طالب ﷺ الخلافة، واصـل إرسـال العلمـاء مـن القادة للقيام بالفتح ونشر تعاليم الدين، ومـنهم الحـارث بـن مـرة العبـدي[١]، وقد استفاد الخليفة من أهل السند أصحاب الخبرة في الصيرفة والحساب، فقـد كان على بيت مال البصرة رجال من السند على رأسهم أحـد العلمـاء السـند يُدعى أبو سالمة الزطي[٢].

ج ـ سعد بن هشام:

هو سعد بن هشام بن عامر الأنصاري، ابن عم أنس بن مالك ﷺ، أُستشـهد والده هشام بن عامر ﷺ يوم أحد[٣]، وهو تابعي روى عن أبيـه وعـن عائشـة رضـي الله عنها، وابن عباس وأبي هريرة وسمرة بن جندب وأنـس ﷺ[٤]. وروى عنـه حميـد ابن هلال وزرارة بن أبي أوفى والحسن البصري[٥]. كان من عُبّاد التابعين والمـواظبين على الغزو، استشهد بمكـران[٦]، ولكـني لم أقـف علـى السـنة الـتي استشـهد فيهـا، و الراجح أنه في عصر الخلفاء الراشدين.

وهكذا نجد أن العصر الراشدي لم يشهد حركة علمية واضحة من أهـل السند إلى بلاد العرب، فقط كانـت هنالـك مجموعـات مـن العلمـاء المسـلمين

---

١ ـ الحارث بن مرة العبدي: كان أحد قواد علي في صفين، استشهد في مكران سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص ١١٥ و ١١٧ و١٢١.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ٤٢٢.

٣ ـ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي:الثقات، مصدر سابق، جـ٣، ص٤٣٣.

٤ ـ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي:الجرح والتعديل، مصدر سابق، جـ٤، ص٩٦.

٥ ـ محمد بن سعد:الطبقات الكبرى، جـ٧، ص١٥٦.

٦ ـ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي:مشاهير علمـاء الأمصـار، مصـدر سـابق، جـ١، ص٩١.

العرب ذهبت إلى بلاد السند، فكان لها أثر واضح في اهتمام أهل السند بأخذ العلم الشرعي، فظهرت ثمرته تلك الجهود في العصور التالية.

(٢) حركة التواصل العلمي والفكري في عصر بني أمية :

شهدت بلاد السند حركة علمية نشطة بالمقارنة مع عصر الخلفاء الراشدين، إذ أن تلك الحقبة كانت بداية الفتح الكامل لبلاد السند، فقد وصلت طلائع الفتح إلى كل أرجاء المنطقة.وتمّ الفتح على يد ابن القاسم في ولاية الحجاج بن يوسف على العراق، فدخل المسلمون بأعداد كبيرة، وكان من بينهم العلماء القادمون من العراق التي قطنتها مجموعةٌ منهم منذ بداية فتحها في عهد الفاروق عمر ﷺ، الذي بعث إليها خيار الصحابة وعلى رأسهم عبد الله بن مسعود ﷺ. فعندما ولّى الخليفة عمر ﷺ عمار بن ياسر ﷺ الكوفة سيَّر معه ابن مسعود وكتب إلى أهلها: "إني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر، فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي"[١]. ثم تتابع العلماء من الصحابة وخيار التابعين إليها، وعندما فُتحت بلاد السند في عصر بني أمية تدفق إليها عدد من علماء الصحابة والتابعين وكان أكثرهم من العراق والبعض الآخر من الحجاز، ومن أبرز هؤلاء العلماء:

أ ـ موسى بن يعقوب الثقفي:

يعتبر موسى بن يعقوب بن محمد بن شيبان بن عثمان الثقفي، العالم الفقيه من أقدم علماء المسلمين العرب الذين نزلوا بلاد السند، فقد ولاه محمد بن القاسم القضاء والخطابة والإشراف على الشؤون المذهبية والتعليمية والتبليغ للإسلام، بمدينة الور عاصمة السند بعد فتحها في سنة ٩٢هـ/ ١٧٨م[٢]، ثم بقيت هذه الوظيفة في عَقبهِ من بعده قروناً عديدة، فقدَّمت هذه الأسرة خدمات جليلة في نشر الإسلام

١ ـ محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ٦، ص٩٣.

٢ ـ علي بن حامد الكوفي:فتح السند، مصدر سابق، ص٢٢٥.

والعلوم الدينية ببلاد السند، وفي ٦١٣هـ/ ١٢١٥م كان على ذات المنصب أحد أحفاده يُدعى إسماعيل بن علي بن محمد الثقفي، ويكفي هذه الأسرة فخراً أن أهمَّ وأقدم كتاب يتحدث عن تاريخ فتح السند وأول مُؤلَفْ كُتِبَ بالعربية في بلاد السند، وكان اسمه بالعربية (كتاب منهاج الدين) وسُمي بعد ذلك (فتحنامه) ثم حُرّف إلى (ججنامه)، هذا الكتاب تم تأليفه على يد أحد أفراد هذه الأسرة في أواخر القرن الهجري الأول، وفي الغالب أنه كتب بيد جدهم الأول القاضي موسى بن يعقوب الثقفي، وبقي مخطوطاً على شكل مذكرات عند تلك الأسرة، حتى نقله رجل عربي يدعى علي الكوفي إلى اللغة الفارسية في سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٥م[١].

ب ـ الشيباني:

لم تذكر المصادر اسمه كاملاً، وكان من الرجال الأوائل الذين صحبوا القائد محمد بن القاسم الثقفي أيام الفتح الإسلامي لبلاد السند، وقد جعله ابن القاسم قاضياً على مدينة سيوستان وخطيباً لمسجدها الجامع الذي بناه بعد فتح المدينة سنة ٩٣هـ/ ٧١١م، وبقي الشيباني قاضياً على المدينة حتى خلافة عمر بن عبد العزيز الذي قاد حملة الدعوة إلى الإسلام بين شعوب دولة الخلافة الإسلامية، فكلّف هذا الشيخ بأمر الدعوة في مدينته، وأبقاه على منصبه، وأرسل إليه خطاباً فيه تكليفه بأمر المدينة، فتوارث أفراد أسرته هذا المنصب حتى القرن الهجري الثاني، وعندما زار الرحالة ابن بطّوطة بلاد السند، ونزل في مدينة سيوستان سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م وجد القاضي فيها معروفاً بالشيباني أيضاً، مما يدلُّ على توارث هذه الأسرة لمنصب القضاء في المدينة، وقد وجد ابن بطّوطة خطاب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الشيباني، وقد كُتِبَ عليه تاريخ تحريره في سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م[٢].

١ ـ المصدر السابق، ص٩.

٢ ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي بن بطّوطة:تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مصدر سابق، جـ٢، ص١٣.

ج ـ إسرائيل بن موسى:

هو أبو موسى إسرائيل بن موسى البصري الهندي، من أتباع التابعين.كان يعمل بالتجارة بين الهند والبصرة، وقد أقام بالسند مدة حتى عُرف بنزيل الهند.كان من علماء الحديث، روى عن الحسن البصري، وأبي حازم الأشجع، ومحمد بن سيرين، ووهب بن منبه. وروى عنه سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، ويحيى القطان.وقال عنه يحيى بن معين: إسرائيل ثقة[١].

د ـ جنيد بن عمرو الغداني:

شيخه حميد بن قيس الأعرج مولى آل الزبير بن العوام، كان قاريء أهل مكة، وكان كثير الحديث ثقة، وكانوا لا يجتمعون إلا على قراءته[٢]، وقد صحب محمد بن القاسم في حملته إلى السند، وعندما وجه ابن القاسم جماعة من المسلمين إلى أهل بهرج يعلمونهم مباديء الدين، كان عليهم جنيد بن عمرو[٣].

هـ ـ زياد بن رباح البصري:

هو أبو قيس زياد بن رباح القيسي البصري، كان من علماء الحديث، روى عن أبي هريرة، وروى عنه الحسن البصري وغيلان بن جرير. قال العجلي: زياد بن رباح تابعي ثقة[٤]، وكان ضمن الجنود الذين صحبوا محمد بن القاسم، ولما قُتل داهر أرسله ابن القاسم مع الوفد الذي حمل رأس داهر إلى الحجاج بن يوسف[٥].

---

١ ـ أحمد بن علي بن محمد الكناني بن حجر: فتح الباري، مصدر سابق، جـ٧، ص٩٥. وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي:الجرح والتعديل، مصدر سابق، جـ٢، ص ٣٢٩.

٢ ـ المصدر السابق، جـ٢، ص٥٢٨. وشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تذكرة الحفاظ، مصدر سابق، جـ٢، ٧٥٦.

٣ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٢١٠.

٤ ـ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي: شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، جـ١، ص٧٨.

٥ ـ علي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص١٨٠.

و ـ معاوية بن قرة المزني:

هو معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رئاب، الإمام العالم الثبت أبو إياس المزني البصري والد القاضي إياس.والده قرة بن إياس له صحبه، وقُتل في حرب الخوارج[١].حدّث عن والده وعن عبد الله بن مغفل وعلي بن أبي طالب وابن عمر ومعقل بن يسار وأبي أيوب الأنصاري وأبي هريرة وعبد الله بن عباس وعائذ بن عمرو المزني والحسن بن علي وأنس بن مالك رضي الله عنهم وغيرهم.و حدَّث عنه ابنه إياس ومنصور بن زاذان وقتادة ومطر الوراق وثابت البناني وعروة ابن عبد الله بن قشير ومعلى بن زياد وخالد بن ميسرة وخالد بن أبي كريمة وبسطام ابن مسلم وخالد الحذاء وقرة بن خالد وشعبة والقاسم الحراني ومالك بن مغول وحماد بن يحيى وأبو عوانة وحفيده المستنير بن أخضر بن معاوية وخلق كثير.وَثَّقَه يحيى بن معين والعجلي وأبو حاتم وابن سعد والنسائي.يقول عن نفسه:"لقيت كثيراً من أصحاب النبي ﷺ منهم من مزينة خمسة وعشرون رجلاً". ويقول أيضاً:"أدركت ثلاثين من الصحابة ليس فيهم إلا مَنْ طُعِنَ أو طَعَنَ أو ضُرِبَ أو ضَرَبَ مع رسول الله ﷺ" .مات سنة ١١٣هـ/ ٧٣١م[٢]، وعمره ست وسبعون سنة[٣].

ز ـ معلى بن راشد:

هو أبو اليمان معلى بن راشد النبال الهذلي البصري، مولى سنان بن سلمة روى عن الحسن وميمون بن سياه وعن جدته أم عاصم وغيرهم. وروى عنه مسلم ابن إبراهيم ومعلى بن أسد وعبيد الله بن عمر القواريرى وإبراهيم بن موسى وأحمد ابن عبد الله بن صخر الغداني ونصر بن على.قال عنه أبو حاتم: شيخ يُعرف بحديث

---

١ ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: التاريخ الكبير، جـ١، ص٤٤٢.

٢ ـ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: الثقات، مصدر سابق، جـ٥، ص٤١٢.

٣ ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٥، ص١٥٣.

لعق الصحفة[١]، وذكره ابن حبان في الثقات.وهو من أتباع التابعين، غزا القيقان بأرض السند سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م أيام معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وولاية سنان بن سلمة على السند[٢].وقد روى قصة نزول الملائكة في تلك المعركة، وذلك أنهم أسروا بعض رجال السند في المعركة فقالوا لهم: "والله ما أنتم قتلتمونا، ولا قتلنا إلا رجال ما نراهم معكم الآن على خيل بلق، وعليهم عمائم بيض"[٣].

ح ـ الربيع بن زياد الحارثي المذحجي:

كان أحد قواد عمر بن الخطاب ﷺ، وكان عمر يقول: دلوني على رجل إذا كان في القوم وهو أمير ، فكأنه ليس بأمير، وإذا كان فيهم وهو غير أمير، فكأنه أمير، فقالوا: ما نعلمه إلا الربيع بن زياد. وكان متواضعاً خيِّراً، استعمله أبو موسى الأشعريﷺ على خيل مكران وكرمان، بعد غزوة المغيرة بن أبي العاص الثقفي، ثم توجه مع عبد الله بن عامر بن كريز إلى خراسان، فأرسله لغزو سجستان، وبقي فيها إلى أن عزله زياد بن أبي سفيان سنة ٥١هـ/ ٦٧٠م، كان محدثاً، وكان الحسن البصري كاتبه [٤]، وقد ذكر عمرو بن معد يكرب فتوحات الربيع في مكران في قصيدة يقول فيها:

ومضىَ ربيعُ بالجـنودِ مشرَّقاً * ينوي الجِهادَ وَطاعةَ الرحمنِ

حتىَ اسْتَباحَ قُرَىَ سَوَاد وفارسٍ * والسَّهْلَ والأجبالَ مِنْ مكرانِ[٥]

---

١ ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: التاريخ الكبير، مصدر سابق، مصدر سابق، جـ٧، ص٣٩٥.

٢ ـ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، مصدر سابق، جـ٨، ص ٣٣٣.

٣ ـ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص١٣٠.

٤ ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: العبر، مصدر سابق، جـ١، ص٥٣.وعلي بن حامد الكوفي: فتح السند، مصدر سابق، ص٧٢.

٥ ـ القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري: رجال السند والهند، مرجع سابق، ص ٣٣١.

(٣) حركة التواصل العلمي والفكري في عصر بني العباس :

انتقل إلى بلاد السند في العصر العباسي الأول عدد من العلماء والشعراء،وأصحاب المذاهب المناوئة للدولة كالشيعة والخوارج.وفيما يلي تعريف بالمشهورين منهم:

أ ـ الربيع بن صبيح:

هو الربيع بن صبيح البصري العابد الإمام مولى بن سعد، من أعيان مشايخ البصرة،حدَّث عن الحسن البصري ومحمد بن سيرين وعطاء بن أبي رباح وثابت البناني وجماعة. وحدَّث عنه الثوري وعبد الله بن المبارك ووكيع وابن مهدي وأبو داود الطيالسي وعلي بن الجعد وأبو الوليد وآخرون. قال عنه يحيى بن معين: ثقة.وقال الإمام أحمد: لا بأس به. وذكره شعبة فقال: هو عندي من سادات المسلمين. وقال أيضاً:لقد بلغ الربيع بن صبيح في مصرنا هذا ما لا يبلغه الأحنف بن قيس[١]. وقال الذهبي:كان الربيع كبير الشأن، إلا أن النسائي ضعَّفه. قال ابن حبان:كان من عُبَّاد أهل البصرة وزهادهم، وكان يشبه بيته بالليل بالنحل، إلا أن الحديث لم يكن من صناعته. قيل هو أول من صنّف في الإسلام، واختلف في هذا أهل العلم. فقيل أول من صنّف هو الإمام عبد الله ابن عبد العزيز. وقيل أبو نصر سعيد بن أبي عروبة. و قال أبو محمد الرامهرمزي: أول من صنّف وبوَّب فيما أعلم الربيع بن صبيح بالبصرة، ثم تبعهم سفيان بن عيينة ثم الإمام مالك بن أنس الذي صنّف الموطأ بالمدينة النبوية[٢]. كان غازياً بالسند وأثناء رحلته كان يقوم بتعليم المجاهدين، والإجابة

---

١ ـ عمر بن أحمد أبو جعفر الواعظ: تاريخ أسماء الثقات، تحقيق صبحي السامرائي، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٨٥.

٢ ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٧، ص٢٨٧.

على استفساراتهم، ولا شك أن وجوده كان له أثره البالغ في تعليم أهل السند أصول الدين، لا سيما أولئك المنضمين الجدد لصفوف المسلمين.وأثناء الغزو أصاب الجيش في البحر مرض في أفواههم، فكان الربيع من بين الشهداء سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٦م[١].

ب ـ إبراهيم بن مالك:

هو إبراهيم بن مالك بن بهبوذ أبو إسحاق البزاز، سمع الحديث من حماد ابن أسامة، وزيد بن الحباب، وعبيد الله بن موسى، وآخرون.و روى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا، وموسى بن هارون، وقاسم بن زكريا المطرز، ويحيى بن محمد ابن صاعد.وقال أبو الحسن الدارقطني:إبراهيم بن مالك البزاز ثقة. مات سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م وقد بلغ الثمانين[٢].

ج ـ عبد الله بن الأشتر العلوي:

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب المشهور بعبد الله بن الأشتر، وهو أول قائد علوي تطأ أقدامه أرض السند، وذلك في عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م.فعندما ظهرت حركة والده محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، أرسله إلى السند فبايعه واليها عمر بن حفص، وحُدِدَ يومٌ للمبايعة، فوصلت الأخبار إلى السند بمقتل النفس الزكية، فقَدّم والي السند التعزية للأشتر وبعث به إلى أحد ملوك السند مع أربعمائة من شيعته، فلما عُزل عمر بن حفص جاء بعده هشام بن عمرو، فأرسل أخوه سفنج الذي وجد الأشتر في رحلة صيد فقتله مع بعض رجاله[٣]. وكان عبد الله الأشتر قد تزوج بإحدى نساء السند فأولدها ابنه محمد المعروف بابن الأشتر فبعث به والي

١ ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: المنتظم، مصدر سابق، جـ٨، ص٢٣٧.

٢ ـ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مصدر سابق، جـ٦، ص١٨٦.

٣ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جـ٨، ص ٦٠٧ ـ ٦١١.

السند هشام إلى الخليفة المنصور الذي أرسله إلى المدينة وأمر عامله بها بأن يسلمه أهله[١]. وقد قام ابن الأشتر مع رجاله بنشر الإسلام وتعليم أهل السند أمور دينهم، ولعل صلته بآل البيت كان لها أثرها الأكبر في شهرته في بلاد السند، فلم يجد صعوبة في بناء قاعدة تدين بالإسلام، وتعتقد أحقية أسرته في الخلافة.

د ـ سعيد بن مسلم بن قتيبة:

هو سعيد بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة الباهلي. بصري الأصل، سمع من عبد الله بن عون وطبقته، وكان قد سكن خراسان، وقدم بغداد وحدّث بها فروى عنه محمد بن زياد بن الأعرابي صاحب اللغة. ثم قَدِمَ مرو زمان المأمون، وكان عالماً بالحديث والعربية إلا أنه كان لا يظهر نفسه للناس[٢]. تولى أرمينية والموصل والسند وتوفى سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م. فمدحه عبد الصمد بن العدل قائلاً:

كَمْ يتيمٍ أنْعَشْتهُ بعدَ يُتْمٍ * وفقيرٍ أغنَيْتُهُ بعد عدمِ
كُلما عَضّت النوائبُ نادى * رضيَ اللهُ عنْ سعيدَ بن مسلمِ[٣]

هـ ـ غالب بن عبد القدوس:

هو غالب بن عبد القدوس بن شيت بن ربعي، أبو الهندي الكوفي، كان من الشعراء المجيدين، أدرك الدولتين الأموية والعباسية، وتوفى سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م، قدم السند غازياً، فذكر أحوالها ونقل كثيراً عن صفات أهلها، ووصف أرضها، وأكل فيها البهط[٤] والحوت، فمرض وذكر ذلك في شعره فقال:

---

١ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ١٠، ص١١٦، ١١٧.

٢ ـ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مصدر سابق، جـ٩، ص٧٤.

٣ ـ القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري: رجال السند والهند، مرجع سابق، ص٤١٧.

٤ ـ البهط: كلمة سندية وهي الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء واستعملته العرب بالهاء فقالت بهطة طيبة، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، جـ٧، ص٢٦٦.

فَأَمّا البَهَطّ وَحيتانُكُم * فَما زِلتُ مِنها كَثيرَ السَقَمْ[١]

و ـ مقاتل بن حيان:

هو أبو بسطام البلخي الخراز، عاصر الدولتين الأموية والعباسية.روى عن عمته عمرة، والشعبي وسعيد بن المسيب وعكرمة، وسالم مولى عبد الله بن عمر، وقتادة، والضحاك وابن مزاحم. وروى عنه علقمة بن مرثد وأخوه مصعب بن حيان، وعبد الله بن المبارك، وبكير بن معروف، وإبراهيم بن أدهم، وصالح بن سعيد، وعيسى بن موسى التميمى البخاري[٢]. كان مولى لبكر بن وائل بن ربيعة. سكن بلخ. وَثَّقَه يحيى بن معين وأبو داود[٣]. كان إماماً صادقاً ناسكاً خيِّراً، كبير القدر، صاحب سنَّة وإتباع، هرب في أيام خروج أبى مسلم الخراساني إلى كابل، ودعا خلقاً إلى الإسلام فأسلموا. مات بكابل قبل سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م[٤].

وهكذا ظهر لنا من خلال هذا المبحث توافر العلماء من المسلمين العرب في بلاد السند، وأنّ هذه المنطقة وبما تحمله من عجائب قد جذبت إليها هؤلاء العلماء لينشروا العلم، ويقطفوا من ثمار تلك الحضارة الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ.فقد ورد بلاد السند علماء في مجال العلوم الدينية، واللغة العربية، كما دخلتها مجموعات من الفرق الدينية التي ظهرت في تلك الفترة كالخوارج والمعتزلة، وكان لها دور بارز في نشر الثقافة الإسلامية، وذلك إذا صرفنا النظر عن آثارها على العقيدة الإسلامية، أو دورها في تأجيج نار الخلاف

١ ـ المصدر السابق، جـ٧، ٢٦٦.

٢ ـ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري: تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، جـ١، ص ٢٦٦.و محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: التاريخ الأوسط، مصدر سابق، جـ٢، ص٢٤.

٣ ـ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، مصدر سابق، جـ٨، ص ٣٥٣.وشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تذكرة الحفاظ، مصدر سابق، جـ١، ص١٧٤.

٤ ـ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: الثقات، مصدر سابق، جـ٧، ص٥٠٨.

بين المسلمين.ومن الصعب في مثل هذا المبحث حصر الإنتاج العلمي الذي خلفه هؤلاء العلماء في عصر بني أمية والعصر العباسي الأول، كما يصعب إنصاف هؤلاء العلماء بالتعرض لهم جميعاً، أو الوقوف عند كل ما أسهموا به من إنتاج علمي، ولكن يبقى القول بأن ما قاموا به من جهود كان غزيراً، وقد بدت نتائجه واضحة في العصر العباسي الثاني وما بعده.وأن ما ورد في كتب التراجم والطبقات بشأنه يشهد بعظمته ووفرته وشموله[١].

---

١ ـ يمكن الرجوع إلى كتاب القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري: رجال السند والهند، فقد أورد عدداً كبيراً من علماء السند، وأصحاب المذاهب الإسلامية وجهودهم في نشر الإسلام، وآثارهم على المنطقة.

(٢) إسهام علماء السند في الصرح العلمي الإسلامي

بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وانتشار الإسلام في ربوع المعمورة، علي يد الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم، تفرَّق أصحاب رسول الله ﷺ في الأمصار، وقاموا بجهود جبّارة في نشر العلم وتفقيه الناس، ولم يكدْ ينتهي عصر هؤلاء الصحابة مع بداية القرن الهجري الثاني[1]، إلا وقد ترتب على جهودهم في ميدان التعليم ظهور تلاميذ لهم تسنموا مركز التوجيه في المجتمع، ودفعوا الحركة العلمية إلى الأمام، حيث بدأت حلقات العلم تزدهر وكانت إيذاناً بظهور المدارس العلمية، فلم ينتصف القرن الهجري الثاني حتى ظهرت المدارس اللغوية والفقهية، ففي المدينة النبوية ظهرت مدرسة الحديث والفقه يقودها محمد الباقر بن علي بن الحسين[2] وولده جعفر الصادق، وفي مصر ظهرت مدرسة الليث بن سعد[3]، وفي العراق ظهرت مدرسة الإمام أبي حنيفة، ثم ظهر الإمام مالك في المدينة[4]، ثم ظهرت مدرسة الإمام الشافعي في العراق ومصر، والأوزاعي في الشام.

---

١ ـ آخر الصحابة موتاً هو أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني، توفي سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م. يُنظر شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: العبر، مصدر سابق، جـ ١، ص١١٨.

٢ ـ محمد الباقر: هو أبو جعفر محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان من فقهاء المدينة، وقيل له الباقر لأنه بقر العلم أي شقه وعرف أصله، وهو أحد الأئمة الإثني عشر عند الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، توفى سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد العسكري بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مصدر سابق، جـ ١، ص١٤٩.

٣ ـ الليث بن سعد: هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المصري، شيخ الديار المصرية، كان إماماً في الحديث والفقه، قال ابن وهب: لولا مالك والليث لضلَّ الناس.توفي سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ ١٢، ص٤٩٢.

٤ ـ الإمام مالك: هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة، وُلد سنة ٩٣هـ/ ٧١١م، عام موت أنس رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ، كان من الكبراء والسادة العلماء، وكانت السلاطين تهابه، وكان يقول : لا ونعم فلا يُقال له : من أين قلت هذا. توفي سنة١٧٩هـ/ ٧٩٥م، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ ٨، ص١٣٣.

وإلى جانب مدارس الفقه والحديث ظهرت مدارس لغوية اشتهرت منها مدرستا البصرة والكوفة في العراق. وكان من أهم نتائج وجود هذه المدارس العلمية ظهور مجموعة من التلاميذ الذين تخرجوا على أيدي هؤلاء العلماء وبرعوا في كثير من الفنون وذاع صيتهم، ومن ثمّ صار لهم تلاميذ انتقلوا من مرحلة التلمذة إلى المشيخة.وكان طلبة العلم يأتون تلك المدارس من كل مكان، ومن أهم طبقات المجتمع التي تميَّزت بتواجدها في تلك الحلقات الموالي الذين انكبُّوا على العلم، فبرز منهم العديد من العلماء المشهود لهم. وكان من بينهم علماء ذوي أصول سندية وهندية أثْرُوا الحركة العلمية بمساهمات كانت ولا تزال فخر الأمة الإسلامية. وأيضاً كان من أهل السند علماء برعوا في العلوم العقلية وتقبَّلوا الإسلام فوجهوا جهودهم في مجال العلوم العقلية فأضافوا للحضارة الإسلامية نصراً في هذا المجال. كما عاش في بلاد السند كثير من العلماء العرب، الذي قدَّموا مع إخوانهم علماء السند أجلّ الخدمات للثقافة الإسلامية والعربية، وكان لهم دور بارز في إحياء الحركة العلمية بين أهل البلاد، وإليهم يرجع الفضل ـ بعد الله ـ في انتشار الإسلام وظهور العلماء في العصرين الأموي والعباسي. ومن أجل الوقوف على جهود أولئك العلماء السند ومساهماتهم في صرح الثقافة الإسلامية قمت بتصنيفهم إلى ثلاثة أقسام، وحاولت طاقتي أن لا أضيف إلى هذه المجموعة إلا من أيقنت أنه من أهل تلك البلاد، ومَنْ شككت في نسبته ـ لا سيما وأن البعض أراد أن تشرف تلك المنطقة بإلصاق بعض الأعلام إليها ـ ضربت عنه صفحاً، أو ذكرته إذا كان من المشهور انتمائه للسند وهو خلاف الواقع.والأقسام هي :

القسم الأول: العلماء الذين كان آباؤهم وأجدادهم من السند، واعتنقوا الإسلام وصُبغوا بصبغة الدين في جميع نواحي حياتهم، ومنهم الزط والسيابجة وغيرهم من الذين استوطنوا بلاد العرب قبل الإسلام وسكنوا فيها، أو ترددوا بين البلاد العربية ووطنهم الأصلي.

القسم الثاني: السبايا والموالي الذين جُلِبُوا من السند والهند، وصاروا في ولاء الإسلام، فانضموا إلى القبائل والأفراد واشتغلوا في الأعمال المختلفة، خصوصاً العلوم الإسلامية والمعارف الدينية.

القسم الثالث: العلماء الذين كانوا يعملون في مجال العلوم العقلية، فأسلموا بعد الفتح الإسلامي وقدموا إلى حاضرة الخلافة بغداد، أو من ظلَّ منهم على دينه فقدَّم للإسلام عصارة علومه رغبة فيما يجده عند الخلفاء من عطاء ومنحه.

القسم الأول: العلماء ذوي الأصول السندية الذين استوطنوا في بلاد العرب قبل الإسلام:

أ ـ بيرزطن الهندي:

كان بيرزطن يقيم في اليمن عندما كانت تابعة للإمبراطورية الساسانية، وكان طبيباً مشهوراً استخدم حشيش القنب كدواء لبعض الأمراض المتفشية في أنحاء اليمن حتى لقي هذا الدواء رواجاً كبيراً بين أهالي تلك المناطق. وقد عمَّر وأسلم في حياة الرسول ﷺ، ولكن لم تثبت له رؤية.وقد ذكره الحافظ بن حجر ضمن الذين وُجدوا في حياة الرسول ﷺ وأسلموا حينذاك أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى[1].

ب ـ إبراهيم بن مقسم القيقاني الكوفي:

هو إبراهيم بن مقسم القيقاني الكوفي التاجر الكبير، قام من صلبه علماء ومحدثون، وكان أبوه مقسم مولى عبد الرحمن بن قطبة الأسدي، وهو من سبي القيقان، كان تاجراً يذهب ببضاعته بين الكوفة والبصرة، فتزوج في البصرة بعليّة بنت حسان مولاة لبني شيبان، وكانت امرأة نبيلة عاقلة عالمة، لها دار بالبصرة تُعرف بها، فكان وجوه البصرة وفقهاؤها يدخلون عليها، فتحادثهم وتسائلهم في العديد من المسائل الشرعية[2].ومن أبرز أبناء وأحفاد إبراهيم بن مقسم من العلماء:

(١) إبراهيم بن إسماعيل:

هو إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم أبو إسحاق البصري الأسدي المعروف بابن علية كان أحد المتكلمين وممن يقول بخلق القرآن وجرت له مع الإمام

---

١ ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، مصدر سابق، جـ ١، ص١٨٢.

٢ ـ محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، جـ١، ص١١٨.

الشافعي مناظرات ببغداد ومصر.قال الحارث بن سريج النقَّال: دخلت على الإمام الشافعي يوماً وعنده أحمد بن حنبل والحسين القلاس وكان الحسين أحد تلاميذ الشافعي المقُدَّمين في حفظ الحديث، وعنده جماعة من أهل الحديث والبيت غاص بالناس وبين يديه إبراهيم بن إسماعيل بن علية، وهو يكلمه في خبر الواحد. فقلت يا أبا عبد الله عندك وجوه الناس وقد أقبلت على هذا المبتدع تكلمه؟ فقال لي وهو يبتسم: كلامي لهذا بحضرتهم أنفع لهم من كلامي لهم. قال: فقالوا صدق. وهذا مما يدلّ تأثير الرجل وحرص الشافعي على رده إلى منهج أهل السنة والجماعة.ويشهد لذلك ما ذكره صالح بن أبي صالح كاتب الليث: كُنَّا مع الشافعي في مجلسه، فجعل يتكلم في تثبيت خبر الواحد عن النبي ﷺ ، فكتبناه وذهبنا به إلى إبراهيم بن إسماعيل بن علية، وكان مجلسه بمصر، فلما قرأنا عليه جعل يحتج لإبطاله، فكتبنا ما قال ابن علية، وذهبنا به إلى الشافعي فنقضه، وتكلَّم بإبطال ما قال ابن علية، ثم كتبنا ما قال الشافعي، وذهبنا به إلى بن علية فجعل يحتج بإبطال ما قال الشافعي، فكتبناه ثم جئنا به إلى الشافعي فقال: إن ابن علية ضال قد جلس عند باب الضوال يضل الناس[1].

(٢) إسماعيل بن إبراهيم:

هو إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل أبو بشر، الإمام الحافظ، سيد المحدثين. ويكفيه منقبةً قول الإمام أحمد بن حنبل:"فاتني مالك فأخلف الله عز وجل عليّ سفيان بن عيينة، وفاتني حماد بن زيد فأخلف الله عليّ إسماعيل بن علية"، توفى إسماعيل بن إبراهيم سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م[2].

(٣) حماد بن إسماعيل:

هو حماد إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي المعروف بابن علية، حدّث عن أبيه، ووهب بن جرير، وأحمد بن أبي عوف البزوري وغيرهم.وروى عنه مسلم

١ ـ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مصدر سابق، جـ ٦، ص٢٠ ـ ٢٢.

٢ ـ محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر: التقييد، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ص١٦٣.

والنسائي ومحمد بن إسحاق السراج وغيرهم. ذكره ابن حبان في الثقات، توفي في بغداد سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م[١].

(٤) ربعي بن إبراهيم:

هو ربعي بن إبراهيم بن مقسم القيقاني، روى عن يونس وعبد الرحمن بن إسحاق. كان من علماء الحديث المعدودين، قال يحيى بن معين حدثنا عبد الرحمن بن مهدي: كنّا نعد ربعي بن علية أخا إسماعيل بن علية من بقايا شيوخنا[٢].

ج ـ إبراهيم بن السندي بن شاهك البغدادي:

يُدعى والده محمداً ولكنه اشتهر بالسندي، اسمه محمد أما شاهك فهو اسم أمه، وهو من أسرة سندية خدمت الدولة العباسية منذ أول عهدها، وتولى أبوه سندي بن شاهك القضاء أيام المأمون.كان إبراهيم خطيباً مفوّهاً، ونسّاباً وفقيهاً، ونحوياً عروضياً، وحافظاً للحديث، وراوية للشعر، وفوق ذلك كان طبيباً ومنجماً.كان شديد الحب لبني العباس، وداعية للناس لطاعتهم[٣].

د ـ حبيش بن سندي القطيعي:

من كبار أصحاب الإمام أحمد، كتب عنه نحواً من عشرين ألف حديث، وكان رجلاً جليل القدر، حدّث عن الإمام أحمد وعبيد بن محمد العيشي، وذكره ابن

---

١ ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: المنتظم، مصدر سابق، جـ ١١، ص٣٢٥. وأحمد ابن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي: سنن البيهقي الكبرى، حققها محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، جـ ٥، ص٢٠١.

٢ ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: التاريخ الكبير، مصدر سابق، جـ٣، ص٣٢٨. ومسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين: الكنى والأسماء، تحقيق عبد الرحيم محمد أحمد القشيري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ، جـ١، ص٢٢٩.

٣ ـ سلمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني: المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور محمود الحاج، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، جـ ١، ص١٦٤.

الجوزي في مناقب الإمام أحمد فيمن حدّث عنه على الإطلاق من الشيوخ والأصحاب[١].

القسم الثاني: السبايا والموالي الذين جُلبوا من السند:

أ ـ خلف بن سالم أبو محمد المخرمي:

هو أبو محمد خلف بن سالم السندي البغدادي، مولى المهالبة، سئل عنه الإمام أحمد فقال: "لا يُشَكُ في صدقه، عفيف البطن والفرج". وقال عنه ابن حبان: "كان من الحُذَّاق المتقنين". وعن عبد الخالق بن منصور قال: سألت يحيى بن معين عن خلف المخرمي فقال: صدوق. فقلت له: يا أبا زكريا إنه يُحَدِّث بمساوي أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال: قد كان يجمعها، وأما يُحَدِّث بها فلا. توفي سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م وهو ابن تسع وستين سنة[٢].

ب ـ رجاء بن السندي:

هو رجاء بن السندي أبو محمد الإسفرائيني النيسابوري روى عنه الإمام أحمد ابن حنبل، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال عنه الحاكم: ركن من أركان الحديث، ومن أولاده وأحفاده الحفاظ والمحدثون. كانت داره بيت علم تخرَّجَ منها العلماء والمحدثون[٣] ومنهم:

ج ـ أبو معشر السندي:

وهو الإمام المحدث صاحب المغازي نجيح بن عبد الرحمن السندي ثم المدني مولى بني هاشم. كان مكاتباً لامرأة مخزومية فأدى فعتق، وحدّث عن محمد بن كعب

---

١ ـ محمد بن أبي يعلى أبو الحسين: طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، جـ ١، ص١٤٦. وأبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مصدر سابق، جـ٨، ص٢٧٢.

٢ ـ المصدر السابق، جـ ٦، ص ٥٦. و محمد بن أبي يعلى أبو الحسين: طبقات الحنابلة، مصدر سابق، جـ ١، ص٢٢٥.

٣ ـ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: الثقات، مصدر سابق، جـ ٨، ص٢٤٧. وشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق، جـ ٢، ص٦٨٦.

وسعيد المقبري ونافع العمري وموسى بن يسار وابن المنكدر وأبي وهب مولى أبي هريرة وهشام بن عروة وعدة.وحدّث عنه ابنه محمد بن أبي معشر بالمغازي، وكان خاتمة من روى عنه الليث بن سعد وسفيان الثوري مع تقدمه ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي وخلق كثير .قال هشيم :ما رأيت مدنياً أكيس من أبي معشر.وقال عبيد الله بن فضالة سمعت ابن مهدي يقول: أبو معشر تعرف منه وتنكر. وقال أحمد: حديثه عندي مضطرب لا يقيم الإسناد ولكن أكتب حديثه اعتبر به. وروى أحمد بن أبي يحيى عن أحمد بن حنبل قال: يكتب من حديث أبي معشر أحاديثه عن محمد بن كعب في التفسير. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عنه فقال: صدوق لكنه لا يقيم الإسناد. فسألت ابن معين عنه فقال: ليس بقوي. وقال أبو حاتم كنت أهاب أحاديثه حتى رأيت أحمد بن حنبل يحدث عن رجل عنه أحاديث فتوسعت بعد في كتابة حديثه، وحدثني أبو نعيم عنه بحديث رواه عبد الرزاق عن الثوري عنه ثم قال أبو حاتم: هو صالح لين الحديث، و كان رجلاً أمياً يتقي أن يروي من حديثه المسند وقال البخاري: منكر الحديث وقال عنه أبو داود والنسائي: ضعيف.توفي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م[١] .

د ـ مكحول بن عبد الله:

هو مكحول بن عبد الله السندي الشامي، كان من سبى كابل، أخذه سعيد بن العاص فوهبه لامرأة من هذيل فأعتقته بمصر، ثم تحوّل إلى دمشق فسكنها. يروى عن أنس بن مالك وابن عمر وواثلة وأبى أمامة، وكان من فقهاء أهل الشام. يقول عن نفسه: "كنت عبداً بمصر لامرأة من بني هذيل فأعتقتني، فما خرجت من مصر وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى، ثم أتيت الحجاز فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى، ثم أتيت العراق فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه

---

١ ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٧، ص٤٣٥ ـ ٤٣٨. وأبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني: المسند المستخرج على صحيح مسلم، حققه محمد حسن محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، جـ ١، ص٨٤.

فيما أرى، ثم أتيت الشام فغربلتها". توفى بالشام سنة ١١٢هـ/ ٧٣٠م، ومن أبرز تلاميذه الإمام الأوزاعي[١].

هـ ـ أبو سالمة الزطي البصري:

كان جماعة من أهل السند موزعة على قبائلها يعملون في جيش فارس، فلما انتهت إمبراطوريتهم انحازوا إلى المسلمين فأسلموا وحسن إسلامهم، ومن أشهر تلك القبائل الأساورة و الزط والسيابجة.وقد انخرطت تلك القبائل في الحلقات العلمية التي كانت تُعقد بالبصرة والكوفة، فبرز منهم علماء يُشار إليهم بالبنان.وفي خلافة علي بن أبي طالب ﷺ كان على بيت مال البصرة أربعمائة رجل من السيابجة، وقيل أربعون، لأنهم اشتهروا بالصرافة، وكان عليهم أحد العلماء وهو سالمة الزطي، فقد كان رجلاً صالحاً عالماً مطاعاً في قومه، ولكن لم تظهر له آثار علمية لموته المبكر على أيدي قوات عبد الله بن الزبير وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما، وذلك عندما طلبوا منه تسليم بيت المال فرفض فقتلوه مع جملة من رجاله في السحر[٢].

و ـ سندي أبو بكر الخوتيمي البغدادي:

هو من موالي أبي الحارث، كان ملازماً للإمام أحمد بن حنبل وسمع منه دقائق المسائل. وعدَّه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد فيمن حدّث عنه على الإطلاق من الشيوخ والأصحاب[٣].

---

١ ـ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: الثقات، مصدر سابق، جـ ٥، ص٤٤٦، ٤٤٧ . ومحمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي: أضواء البيان، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، جـ ٢، ص٨٠.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، ص ٤٢٢.

٣ ـ علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن: الإنصاف للمرداوي، حققه محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، جـ٢، ٤١٣.

ز ـ محمد بن زياد بن الاعرابي:

هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الإعرابي الكوفي صاحب اللغة وهو من موالي بني هاشم كان أحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها. أخذ الأدب عن الكسائي وغيره. وأخذ عنه ثعلب وابن السكيت وغيرهما، وناقش العلماء واستدرك عليهم، وخطَّأ كثيراً من نَقَلَةِ اللغة، وكان رأساً في الكلام الغريب، وكان يزعم أن أبا عبيدة والأصمعي لا يحسنان شيئا وكان يقول جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء فلا يخطىء من يجعل هذه في موضع هذه وينشد:

إلى اللهِ أَشْكُو من خَليلٍ أَودهُ * ثُلاثُ خلالٍ كُلُها لي غَائِضُ

بالضاد ويقول: هكذا سمعته من فصحاء العرب، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من المستفيدين ويملي عليهم. ولد في الليلة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة وذلك في رجب سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م، وتوفي سنة ٢٣١هـ/ ٨٢٨م بسر من رأى. والإعرابي نسبة إلى الأعراب، يقال رجل أعرابي إذا كان بدوياً، وإن لم يكن من العرب، ورجل عربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن بدوياً، ورجل أعجمي إذا كان في لسانه عجمة، وإن كان من العرب ورجل عجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً[١].

العلماء السند الذين برزوا في مجال العلوم العقلية:

أ ـ بهله الطبيب الهندي:

هو من الأطباء الذين اجتلبهم يحيى بن خالد البرمكي إلى بغداد سنة١٨٥هـ/ ٨٠٠م[٢]، وقد كان له شهرة فائقة في حاضرة الخلافة. يقول معمر أبو الأشعث (أحد المعاصرين لبهله):"قلت لبهله الهندي:ما البلاغة عند أهل الهند؟ قال:بهله: عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك، ولم أعالج هذه الصناعة.قال أبو الأشعث:فلقيت بتلك الصحيفة المترجمة:أول

---

١ ـ صديق حسن القنوجي: أبجد العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، جـ٣، ص٢٩ ، ٣٠.

٢ ـ مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة: كشف الظنون، مصدر سابق، جـ ٢، ص١٥٠٨.

البلاغة اجتماع آلة البلاغـة، وذلـك أن يكـون الخطيـب رابـط الجـأش، سـاكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفـظ، لا يكلـم سـيد الأمّـة بكـلام الأمّـة، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضـل للتصـرف في كـل طبقـة ولا يـدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقـيح، ولا يصـفيها كـل التصـفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتـى يصـادف حكيمـاً، أو فيلسـوفاً عليماً، ومن قد تعوّد حذف فضول الكلام، وإسـقاط مشـتركات الألفـاظ وقـد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة، والمبالغـة، لا علـى جهـة الاعـتراض، وعلى الاستطراف والتطرف"[١].

ب ـ منكة الهندي:

هو منكة الهندي الطبيب البغدادي، كان متقناً للغة الهند وفارس، قـام بترجمـة الكتب الهندية والفارسية إلى اللغة العربية، أسلم وحسن إسلامه، وكان على مستوى عال في فهم الدين الإسلامي[٢]. قال عنه ابن أبي أصيبعة: "منكـة الهنـدي كـان عالمـاً بصناعة الطب، حسن المعالجة لطيف التدبير، فيلسوفاً من جملة المشار إليهم في علـوم الهند ولغة الفرس"[٣] .وهو الذي نقـل كتـاب شـاناق الهنـدي في السـموم مـن اللغـة الهندية إلى العربية[٤].كان يميل إلى البرامكة ويحبهم، فهم الـذين اسـتقدموه مـن بـلاده، وقد تأثر كـثيراً عنـدما أوقـع بهـم هـارون الرشـيد، وقـام بعـلاج يحيـى بـن خالـد البرمكي[٥].له من الكتب:كتاب النمو دار في الأعمار، وكتاب أسرار المواليد، وكتـاب القرانات الكبير، وكتاب القرانات الصغير[٦].أما سبب مجيئه إلى بغداد فقد كان بسـبب

---

١ ـ أبو عثمان عمرو بن عمرو الجاحظ: البيان والتبيين، مصدر سابق، جـ ١، ص٩١.

٢ ـ المصدر السابق، جـ ١، ص٩١، ٩٢.

٣ ـ أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، مصدر سابق، جـ١، ص٣٧٥.

٤ ـ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومـي الحنفـي: كشـف الظنـون، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، جـ١، ص٨٤.

٥ ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، مصدر سابق، جـ١، ص٤٠، ٤١.

٦ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٣٣٢.

مرض الخليفة الرشيد، وعجز أطباء بغداد من اليونـان عـن معالجتـه، وإشـارة أبـي عمر الأعجمي إليه قائلاً:"بالهند طبيب يقال له منكه وهو أحد عبـادهم وفلاسـفتهم فلو بعث إليه أمير المؤمنين، فلعل أن يُهَب له الشفاء على يده". قال: فوجـه الرشـيد من حمله ووصله بصلة تعينه على سفره فقدم بغداد وعـالج الرشـيد فـبرأ مـن علتـه ـ بإذن الله ـ ، فأجرى عليه رزقاً واسعاً وأموالاً كافية[1] .

ج ـ شاناق:

هو من أطباء الهند المشهورين، وكانت له معالجات وتجارب كـثيرة في صـناعة الطب، وتفنن في العلوم والحكمة، وكان بارعاً في علم النجوم، حسن الكلام متقـدماً عند ملوك الهند، ومن كلامه في كتابه الذي سماه منتحل الجوهر:"يا أيها الـوالي اتـق عثرات الزمان، واخش تسلط الإمام، ولوعة غلبة الدهر، واعلم أن الأعمال جـزاء، فاتق عوائق الدهر والأيام، فإن لها غدرات، فكن منها على حذر، والأقـدار مغيبـات فاستعد لها والزمان منقلب فاحذر دولته، لئيم الكرة فخف سطوته سريع الغزة، فـلا تأمن دولته، واعلم أن من لم يداو نفسه من سقام الآثام في أيام حياته فما أبعـده مـن الشفاء في دار لا دواء لها، ومن أذلَّ حواسه واستبعدها فيمـا تقـدم مـن خـير لنفسـه أبان فضله وأظهر نبله، ومن لم يضبط نفسه وهـي واحـدة، لم يضـبط حواسـه وهـي خمس، فإذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الأعوان مـع كثـرتهم وخشونة جانبهم، فكانت عامة الرعية في أقاصي البلاد وأطـراف المملكـة أبعـد مـن الضبط". وله أيضاً من الكتب: كتاب السموم خمس مقالات قام بنقلـه مـن الهنديـة إلى الفارسية وكان المتولي لنقله بالخط الفارسي رجـل يعـرف بـأبي حـاتم البلخـي، وذلك بناءً على طلب يحيى بن خالد البرمكي، ثم نُقل إلى العربية للمأمون على يـد العباس بن سعيد الجوهري مولاه، وكان هو المتولي قراءتـه علـى المأمون.ولـه أيضـاً كتاب البيطرة، وكتاب في علم النجوم، وكتـاب المنتحـل الجـوهر ألَّفـه لأحـد ملـوك الهند[2] .

١ ـ أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، مصدر سابق، جـ١، ص٣٧٥.

٢ ـ المصدر السابق: جـ١، ص٤٧٤.

ومما تقدم يتبين لنا الإسهام الكبير الذي قدمه علماء السند للحضارة الإسلامية في مجال العوم الدينية والعقلية. ويمكن القول: إن علماء السند وصلوا في فترة وجيزة من عمر التاريخ إلى أقصى ما يمكن اكتسابه من المعارف في هذه العلوم، وكان لهم الفضل الكبير ـ بعد الله ـ في تقدمها وازدهارها بكافة فروعها، ذلك التقدم الذي استحقوا عليه أن يكونوا حقيقة أساتذة للأجيال اللاحقة. وقد تأكد لنا أن خدمة هؤلاء العلماء للعلوم الدينية لم تقتصر على حفظ ونقل تراث من سبقهم، بل كانت لهم إضافات وإسهامات كبيرة في إثراء الفكر الإسلامي وتطوير مناهج وفلسفة هذه العلوم بأهم مقومات تقدمه، لدرجة أصبحت تلك العلوم تدين لهم بقدر كبير من هذا التقدم، وكانت بعض فروع العلوم الدينية من اختراعهم، ولهذا حفل التراث العلمي الإسلامي بالكثير من أفكارهم التي أجمع المؤرخون على أهميتها.

أما في جانب العلوم العقلية فقد كان لهم الدور البارز في نقلها إلى الحضارة الإسلامية، ودفع المسلمين للانخراط في سلكها، فلم يقف هؤلاء المسلمون عند نتاج أهل السند والهند وإنما ـ على عادتهم ـ خالفوهم في بعض النظريات والآراء، وجاءوا بآراء ونظريات أكثر ملاءمة للحقائق العلمية، ويكفيهم أنهم كانوا الواسطة لنقل تلك العلوم للغرب فانتشلوه من حياة التخلف والكبت الكنسي إلى رحاب العلم والبحث الدقيق، وهكذا كان علماء المسلمين رسل خير للعالم أجمع، قدموا له حضارة راقية، لا تزال الأمم بأجمعها تفتات على مائدتها.

(٣) تطور اللُّغة السندية

تتأثر اللُّغة أيما تأثر بحضارة الأمّة، ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها، واتجاهاتها العقلية، ودرجة ثقافتها، ونظرتها إلى الحياة، وشؤونها الاجتماعية العامة... وما إلى ذلك.فكلّ تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في أداة التعبير. ولذلك تُعدُ اللُّغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب. وبالوقوف على المراحل التي اجتازتها لغةٍ ما، وفي ضوءِ خصائصها في كل مرحلة منها، يمكن استخلاص الأدوار التي مرّ بها أهلها في مختلف مظاهر حياتهم.

فكلّما اتسعت حضارة الأمّة، وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها، ورقى تفكيرها، وتهذَّبت اتجاهاتها النفسية، نهضت لُغَتها وسمتْ أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودقّت معاني مفرداتها القديمة، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة.واللُّغة العربية أصدق شاهد على ما نقول. فقد كان لانتقال العرب من همجية الجاهلية إلى حضارة الإسلام، ومن النطاق العربي الضيّق الذي تميزت به مدنيتهم في عصر بني أمية إلى الأفق العالمي الواسع الذي تحولوا إليه في عصر بني العباس، كان لهاتين النقلتين أعظم أثر في نهضة لغتهم ورُقيّ أساليبها واتسعاها لمختلف فنون الأدب وشتى مسائل العلوم[١].

كما نجد أنَّ ما يقع بين الشعوب من امتزاج عرقي ينتج عنه جيل يأخذ صفات الجنسين، وهذا ما حدث بالفعل لعناصر الدولة الإسلامية، وذلك عند ظهور هذا الجيل من المولّدين، الذين أخذوا من صفات آبائهم العرب وأمهاتهم الهنديات أو السنديات أو الفارسيات، وهذا التمازج لا يحدث في الصفات الجسدية فحسب، بل حتى في العقول والأفكار، واللُّغات، فالسندي يحمل عقلاً سندياً، ثم يعتنق الإسلام، ويتعلم اللُّغة العربية، فينشأ لديه مزيج من العقلين، وتتولد لديه

---

١ ـ علي عبد الواحد وافي: اللُّغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٣ـ ١٣.

أفكارٌ جديدة، وكذلك الفارسي واليوناني والرومي، فهؤلاء جميعهم يخالطون العربي المسلم فينشأ من ذلك فكر جديد[1].بل إن العربي الذي ينتقل من حياة البداوة إلى الحضارة نجد أفكاره وأنماط حياته وأسلوبه جميعها تتشكَّل بصورة جديدة مغايرة لعقليته السابقة.ولنأخذ مثالاً يوضِّح ذلك، فالبدوي[2] الذي عجز عن مدح أميره بأحسن من قوله:

أنتَ كالكَلبِ في حِفاظِكَ لِلوُدِ * وَكَالتَيْسِ في قِراعِ الخُطوبِ

قد استطاعت قريحته، بعد أن هذّبتها حضارة بغداد، أن تجود بمثل قوله:

عُيُونُ المَهَا بَينَ الرُّصَافَةِ والجِسْرِ * جَلَبْنَ الهَوىَ منْ حَيثُ أَدْرِي وَلا أَدْرِي

وعند تناولنا للحديث عن اللُّغة السندية والمراحل التي مرَّت بها منذ أن وطئت أقدام المسلمين أرض السند وإلى نهاية العصر العباسي الأول، فإننا نجد الحاجة مُلِحَّة للتأصيل ولذلك سنبدأ من الصراع بين اللُّغات وتأثيره على اللُّغة السندية.ثم نتبع ذلك بتقييم سريع للُّغة السندية قبل قدوم الفاتح المسلم، ثم نتحدث عن اللغة السندية في ظل الدولة الإسلامية، ونختم ذلك بآثار اللُّغة السندية على اللُّغة العربية ومدى استفادتها من آدابها وفنونها.

(١) الصراع بين اللُّغات وآثاره:

المتتبع لتاريخ اللُّغات وفقهها يجد أنّه يحدث بينها ما يحدث بين الأمم من احتكاك وصراع وتنازع على البقاء وسعي وراء الغلبة والسيطرة. وتختلف نتائج هذا الصراع باختلاف الأحوال، فتارةً ترجّح كفة أحد المتنازعين فيسارع إلى القضاء على الآخر مستخدماً في ذلك وسائل القسوة والعنف، أو يمهله ويعمل على كسر شوكته شيئاً فشيئاً حتى يتم له الغُلب. وأحياناً تتكافأ قواهما فتظلّ الحرب بينهما سجالاً ويظلُّ كل منهما محتفظاً بشخصيته ومميزاته.

---

١ ـ أحمد أمين: ضُحى الإسلام، مرجع سابق، جـ ١، ص ٦١ ـ ٧٣.

٢ ـ البدوي: هو علي بن الجهم ، من بني سامة بن لؤي، شاعر رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد، كان معاصراً لأبي تمام، وخص بالمتوكل، قتل في خراسان سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م. يُنظر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص١٧٣.

وينشأ هذا الصراع عن عدة عوامل، نختار منها ما يناسب مبحثنا، وهو نـزوح عناصر أجنبية إلى البلد، فتشتبك اللغتان في صراع إما أن ينتهي بانتصار لغـة فتصبح لغة جميع السكان قديمهم وحديثهم، أصيلهم ودخيلـهم[١]، وأحيانـاً لا تقـوى واحـدة منهما على الأخرى فتعيشان معاً جنباً إلى جنب[٢].

فعنـدما يكـون الشـعب الغالـب أرقـى مـن الشـعب المغلـوب في حضـارته وثقافته، وأشدّ منه بأساً وأوسع نفوذاً، ففي هذه الحالة يُكتـب النصـر للغتـه فتصـبح لغة جميع السـكان، وإن قـلّ عـدد أفـراده، كمـا نجـم عـن فتـوح المسـلمين في آسـيا وإفريقية، أنْ تغلبت لغتهم على كثير من اللُّغات القبطية والبربرية، فأصـبحت اللُّغـة العربية هي لغة الحديث والكتابة في الشمال الأفريقي وغيره، مع أن الجاليـة المسـلمة كان عددها أقل كثيراً من عدد السكان الأصليين، وإنْ كان هنالك عامل هـام سـاعد على سيادة اللُّغة العربية، وهو أنها لغة القرآن وبها جاء الإسلام، ولكـن يبقـى هـذا العامل واضحاً في لُغاتٍ أخـرى.وغنيٌّ عـن البيـان أن انتصـاراً لا يـتم إلا بعـد أمـد طويل وجهاد عنيف، لا يخرج المنتصر فيه على الحالة نفسها التي كان عليها من قبـل، فاللُّغة التي يتم لها الغلب لا تخرج سليمة من هذا الصـراع، بـل إنَّ طـول احتكاكهـا باللُّغة الأخرى يجعلها تتأثر بها في كثير من مظاهرها وبخاصة في مفرداتها، وهذا نجـده في كثير من الكلمات الدخيلة على العربية، والتحريفات التي طرأت علـى النطـق ومخـارج الحروف.أما في حالة عدم تغلُّب إحدى اللغـتين علـى الأخـرى، فتبقـى اللغـتين جنبـاً إلى جنب، والأمثلة على ذلـك كـثيرة في تـاريخ الأمـم الغـابرة، فاللُّغـة العربيـة لم تقـو علـى الانتصار على الفارسية، على الرغم من بقاء بـلاد فـارس تحـت سـلطان المسـلمين أمـداً طويلاً، وذلك لأن الشعب العربي المسلم لم يكن إذ ذاك أكثر عدداً من الفـرس، ولانتمـاء اللغتين إلى فصـيلتين مختلفـتين (فالعربيـة مـن الفصـيلة السـامية والفارسـية مـن الفصـيلة

١ ـ كما حدث للنورمانديين عندما احتلوا معظم أقاليم انجلترا في القرن التاسع الميلادي، ثـم لم تلبث لغة الشعب المقهور أن تغلبت على لغتهم، وذلك لأن الإنجليز المغلوبين كانوا أكثر عدداً.

٢ ـ علي عبد الواحد وافي: علم اللُّغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة السادسة، بدون تاريخ، ص١١٠ـ١٥٥.

الهندية)، والعامل نفسه نجده في اللُّغة الإسبانية التي لم تُهـزم أمـام العربيـة، وذلـك لانتمـاء الأخيرة إلى فصيلة غير فصيلة اللُّغات الإسبانية، وكذلك لم تتغلـب الفرنسـية علـى عربيـة الجزائر رغم بقاء الجزائر تحت الاستعمار نحو مائـة وثلاثـين سـنة، ومـا بذلتـه فرنسـا مـن جهود ليتم للغتها التغلُّب، وذلك لاختلاف اللغتين في الفصيلة[١].

وتختلف اللُّغات الإنسانية في مبلغ انتشارها اختلافاً كبيراً، فمنها مـا تتـاح لـه فرص مواتية، فينتشر في مناطق واسعة، كمـا حـدث للعربيـة واللاتينيـة في العصـور الوسطى، وللإنجليزية والإسبانية في العصور الحديثة. ومنها ما تُسَـدُ أمامـه المسـالك، فيظلُّ حبيساً في منطقة ضيّقة من الأرض، كما حدث للأينو[٢]. ومنها ما يكـون حالـه وسطاً، كما هو شأن اللّغتين الحبشية والفارسية.

هذا ومتى ما انتشرت لغة ما في منـاطق واسـعة مـن الأرض، وتكلَّمـت بهـا جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من الناس، استحال عليهـا الاحتفـاظ بوحـدتها الأولى أمداً طويلاً. فلا تلبث أن تتشعب إلى لهجـات، وتسـلك كـل لهجـة في سـبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها، حتى تصبح لغة متميزة مستقلة غير مفهومـه إلا لأهلها.ولكن يبقى الأصل الأول آثاراً تنطق بما بينهمـا مـن صـلات. وكـثيراً مـا يبقى الأصل الأول لغة أدب وكتابة ودين[٣].

وتنصُ قوانين اللُّغات أنه في الحالة التي كانت عليها اللُّغة العربيـة مـع لغـات المناطق التي دخلها المسلمون، أن النصر لا يتم فيها للغة الشعب الغالب (المسـلمين) إلا بخمسة شروط:

أولهما:أن يكون أرقى من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته وآداب لغتـه، وأقـوى منـه سـلطاناً وأوسـع نفوذاً.وثانيهمـا:أن تـدوم غلبتـه وقوتـه مـدة كافيـة. وثالثهما:أن تقيم بصفة دائمة جالية يعتد بها مـن أفـراده في بـلاد الشـعب المغلـوب.

---

١ ـ علي عبد الواحد وافي: اللُّغة والمجتمع، مرجع سابق، ص١١٥ـ ١٢٩.

٢ ـ الأينو: لغة يتحدث بها سكان ليتوانيا الذين يبلـغ عـددهم الآن نحـو مليـونين. يُنظـر علـي عبد الواحد وافي: علم اللُّغة، مرجع سابق، ص١٩٢

٣ ـ علي عبد الواحد وافي: اللُّغة والمجتمع، مرجع سابق، ص ١٥٥ـ ١٥٨.

ورابعهما: أن تمتزج بأفراد هذا الشعب. وخامسهما: أن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبين متقاربين. وقد توافرت جميع هذه الشروط في حالة العربية مع الآرامية والقبطية والبربرية، ولم تقو العربية على التغلب على القوطية لاختلال الشرطين الرابع والخامس، ولم تقو على التغلب على التركية لاختلال الشروط الثلاثة الأخيرة، وقد أفلت من هذا المصير بعض قرى سوريا ولبنان التي لا تزال تتكلم لهجات آرامية إلى عصرنا الحاضر، وأفلت منه كذلك بعض العشائر في شمال إفريقية فلا تزال محتفظة بلهجتها البربرية إلى اليوم[١]، أما عن وضع اللغة السندية ومدى انطباق هذه القواعد عليها فسنؤخره إلى نهاية المبحث .

وقد خرجت اللُّغة العربية في صراعها مع بعض اللُّغات وهي متأثرة بتلك اللُّغات التي صرعتها، فصراعها مع الفارسية مثلاً ترك أثراً على كلتيهما، فقد انتقل إلى كليهما من الأخرى كثير من المفردات والأساليب والتراكيب، وإن كان أثر العربية في الفارسية أوسع نطاقاً.

(٢) اللُّغة السندية وتطورها قبل الإسلام:

اختلف الباحثون بشأن علاقة اللُّغة السندية في دورها القديم باللُّغات الموجودة في شبه القارة الهندية، فوصل بعض العلماء إلى أن أغلبية اللُّغات المستعملة في شبه القارة الهندية ومن بينها اللُّغة السندية متفرعة عن اللُّغة السنسكريتية التي تعتبر في نظرهم أم اللُّغات في هذه القارة[٢].وقد رفض هذه النظرية بعض المهتمين باللغة السندية من أبنائها وفندوها مستندين إلى أن:

أ. اللغة السندية مستقلة بذاتها، ولكنها تأثرت في أول الأمر باللغات السامية المعروفة في بابل وآشور وكلدان وسومر بالعراق القديم، وبعد ذلك دخلت إليها ألفاظ من اللغات المستعملة في شبه القارة الهندية، مثل السنسكريتية والكشميرية وكذلك الفارسية.

---

١ ـ علي عبد الواحد وافي: فقه اللُّغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٧٣م، ص١٢٩.

٢ ـ Lambrick:Sind a General Introduction,Hyderabad,1964,p.222.

ب. لبلاد السند علاقات قديمة مع البلاد المجاورة وأهمها العراق، إذ أن علاقتها بها كانت أقوى من علاقتها بالهند، وتشهد على ذلك الآثار الباقية في منطقة موهنجو دارو الأثرية في بلاد السند، والتي تشير بصورة واضحة إلى وجود العلاقات المختلفة بين بلاد السند والعراق بصورة قوية في القديم[١].

ج. ذلك الاعتقاد الخاطيء نشأ عن وجود ألفاظ سنسكريتية في اللُّغة السندية، ولم يُعثر بين الآثار على أية عبارة واضحة أو لوحة مكتوبة تؤيد ذلك الادّعاء أو تبيِّن تأثير السنسكريتية على السندية سوى دخول بعض الألفاظ، فإن أصالة اللُّغة السندية وأسسها التاريخية تشير إلى الاختلاف الكبير بين اللُّغة السندية و السنسكريتية، لأن اللُّغة السندية لغة عريقة ولعلها أقدم نشأة وأكثر عمقاً وأوسع دائرة من غيرها من اللُّغات الموجودة في شبه القارة الهندية[٢].

د. بعض الباحثين في حفريات حضارة موهنجو دارو السندية توصلوا إلى أن الحضارة السندية القديمة تتشابه في نواحي عديدة مع حضارة دجلة والفرات، وهذا ناتج عن العلاقات المختلفة بين بلاد السند والعراق، كما عُثر على آثار للغة السندية من بينها أختام مكتوبة في منطقة موهنجو دارو تؤيد الصلة بينهما وبين اللُّغات السامية، ومما يدلُّ على ذلك أن بعض الألفاظ السندية مثل (كنجو ـ هنجو) هي في الأصل ألفاظ بابلية عراقية ساميّة، وهذا يعني أن أقدم حضارة ببلاد السند يرجع تاريخها إلى خمسة آلاف سنة وهي حضارة موهنجو دارو السندية تشبه الحضارة السامية في العراق القديم في كثير من الجوانب، وكذلك يؤيد ما ذهب إليه البعض بأن اللُّغة السندية كانت ساميّة الصفات على الأقل إن لم تكن متفرعة منها[٣] أي أن

---

١ ـ عبد بن مبشر الطرازي : موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، جـ ١، ص٤٠٩.

٢ ـ نبي بخش بلوج السندي: التاريخ المختصر للغة السندية، باللُّغة السندية، ص١و١٠و١٢، نقلاً عن عبد الله بن مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، جـ ١، ص٤١٠، ٤١١.

٣ ـ Lambrick:Sind a General Introduction,p.4

اللغتين السندية والعراقية كانتا من فصيلة واحدة وهي السامية، وهذا يعني أنه بالإمكان حدوث تأثير كل منهما على الأخرى كما ذكرنا في قواعد الصراع بين اللغات.

(٣) طبيعة الفتوح الإسلامية في الشرق وأثرها على اللُّغة السندية:

حتى نقف على ما حدث للّغة السندية من تطور يحسن بنا أن نلقي نظرةً سريعة على طبيعة الفتوح الإسلامية في البلدان الشرقية، والتي منها بلاد السند.فقد واجه المسلمون فيها الكثير من العنف والمقاومة حيث كان كل شيء غريباً عنهم بعد أن جاوزوا المدائن[1]، اللُّغة والعادات والتقاليد والأعراف وطبيعة الأرض واختلاف الإقليم، فطبيعة الأرض هنا تختلف عنها في المناطق التي حاربوا فيها من قبل. إنهم هنا يواجهون مناطق جبلية وعرة منذ خروجهم من المدائن، وتستقبلهم أجواء قاسية، فيها الثلوج والمطر والصقيع والشتاء الطويل.

ثم إن المسلمين هنا واجهوا إمبراطورية ضخمة عاصرت في التاريخ حقباً طويلة، ومارست سلطاتها على رقعة كبيرة من العالم، وكان لها في الحكم والسياسة وفي الإدارة والثقافة جذور بعيدة عمّقت الشعور القومي لأهل تلك البلاد، ولذلك لم تستطع الجيوش الإسلامية أن تثبِّت أقدامها بسهولةٍ ويسر، وإنما واجهت مقاومة عنيفة تمكنت من القضاء عليها بشق الأنفس، ثم واجهت نوعاً آخر من المقاومة بعد إحرازها للنصر وهو إعلان التمرد والخروج على الطاعة.إن الأسباب الحقيقية وراء المقاومة والصعوبات التي واجهها المسلمون في الجبهة الشرقية هي إن المسلمين كانوا في العراق يحاربون منطقة ليست من صميم الوطن الفارسي في شيء، وكذلك كانوا في سورية ومصر وإفريقية يحاربون ولايات ليست من صميم الوطن البيزنطي، فلا يفعلون أكثر من أن يحرروا هذه الأراضي من حكم الروم. أما في الجناح الشرقي،

١ ـ المَدَائنُ: كان اسمها بالفارسية طيسفون، فلما فُتحت على يد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سُميت المدائن لأنها تجمع سبع مدائن، وهي الآن جزء من مدينة بغداد. يُنظر شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، جـ٧، ص٢٢١، ٢٢٢.

فهم يحاربون أهل تلك البلاد في عُقر دارهم وأصل وطنهم، أي أنهم ينازعون الناس سلطانهم فلا عجب أن يلقوا مقاومة وثورات متتالية.

وهذا ما حدث بالفعل في بلاد السند، على أن انتفاضات المدن السندية وثورات المقاطعات والكفر بشروط الصلح لم تتح للعلاقات بين السند والمسلمين أن تسير في طريقها الوادع، وإنما تعرَّضت هذه العلاقات إلى كيد متصل وائتمار بالمسلمين، فكانوا كلما أصابوا من المسلمين غرة أو ضعفاً نقضوا الصلح وسكتوا عن الجزية حتى يأتي خليفة حازم أو والٍ حصيف، فينجح في إعادة سلطان المسلمين في المنطقة[1].

ونتيجة لهذه الانتفاضات والثورات تطالعنا هنا ظاهرة لم تشهدها من قبل فتوح الشام والعراق، وهي ظاهرة السبي، فنسمع أن الحارث بن مرة العبدي في خلافة علي بن أبي طالب ﷺ توجه إلى ثغر الهند فأصاب مغنماً وسبياً، وقسِّم في يوم واحد ألف رأس[2].ولما ولي زياد بن المنذر بن الجارود العبدي ثغر الهند، فتح قصدار وسبا بها[3].ولما فتح محمد بن القاسم الملتان كان السبايا هم سدنة البد، وكان عددهم ستة آلاف[4].وهكذا فإن أخبار الانتفاضات والسبي تطالعنا أكثر ما تطالعنا في الجناح الشرقي دون غيره من أقاليم الدولة الإسلامية، وما من شك في أن هذا السبي الذي أصابه المسلمون قد أصبح مسلم العقيدة عربّي اللِّسان، ولعب دوراً في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، وتغلبت عليه النزعات القومية في العصر العباسي كغيره من العناصر السكانية التي تكونت منها الدولة.

---

١ ـ نجدة خماش: الإسلام والعربية في الجناح الشرقي من الدولة الإسلامية، ضمن بحوث ودراسات مهداة إلى عبد الكريم محمود غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين، ١٩٨٩م، ص٩٧ ـ ١٠٩.

٢ ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري:البلدان فتوحها وأحكامها، مصدر سابق، ص٤٧٦.

٣ ـ المصدر السابق: ص ٤٧٨.

٤ ـ المصدر السابق: ص ٤٨٣.

وبعد هذا العرض للصعوبات التي واجهت المسلمين، ونحن إذا تركنا جانباً إسلام الأساورة الذين استشار أبو موسى الأشعري ﷺ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في شأنهم، والجند الذين كانوا مع رستم يوم القادسية[١]، والذين اعتزلوا الفرس ثم أسلموا، فإننا نلاحظ أن انتشار الإسلام في مناطق فارس والسند كان حركة فردية أو حركة جماعات صغيرة تتقبَّل هذا الدين، بينما كانت الحركة في بلاد ما وراء النهر تتخذ شكلاً جماعياً، ولعلَّ هذا راجع إلى أن التقاليد الدينية في تلك المنطقة لم تكن من العمق والأصالة بالقدر الذي كانت عليه الإمبراطورية الساسانية، وأرض السند.فطبيعة الفتوح في الجناح الشرقي من الدولة الإسلامية لا تمكننا من أن نرصد تقدم العرب المسلمين وانتشارهم مع تقدم الفتوح وانتشارها، لأن الجيوش كانت تنطلق من الكوفة والبصرة ثم تعود إليها بعد أن يترك ولاة الأمر بعض الحاميات في المراكز الحساسة، وهذا يفسر لنا كثرة الانتفاضات في تلك المناطق، والتي كانت نتيجتها انتباه الولاة و القادة إلى أن الأمر لن يستقر للمسلمين في هذا الجانب من الأرض ما لم يرافق الفتح العسكري نوع من الاختلاط بالسكان وتوثيق العلائق بينهم، ولذلك بدأوا تنفيذ سياسات جديدة فابن القاسم، مثلاً، أنزل أربعة آلاف من المسلمين في مدينة الديبل بعد أن افتتحها[٢]. وما من شك في أن تهجير هذه الأعداد وتوطينها في هذه المناطق كانت وراءه الكثير من الأهداف القريبة والبعيدة، كتأمين ما كان من فتوح، و نشر الإسلام واللغة العربية. ولكن أعداد المهجّرين كانت قليلة جداً مقارنة بأهل البلاد الأصليين، ونتيجة لذلك نجد أن الصبغة العربية لم تكن قوية وواضحة عدا بعض المناطق التي يكثر بها العرب مثل المدن التي يتم تشييدها في الأصل للعرب، فيأتي إليهم بعض أهل البلاد الأصليين ويعيشون وسطهم.

وعليه يمكننا القول أن حركة التعريب في الجناح الشرقي بصفة عامة والسند على وجه الخصوص لم تكن موفقة كما كانت عليه في الشام والعراق ومصر، وأن ما

١ ـ المصدر السابق: ص٤١٩، ٤٢٠.

٢ ـ المصدر السابق: ص ٤٨١.

ذكرنا من عوامل تداخلت فأَدَّتْ إلى ذلك، مما نتج عنه انتقال غير كامل للغة العربية إلى لغة أهل السند الأصليين، فخرجت اللُّغة العربية من هذه المعارك الثقافية بدخول بعض الكلمات العربية في معظم لُغات الجناح الشرقي، وعلى رأسها الفارسية و السندية.فنجد أن اللغة السندية استعارت الكثير من الكلمات العربية، وأحدثت فيها بعض التغييرات في النطق والرسم، وما سنذكره من أمثلة فيما بعد سيجلي الأمر.

(٤) اللُّغة السندية في العهد الإسلامي:

قبل تناول الأثر الذي تركته اللُّغة العربية في لغة أهل السند لابد من تقرير أن العراق بمدينتيها البصرة والكوفة كانت مصدر قوة للغة العربية، وذلك لكونهما أوائل المدن التي مُصِّرت فدخلها العلماء الذين بدأوا في البحث عن معاني القرآن وإقرائه وتفسير غريب آياته وألفاظه وبيان مشكله وتوضيح أحكامه، وكذلك الحديث النبوي، الأمر دفعهم إلى جمع اللغة عن القبائل العربية الفصيحة فظهرت الدراسات اللغوية[١].

وكان من أوائل المهتمين بذلك العلماء الذين استقروا في البصرة أول المدن التي مُصِّرت في العراق سنة ١٤هـ/ ٦٤٣م إبان الفتوحات الإسلامية، ومن هنا "كانت هذه المدينة منبع هذه الدراسات، والشمس التي شعّ نورها على الناطقين بالضاد، وغمرت بضوئها بلاد العرب والمسلمين بعد أن استطاع رجالها القائمون على هذه الدراسات أن يضعوا أصولها وضوابطها التي بها يستطيعون تفسير آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، وأن يُفْهِمُوهَا من عاصرهم أو جاء بعدهم ممن دخلوا في الإسلام وانضووا تحت لوائه من أبناء الألسن المختلفة والأجناس المتعددة"[٢].

وكانت الكوفة مركزاً ثانياً لدراسة علوم العربية، إلا أن هذه الدراسات تأخر ظهورها في الكوفة قرابة قرنٍ من الزمان، إذ كانت في شغل

---

١ ـ محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، جـ ١، ص١٢.

٢ ـ نخبة من البحثين العراقيين:موسوعة حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م، جـ ٧، ص١٩٩.

عن ذلك بالفقه ووضع أصوله، وبالقراءات ورواياتها[١].وقد كان لوجود هـاتين المدينتين في مواجهة بلاد السند، ووجود أعداد هائلة من أهل السند بهما كـان له أثره البالغ على اللُّغة السندية وتكوينها.

ومع دخـول المسـلمين السـند بـدأت لهجـات جديـدة في الظهـور، وأَدَّتْ في النهاية إلى ظهور لغات استخدمها أهل السند كلٌ في منطقته، ومن أهم عوامل ظهور تلك اللغات ما قام بـه المسـلمون مـن تشـييد بعـض المـدن فـاختلطوا بأهـل الـبلاد الأصليين، وكانت لهؤلاء المسلمين العرب الغلبة على أهل السند، فاختلطت لغـاتهم مع لغات أهل البلاد المفتوحة، ودخلت تراكيب اللغة العربية إلى اللـهجات المحليـة ، وكانت معظم الكلمات الدخيلة هـي تلـك الألفـاظ العربيـة المتصـلة بالمصـطلحات الدينيـة، وكانـت هنالـك كلمـات أخـرى قـد سـبقت العربيـة إلى تلـك اللـهجات كالفارسية، والتي انحصرت كلماتها في عبـارات متصـلة بالمأكـل والمشـرب والملـبس، ولابد أن نشير هنا إلى أن الفارسية ظلّت لقرون عديدة اللغة الرسميـة لمنطقـة السـند وشمال الهند والدكن، وبالتالي فقد كانت ولفترة طويلة وسيلة التعبير في ربـوع هـذه المنطقة، إلا أنها لم تكن تطغـى علـى اللغـات المحليـة الـتي بـدأت ترقـى عـن طريـق امتصاصها لبعض عناصر الفارسية[٢].

ويعتبر عصـر الفـتح الإسـلامي لـبلاد السـند العصـر الـذهبي بالنسبة للغـة السندية، ففي هذا العهد تطورت السـندية واكتملـت بحيـث وصـلت إلى منزلـة لغـة رئيسية بين اللُّغات أو اللهجات السـندية المختلفـة، وظلّـت منـذ ذلـك العهـد علـى صورتها القوية إلى وقتنا الحاضر.

ومن أهم الأسباب التي ساعدت على وصولها إلى هذه المنزلة المرموقة هـو أن بلاد السند صارت منذ أواخر القـرن الهجـري الأول، ولأول مـرة في التـاريخ تحـت

---

١ ـ شوقي ضيف:المدارس النحوية، مرجع سابق، ص١٥٣.

٢ ـ سمير عبد الحميد إبراهيم: الألفاظ العربية في اللغة الأردية، دراسة دلالية معجميـة، المكتبـة العلمية، لاهور، باكستان، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص١٤.

حكم منظّم، يحترم الإنسان أياً كان ويرد الحقوق إلى أهلها، الأمر الذي دفع الشعب السندي لقبول هؤلاء الفاتحين، والانقياد لسياستهم، ونتيجة لذلك ضعفت الفوارق بين الشعبين، وما من يوم إلا وتتناقص فيه المسافة بين المسلمين العرب وأهل السند، فبدأت اللُّغات تتوحد، وبدأت بعض الكلمات العربية تظهر بين حديث أهل السند، خاصة وأن هنالك بعض المصطلحات التي لم تكن مستخدمة من قبل، مثل الصلاة والصيام والصدقة والجهاد وغيرها، فلما دخلت هذه الكلمات أخذت معها عبارات أخرى يحتاجها الناس كلغة للتفاهم مع الفاتحين[١]، وعندما اتجه أهل تلك البلاد لحضور حلقات العلم مع المسلمين العرب في المساجد بدأت تتسرب إليهم بعض كلمات اللغة العربية، ونتيجة لهذا الاحتكاك ظهرت لغة سندية يتحدث بها أهل السند غير العربية، هذه اللغة تجمع بين الكلمات السندية القديمة، ونسبة مُقَدَّرة من الكلمات العربية، فالذين تعلموا اللغة العربية وأجادوها استخدموا حروفها في كتابة لغتهم، ولما وجدوا أن هنالك حروف في السندية لا توجد في العربية لجأوا إلى إضافة بعض الحروف، وهكذا ظهرت إلى الوجود اللغة السندية التي يمكن أن نسميها السندية الإسلامية التي أخذت تتقرب إلى العربية تقرباً شديداً وتتأثر بها تأثراً كبيراً[٢].

وكانت اللُّغة السندية تسير جنباً إلى جنب مع العربية في عهد المسلمين بحيث كانت العربية، لغة الدوائر الحكومية والخواص بينما كانت اللُّغة السندية لغة العوام، وقد ذكر المقدسي وغيره من الجغرافيين الذين زاروا بلاد السند في القرن الرابع الهجري بأن أهل المنصورة عاصمة السند وأهالي إقليم البنجاب وسكان المدن السندية الأخرى يتكلمون العربية و السندية معاً[٣]، ويُفهمُ من عبارة ابن النديم

---

١ ـ محمود حجازي: علم اللغة العربية، الكويت، ١٩٧٣م، ص ٢٣٩، ٢٤٠.

٢ ـ بولي جي:التاريخ المختصر للغة السندي، ص٢٣.نقلاً عن الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ ١، ص٤١٥.

٣ ـ أبو عبد الله بن أبي بكر البناء المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مصدر سابق، ص٤٧٦.

(المتوفى سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) أن الخط السندي كان يشبه الخط العربي في ذلك العصر مع فارق يسير[1].وهذا يدلّ على مدى أثر اللُّغة العربية في اللُّغة السندية، مع بقاء السندية، ومن ناحية أخرى نستشف من ذلك أن اللُّغة العربية ولكونها لغة الدولة الحاكمة من ناحية، ولغة الإسلام من ناحية أخرى، قد أثرت في اللُّغة السندية وسيطرت عليها بحيث اتسعت دائرتها بدخول كثير من الألفاظ العربية والأفكار الإسلامية إليها.

وعدد حروف اللُّغة السندية اثنان وخمسون حرفاً، فيها ثمانية وعشرون حرفاً أخذتها عن العربية، وأربعة أحرف أخذتها عن الفارسية وهي(ب ـ ج ـ ز ـ كـ)، وأما بقية الحروف العشرون فهي أيضاً على أشكال بعض الحروف العربية، فقط تتميز عنها بوضع نقط زائدة فوقها أو تحتها. كما أننا نجد أن ٣٠% من الكلمات المستعملة في اللغة السندية في القواعد والأسلوب والبلاغة مأخوذة عن اللغة العربية[2].

وقد أُنزلت العربية في تلك البلاد منزلة سامية، لأنها لغة القرآن والحديث اللذين يقوم عليهما الدين الإسلامي، وهي فضلاً عن هذا وذاك اللُّغة التي يجب أن تُؤدَّىَ بها كثير من العبادات، وكان أثر ذلك أن تركت العربية في لغات هذه الأمم آثاراً ذات بال، وانتقل منها إلى هذه اللُّغات كثير من المفردات. وقد بلغ هذا الأثر مبلغاً كبيراً في اللُّغات السندية، التي بدأت في التوحد وتقارب الألفاظ نتيجة لورودها جميعها معيناً واحداً وهو اللغة العربية، مما أدى في نهاية الأمر إلى ظهور لغة راجت في كل أنحاء السند وشمال الهند أُطلق عليها فيما بعد اللغة الأردية، والتي تضم ٧٥% من مفرداتها كلمات عربية الأصل[3]، فاتسعت بذلك مناطق نفوذ اللُّغة العربية اتساعاً كبيراً.والأردية كلمة تركية تعني الجيش، وقد أُطلقت على معسكر الجيش، كما أُطلق على

---

١ ـ محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست، مصدر سابق، ص٣٢.

٢ ـ عبد الله بن مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، جـ ١، ٤١٦.

٣ ـ سمير عبد الحميد: الألفاظ العربية في اللغة الأردية، مرجع سابق، ص١٤.وسمير عبد الحميد إبراهيم: اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م، ص ٦١، ٦٢.

المنطقة التي يتعامل فيها الجند "أردو بازار" أي سوق الجيش، ولما كان هؤلاء الجنود يعملون لدى السلطان فقد أُطلق على اللغة الرائجة بينهم "اردو معلى"أي الأردية الفصيحة الراقية[١].

ولنأخذ أمثلة لبعض الكلمات العربية الأصل التي يستخدمها أهل السند في لغتهم[٢]:

الكلمة	النطق في اللغة الأردية	معناها
اسلامي شريعت	اسلامي سريئت	الشريعة الإسلامية
بالتفصيل	بت تفسيل	بالتفصيل
تحريك نسوان	تهريكي نسوان	حركة نسائية
ثانوي مدارس	سانوي مدارس	المدارس الثانوية
جبري تعليم	جبري تاليم	تعليم إلزامي
حج اكبر	هجي اكبر	الحج
خراب حالت	خراب هالت	حالة سيئة
دار الآخرت	دارول آخرت	الدار الآخرة
ذاتي دفاع	زاتي دفا	الدفاع عن النفس
رقت العيش	رقتول أيش	رغد العيش
زنبور عسل	زنبوري أسل	النحلة

١ ـ سمير عبد الحميد إبراهيم: معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية، مطابع جامعة الإمام، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص١٣.

٢ ـ سمير عبد الحميد إبراهيم: معجم تراكيب الألفاظ العربية في اللغة الأردية، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٧٣ ـ ٥٠٩.وقد استعنت بأفراد من الجالية الباكستانية والذين أجمعوا على أن هنالك اختلاف طفيف بين الأردية والسندية في بعض الكلمات.

سفلي عمل	سفلي امل	السحر الأسود
شرقي علوم	شرقي ألوم	العلوم الشرقية
صاحب سعادت	ساهب سآدت	محظوظ
ضبط توليد	زبت توليد	تحديد النسل
طبقاتي نظام	تبقاتي نزام	نظام طبقي
ظن باطل	زني باتل	ظن لا أساس له
عاقبت خراب	آقبت خراب	نهاية سيئة
غلط فهم	غلت فهم	فهم خاطيء
فاتحة خير	فاتهاي خير	عقد زواج
قتل عام	قتلي آم	إبادة ومجزرة
كافر نعمت	كافري نئمتي	الكفر بالنعمة
لازمي نتيجة	لازمي نتيجتا	نتيجة حتمية
محفل عروسي	مهفلي أروسي	حفل الزواج
نطفه حرام	نتفاي هرام	ولد الزنا
وزارت انصاف	وزارتي انساف	وزارة العدل
هيئة أصل	هيئت أسل	الشكل الحقيقي
يوم الأضحى	يومول أزها	عيد الأضحى

(٤) تأثير اللغة السندية في العربية:

ما حدث بين اللغتين العربية و السندية من احتكاك كان أثره واضحاً على اللغة السندية، وخاصة في كتابتها بالأحرف العربية، ودخول نسبة مقدّرة من الكلمات العربية فيها. ولكننا في المقابل نجد أن اللغة العربية أيضاً تأثرت بالسندية أو اللغات الهندية بصفة عامة، وأخذت منها بعض

الفنون.فإذا نظرنا إلى تاريخ القواميس في اللغة العربية، نجد أن أول من ألّف معجماً لغوياً جامعاً، يرمي إلى شرح معاني المفردات، هو الخليل بن أحمد الفراهيدي[١]، فقد رتَّب الكلمات ترتيباً خاصاً ليسهل على من يريد الوقوف على معنى أي كلمة الرجوع إليها في موطنها، وذلك في كتابه الموسوم بـ (العين)، فقد رتّب الخليل كلماته حسب ترتيبها في مخارج أول حرفها، مبتدئاً بأقصى الحلق[٢]ومنتهياً بالشفتين، غير أنه يظهر أن المنون قد عاجلته قبل إتمامه، فأُكمل بعد وفاته بأكثر من نصف قرن.وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن الخليل بن أحمد اتبع في ترتيب معجمه طريقة النحاة السنسكريتيين في ترتيب حروف لغتهم، فإن الحروف السنسكريتية تبدأ بحروف الحلق وتنتهي بالأحرف الشفوية[٣].ويكفي هذا شاهداً على ما قدمته اللغة السندية للمسلمين إذ أن وضع أول بذرة في قاموس العربية كان برعاية هذا الصقع النائي الذي دخله الفاتح المسلم حاملاً للواء الإسلام وناشراً لثقافته ومستفيداً مما في حضارته من خيرات، وباذلاً إليه ما عنده من خيرٍ عميم لا تزال جمهورية باكستان الإسلامية ترتع فيه إلى يومنا هذا.

---

١ ـ الخليل بن أحمد: هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي، أحد الأعلام في اللغة، أخذ عنه سيبويه النحو والأصمعي وآخرون، كان رأساً في لسان العرب، ديناً ورعاً، وهو أول من كتب في علم العروض، كان مفرط الذكاء، وُلد سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م وتوفي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، ولم يكمل كتابه العين. يُنظر شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، جـ٧، ص٤٢٩. وشهاب الدين عبد الحي بن أحمد العسكري بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مصدر سابق، جـ١، ص٢٧٥.

٢ ـ يعتبر كتاب العين أول معجم شامل لمواد اللُّغة العربية، فقد قام مؤلفه بترتيب المفردات اللغوية فيه على أساس صوتي بحسب مخارج الحروف، فبدأ بحرف العين الذي سُمي الكتاب به.يُنظر حسين نصار:المعجم العربي نشأته وتطوره، مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، جـ١، ص١٧٤ ـ ١٧٧.

٣ ـ علي عبد الواحد وافي: فقه اللُّغة، مرجع سابق، ص٢٨١، ٢٨٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختمت به الرسالات، فبعد عرضنا للثقافة الإسلامية ووسائل انتشارها في بلاد السند، نصل إلى خاتمة هذا البحث، والتي تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث والتي نجملها فيما يلي:

أولاً: إن بلاد السند عُرفت بأسماء عديدة، فكلما غزتها جماعة أطلقت عليها اسماً، وعندما دخلها المسلمون كانت تُعرفُ ببلاد السند، فظلت معروفةً به إلى يومنا هذا.كما أن حدودها كانت تختلف ضيقاً واتساعاً وفق المساحة التي تسيطر عليها السلطة الحاكمة في كل حقبة.

ثانياً: تعتبر حملات الفتح الإسلامي لبلاد السند في عهد الفاروق ﵁ أولى خطوات الفتح الذي أكمله الأمويون في عصر الخليفة الوليد بن عبد الملك، وولاية الحجاج بن يوسف على العراق، وتحت راية محمد بن القاسم الثقفي.وقد كسب المسلمون أراض جديدة، ولكن بدأت في الضمور بعد اغتيال الفاتح محمد بن القاسم على أيدي رجال الخليفة سليمان بن عبد الملك، الذي جاء لينتقم من القادة الذين حاولوا صرف ولاية العهد عنه إلى ابن أخيه الوليد.

ثالثاً: انحصرت جهود الخلفاء بعد الوليد بن عبد الملك في القضاء على الخارجين على الدولة، وجاء العباسيون وقاموا بالدور نفسه، ولذلك كانت الثقافة الإسلامية تزحف بخطىً وئيدة في الغالب، ما عدا بعض الفترات التي حكم فيها ولاة نجحوا في بسط الأمن والاستقرار في المنطقة، واهتموا بالثقافة والعلم فشهدت أيامهم ازدهاراً للثقافة الإسلامية، وانتقاءً لحضارة السند.

رابعاً: من أهم الوسائل التي ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية في بلاد السند: بناء المساجد، وإرسال الدعاة، وتعريب الدواوين، والقدوة الحسنة وسط المجتمع السندي الذي وجد مطابقة القول للعمل، وانتشار ظاهرة الزواج من السنديات، والعائدون من أبناء الجالية السندية المقيمون في الجزيرة العربية والعراق إلى بلادهم للدعوة إلى الإسلام ونشر الثقافة العربية والإسلامية.

خامساً: واجهت انتشار الثقافة الإسلامية في بلاد السند عقبات، حالت دون انطلاقها بسرعة منها: كثرة الارتداد، والعصبية التي كانت تشتعل من وقت لآخر، وظهور بعض الفِرَق المناوئة للدولة والتي غالباً ما تتخذ السند ملجأً لها، فتعمل على استعداء أهل تلك المنطقة ضد الدولة، مثل الخوارج والشيعة.

سادساً: انتشرت اللغة العربية في بلاد السند لعدة عوامل أهمها: وجود جالية سندية في بلاد العرب، تعلَّمت اللغة العربية ونشرتها في بلاد السند، وتردد بعض التجار على بلاد السند الأمر الذي جعل العربية لغة معروفة لدى شعوب تلك المنطقة، ووجود العديد من السبايا من نساء ورجال أهل السند الذين عاشوا وسط المسلمين في الجزيرة العربية والعراق فتعلموا العربية ونقلوها إلى بلادهم كدعاة ومبشرين بالإسلام، وحرص أهل تلك المنطقة على تعلُّم اللغة العربية لأنها لغة القرآن الذي لا تصح العبادة إلى بحفظ آيات منه.

سابعاً: بدأت العلوم الدينية في الدخول إلى بلاد السند منذ بداية الفتح، وكان من أهم الوسائل التي ساعدت على انتشارها: بناء المساجد، ووجود مجموعة من العلماء والقضاة والأئمة.

ثامناً: بدأ اهتمام المسلمين بالترجمة منذ عصر بني أمية ولكن الاهتمام بها كان ضعيفاً، إلى أن جاءت الدولة العباسية، فاتجهت بكليتها إلى الترجمة وأنفق خلفاؤها الأموال الطائلة من أجل الحصول على الكتب النفيسة في مجالات الطب والأدب والفلسفة والرياضيات والفلك وترجمتها. ومن أهم تلك الكتب كتاب سد هانت في الرياضيات والفلك، وكتاب الأركند في الفلك، وكتاب شيركا في الطب،

وكتاب كليلة ودمنة في الأدب.وتعتبر الترجمة رائد المسلمين في مجال العلـوم العقليـة، وقد استطاعوا عن طريقهـا التعـرّف علـى الـتراث الثقـافي والعلمـي لـبلاد السـند، وكانت الجسر الذي عبر من خلاله المسلمون إلى الحضارة السندية.

تاسعاً: قام علماء المسلمين بجهود جبارة في مجال العلوم العقلية، وقد وصـلوا في فترة وجيزة من عُمر التاريخ إلى أقصـى مـا يمكـن اكتسـابه مـن المعـارف في هـذه العلوم، وكان لهم الفضل ـ بعـد الله ـ في تقـدمها وازدهارهـا بكافـة فروعهـا، ذلـك التقدم الذي استحقوا عليه أن يكونوا حقيقة أساتذة للأجيال اللاحقة.وقد تأكد مـن خلال إنتاجهم وإسهاماتهم في المجالات العلمية المختلفة أن خدمتهم لتلـك العلـوم لم تقتصر على حفظ ونقل تراث الأمم السابقة، بل كانت لهم إسهامات هائلة في إثـراء العلوم العقلية، التي أصبحت تدين لهم بقدر كبير مـن هـذا التقـدم، فهنالـك بعـض الفروع التي أُضيفت من اختراعهم، ولهذا حفل الـتراث العلمـي الإسـلامي بـالكثير من أفكارهم ونظرياتهم العلمية الأصيلة الـتي أجمـع المؤرخـون لتـاريخ العلـم علـى أهميتها.ويكفيهم خدمةً لتلك العلوم أنهـم أخرجوهـا إلى البشـرية بعـد أن حاربتهـا المسيحية وجعلتها حبيسة المستودعات، ثم أضـافوا إليهـا أفكـاراً جديـدة لم يعهـدها المفكرون من قبل.

عاشراً:قَدِمَ إلى بلاد السند ثلاثة أصناف من العلماء المسـلمين: أولهـم بعـض القـادة مـن كبـار الصـحابة الـذي فتحـوا الـبلاد بقـواتهم، ثـم فتحـوا القلـوب بعلومهم.وثانيهم: العلماء الذين صحبوا جيوش الفتح إلى السـند.وثالثهم: المتطوعـة الذين كانوا يَفِـدُون إلى أرض السـند مـن وقـت لآخـر فيقيمـون حلقـات العلـم في مساجدها، ويعقدون المناظرات.

حادي عشر: وُجِد في بلاد السند وبلاد العرب علمـاء مـن أهـل السـند وهـم ثلاثة أصناف: الأول العلماء الذين كـان آبـاؤهم وأجـدادهم مـن السـند، فـاعتنقوا الإسلام وصُبغوا بصبغة الـدين في جميـع نـواحي حيـاتهم، ومـنهم الـزط والسـيابجة وغيرهم من الذين استوطنوا بلاد العرب قبل الإسلام وسكنوا فيها، أو تـرددوا بـين

البلاد العربية ووطنهم الأصلي. والصنف الثاني: هم السبايا والموالي الذين جُلِبُوا من السند والهند، وصاروا في ولاء الإسلام، فانضموا إلى القبائل والأفراد واشتغلوا في الأعمال المختلفة، خصوصاً العلوم الإسلامية والمعارف الدينية.أما الصنف الثالث: فهم العلماء الذين كانوا يعملون في مجال العلوم العقلية، فأسلموا بعد الفتح الإسلامي وقَدِمُوا إلى حاضرة الخلافة بغداد، أو من ظلَّ منهم على دينه فقدَّم للإسلام عصارة علومه رغبة فيما يجده عند الخلفاء من عطاء ومنحة.

ثاني عشر: مرّت اللغة السندية بعدة مراحل، وفي كل مرحلة يكون فيها الصراع مع إحدى اللغات الغازية فتضيف إليها بعض المصطلحات، ولكن عند قدوم الفاتح المسلم كان تأثير العربية فيها عميقاً، فقد أصبحت اللغة السندية تُكتب بالحروف العربية، وانتقلت إليها العديد من الكلمات العربية التي تصل نسبتها إلى ٣٠% من مجموع كلماتها.

ثالث عشر: استفادت اللغة العربية من السندية في بعض الفنون مثل إنشاء المعاجم التي تم تأليفها وفق طريقة اللغة السنسكريتية في وضع المعاجم.

وفي الختام لا أزعمُ أنني أحطت في هذه الرسالة، بمعظم مصادر ومراجع الثقافة الإسلامية ببلاد السند، أو تجاوزت كل مزالق القصور في عرضها، ولكنني سعيت في ذلك الاتجاه في محاولة جادة. فإن وُفِقْتُ أو اقتربت منه، فذلك القصد وإن جانبني التوفيق فحسبي من صِدْقِ المحاولةِ حُسنَ النية.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل،،،

الملاحق

الملحق الأول

ملخص البحث

باللغة العربية والإنجليزية

ملخص البحث باللغة العربية

استهللت البحث بتمهيدٍ تحدثت فيه عن مصطلحات عنوان الرسالة، فتناولت معنى الثقافة الإسلامية في اللغة العربية، ومفهومها عند الغربيين، ثم أتبعت ذلك بمعناها في الاصطلاح، وخلصت إلى مفهوم الثقافة الإسلامية بصفة عامة، وما قصدته من معنى في الأطروحة بصفة خاصة.

ثم عرّفت ببلاد السند من حيث منشأ التسمية، والموقع الجغرافي، والحدود التي استقر عليها الإقليم قبيل الفتح الإسلامي الذي كانت أولى محاولاته في عهد الخليفة الفاروق رضي الله عنه، فتتبعت حملاته على منطقة مكران بعد أن أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية، وقدَّمتُ شرحاً لأوضاعها في عهد الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ثم تناولت أحوال الإقليم في عصر بني أمية، إلى أن اكتمل الفتح واستقرت المنطقة بأكملها في خلافة الوليد بن عبد الملك، وولاية الحجاج بن يوسف على العراق، وقيادة محمد بن القاسم فاتح السند، والذي قام بجهود مُقَدَّرة في ضم المنطقة لأرض الإسلام.

ثم تحدثت عن قيام الدولة العباسية والظروف التي هيأت لنجاحها، والخلفاء الذين تعاقبوا على عرشها في عصرها الأول، مبرزاً أهم أعمالهم والأحداث التي وقعت في عصر كل منهم.ثم تناولت العقبات التي اعترضت الدولة العباسية والمتمثلة في الانقسام داخل البيت العباسي، ومحاولات الأمويين لاستعادة نفوذهم، والمحاولات التي قام بها العلويون للوصول إلى السلطة، وثورات الخوارج، وأخيراً موقف الموالي من الدولة العباسية، والحركات التي قاموا بها ضدها.

وفي الفصل الأول تناولت أوضاع السند منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر العباسي الأول، وذلك من الناحية السياسية والدينية والاجتماعية.فمن الناحية السياسية بدأت بأوضاع المنطقة منذ خلافة سليمان بن عبد الملك إلى عصر الخليفة العباسي الواثق، فتتبعت الأحداث التي مرّت بالمنطقة والولاة الذين تعاقبوا على حكمها، وأهم الأحداث السياسية التي صاحبت فترة حكمهم.

أما حالة المنطقة الدينية فقد مهّدْتُ لها بإبراز أهم مظاهر الحياة الدينية قبيل الفتح، ثم أتبعت ذلك بانتشار الإسلام، ودخول المذاهب الإسلامية في بلاد السند، وظهور الفرق الدينية كالشيعة والخوارج.

ثم تناولت أوضاع المنطقة الاجتماعية مستهلاً ذلك بالحديث عن القبائل السندية وأوضاعها الاجتماعية، والقبائل العربية وتكويناتها، وخلصت إلى المجتمع السندي الجديد المكوّن من القبائل السندية والعربية، وبعض الآثار السالبة التي ترتبت على دخول القبائل العربية إلى المنطقة والمتمثلة في انتقال العصبية إلى السند.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لأهم وسائل انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند، وقد أبرزت جهود الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية، وحكام السند في نشر التعليم بالمنطقة، وأتبعت ذلك بإبراز جهود خلفاء بني العباس وحكامهم على السند.ثم تحدثت عن اللغة العربية وأثرها في التمازج والتداخل بين المسلمين العرب وأهل السند، إضافة إلى استقطاب العناصر المسلمة والمستعربة التي تضم العناصر السندية المقيمة في جزيرة العرب، والقبائل العربية التي قطنت أرض السند. وكان من تلك الوسائل الاهتمام بالشعر وإكرام رواده وأثر ذلك على انتقال الثقافة الإسلامية.ثم ختمت تلك الوسائل بالتعرُّض لحركة التواصل التجاري بين بلاد السند وبلاد العرب.

وكان الفصل الثالث مخصصاً للعلوم الدينية والعقلية في بلاد السند، وذلك لكونها حادي ركب الثقافة الإسلامية، وقد بدأتها بالحديث عن العلوم الدينية باعتبارها أُولى العلوم التي نقلها المسلمون إلى البلاد المفتوحة، وقبل تناول العلوم العقلية تعرّضت للترجمة ودورها في إثراء العلوم العقلية.

وخصصت الفصل الرابع والأخير لنتائج التمازج الفكري بين الثقافة الإسلامية والسندية، والذي تمثل في حركة التواصل العلمي بين بلاد العرب والسند منذ العهد الراشدي ومروراً بعصر بني أمية، إلى نهاية العصر العباسي الأول، وذلك بإبراز مجموعة من العلماء المسلمين الذين قدموا بلاد السند كقادة أو علماء أو دعاة أو قضاة وأئمة. ثم أتبعت ذلك بذكر إسهام علماء السند في الصرح الإسلامي، وقد

قسّمتهم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يشمل العلماء الذين كان آباؤهم وأجدادهم من السند فاعتنقوا الإسلام وصُبغوا بصبغة الدين، أما القسم الثاني فيضم السبايا والموالي الذين جُلبوا من السند وصاروا في ولاء الإسلام، فانضموا إلى القبائل والأفراد.وفي القسم الثالث تناولت العلماء الذين برزوا في مجال العلوم العقلية وأسلموا وقدموا إلى بغداد، أو مَنْ ظلّ منهم على دينه فقدّم للإسلام عصارة علومه رغبة فيما عند الخلفاء من عطايا.وأخيراً تناولت المراحل التي مرت بها اللغة السندية بَادِئاً بصراعها مع اللغات الأخرى قبل الإسلام، ثم الأدوار التي مرت بها بعد احتكاكها باللغة العربية، وما تمخض عن هذا الاحتكاك من تغيير جذري على كلماتها وحروفها.

ثمّ جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وبها أنهيت الرسالة.

ABSRACT

In the Name of Allah The All Merciful The Most Compassionate

At the start of this research, the researcher, wrote about the terms used on the title of this dissertation. He stated the Arabic meaning of Islamic Culture, then its concept as understood by people in the West . He then stated the concept of Islamic culture as a terminology , then as general meaning and finally what is meant by this term in this dissertation .

The researcher , then gave a review about the Sind Land , considering how it came to be called Sind , its geographical site , its boundaries at the time prior the Islamic capture to Sind ; on its first trails by the time of the Caliph Omer Ibn El Khutab (may God be pleased with him). The researcher traced backed the history of the military campaign to the Mokraan area , after it became part of the Islamic State . Then I gave details about its status during the rules of the two Caliphs : Othman Ibn Afan and Ali Ibn Abi Talib (may God be pleased with them) . The researcher then explained the state of affairs in the region during the rule of Bin Omm'iah up to the time when all the region came under the Islamic State ; under the reign of

Caliph el-Walied Ibn Abd el-Malik , the Governer Hajajj Ibn Yuosuf , and the Leader Mohammed Ibn el-Gassim , the Conqueror of Sind , who made great efforts to join the region to Islam State .

The researcher also wrote about the Abbas'ieh State : its establishment , the factors which made that possible, the successive Caliphs , on its first era, their most conspicuous achievements; as well as the main obstacles that faced the State:namely the splits among the same family , the Ommawians trying to get back their influence , the trails made by Alwiy'eens to take power ,the Khawarij's uprisings and the non-Arabs and their stand against the State .

In chapter one the researcher discussed the political , religious and social conditions in the Sind since the Islamic conquer on the land up to the end of the Abbasi's era . As for the political conditions , I started from the time of Caliph Sulieman Ibn Abd Al-Malik and on to the time of Caliph Al-Wathiq , mentioning the governers and the main political events .

I introduced for the religious situation by highlighting the most conspicuous religious features prior Islam , then after the spread of Islam and the appearance of Islamic sects as well as religious groups , such as Shi'at and Khawarij .

When discussing the social conditions , I wrote about the Sindu tribes and their social conditions , the Arab tribes and their formations ; and finalized by the new Sindu society which was a result of the intermingling of both Arabic and Sindu tribes . I also wrote about the negative influences , such as racism , which entered the regions with the coming of Arabic tribes .

Chapter two included the main media for the spreading of the Islamic culture in the region.I showed the efforts of the Four Orthodox Caliphs , the caliphs of Bin Ommi'a and the Sindu Governors to spread education as well as those of Bin Al-Abbass in the region . I also elaborated on the role of Arabic language in diffusion between the Moslim Arabs and local people of the region and on the attraction of Muslims and Arabiced bodies that were living in the regions . Some of those attracting factors were caring for poetry and honoring poets and finally also the commercial communication between the region and the Arab world .

Chapter three was exclusively for religious and intellectual sciences in the Sindu land as these were primarily the leading Islamic Cultural subjects.I started with the religious sciences because it was the first to be introduced into the region . Before discussing the intellectual sciences ,

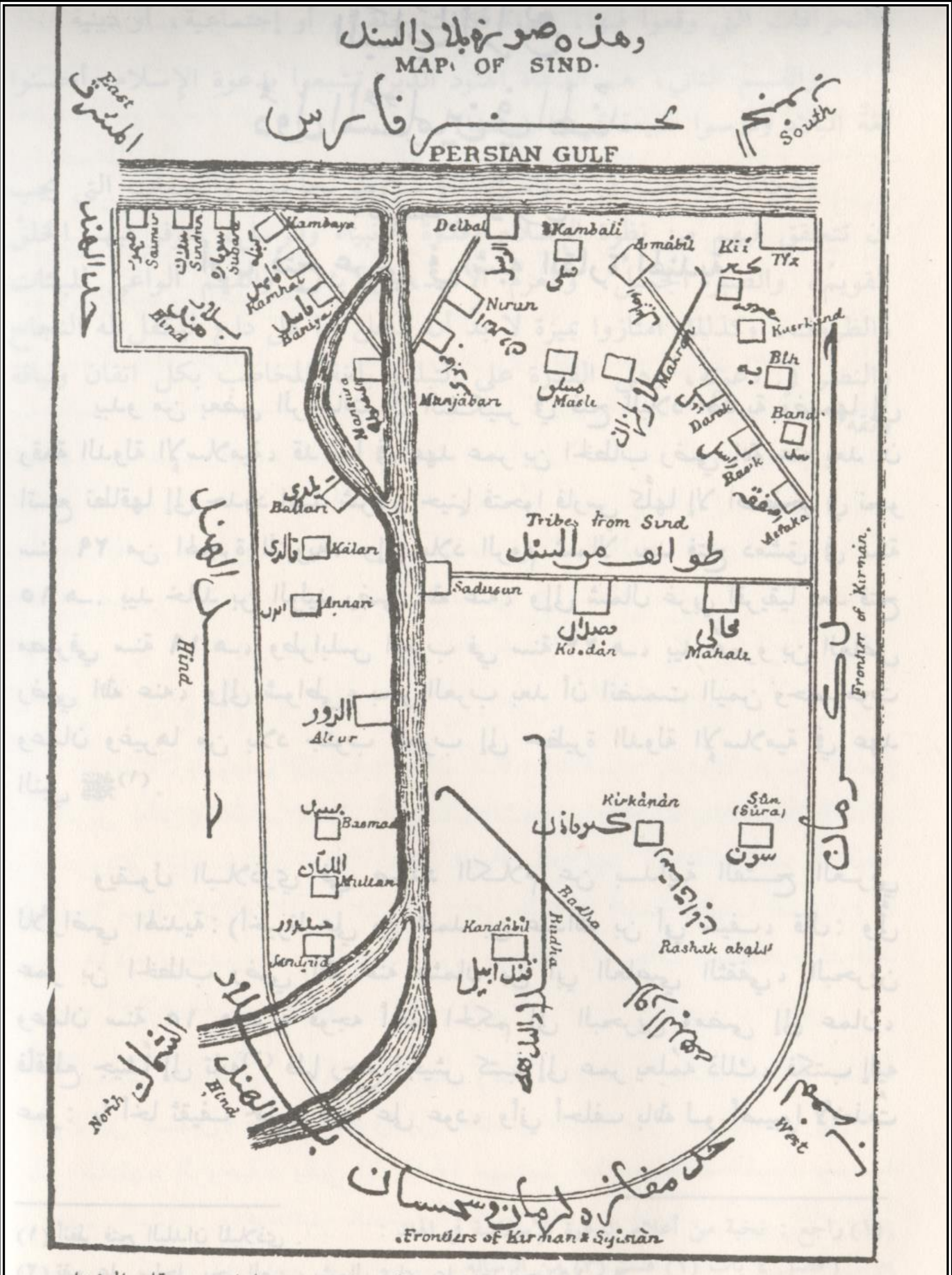
I wrote about translation and its role in enriching those intellectual sciences .

Chapter four was about the intellectual intermixing between the Islamic and Sindu cultures that was evident on scientific communication since the orthodox era , during Bin Ommia's and up to the last days of Bin Al-Abbass first period.This was done by presenting a group of scholars who arrived Sind as leaders, scientists, Islamic propagandists , judges or Imams . I , then , divided the scholars of the Sind into three groups according to their contributions to the Islamic structure.The first group was of those whose fathers and grandfathers were Sind but embraced Islam and became known as religious. The second group was of those who were enslaved and brought from Sind , lived under the umbrella of Islam and were attached to some tribes and individuals .The third group was of those scientists who distinguished on sciences , embraced Islam and came to live in Bagdad or remained on their religion but contributed into Islamic culture for the sake of the Caliphs' donations. Finally , I wrote about the stages of the Sindu language; starting from its conflict with other languages before Islam , then its stages after coming into contact with Arabic and the consequent resulting change on Sindu vocabulary and letters .

The epilogue contained the most important conclusions that I found through the research .

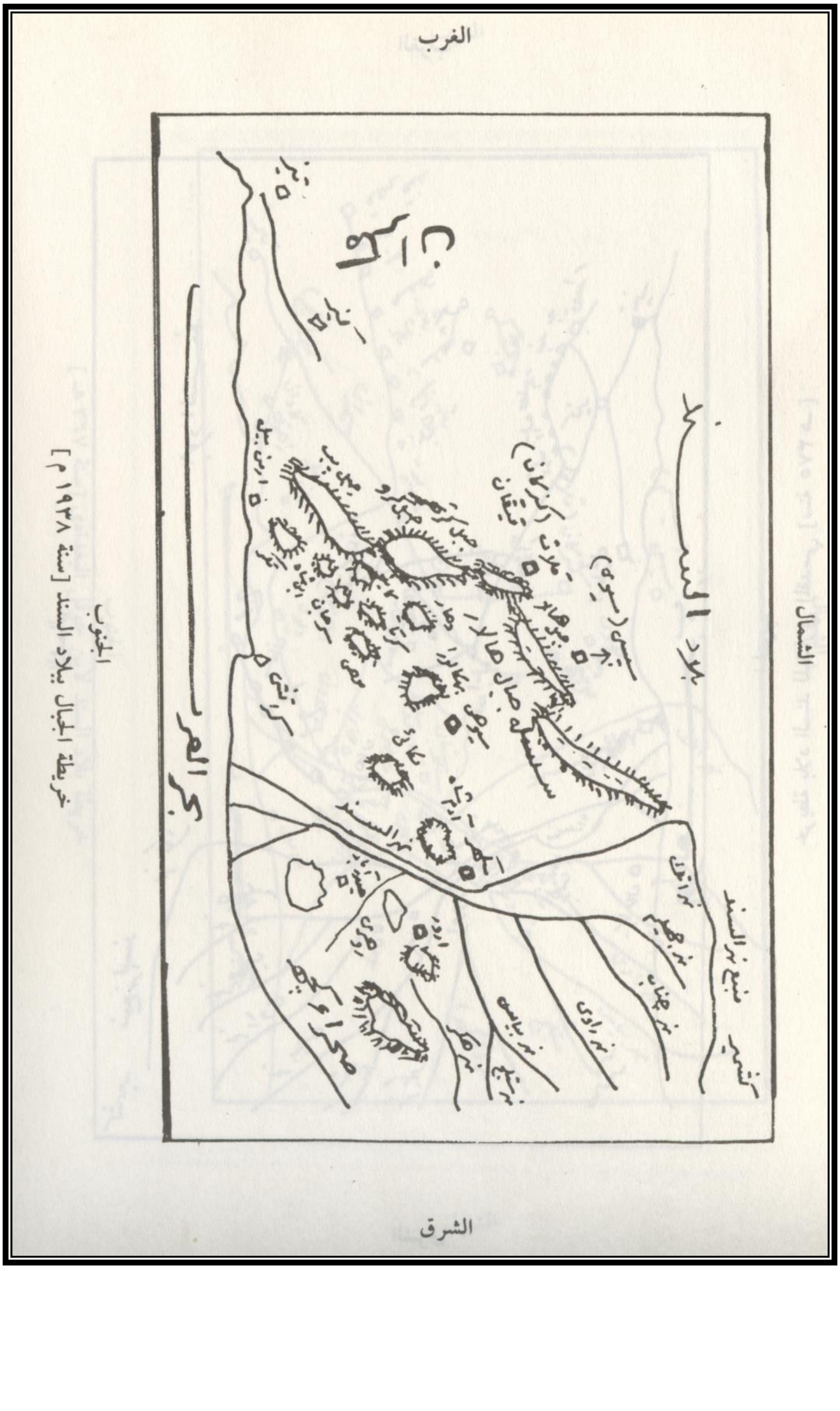
الملحق الثاني

خرائط مختلفة لبلاد السند

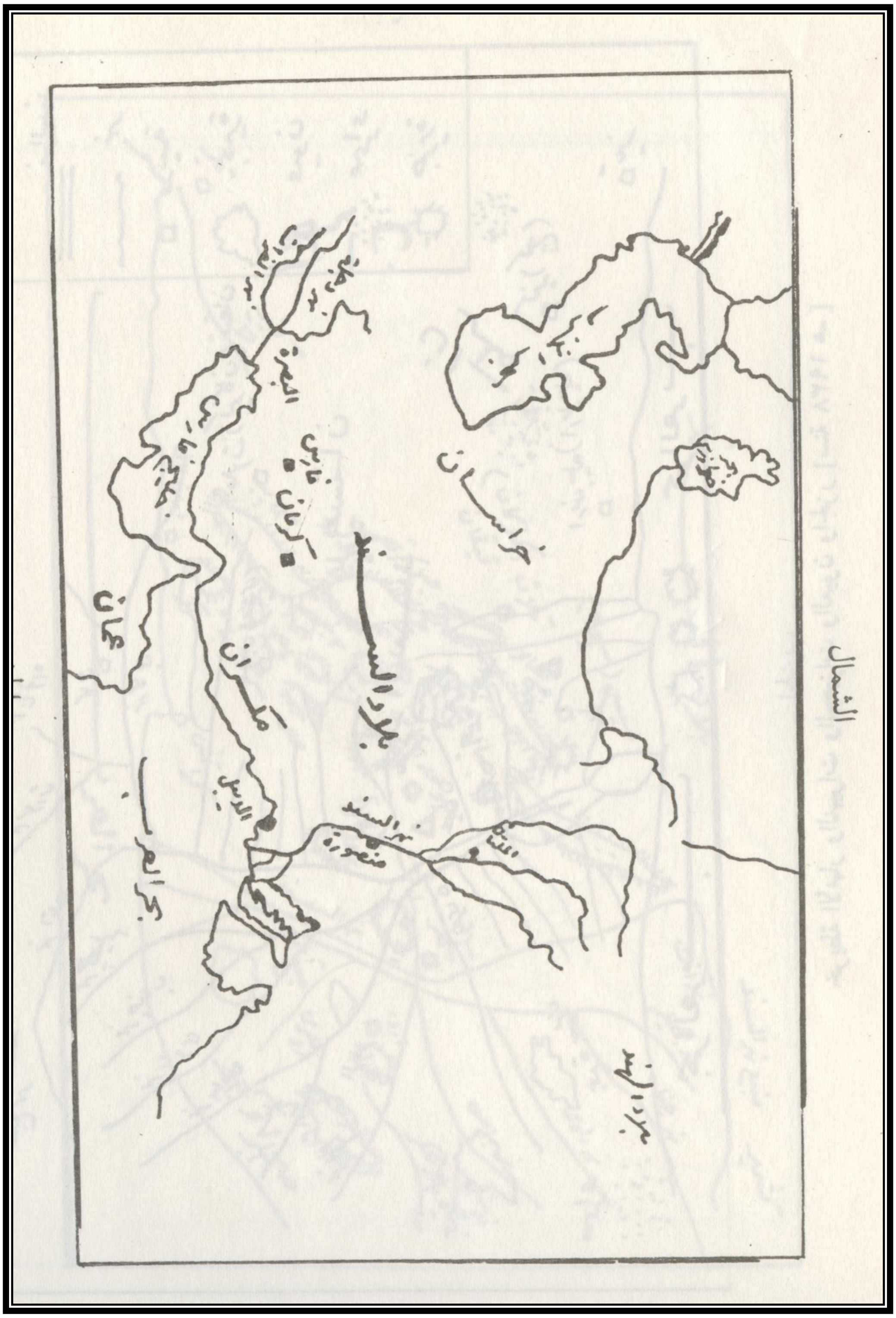


هذه أول خريطة لموقع السند في شبه القارة الهندية، رسمها ابن حوقل البغدادي سنة ٣٤٣ هـ - ٩٤٣م (من مجلة ثقافة الهند- يونيو ١٩٥٠)

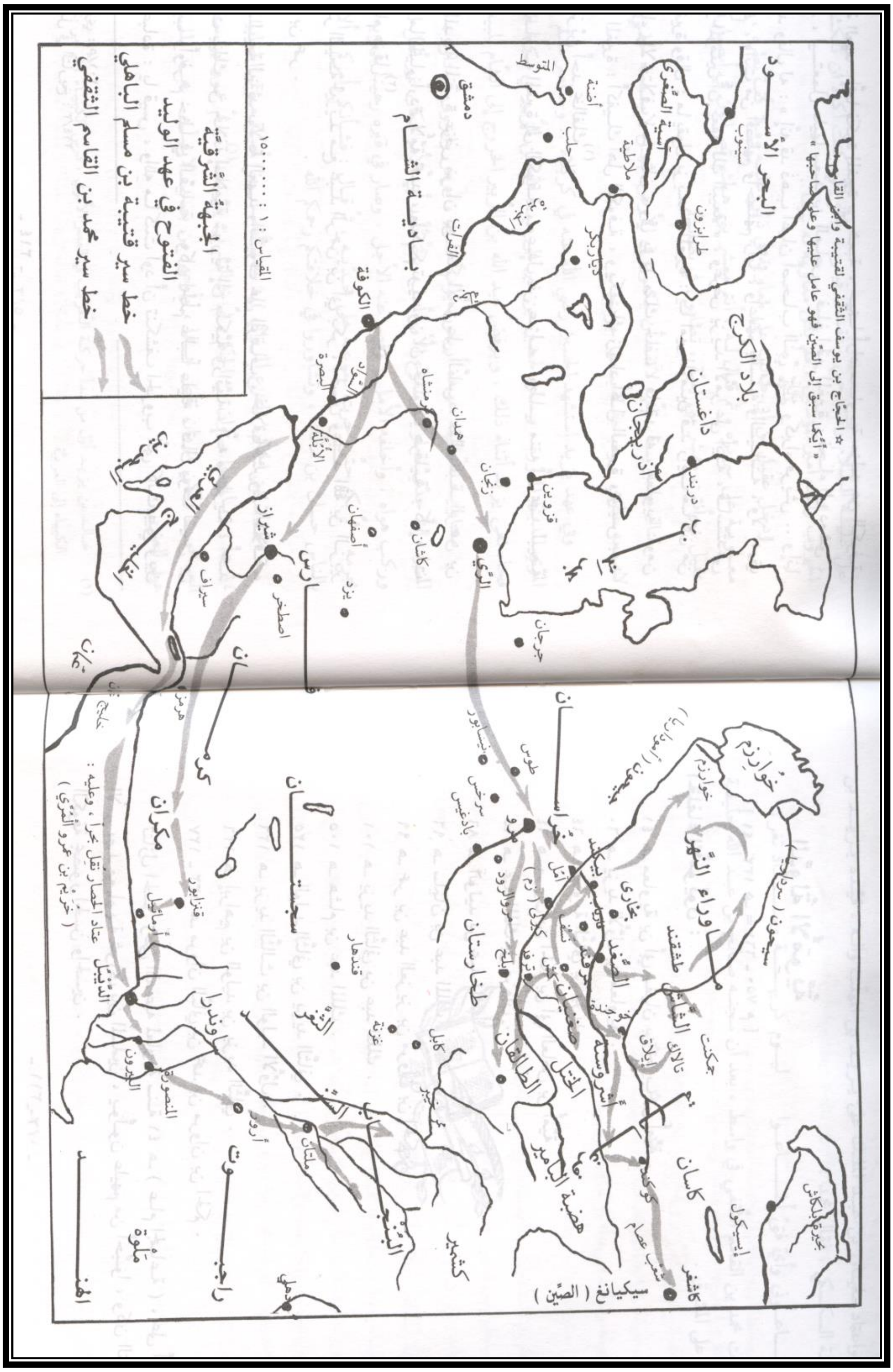
أول خريطة لموقع السند في شبه القارة الهندية، رسمها ابن حوقل سنة ٣٤٣هـ/ ٩٤٣م.نقلاً عن محي الدين الألوائي:الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية.



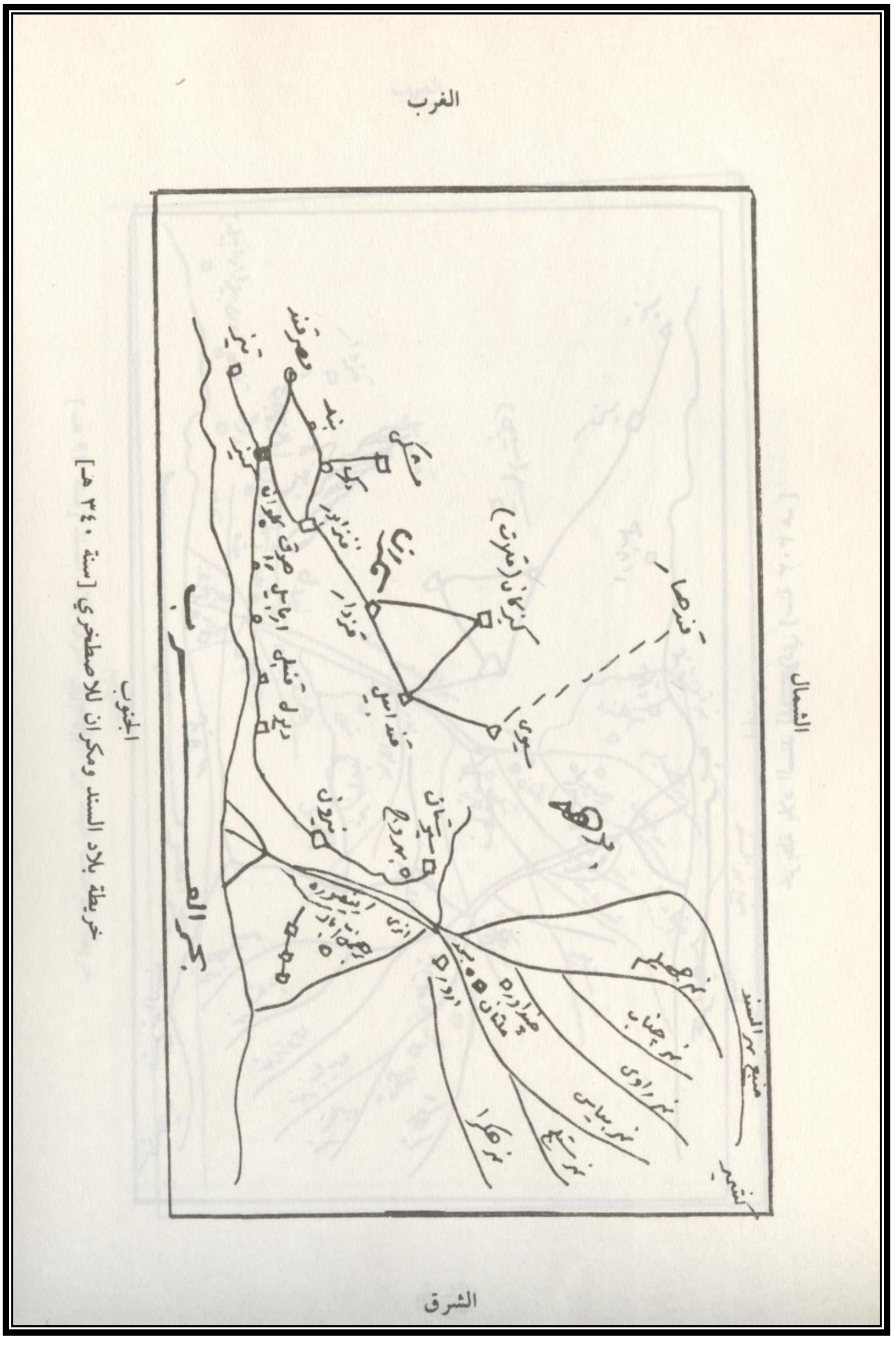
خريطة الجبال ببلاد السند سنة ١٩٣٨م. نقلاً عن الطرازي: موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية.



خريطة بلاد السند وموقعها بالنسبة للبلاد المجاورة لها سنة ١٣٩١هـ. نقلاً عـن الطـرازي: موسـوعة التاريخ والحضارة الإسلامية.



خريطة فتوحات محمد بن القاسم نقلاً شوقي أبو خليل: في التاريخ الإسلامي



خريطة بلاد السند ومكران للاصطخري سنة ٣٤٠هـ. نقلاً عن الطرازي: موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية

الملحق الثالث

الحكام الذين تعاقبوا على بلاد السند

أولاً: قواد الحملات في عهد الخلفاء الراشدين

م	اسم قائد الحملة	السنة	نتائج الحملة
١	المغيرة بن أبي العاص	١٥هـ/ ٦٣٦م	استكشافية
٢	الحكم بن عمرو الغفاري	١٨هـ/ ٦٣٩م	فتح مكران
٣	عبيد الله بن معمر التيمي	٢٣هـ/ ٦٤٣م	إعادة فتح مكران
٤	سعيد بن كندير القشيري	٢٩هـ/ ٦٤٩م	إعادة فتح مكران
٥	تاغرين بن دغر	٣٩هـ/ ٦٥٩م	إعادة فتح مكران

ثانياً: الحكام الذين تعاقبوا على إقليم مكران قبل الفتح الأموي

م	اسم الحاكم	سنة حكمه	مصير الحاكم
١	راشد بن عمر الجديدي	٤١هـ/ ٦٦١م	عُزل
٢	عبد الله بن سوار العبدي	٤٣هـ/ ٦٦٣م	عُزل
٣	المهلب بن أبي صفرة	٤٤هـ/ ٦٦٤م	نُقل إلى منصب آخر
٤	عبد الله بن سوار العبدي	٤٤هـ/ ٦٦٤م	استشهد في سيوستان
٥	سنان بن سلمة الهذلي	٤٥هـ/ ٦٦٥م	عُزل عن منصبه
٦	راشد بن عمر الجديدي	٤٨هـ/ ٦٦٨م	استشهد في سيوستان
٧	سنان بن سلمة الهذلي	٥٠هـ/ ٦٧٠م	عُزل
٨	المنذر بن الجارود العبدي	٦٢هـ/ ٦٨١م	توفى
٩	الحكم بن المنذر بن الجارود	٦٢هـ/ ٦٨١م	نُقل إلى منصب آخر
١٠	حري بن حري الباهلي	٦٢هـ/ ٦٨١م	مات بالسند
١١	محمد العلافي	٦٤هـ/ ٦٨٣م	خارج على الدولة
١٢	سعيد بن أسلم الكلابي	٧٥هـ/ ٦٩٤م	استشهد بمكران
١٣	مجاعة بن سعر التميمي	٧٩هـ/ ٦٩٨م	مات بمكران

١٤	محمد بن هارون النمري	٨٦هـ/ ٧٠٥م	مات بمكران
١٥	عبيد الله بن نبهان السلمي	٨٦هـ/ ٧٠٥م	استشهد
١٦	بديل بن طهفة البجلي	٨٦هـ/ ٧٠٥م	استشهد

ثالثاً: حكام السند منذ الفتح إلى نهاية العصر الأموي

م	اسم الحاكم	سنة حكمه	مصير الحاكم
١	محمد بن القاسم الثقفي	٩٢هـ/ ٧١٠م	عُزل وقُتل
٢	يزيد بن أبي كبشة السكسكي	٩٦هـ/ ٧١٤م	مات بالسند
٣	حبيب بن المهلب بن أبي صفرة	٩٧هـ/ ٧١٥م	عُزل
٤	عمرو بن مسلم الباهلي	٩٩هـ/ ٧١٧م	عُزل
٥	هلال بن أحوز التميمي	١٠١هـ/ ٧١٩م	عُزل
٦	الجنيد بن عبد الرحمن المري	١٠٧هـ/ ٧٢٥م	نُقل إلى خراسان
٧	تميم بن زيد العتبي	١١١هـ/ ٧٢٩م	مات بالديبل
٨	الحكم بن عوانة الكلبي	١١٢هـ/ ٧٣٠م	استشهد بالسند
٩	عمرو بن محمد بن القاسم	١٢١هـ/ ٧٣٨م	قُتل بالمنصورة
١٠	يزيد بن غزان الكلبي	١٢٥هـ/ ٧٤٢م	قُتل بالمنصورة
١١	منصور بن جمهور الكلبي(خارج)	١٢٩هـ/ ٧٤٦م	قُتل بالمنصورة

رابعاً: حكام السند في العصر العباسي الأول

م	اسم الحاكم	سنة حكمه	مصير الحاكم
١	مفلس العبدي	١٣٢هـ/ ٧٤٩م	قتل بالسند
٢	موسى بن كعب التميمي	١٣٤هـ/ ٧٥١م	مات بالعراق
٣	عيينة بن موسى التميمي	١٤١هـ/ ٧٥٨م	عُزل
٤	عمر بن حفص العتكي	١٤٢هـ/ ٧٥٩م	نقل إلى إفريقية
٥	هشام بن عمرو التغلبي	١٥١هـ/ ٧٦٨م	مات ببغداد
٦	معبد بن الخليل التميمي	١٥٧هـ/ ٧٧٣م	مات بالمنصورة
٧	روح بن حاتم المهلبي	١٥٩هـ/ ٧٧٥م	نقل إلى إفريقية

٨	بسطام بن عمرو التغلبي	١٥٩هـ/ ٧٧٥م	عُزل
٩	روح بن حاتم المهلبي	١٦١هـ/ ٧٧٧م	نقل

١٠	نصر بن محمد الخزاعي	١٦١هـ/ ٧٧٧م	عُزل
١١	عبد الملك بن شهاب المسمعي	١٦١هـ/ ٧٧٧م	نقل
١٢	نصر بن محمد الخزاعي	١٦٢هـ/ ٧٧٨م	عُزل
١٣	الزبير بن العباس الهاشمي	١٦٢هـ/ ٧٧٨م	عُزل
١٤	مصبح بن عمرو التغلبي	١٦٢هـ/ ٧٧٨م	عُزل
١٥	نصر بن محمد الخزاعي	١٦٢هـ/ ٧٧٨م	توفى
١٦	الليث بن طريف	١٦٤هـ/ ٧٨٠م	عُزل
١٧	سالم اليونسي	١٧١هـ/ ٧٨٧م	نُقل
١٨	إسحاق بن سليمان الهاشمي	١٧٤هـ/ ٧٩٠م	توفى
١٩	طيفور بن عبد الله الحميري	١٧٤هـ/ ٧٩٠م	عُزل
٢٠	جابر بن الأشعث الطائي	١٧٥هـ/ ٧٩٠م	عُزل
٢١	كثير بن مسلم بن قتيبة	١٧٦هـ/ ٧٩٢م	عُزل
٢٢	محمد بن عدي التغلبي	١٧٩هـ/ ٧٩٥م	عُزل
٢٣	عبد الرحمن	١٨١هـ/ ٧٩٧م	عُزل
٢٤	أيوب بن جعفر الهاشمي	١٨٢هـ/ ٧٩٨م	عُزل
٢٥	داود بن يزيد المهلبي	١٨٥هـ/ ٨٠١م	توفى
٢٦	بشر بن داود المهلبي	٢٠٥هـ/ ٨٢٠م	عُزل
٢٧	حاجب بن صالح	٢١٢هـ/ ٧٢٨م	نُقل
٢٨	غسان بن عباد المهلبي	٢١٣هـ/ ٨٢٨م	نُقل
٢٩	موسى بن يحيى البرمكي	٢١٦هـ/ ٨٣١م	توفى
٣٠	عمران بن موسى البرمكي	٢٢١هـ/ ٨٣٥م	قتل بالمنصورة
٣١	عنبسة بن إسحاق الضبي	٢٢٦هـ/ ٨٤٠م	

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. القرآن الكريم

* إبراهيم بن محمد الفارسي بن إسحاق الأصطخري:

٢. المسالك والممالك، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

* ابن سيده:

٣. المحكم والمحيط، تحقيق م؛حمد علي النجار، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

* ابن فضلان:

٤. رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

* أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م):

٥. طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م.

* أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٣٠هـ/ ٩٤١م):

٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

* أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٥٠هـ/ ٩٦١م):

٧. مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٨. التنبيه والأشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، ١٩٣٨م.

* أبو الحسن علي بن سهل الطبري:

٩. فردوس الحكمة، تحقيق محمد الصديقي، مؤسسة جيب، برلين، ١٩٢٨م.

* أبو الحسن علي بن يوسف القفطي(ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م):

١٠. تاريخ الحكماء، ليبزج، ١٩٠٣م.

* أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م):

١١. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٢. الجماهر في معرفة الجواهر، المطبعة العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٣٧م.

١٣. تاريخ الهند، حيد أباد بالهند، ١٩٥٨م.

* أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م):

١٤. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، القاهرة، ١٨٨٢م.

* أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد القرماني:

١٥. كتاب الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، ١٢٨٢هـ.

* أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان(ت٦٨١هـ/ ١٢٨٧م):

١٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

* أبو العباس محمد بن يزيد المبرد:

١٧. الكامل في اللغة والأدب، القاهرة، ١٩٥٦م.

* أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):

١٨. البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٩. تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦ هـ.

* أبو الفرج بن هارون الملطي بن العبري(ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):

٢٠. تاريخ مختصر الدول، نشر الصالحاني، بيروت، ١٨٩٠م.

* أبو الفرج علي بن الحسين بن الهيثم الأصفهاني (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م):

٢١. مقاتل الطالبيين، المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ.

* أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة(ت٣٠٠هـ/ ٩١٣م):

٢٢. المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي،بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر(ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م):

٢٣. تاريخ دمشق وذكر فضلها، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل(ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م):

٢٤. صورة الأرض، الطبعة الثانية، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٨م.

* أبو الوليد محمد بن رشد الأندلسي الفيلسوف (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م):

٢٥. فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق أبو ريدة، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

* أبو بكر الرازي:

٢٦. إيضاح مختار الصحاح، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م):

٢٧. تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* أبو جعفر محمد بن حبيب بن عمرو الهاشمي البغدادي:

٢٨. كتاب المحبر ، صححه ايلزة ليختن شتير ،دار الأوقاف ، بيروت ، بدون تاريخ.

* أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي(ت٥٠٥هـ/ ١١١١م):

٢٩. فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، القاهرة، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م.

٣٠. المنقذ من الضلال،راجعه عرفان عبد الحميد، الفكر العربي، عمان، ١٩٩١م.

٣١. إحياء علوم الدين، دار الريان، القاهرة، بدون تاريخ.

* أبو داود سليمان بن حيان الأندلسي بن جُلْجل (ت٣٧٧هـ/ ٩٨٧م):

٣٢. طبقات الأطباء والحكماء، حققه فؤاد سيد، مطبعة المعهد الفرنسي، القاهرة، ١٩٥٥م.

* أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي(ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م):

٣٣. شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

* أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م):

٣٤. تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٧م.

* أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ/ ١٣٤٩م):

٣٥. الطب النبوي، حققه عبد المجيد طعمه، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

* أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م)):

٣٧. الوزراء والكتاب، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري والشلبي، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

* أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي:

٣٨. كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

* أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م):

٣٩. سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ، بيروت، بدون تاريخ.

* أبو عثمان عمرو بن عمرو الجاحظ (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م):

٤٠. البيان والتبيين، دار الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

* أبو علي أحمد بن عمر بن رسته:

٤١. الأعلاق النفسية في تقويم البلدان، ليدن، ١٨٩١م.

* أبو علي المحسن بن علي التنوخي (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م):

٤٢. كتاب الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

* أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي(ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

٤٣. سنن الترمذي، حققه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

* أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):

٤٤. كتاب عيون الأخبار، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

* محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):

٤٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٦. جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.

* أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني:

٤٧. المسند المستخرج على صحيح مسلم، حققه محمد حسن محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي:

٤٨. المعرفة والتاريخ، حققه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

* أبوبكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):

٤٩. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

* أبوسعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني(ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م):

٥٠. الأنساب، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي(ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م):

٥١. البلدان، طبعه المستشرق الهولندي دي خويه، ليدن، ١٨٩٢م.

٥٢. تاريخ اليعقوبي، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

* أحمد بن أعثم الكوفي:

٥٣. الفتوح، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي(ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م):

٥٤. سنن البيهقي الكبرى، حققها محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

* أحمد بن علي بن محمد الكناني ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

٥٥. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٥٦. تقريب التهذيب، تحقيق أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ.

٥٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بدون تاريخ.

٥٨. لسان الميزان، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

* أحمد بن محمد ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م):

٥٩. العقد الفريد، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

* أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري(ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

٦٠. البلدان فتوحها وأحكامها، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

٦١. أنساب الأشراف، القسم الثالث، تحقيق عبدا لعزيز الدوري، بيروت، ١٩٧٨م.

* أحمد بن يحيى بن فضل الله العُمَري (٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م):

٦٢. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد سالم العوفي، مطبعة المدني، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

* تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م):

٦٣. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطاحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

* خليفة بن خياط(ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م):

٦٤. تاريخ خليفة بن خياط، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

* خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي(ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

٦٥. الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

* سعد بن عبيد الله أبي خلف الأشعري القمي (ت٣٠١هـ/ ٩١٣م):

٦٦. المقالات والفرق، صححه محمد جواد مشكور، طهران، ١٩٦٣م.

* سلمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م):
٦٧. المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور محمود الحاج، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
* شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري المقدسي(ت٣٨٧هـ/ ٩٩٧م):
٦٨. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، الطبعة الثانية، ١٩٠٩م.
* شهاب الدين عبد الحي بن أحمد العسكري بن العماد الحنبلي الدمشقي(ت١٠٨٩هـ):
٦٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
* شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي:(ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):
٧٠. معجم البلدان، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
٧١. معجم الأدباء، مطبعة مرغليوث، القاهرة، ١٩٣٣م.
* صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي الطليطلي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):
٧٢. طبقات الأطباء، تحقيق: لويس شيخو، بيروت، ١٩١٢م.
* صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي:
٧٣. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.
* طاش كبرى زاده (ت٩٦٨هـ/ ١٥٦١م):
٧٤. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ترجمه أحمد بن مصطفى بن خليل، الهند، حيدر أباد، ١٣٢٩هـ.
* عبد الباقي بن قانع أبو الحسين:
٧٥. معجم الصحابة، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
* عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م):
٧٦. طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
٧٧. تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين وبهامشه كتاب آثار الأول في ترتيب الدول، المطبعة اليمنية، مصر، ١٣٠٥م.
* عبد الرحمن بن خلدون(ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):
٧٨. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

* عبد الرحمن بن سنبط قنيتو الأربلي (ت٧١٧هـ/ ١٣١٥م):
٧٩. خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك، مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
* عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش (ت٥٨٤هـ/ ١١٨٨م):
٨٠. غزوات ابن حبيش، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
* عبد السلام بن عبد الله بن الخضر الحراني مجد الدين أبو البركات بن تيمية(ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م):
٨١. مجموع فتاوى ابن تيمية، عالم الكتب، بدون تاريخ.
* عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م):
٨٢. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
* عبد الله بن المقفع:
٨٣. كتاب كليلة ودمنة، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
* عبد الملك بن هشام(ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م):
٨٤. السيرة النبوية، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة ألأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
* عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):
٨٥. الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
* علي بن أنجب بن عثمان بن الساعي (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م):
٨٦. مختصر أخبار الخلفاء، المطبعة الأميرية بولاق، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٠٩هـ.
* علي بن حامد بن أبى بكر الكوفي (ت٦١٣هـ/ ١٢١٦م):
٨٧. فتح السند (ججنا مة)، تحقيق سهيل زكا ر، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
* علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م):
٨٨. الإنصاف للمرداوي، حققه محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
* علي بن محمد الروحي (ت٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م):

٨٩. بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، مطبعة النجاح، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م

❊ علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م):

٩٠. الأحكام السلطانية، مصر، ١٢٩٨هـ.

❊ عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبو الفداء صاحب حماة (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣٤م):

٩١. كتاب تقويم البلدان: صححه وطبعه رينو والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠هـ،

❊ عمر بن أبي علي بن دحية (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م):

٩٢. النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦م.

❊ عمر بن أحمد أبو جعفر الواعظ (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م):

٩٣. تاريخ أسماء الثقات، تحقيق صبحي السامرائي، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٩٤. مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، تحقيق الدوري، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١م.

٩٥. مؤلف مجهول: العيون والحدائق، طبعة ١٨٧١.

❊ محمد أبو بكر بن عبد القادر الرازي (ت٧٢١هـ/ ١٣٢٣م):

٩٦. مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

❊ محمد بن أبي القاسم عبد الكريم الشهرستاني(ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م):

٩٧. الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي، مصر، بدون تاريخ.

❊ محمد بن أبي يعلى أبو الحسين (ت٥٢١هـ/ ١١٢٧م):

٩٨. طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

❊ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

٩٩. تجريد أسماء الصحابة، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

١٠٠. سير أعلام النبلاء، الطبعة الحادية عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٠١. تذكرة الحفاظ، حيدر أباد، الهند، ١٣٧٧هـ.

١٠٢. تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

❊ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م):

١٠٣. صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
١٠٤. الأدب المفرد، دار البشائر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
* محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م):
١٠٥. الثقات، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.
١٠٦. مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.
* محمد بن سحاق بن النديم (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م):
١٠٧. الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
* محمد بن سعد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م):
١٠٨. الطبقات الكبرى، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
* محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م):
١٠٩. طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
* محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣٠م):
١١٠. التقييد، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
* محمد بن عبد الله الحاكم:
١١١. المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
* محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي(ت٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م):
١١٢. مولد العلماء ووفياتهم، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
* محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطَوطة(ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):
١١٣. تحفة النظَار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
* محمد بن علي بن طباطا الطقطقي (ت ٧٠٩هـ/ ١٤٠٩م):
١١٤. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
* محمد بن علي بن محمد بن العمراني (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م):
١١٥. الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق د.قاسم السامرائي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
* محمد بن عمر الواقدي:

١١٦. فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

❋ محمد بن موسى الخوارزمي:

١١٧. كتاب الجبر والمقابلة، نشره على مصطفى مشرفة، القاهرة، ١٩٣٧م.

❋ محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):

١١٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١١٩. جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.

❋ محمد يوسف الصالحي الدمشقي(ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م):

١٢٠. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق مصطفى عبد الواحد، لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٤هـ.

❋ مسلم بن الحجاج القشيري النيسسابوري(ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م):

١٢١. صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م

❋ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحاج خليفة(ت١٠٦٧هـ):

١٢٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، القاهرة، ١٣١١هـ

❋ مطهر بن طاهر المقدسي:

١٢٣. كتاب البدء والتاريخ، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

❋ النرشخي:

١٢٤. تاريخ بخاري، ترجمة عربية، القاهرة، ١٩٦٥م.

❋ يحي بن شرف الحوراني أبو زكريا محي الدين النووي(ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م):

١٢٥. تهذيب الأسماء واللغات، دار الفكر، بدون تاريخ.

❋ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن الزاكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي:

١٢٦. تهذيب الكمال، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

❋ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي(ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):

١٢٧. جامع بيان العلم وفضله، القاهرة، ١٣٤٦هـ.

١٢٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة إلى العربية:.

١٢٩. إبراهيم إمام أحمد: تاريخ الفلك عند العرب، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٣٠. إبراهيم محمد العلي: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رجل الإصلاح والدعوة، دار

القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٣١. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

١٣٢. أبو الحسن الندوي: العرب والإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.

١٣٣. أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني: علم الكلام، دار الثقافة، القاهرة، بدون تاريخ.

١٣٤. أبو بكر الرازي: إيضاح مختار الصحاح، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٣٥. إحسان حقي: تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٣٦. أحمد الحوفي: القرآن والتفكير، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٥م.

١٣٧. أحمد الشرقاوي وإبراهيم علي السيد: مدخل إلى الثقافة الإسلامية، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٣٨. أحمد أمين : ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

١٣٩. أحمد رمضان: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، بدون تاريخ.

١٤٠. أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م

١٤١. أحمد عبد الباقي: معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

١٤٢. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٤٣. أحمد فريد: من أعلام السلف، الدار السلفية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

١٤٤. أحمد محمد جمال: محاضرات في الثقافة الإسلامية، الطبعة الثالثة، دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

١٤٥. أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون تاريخ.

١٤٦. إسماعيل مظهر: تاريخ الفكر العربي، دار العصور، القاهرة، ١٩٢٨م.

١٤٧. أمير علي: روح الإسلام، ترجمة أمين محمود الشريف، القاهرة، ١٩٦١م.
١٤٨. أمينة البيطار: دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، دار القلم والكتاب، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
١٤٩. أوليري: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، نقله إلى العربية تمام حسان، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٥٧م.
١٥٠. برهان الدين الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
١٥١. توفيق الطويل:في تراثنا العربي الإسلامي، مطابع الرسالة، الكويت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
١٥٢. توفيق سلطان اليوزبكي:تاريخ أهل الذمة في العراق، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٥٣. ثابت إسماعيل الراوي: العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٥م.
١٥٤. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.
١٥٥. جلال مظهر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٩م.
١٥٦. جميل عبد الله المصري: الموالي وموقف الدولة الأموية منهم، دار أم القرى للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٥٧. جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة يعقوب بكر، الكويت، ١٩٥٨م.
١٥٨. حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤١٦هـ،١٩٩٦م.
١٥٩. حسن أحمد محمود : الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ٢١ـ٤٤٧هـ، القاهرة، ١٩٦٨م.
١٦٠. حسن عبد العال: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م.
١٦١. حسن عيسى عبد الظاهر وآخرون: بحوث في الثقافة الإسلامية، مكتبة مركز الحكمة، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
١٦٢. حسن محمود الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة

الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٦٣. الحسين بن محمد الدامغاني: قاموس القرآن، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

* حسين عاصي:

١٦٤. أبو جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٦٥. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٦٦. خليفة بن خياط، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٦٧. حسين عطوان:الدعوة العباسية تاريخ وتطور، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٤م.

١٦٨. حسين نصار:المعجم العربي نشأته وتطوره، مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٦٩. حكمت نجيب عبد الرحمن: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل، ١٩٦٩م.

١٧٠. حمد كامل حسين: في الطب والأقراباذين، كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، القاهرة، بدون تاريخ.

١٧١. حياة سعيد عمر با أخضر: موقف الإسلام من السحر، دار المجتمع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٧٢. حيدر بامات: إسهام المسلمين في الحضارة، ترجمة ماهر عبد القادر، نشر المركز المصري للدراسات والأبحاث، الإسكندرية، ١٩٦٨م.

١٧٣. رجب سعيد شهوان وآخرون: دراسات في الثقافة الإسلامية، الكويت، ١٩٨١م.

١٧٤. رشيد حميد حسن الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، مطبعة الجماهيرية العربية الليبية، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٨٢م.

١٧٥. زكي محمد إسماعيل:الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٧٦. زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية فاروق بيضون

وكمال دسوقي، بيروت، ١٩٨١م.

١٧٧. سامي خلف حمارنة:تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب، المطبعة الوطنية بعمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٧٨. سعد بن حذيفة الغامدي: سقوط الدولة العباسية، دار ابن حذيفة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٧٩. سعدي أبو حبيب:مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دار الفكر دمشق، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٨٠. سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني النفوسي: كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مطبعة الأزهار البارونية، بدون تاريخ.

١٨١. سليمان بن حمد العودة: كيف دخل التتار بلاد المسلمين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٨٢. سميح عاطف الزين: الثقافة والثقافة الإسلامية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

* سمير عبد الحميد إبراهيم:

١٨٣. الألفاظ العربية في اللغة الأردية، دراسة دلالية معجمية، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

١٨٤. اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م.

١٨٥. معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية، مطابع جامعة الإمام، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٨٦. معجم تراكيب الألفاظ العربية في اللغة الأردية، مطابع جامعة الإمام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٨٧. سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق،بيروت، بدون تاريخ

١٨٨. شاكر مصطفي: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

١٨٩. شوقي أبو خليل: في التاريخ الإسلامي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية،

١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٩٠. شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ.

١٩١. شوقي موفق الشطي: موجز تاريخ الطب، دمشق، بدون تاريخ.

١٩٢. صالح أحمد العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، بغداد، ١٩٥٣م.

١٩٣. صالح ذياب هندي: دراسات في الثقافة الإسلامية، جمعية عمال المطابع، عمان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٩٤. صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٣هـ.

١٩٥. الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

١٩٦. طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبية: الحضارة الإسلامية، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٩٧. عارف العارف: الحرم القدسي، مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، القدس، ١٩٤٧م.

١٩٨. عاطف غيث: دراسات إنسانية واجتماعية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م.

١٩٩. عامر النجار: حركة الترجمة وأهم أعلامها في العصر العباسي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٠٠. عبد الحليم عويس: ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، الرياض، ١٩٧٩م.

* عبد الحليم منتصر :

٢٠١. محاضرات في العلوم عند العرب، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢٠٢. عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، القاهرة، ١٩٨٠م.

٢٠٣. عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت١٣٤١هـ): نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، في تراجم علماء الهند وأعيانها من القرن الأول الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ.

٢٠٤. عبد الحي فخر الدين الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٨٢هـ.

٢٠٥. عبد الراضي محمد عبد المحسن: مشكلة التأليه في فكر الهند الديني، دار الفيصلية الثقافية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٠٦. عبد الرحمن النقيب: الإعداد التربوي المهني للطبيب عند المسلمين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤م.
٢٠٧. عبد الرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، بيروت، دار القلم، ١٩٧٩م.
٢٠٨. عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢٠٩. عبد الغني عبود: الحضارة الإسلامية المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١م.
٢١٠. عبد الفتاح فتح الله سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٢١١. عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨.
٢١٢. عبد الله بن علي المسند: العلويون والعباسيون ودعوة آل البيت، دار المنار، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٢١٣. عبد الله خورشيد البري: القرآن وعلومه في مصر (٢٠ ـ ٣٥٨هـ)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م.
٢١٤. عبد الله قاسم الوشلي: المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، مؤسسة الكتب للثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٢١٥. عبد الله مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٣٨م.
٢١٦. عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي ١٥ـ ٤١٦هـ/ ٦٣٦ـ ١٠٢٥م، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
٢١٧. عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، القاهرة، ١٩٥٠م.
٢١٨. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٢م.
٢١٩. عدنان محمد زرزور: نحو فلسفة إسلامية للعلوم، من منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٧م.
٢٢٠. عز الدين الخطيب التميمي وآخرون: نظرات في الثقافة الإسلامية، دار الفرقان

للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـن١٩٨٤م

* عصام الدين محمد علي:

٢٢١. آفاق الحضارة الإسلامية والأوروبية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٢٢. بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة من أواخر القرن الأول وحتى منتصف القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

٢٢٣. عصام عبد الرءوف الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢٢٤. علي حسني الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، مصر، ١٩٦٩م.

* علي عبد الواحد وافي:

٢٢٥. اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.

٢٢٦. علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة السادسة، بدون تاريخ

٢٢٧. فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٧٣م.

٢٢٨. علي محمد الصلابي : عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور الخوارج ، دار البيارق ، الأردن ،الطبعة الأولى،١٤١٨هـ ،١٩٩٨م .

٢٢٩. علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الطبعة الأول، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.

* عماد الدين خليل:

٢٣٠. حول انتشار الإسلام وقائع وملاحظات، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

٢٣١. في التأصيل الإسلامي للتاريخ، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

* عمر فروخ:

٢٣٢. الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب، بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

٢٣٣. تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٣٤. غالب بن علي عواجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٣٥. غوستاف لوبون: حضارات الهند، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية،

القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

* فاروق عمر فوزي:

٢٣٦. نشأة الحركات الدينية السياسية في الإسلام، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٢٣٧. بحوث في التاريخ العباسي، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.

٢٣٨. فاسيلي فلاديميرويج بارتولد:تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمه عن الروسية حمزة طاهر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٤٢م.

٢٣٩. فتحي عبد الفتاح أبو سيف: المشرق الإسلامي بين التبعية والاستقلال، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٨م.

٢٤٠. فرج محمد الهوني: تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، بنغازي، ١٩٨٦م.

٢٤١. الفستون: تاريخ الهند، ترجمة عادل زعيتر، مصر، بدون تاريخ.

* فيليب حتى:

٢٤٢. تاريخ العرب، بيروت، ١٩٨٦م

٢٤٣. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م.

* القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري:

٢٤٤. الهند في عصر العباسيين، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

٢٤٥. رجال السند والهند إلى القرن السابع، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

٢٤٦. العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

٢٤٧. قدري حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، القاهرة، بدون تاريخ.

* كارل بروكلمان:

٢٤٨. تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد بكر يعقوب ورمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢٤٩. تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٦٨م.

٢٥٠. كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، طبعة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٧م.

٢٥١. كرلونلّينو: علم الفلك:تاريخه عند العرب في العصور الوسطى، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩١١م.

* كي لستر نج:

٢٥٢. بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكور كيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٥٣. بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة بشير يوسف فرنسيس، المطبعة العربية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

٢٥٤. مؤلف مجهول: العيون والحدائق، طبعة ١٨٧١.

٢٥٥. ماكس مايرهوف: تراث الإسلام، ترجمة جرجيس فتح الله، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٤م.

٢٥٦. محفوظ علي عزام: نظرات في الثقافة الإسلامية، دار اللواء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

* محمد أبو زهرة:

٢٥٧. الدعوة إلى الإسلام تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٥٨. تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٢٥٩. محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة، حضارتها وأديانها، دار الشعب، مصر، ١٩٧٠م.

٢٦٠. محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي: أضواء البيان، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٦١. محمد البهي: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.

* محمد الخضري بك:

٢٦٢. الدولة الأموية، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٦٣. الدولة العباسية، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* محمد السيد الوكيل:

٢٦٤. العصر الذهبي للدولة العباسية دراسة وصفية وتحليلية لتلك الدولة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٦٥. العصر الذهبي للدولة العباسية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى،

١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

* محمد سليمان العبدة:

٢٦٦. الطريق إلى المدينة (مقدمات في فقه السيرة)، دار المحدّث، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٦٧. حركة النفس الزكية، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٢٦٨. محمد بن محمد مهدي الكاظمي القزويني الموسوي: أصول الشيعة وفروعها، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٦٩. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦١م.

٢٧٠. محمد حسين الزين: الشيعة في التاريخ، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار الآثار، بيروت.

٢٧١. محمد صامل العلياني السلمي:منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، دار طيبة، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٧٢. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: فصول في أديان الهند، الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها، دار البخاري، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٧٣. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع نظريات وتطبيقات، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٧٤. محمد عبد الحليم مرسي:المنظور الإسلامي للثقافة.. والتربية، الطبعة الأولى مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢٧٥. محمد عبد الرحمن مرحبا: الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، ١٩٧٩م.

* محمد عبد الله دراز:

٢٧٦. الدين، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩م.

٢٧٧. النبأ العظيم، دار الفكر بيروت، بدون تاريخ.

٢٧٨. محمد كامل حسن: الحياة الفكرية والأدبية بمصر، مطبعة مصر، ١٩٥٩م.

٢٧٩. محمد كرد: الإسلام والحضارة العربية، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

٢٨٠. محمد محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٨١. محمد مختار باشا:كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٨٢. محمد مرسي أبو الليل: الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٨٣. محمد مصطفى هدارة:المأمون الخليفة العالم، سلسلة أعلام العرب، الهيئة العامة للكتاب، مصر، بدون تاريخ.

* محمد ناصر الدين الألباني:

٢٨٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٢٨٥. صحيح سنن أبي داؤد، كتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٨٦. صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٢٨٧. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ١٩٧٦م.

٢٨٨. محمود حجازي: علم اللغة العربية، الكويت، ١٩٧٣م.

محمود شيت خطاب:

٢٨٩. قادة فتح السند وأفغانستان، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٩٠. قادة فتح السند وأفغانستان، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٩١. مصطفى الخشاب: دراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

٢٩٢. مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مصر، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

٢٩٣. مناع خليل القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، التشريع والفقه، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٩٤. مونتجمري وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٩٥. ميخائيل جميعان: المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية، الأردن، عمان، المطبعة الاقتصادية، ١٩٨٣م.

٢٩٦. نجيب محمد البهتي:تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٢٩٧. نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م، الجزء السابع.
٢٩٨. هربرت جورج ولز: موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز جاويد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ
٢٩٩. هرودوت يتحدث عن مصر: ترجمة محمد صقر خفاجة، شرح أحمد بدوي، القاهرة، ١٩٦٦م.
٣٠٠. هَولو جَودَت فرج: البرامكة سَلْبِيَّتهُم وَإيجَابِيَّتهُمْ، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٣٠١. ووفاء محمد علي: الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
* يوسف العش:
٣٠٢. الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
٣٠٣. تاريخ الخلافة العباسية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٣٠٤. يوسف عبد المعطي: أمة معرضة للخطر، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

ثالثاً :الدوريات والمجلات :.

٣٠٥. خالد ماغوط ومحمد علي خياطة:ضمن أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
٣٠٦. الخفاجي:هل وضع ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة أو ترجمه؟، مجلة المنهل، جدة، محرم١٣٨٨هـ/ إبريل ١٩٦٨م.
٣٠٧. سليم طه التكريتي: بيت الحكمة في بغداد وازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م، دار الحرية للطباعة، بغداد.

٣٠٨. شاكر مصطفى: حول حركة التعريب عن الثقافات الأوائل في القرون الثلاثة الأولى للإسلام، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العدد السادس، ديسمبر ١٩٧٤م، ذو القعدة ١٣٩٤هـ.

٣٠٩. عبد الله مبشر الطرازي: تقدم العلوم العقلية في عهد العرب ببلاد السند، المجلة العربية، العدد العاشر، السنة الرابعة، ربيع أول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م.

٣١٠. عبد الله مبشر الطرازي:انتشار العلوم الإسلامية في بلاد السند، المجلة العربية، المملكة العربية السعودية، السنة الرابعة، العدد التاسع، صفر ١٤٠١هـ / ديسمبر١٩٨٠م.

٣١١. فريد جحا: أثر الترجمة في النهضة العربية الحديثة، أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٣١٢. محمد الرميحي: واقع الثقافة ومستقبلها في أقطار الخليج العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٩.

٣١٣. محمد عبد السيد حمد: إسهام الرقة وديار مضر في الترجمة، ضمن أبحاث المؤتمر السادس لتاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٣١٤. محمد فاروق النبهان:قابلية الثقافة الإسلامية للأخذ والعطاء، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، ضمن مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مكناس، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

رابعاً :الرسائل العلمية :

٣١٥. بكري عمر رحمه: الفتح الإسلامي لبلاد السند، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الدكتور الشيخ الأمين عوض الله، جمهورية السودان، جامعة النيلين، كلية الآداب، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣١٦. خادم حسين إلهي بخش: أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية، رسالة دكتوراة منشورة قدمت كلية الشريعة، جامعة أم القرى،دار حراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣١٧. عبد العليم عبد العظيم: الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، كلية الشريعة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣١٨. فوزي محمد عبده ساعاتي: انتشار الإسلام في بلاد السند والبنجاب حتى نهاية العصر الأموي ١٥-١٣٢هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، إشراف الدكتور محمد أحمد حسب الله، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣١٩. نائف بن حمود أبو قريحة: ولاية العهد منذ ظهورها حتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير منشورة قدمت لقسم التاريخ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٢٠. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، دار طيبة، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٢٠هـ.

خامساً: المراجع الأجنبية:

321 Anwar G.Chejne: Succession to the rule in Islam.

322. Aziz Ahmad: Studies in Islamic Culture in the Indian Environment, Oxford, Clarendon Press, 1964.

323. Browne: Literary History of Persia, London, 1909.

324. Bury: A history of The Later Roman Empire;1931.

325. Cajori:Ahistory of Mathematical Notation, New York,1919.

326. F.S.Taylor:The Alchemists,London,1958,p.68.

327. G.A.Dunbar:Ahistory of India from the earliest times to the present day.vol.1.

328. Gibbon: The History of the Decline and Fall of the Roman Empire,voll2.

329. Havel:The history of Aryan Rule in India ,London ,n.d.

330. Le Strange:Bagdad during the Abbasids caliphate.

331. M.A.Ali and A.S.Bukhari:Anew history of India ,Pakistan,1980.

332. Muhammad Zaki: Arab accounts of India P.54Dllhi India 1981.

333. Muir:The Caliphate; Its Rise Decline and Fall; Beirut 1963.

334. Nicholsen.A.Reynold; Letrary History of the Arabs. Combreidge; 1930.

335. Nicholson:A.Reynold: Literary History of the Arabs, Cambridge, 1930.

336. R.Ball:A Short History of Mathematices,London,1927.
337. Van Leur: Indonesian Trade and Society, Bandung, 1960.
338. Von Kremer; on the Budget of incomes of the Abbasid Empire for the year 306H.Vienna 1887.

المحتويات

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. القرآن الكريم

* إبراهيم بن محمد الفارسي بن إسحاق الأصطخري:

٢. المسالك والممالك، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

* ابن سيده:

٣. المحكم والمحيط، تحقيق م؛حمد علي النجار، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

* ابن فضلان:

٤. رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

* أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م):

٥. طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م.

* أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٣٠هـ/ ٩٤١م):

٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

* أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٥٠هـ/ ٩٦١م):

٧. مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٨. التنبيه والأشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، ١٩٣٨م.

* أبو الحسن علي بن سهل الطبري:

٩. فردوس الحكمة، تحقيق محمد الصديقي، مؤسسة جيب، برلين، ١٩٢٨م.

* أبو الحسن علي بن يوسف القفطي(ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م):

١٠. تاريخ الحكماء، ليبزج، ١٩٠٣م.

* أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م):

١١. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٢. الجماهر في معرفة الجواهر، المطبعة العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٣٧م.

١٣. تاريخ الهند، حيد أباد بالهند، ١٩٥٨م.

* أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م):

١٤. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، القاهرة، ١٨٨٢م.

* أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد القرماني:

١٥. كتاب الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، ١٢٨٢هـ.

* أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان(ت٦٨١هـ/ ١٢٨٧م):

١٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

* أبو العباس محمد بن يزيد المبرد:

١٧. الكامل في اللغة والأدب، القاهرة، ١٩٥٦م.

* أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):

١٨. البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٩. تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦ هـ.

* أبو الفرج بن هارون الملطي بن العبري(ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):

٢٠. تاريخ مختصر الدول، نشر الصالحاني، بيروت، ١٨٩٠م.

* أبو الفرج علي بن الحسين بن الهيثم الأصفهاني (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م):

٢١. مقاتل الطالبيين، المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ.

* أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة(ت٣٠٠هـ/ ٩١٣م):

٢٢. المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي،بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر(ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م):

٢٣. تاريخ دمشق وذكر فضلها، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل(ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م):

٢٤. صورة الأرض، الطبعة الثانية، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٨م.

* أبو الوليد محمد بن رشد الأندلسي الفيلسوف (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م):

٢٥. فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق أبو ريدة، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

* أبو بكر الرازي:

٢٦. إيضاح مختار الصحاح، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م):

٢٧. تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* أبو جعفر محمد بن حبيب بن عمرو الهاشمي البغدادي:

٢٨. كتاب المحبر ، صححه ايلزة ليختن شتير ،دار الأوقاف ، بيروت ، بدون تاريخ.

* أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي(ت٥٠٥هـ/ ١١١١م):

٢٩. فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، القاهرة، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م.

٣٠. المنقذ من الضلال،راجعه عرفان عبد الحميد، الفكر العربي، عمان، ١٩٩١م.

٣١. إحياء علوم الدين، دار الريان، القاهرة، بدون تاريخ.

* أبو داود سليمان بن حيان الأندلسي بن جُلْجل (ت٣٧٧هـ/ ٩٨٧م):

٣٢. طبقات الأطباء والحكماء، حققه فؤاد سيد، مطبعة المعهد الفرنسي، القاهرة، ١٩٥٥م.

* أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي(ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م):

٣٣. شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

* أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م):

٣٤. تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٧م.

* أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ/ ١٣٤٩م):

٣٥. الطب النبوي، حققه عبد المجيد طعمه، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

* أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م)):

٣٧. الوزراء والكتاب، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري والشلبي، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

* أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي:

٣٨. كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

* أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م):

٣٩. سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ، بيروت، بدون تاريخ.

* أبو عثمان عمرو بن عمرو الجاحظ (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م):

٤٠. البيان والتبيين، دار الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

* أبو علي أحمد بن عمر بن رسته:

٤١. الأعلاق النفسية في تقويم البلدان، ليدن، ١٨٩١م.

* أبو علي المحسن بن علي التنوخي (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م):

٤٢. كتاب الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

* أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي(ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

٤٣. سنن الترمذي، حققه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

* أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):

٤٤. كتاب عيون الأخبار، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

* محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):

٤٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٦. جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.

* أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني:

٤٧. المسند المستخرج على صحيح مسلم، حققه محمد حسن محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي:

٤٨. المعرفة والتاريخ، حققه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

* أبوبكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):

٤٩. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

* أبوسعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني(ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م):

٥٠. الأنساب، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي(ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م):

٥١. البلدان، طبعه المستشرق الهولندي دي خويه، ليدن، ١٨٩٢م.

٥٢. تاريخ اليعقوبي، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

* أحمد بن أعثم الكوفي:

٥٣. الفتوح، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي(ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م):
٥٤. سنن البيهقي الكبرى، حققها محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
* أحمد بن علي بن محمد الكناني ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):
٥٥. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٥٦. تقريب التهذيب، تحقيق أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ.
٥٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بدون تاريخ.
٥٨. لسان الميزان، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
* أحمد بن محمد ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م):
٥٩. العقد الفريد، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.
* أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري(ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):
٦٠. البلدان فتوحها وأحكامها، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
٦١. أنساب الأشراف، القسم الثالث، تحقيق عبدا لعزيز الدوري، بيروت، ١٩٧٨م.
* أحمد بن يحيى بن فضل الله العُمَري (٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م):
٦٢. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد سالم العوفي، مطبعة المدني، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
* تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م):
٦٣. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطاحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.
* خليفة بن خياط(ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م):
٦٤. تاريخ خليفة بن خياط، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
* خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي(ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):
٦٥. الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
* سعد بن عبيد الله أبي خلف الأشعري القمي (ت٣٠١هـ/ ٩١٣م):
٦٦. المقالات والفرق، صححه محمد جواد مشكور، طهران، ١٩٦٣م.

* سلمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م):

٦٧. المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور محمود الحاج، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري المقدسي(ت٣٨٧هـ/ ٩٩٧م):

٦٨. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، الطبعة الثانية، ١٩٠٩م.

* شهاب الدين عبد الحي بن أحمد العسكري بن العماد الحنبلي الدمشقي(ت١٠٨٩هـ):

٦٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

* شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي:(ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):

٧٠. معجم البلدان، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٧١. معجم الأدباء، مطبعة مرغليوث، القاهرة، ١٩٣٣م.

* صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي الطليطلي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):

٧٢. طبقات الأطباء، تحقيق: لويس شيخو، بيروت، ١٩١٢م.

* صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي:

٧٣. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

* طاش كبرى زاده (ت٩٦٨هـ/ ١٥٦١م):

٧٤. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ترجمه أحمد بن مصطفى بن خليل، الهند، حيدر أباد، ١٣٢٩هـ.

* عبد الباقي بن قانع أبو الحسين:

٧٥. معجم الصحابة، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

* عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

٧٦. طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٧٧. تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين وبهامشه كتاب آثار الأول في ترتيب الدول، المطبعة اليمنية، مصر، ١٣٠٥م.

* عبد الرحمن بن خلدون(ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):

٧٨. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

* عبد الرحمن بن سنبط قنيتو الأربلي (ت٧١٧هـ/ ١٣١٥م):

٧٩. خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك، مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

* عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش (ت٥٨٤هـ/ ١١٨٨م):

٨٠. غزوات ابن حبيش، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* عبد السلام بن عبد الله بن الخضر الحراني مجد الدين أبو البركات بن تيمية(ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م):

٨١. مجموع فتاوى ابن تيمية، عالم الكتب، بدون تاريخ.

* عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م):

٨٢. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

* عبد الله بن المقفع:

٨٣. كتاب كليلة ودمنة، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

* عبد الملك بن هشام(ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م):

٨٤. السيرة النبوية، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة ألأولى، ١٤١٢هـ ،١٩٩٢م.

* عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

٨٥. الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

* علي بن أنجب بن عثمان بن الساعي (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م):

٨٦. مختصر أخبار الخلفاء، المطبعة الأميرية بولاق، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٠٩هـ.

* علي بن حامد بن أبى بكر الكوفي (ت٦١٣هـ/ ١٢١٦م):

٨٧. فتح السند (ججنا مة)، تحقيق سهيل زكا ر، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م):

٨٨. الإنصاف للمرداوي، حققه محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

* علي بن محمد الروحي (ت٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م):

٨٩. بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، مطبعة النجاح، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م

* علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م):

٩٠. الأحكام السلطانية، مصر، ١٢٩٨هـ.

* عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبو الفداء صاحب حماة (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣٤م):

٩١. كتاب تقويم البلدان: صححه وطبعه رينو والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠هـ،

* عمر بن أبي علي بن دحية (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م):

٩٢. النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦م.

* عمر بن أحمد أبو جعفر الواعظ (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م):

٩٣. تاريخ أسماء الثقات، تحقيق صبحي السامرائي، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٩٤. مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، تحقيق الدوري، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١م.

٩٥. مؤلف مجهول: العيون والحدائق، طبعة ١٨٧١.

* محمد أبو بكر بن عبد القادر الرازي (ت٧٢١هـ/ ١٣٢٣م):

٩٦. مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

* محمد بن أبي القاسم عبد الكريم الشهرستاني(ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م):

٩٧. الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي، مصر، بدون تاريخ.

* محمد بن أبي يعلى أبو الحسين (ت٥٢١هـ/ ١١٢٧م):

٩٨. طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

* محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

٩٩. تجريد أسماء الصحابة، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

١٠٠. سير أعلام النبلاء، الطبعة الحادية عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٠١. تذكرة الحفاظ، حيدر أباد، الهند، ١٣٧٧هـ.

١٠٢. تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

* محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م):

١٠٣. صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

١٠٤. الأدب المفرد، دار البشائر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

* محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م):

١٠٥. الثقات، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.

١٠٦. مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.

* محمد بن سحاق بن النديم (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م):

١٠٧. الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

* محمد بن سعد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م):

١٠٨. الطبقات الكبرى، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

* محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م):

١٠٩. طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

* محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣٠م):

١١٠. التقييد، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

* محمد بن عبد الله الحاكم:

١١١. المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

* محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي(ت٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م):

١١٢. مولد العلماء ووفياتهم، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

* محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطَوطة(ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):

١١٣. تحفة النظَار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

* محمد بن علي بن طباطا الطقطقي (ت ٧٠٩هـ/ ١٤٠٩م):

١١٤. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

* محمد بن علي بن محمد بن العمراني (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م):

١١٥. الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق د.قاسم السامرائي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* محمد بن عمر الواقدي:

١١٦. فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

* محمد بن موسى الخوارزمي:

١١٧. كتاب الجبر والمقابلة، نشره على مصطفى مشرفة، القاهرة، ١٩٣٧م.

* محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):

١١٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١١٩. جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.

* محمد يوسف الصالحي الدمشقي(ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م):

١٢٠. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق مصطفى عبد الواحد، لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٤هـ.

* مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م):

١٢١. صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م

* مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحاج خليفة(ت١٠٦٧هـ):

١٢٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، القاهرة، ١٣١١هـ

* مطهر بن طاهر المقدسي:

١٢٣. كتاب البدء والتاريخ، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

* النرشخي:

١٢٤. تاريخ بخاري، ترجمة عربية، القاهرة، ١٩٦٥م.

* يحي بن شرف الحوراني أبو زكريا محي الدين النووي(ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م):

١٢٥. تهذيب الأسماء واللغات، دار الفكر، بدون تاريخ.

* يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن الزاكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي:

١٢٦. تهذيب الكمال، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

* يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي(ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):

١٢٧. جامع بيان العلم وفضله، القاهرة، ١٣٤٦هـ.

١٢٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة إلى العربية:.

١٢٩. إبراهيم إمام أحمد: تاريخ الفلك عند العرب، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٣٠. إبراهيم محمد العلي: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رجل الإصلاح والدعوة، دار

القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٣١. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

١٣٢. أبو الحسن الندوي: العرب والإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.

١٣٣. أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني: علم الكلام، دار الثقافة، القاهرة، بدون تاريخ.

١٣٤. أبو بكر الرازي: إيضاح مختار الصحاح، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٣٥. إحسان حقي: تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٣٦. أحمد الحوفي: القرآن والتفكير، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٥م.

١٣٧. أحمد الشرقاوي وإبراهيم علي السيد: مدخل إلى الثقافة الإسلامية، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٣٨. أحمد أمين : ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

١٣٩. أحمد رمضان: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، بدون تاريخ.

١٤٠. أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م

١٤١. أحمد عبد الباقي: معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

١٤٢. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٤٣. أحمد فريد: من أعلام السلف، الدار السلفية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

١٤٤. أحمد محمد جمال: محاضرات في الثقافة الإسلامية، الطبعة الثالثة، دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

١٤٥. أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون تاريخ.

١٤٦. إسماعيل مظهر: تاريخ الفكر العربي، دار العصور، القاهرة، ١٩٢٨م.

١٤٧. أمير علي: روح الإسلام، ترجمة أمين محمود الشريف، القاهرة، ١٩٦١م.
١٤٨. أمينة البيطار: دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، دار القلم والكتاب، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
١٤٩. أوليري: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، نقله إلى العربية تمام حسان، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٥٧م.
١٥٠. برهان الدين الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
١٥١. توفيق الطويل:في تراثنا العربي الإسلامي، مطابع الرسالة، الكويت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
١٥٢. توفيق سلطان اليوزبكي:تاريخ أهل الذمة في العراق، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٥٣. ثابت إسماعيل الراوي: العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٥م.
١٥٤. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.
١٥٥. جلال مظهر: الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٩م.
١٥٦. جميل عبد الله المصري: الموالي وموقف الدولة الأموية منهم، دار أم القرى للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٥٧. جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة يعقوب بكر، الكويت، ١٩٥٨م.
١٥٨. حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤١٦هـ،١٩٩٦م.
١٥٩. حسن أحمد محمود : الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ٢١ـ٤٤٧هـ، القاهرة، ١٩٦٨م.
١٦٠. حسن عبد العال: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م.
١٦١. حسن عيسى عبد الظاهر وآخرون: بحوث في الثقافة الإسلامية، مكتبة مركز الحكمة، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
١٦٢. حسن محمود الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة

الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٦٣. الحسين بن محمد الدامغاني: قاموس القرآن، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

* حسين عاصي:

١٦٤. أبو جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٦٥. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٦٦. خليفة بن خياط، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٦٧. حسين عطوان:الدعوة العباسية تاريخ وتطور، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٤م.

١٦٨. حسين نصار:المعجم العربي نشأته وتطوره، مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٦٩. حكمت نجيب عبد الرحمن: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل، ١٩٦٩م.

١٧٠. حمد كامل حسين: في الطب والأقراباذين، كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، القاهرة، بدون تاريخ.

١٧١. حياة سعيد عمر با أخضر: موقف الإسلام من السحر، دار المجتمع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٧٢. حيدر بامات: إسهام المسلمين في الحضارة، ترجمة ماهر عبد القادر، نشر المركز المصري للدراسات والأبحاث، الإسكندرية، ١٩٦٨م.

١٧٣. رجب سعيد شهوان وآخرون: دراسات في الثقافة الإسلامية، الكويت، ١٩٨١م.

١٧٤. رشيد حميد حسن الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، مطبعة الجماهيرية العربية الليبية، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٨٢م.

١٧٥. زكي محمد إسماعيل:الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٧٦. زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية فاروق بيضون

وكمال دسوقي، بيروت، ١٩٨١م.

١٧٧. سامي خلف حمارنة:تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب، المطبعة الوطنية بعمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٧٨. سعد بن حذيفة الغامدي: سقوط الدولة العباسية، دار ابن حذيفة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٧٩. سعدي أبو حبيب:مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دار الفكر دمشق، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٨٠. سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني النفوسي: كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مطبعة الأزهار البارونية، بدون تاريخ.

١٨١. سليمان بن حمد العودة: كيف دخل التتار بلاد المسلمين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٨٢. سميح عاطف الزين: الثقافة والثقافة الإسلامية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

* سمير عبد الحميد إبراهيم:

١٨٣. الألفاظ العربية في اللغة الأردية، دراسة دلالية معجمية، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

١٨٤. اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م.

١٨٥. معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية، مطابع جامعة الإمام، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٨٦. معجم تراكيب الألفاظ العربية في اللغة الأردية، مطابع جامعة الإمام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٨٧. سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق،بيروت، بدون تاريخ

١٨٨. شاكر مصطفي: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

١٨٩. شوقي أبو خليل: في التاريخ الإسلامي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية،

١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٩٠. شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ.

١٩١. شوقي موفق الشطي: موجز تاريخ الطب، دمشق، بدون تاريخ.

١٩٢. صالح أحمد العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، بغداد، ١٩٥٣م.

١٩٣. صالح ذياب هندي: دراسات في الثقافة الإسلامية، جمعية عمال المطابع، عمان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٩٤. صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٣هـ.

١٩٥. الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

١٩٦. طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبية: الحضارة الإسلامية، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٩٧. عارف العارف: الحرم القدسي، مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، القدس، ١٩٤٧م.

١٩٨. عاطف غيث: دراسات إنسانية واجتماعية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م.

١٩٩. عامر النجار: حركة الترجمة وأهم أعلامها في العصر العباسي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٠٠. عبد الحليم عويس: ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، الرياض، ١٩٧٩م.

* عبد الحليم منتصر :

٢٠١. محاضرات في العلوم عند العرب، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢٠٢. عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، القاهرة، ١٩٨٠م.

٢٠٣. عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت١٣٤١هـ): نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، في تراجم علماء الهند وأعيانها من القرن الأول الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ.

٢٠٤. عبد الحي فخر الدين الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٨٢هـ.

٢٠٥. عبد الراضي محمد عبد المحسن: مشكلة التأليه في فكر الهند الديني، دار الفيصلية الثقافية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٠٦. عبد الرحمن النقيب: الإعداد التربوي المهني للطبيب عند المسلمين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤م.
٢٠٧. عبد الرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، بيروت، دار القلم، ١٩٧٩م.
٢٠٨. عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢٠٩. عبد الغني عبود: الحضارة الإسلامية المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١م.
٢١٠. عبد الفتاح فتح الله سعيد: المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٢١١. عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨.
٢١٢. عبد الله بن علي المسند: العلويون والعباسيون ودعوة آل البيت، دار المنار، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٢١٣. عبد الله خورشيد البري: القرآن وعلومه في مصر (٢٠ ـ ٣٥٨هـ)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م.
٢١٤. عبد الله قاسم الوشلي: المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، مؤسسة الكتب للثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٢١٥. عبد الله مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٣٨م.
٢١٦. عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي ١٥ـ ٤١٦هـ/ ٦٣٦ـ ١٠٢٥م، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
٢١٧. عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، القاهرة، ١٩٥٠م.
٢١٨. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٢م.
٢١٩. عدنان محمد زرزور: نحو فلسفة إسلامية للعلوم، من منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٧م.
٢٢٠. عز الدين الخطيب التميمي وآخرون: نظرات في الثقافة الإسلامية، دار الفرقان

للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـن١٩٨٤م
* عصام الدين محمد علي:
٢٢١. آفاق الحضارة الإسلامية والأوروبية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٢٢٢. بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة من أواخر القرن الأول وحتى منتصف القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٦م.
٢٢٣. عصام عبد الرءوف الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٢٢٤. علي حسني الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، مصر، ١٩٦٩م.
* علي عبد الواحد وافي:
٢٢٥. اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.
٢٢٦. علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة السادسة، بدون تاريخ
٢٢٧. فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٧٣م.
٢٢٨. علي محمد الصلابي : عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور الخوارج ، دار البيارق ، الأردن ،الطبعة الأولى،١٤١٨هـ ،١٩٩٨م .
٢٢٩. علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الطبعة الأول، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.
* عماد الدين خليل:
٢٣٠. حول انتشار الإسلام وقائع وملاحظات، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.
٢٣١. في التأصيل الإسلامي للتاريخ، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
* عمر فروخ:
٢٣٢. الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب، بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
٢٣٣. تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.
٢٣٤. غالب بن علي عواجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٢٣٥. غوستاف لوبون: حضارات الهند، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية،

القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

* فاروق عمر فوزي:

٢٣٦. نشأة الحركات الدينية السياسية في الإسلام، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٢٣٧. بحوث في التاريخ العباسي، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.

٢٣٨. فاسيلي فلاديمرويج بارتولد:تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمه عن الروسية حمزة طاهر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٤٢م.

٢٣٩. فتحي عبد الفتاح أبو سيف: المشرق الإسلامي بين التبعية والاستقلال، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٨م.

٢٤٠. فرج محمد الهوني: تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، بنغازي، ١٩٨٦م.

٢٤١. الفستون: تاريخ الهند، ترجمة عادل زعيتر، مصر، بدون تاريخ.

* فيليب حتى:

٢٤٢. تاريخ العرب، بيروت، ١٩٨٦م

٢٤٣. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م.

* القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري:

٢٤٤. الهند في عصر العباسيين، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

٢٤٥. رجال السند والهند إلى القرن السابع، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

٢٤٦. العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

٢٤٧. قدري حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، القاهرة، بدون تاريخ.

* كارل بروكلمان:

٢٤٨. تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد بكر يعقوب ورمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢٤٩. تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٦٨م.

٢٥٠. كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، طبعة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٧م.

٢٥١. كرلونلّينو: علم الفلك:تاريخه عند العرب في العصور الوسطى، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩١١م.

* كي لستر نج:

٢٥٢. بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكور كيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٥٣. بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة بشير يوسف فرنسيس، المطبعة العربية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

٢٥٤. مؤلف مجهول: العيون والحدائق، طبعة ١٨٧١.

٢٥٥. ماكس مايرهوف: تراث الإسلام، ترجمة جرجيس فتح الله، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٤م.

٢٥٦. محفوظ علي عزام: نظرات في الثقافة الإسلامية، دار اللواء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

* محمد أبو زهرة:

٢٥٧. الدعوة إلى الإسلام تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٥٨. تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٢٥٩. محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة، حضارتها وأديانها، دار الشعب، مصر، ١٩٧٠م.

٢٦٠. محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي: أضواء البيان، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٦١. محمد البهي: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.

* محمد الخضري بك:

٢٦٢. الدولة الأموية، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٦٣. الدولة العباسية، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* محمد السيد الوكيل:

٢٦٤. العصر الذهبي للدولة العباسية دراسة وصفية وتحليلية لتلك الدولة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٦٥. العصر الذهبي للدولة العباسية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى،

١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

* محمد سليمان العبدة:

٢٦٦. الطريق إلى المدينة (مقدمات في فقه السيرة)، دار المحدّث، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٦٧. حركة النفس الزكية، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٢٦٨. محمد بن محمد مهدي الكاظمي القزويني الموسوي: أصول الشيعة وفروعها، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٦٩. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦١م.

٢٧٠. محمد حسين الزين: الشيعة في التاريخ، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار الآثار، بيروت.

٢٧١. محمد صامل العلياني السلمي:منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، دار طيبة، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٧٢. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: فصول في أديان الهند، الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها، دار البخاري، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٧٣. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع نظريات وتطبيقات، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٧٤. محمد عبد الحليم مرسي:المنظور الإسلامي للثقافة.. والتربية، الطبعة الأولى مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢٧٥. محمد عبد الرحمن مرحبا: الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، ١٩٧٩م.

* محمد عبد الله دراز:

٢٧٦. الدين، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩م.

٢٧٧. النبأ العظيم، دار الفكر بيروت، بدون تاريخ.

٢٧٨. محمد كامل حسن: الحياة الفكرية والأدبية بمصر، مطبعة مصر، ١٩٥٩م.

٢٧٩. محمد كرد: الإسلام والحضارة العربية، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

٢٨٠. محمد محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٨١. محمد مختار باشا:كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٨٢. محمد مرسي أبو الليل: الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٨٣. محمد مصطفى هدارة:المأمون الخليفة العالم، سلسلة أعلام العرب، الهيئة العامة للكتاب، مصر، بدون تاريخ.

* محمد ناصر الدين الألباني:

٢٨٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٢٨٥. صحيح سنن أبي داؤد، كتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٨٦. صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٢٨٧. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ١٩٧٦م.

٢٨٨. محمود حجازي: علم اللغة العربية، الكويت، ١٩٧٣م.

محمود شيت خطاب:

٢٨٩. قادة فتح السند وأفغانستان، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٩٠. قادة فتح السند وأفغانستان، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٩١. مصطفى الخشاب: دراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

٢٩٢. مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مصر، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

٢٩٣. مناع خليل القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، التشريع والفقه، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٩٤. مونتجمري وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٩٥. ميخائيل جميعان: المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية، الأردن، عمان، المطبعة الاقتصادية، ١٩٨٣م.

٢٩٦. نجيب محمد البهتي:تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٢٩٧. نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م، الجزء السابع.
٢٩٨. هربرت جورج ولز: موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز جاويد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ
٢٩٩. هرودوت يتحدث عن مصر: ترجمة محمد صقر خفاجة، شرح أحمد بدوي، القاهرة، ١٩٦٦م.
٣٠٠. هَولو جَودَت فرج: البرامكة سَلْبِيَّتهُم وَإيجَابِيَّتهُمْ، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٣٠١. ووفاء محمد علي: الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
* يوسف العش:
٣٠٢. الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
٣٠٣. تاريخ الخلافة العباسية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٣٠٤. يوسف عبد المعطي: أمة معرضة للخطر، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

ثالثاً: الدوريات والمجلات:

٣٠٥. خالد ماغوط ومحمد علي خياطة:ضمن أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
٣٠٦. الخفاجي:هل وضع ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة أو ترجمه؟، مجلة المنهل، جدة، محرم١٣٨٨هـ/ إبريل ١٩٦٨م.
٣٠٧. سليم طه التكريتي: بيت الحكمة في بغداد وازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م، دار الحرية للطباعة، بغداد.

٣٠٨. شاكر مصطفى: حول حركة التعريب عن الثقافات الأوائل في القرون الثلاثة الأولى للإسلام، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العدد السادس، ديسمبر ١٩٧٤م، ذو القعدة ١٣٩٤هـ.

٣٠٩. عبد الله مبشر الطرازي: تقدم العلوم العقلية في عهد العرب ببلاد السند، المجلة العربية، العدد العاشر، السنة الرابعة، ربيع أول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م.

٣١٠. عبد الله مبشر الطرازي:انتشار العلوم الإسلامية في بلاد السند، المجلة العربية، المملكة العربية السعودية، السنة الرابعة، العدد التاسع، صفر ١٤٠١هـ / ديسمبر١٩٨٠م.

٣١١. فريد جحا: أثر الترجمة في النهضة العربية الحديثة، أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٣١٢. محمد الرميحي: واقع الثقافة ومستقبلها في أقطار الخليج العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٩.

٣١٣. محمد عبد السيد حمد: إسهام الرقة وديار مضر في الترجمة، ضمن أبحاث المؤتمر السادس لتاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٣١٤. محمد فاروق النبهان:قابلية الثقافة الإسلامية للأخذ والعطاء، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، ضمن مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مكناس، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

رابعاً :الرسائل العلمية :

٣١٥. بكري عمر رحمه: الفتح الإسلامي لبلاد السند، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الدكتور الشيخ الأمين عوض الله، جمهورية السودان، جامعة النيلين، كلية الآداب، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣١٦. خادم حسين إلهي بخش: أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية، رسالة دكتوراة منشورة قدمت كلية الشريعة، جامعة أم القرى،دار حراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣١٧. عبد العليم عبد العظيم: الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، كلية الشريعة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣١٨. فوزي محمد عبده ساعاتي: انتشار الإسلام في بلاد السند والبنجاب حتى نهاية العصر الأموي ١٥-١٣٢هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، إشراف الدكتور محمد أحمد حسب الله، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣١٩. نائف بن حمود أبو قريحة: ولاية العهد منذ ظهورها حتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير منشورة قدمت لقسم التاريخ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٢٠. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، دار طيبة، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٢٠هـ.

خامساً: المراجع الأجنبية:

321 Anwar G.Chejne: Succession to the rule in Islam.

322. Aziz Ahmad: Studies in Islamic Culture in the Indian Environment, Oxford, Clarendon Press, 1964.

323. Browne: Literary History of Persia, London, 1909.

324. Bury: A history of The Later Roman Empire;1931.

325. Cajori:Ahistory of Mathematical Notation, New York,1919.

326. F.S.Taylor:The Alchemists,London,1958,p.68.

327. G.A.Dunbar:Ahistory of India from the earliest times to the present day.vol.1.

328. Gibbon: The History of the Decline and Fall of the Roman Empire,voll2.

329. Havel:The history of Aryan Rule in India ,London ,n.d.

330. Le Strange:Bagdad during the Abbasids caliphate.

331. M.A.Ali and A.S.Bukhari:Anew history of India ,Pakistan,1980.

332. Muhammad Zaki: Arab accounts of India P.54Dllhi India 1981.

333. Muir:The Caliphate; Its Rise Decline and Fall; Beirut 1963.

334. Nicholsen.A.Reynold; Letrary History of the Arabs. Combreidge; 1930.

335. Nicholson:A.Reynold: Literary History of the Arabs, Cambridge, 1930.

336. R.Ball:A Short History of Mathematices,London,1927.
337. Van Leur: Indonesian Trade and Society, Bandung, 1960.
338. Von Kremer; on the Budget of incomes of the Abbasid Empire for the year 306H.Vienna 1887.

ملخص البحث باللغة العربية

استهللت البحث بتمهيدٍ تحدثت فيه عن مصطلحات عنوان الرسالة، فتناولت معنى الثقافة الإسلامية في اللغة العربية، ومفهومها عند الغربيين، ثم أتبعت ذلك بمعناها في الاصطلاح، وخلصت إلى مفهوم الثقافة الإسلامية بصفة عامة، وما قصدته من معنى في الأطروحة بصفة خاصة.

ثم عرّفت ببلاد السند من حيث منشأ التسمية، والموقع الجغرافي، والحدود التي استقر عليها الإقليم قبيل الفتح الإسلامي الذي كانت أولى محاولاته في عهد الخليفة الفاروق ﵁، فتتبعت حملاته على منطقة مكران بعد أن أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية، وقدَّمتُ شرحاً لأوضاعها في عهد الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ثم تناولت أحوال الإقليم في عصر بني أمية، إلى أن اكتمل الفتح واستقرت المنطقة بأكملها في خلافة الوليد بن عبد الملك، وولاية الحجاج بن يوسف على العراق، وقيادة محمد بن القاسم فاتح السند، والذي قام بجهود مُقَدَّرة في ضم المنطقة لأرض الإسلام.

ثم تحدثت عن قيام الدولة العباسية والظروف التي هيأت لنجاحها، والخلفاء الذين تعاقبوا على عرشها في عصرها الأول، مبرزاً أهم أعمالهم والأحداث التي وقعت في عصر كل منهم.ثم تناولت العقبات التي اعترضت الدولة العباسية والمتمثلة في الانقسام داخل البيت العباسي، ومحاولات الأمويين لاستعادة نفوذهم، والمحاولات التي قام بها العلويون للوصول إلى السلطة، وثورات الخوارج، وأخيراً موقف الموالي من الدولة العباسية، والحركات التي قاموا بها ضدها.

وفي الفصل الأول تناولت أوضاع السند منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر العباسي الأول، وذلك من الناحية السياسية والدينية والاجتماعية.فمن الناحية السياسية بدأت بأوضاع المنطقة منذ خلافة سليمان بن عبد الملك إلى عصر الخليفة العباسي الواثق، فتتبعت الأحداث التي مرّت بالمنطقة والولاة الذين تعاقبوا على حكمها، وأهم الأحداث السياسية التي صاحبت فترة حكمهم.

أما حالة المنطقة الدينية فقد مهّدْتُ لها بإبراز أهم مظاهر الحياة الدينية قبيل الفتح، ثم أتبعت ذلك بانتشار الإسلام، ودخول المذاهب الإسلامية في بلاد السند، وظهور الفرق الدينية كالشيعة والخوارج.

ثم تناولت أوضاع المنطقة الاجتماعية مستهلاً ذلك بالحديث عن القبائل السندية وأوضاعها الاجتماعية، والقبائل العربية وتكويناتها، وخلصت إلى المجتمع السندي الجديد المكوّن من القبائل السندية والعربية، وبعض الآثار السالبة التي ترتبت على دخول القبائل العربية إلى المنطقة والمتمثلة في انتقال العصبية إلى السند.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لأهم وسائل انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في بلاد السند، وقد أبرزت جهود الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية، وحكام السند في نشر التعليم بالمنطقة، وأتبعت ذلك بإبراز جهود خلفاء بني العباس وحكامهم على السند.ثم تحدثت عن اللغة العربية وأثرها في التمازج والتداخل بين المسلمين العرب وأهل السند، إضافة إلى استقطاب العناصر المسلمة والمستعربة التي تضم العناصر السندية المقيمة في جزيرة العرب، والقبائل العربية التي قطنت أرض السند. وكان من تلك الوسائل الاهتمام بالشعر وإكرام رواده وأثر ذلك على انتقال الثقافة الإسلامية.ثم ختمت تلك الوسائل بالتعرُّض لحركة التواصل التجاري بين بلاد السند وبلاد العرب.

وكان الفصل الثالث مخصصاً للعلوم الدينية والعقلية في بلاد السند، وذلك لكونها حادي ركب الثقافة الإسلامية، وقد بدأتها بالحديث عن العلوم الدينية باعتبارها أُولى العلوم التي نقلها المسلمون إلى البلاد المفتوحة، وقبل تناول العلوم العقلية تعرّضت للترجمة ودورها في إثراء العلوم العقلية.

وخصصت الفصل الرابع والأخير لنتائج التمازج الفكري بين الثقافة الإسلامية والسندية، والذي تمثل في حركة التواصل العلمي بين بلاد العرب والسند منذ العهد الراشدي ومروراً بعصر بني أمية، إلى نهاية العصر العباسي الأول، وذلك بإبراز مجموعة من العلماء المسلمين الذين قدموا بلاد السند كقادة أو علماء أو دعاة أو قضاة وأئمة. ثم أتبعت ذلك بذكر إسهام علماء السند في الصرح الإسلامي، وقد

قسّمتهم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يشمل العلماء الذين كان آباؤهم وأجدادهم من السند فاعتنقوا الإسلام وصُبغوا بصبغة الدين، أما القسم الثاني فيضم السبايا والموالي الذين جُلبوا من السند وصاروا في ولاء الإسلام، فانضموا إلى القبائل والأفراد. وفي القسم الثالث تناولت العلماء الذين برزوا في مجال العلوم العقلية وأسلموا وقدموا إلى بغداد، أو مَنْ ظلّ منهم على دينه فقدّم للإسلام عصارة علومه رغبة فيما عند الخلفاء من عطايا. وأخيراً تناولت المراحل التي مرت بها اللغة السندية بَادِئاً بصراعها مع اللغات الأخرى قبل الإسلام، ثم الأدوار التي مرت بها بعد احتكاكها باللغة العربية، وما تمخض عن هذا الاحتكاك من تغيير جذري على كلماتها وحروفها.

ثمّ جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وبها أنهيت الرسالة.

ABSRACT

In the Name of Allah The All Merciful The Most Compassionate

At the start of this research, the researcher, wrote about the terms used on the title of this dissertation. He stated the Arabic meaning of Islamic Culture, then its concept as understood by people in the West . He then stated the concept of Islamic culture as a terminology , then as general meaning and finally what is meant by this term in this dissertation .

The researcher , then gave a review about the Sind Land , considering how it came to be called Sind , its geographical site , its boundaries at the time prior the Islamic capture to Sind ; on its first trails by the time of the Caliph Omer Ibn El Khutab (may God be pleased with him). The researcher traced backed the history of the military campaign to the Mokraan area , after it became part of the Islamic State . Then I gave details about its status during the rules of the two Caliphs : Othman Ibn Afan and Ali Ibn Abi Talib (may God be pleased with them) . The researcher then explained the state of affairs in the region during the rule of Bin Omm'iah up to the time when all the region came under the Islamic State ; under the reign of

Caliph el-Walied Ibn Abd el-Malik , the Governer Hajajj Ibn Yuosuf , and the Leader Mohammed Ibn el-Gassim , the Conqueror of Sind , who made great efforts to join the region to Islam State .

The researcher also wrote about the Abbas'ieh State : its establishment , the factors which made that possible, the successive Caliphs , on its first era, their most conspicuous achievements; as well as the main obstacles that faced the State:namely the splits among the same family , the Ommawians trying to get back their influence , the trails made by Alwiy'eens to take power ,the Khawarij's uprisings and the non-Arabs and their stand against the State .

In chapter one the researcher discussed the political , religious and social conditions in the Sind since the Islamic conquer on the land up to the end of the Abbasi's era . As for the political conditions , I started from the time of Caliph Sulieman Ibn Abd Al-Malik and on to the time of Caliph Al-Wathiq , mentioning the governers and the main political events .

I introduced for the religious situation by highlighting the most conspicuous religious features prior Islam , then after the spread of Islam and the appearance of Islamic sects as well as religious groups , such as Shi'at and Khawarij .

When discussing the social conditions , I wrote about the Sindu tribes and their social conditions , the Arab tribes and their formations ; and finalized by the new Sindu society which was a result of the intermingling of both Arabic and Sindu tribes . I also wrote about the negative influences , such as racism , which entered the regions with the coming of Arabic tribes .

Chapter two included the main media for the spreading of the Islamic culture in the region.I showed the efforts of the Four Orthodox Caliphs , the caliphs of Bin Ommi'a and the Sindu Governors to spread education as well as those of Bin Al-Abbass in the region . I also elaborated on the role of Arabic language in diffusion between the Moslim Arabs and local people of the region and on the attraction of Muslims and Arabiced bodies that were living in the regions . Some of those attracting factors were caring for poetry and honoring poets and finally also the commercial communication between the region and the Arab world .

Chapter three was exclusively for religious and intellectual sciences in the Sindu land as these were primarily the leading Islamic Cultural subjects.I started with the religious sciences because it was the first to be introduced into the region . Before discussing the intellectual sciences ,

I wrote about translation and its role in enriching those intellectual sciences .

Chapter four was about the intellectual intermixing between the Islamic and Sindu cultures that was evident on scientific communication since the orthodox era , during Bin Ommia's and up to the last days of Bin Al-Abbass first period.This was done by presenting a group of scholars who arrived Sind as leaders, scientists, Islamic propagandists , judges or Imams . I , then , divided the scholars of the Sind into three groups according to their contributions to the Islamic structure.The first group was of those whose fathers and grandfathers were Sind but embraced Islam and became known as religious. The second group was of those who were enslaved and brought from Sind , lived under the umbrella of Islam and were attached to some tribes and individuals .The third group was of those scientists who distinguished on sciences , embraced Islam and came to live in Bagdad or remained on their religion but contributed into Islamic culture for the sake of the Caliphs' donations. Finally , I wrote about the stages of the Sindu language; starting from its conflict with other languages before Islam , then its stages after coming into contact with Arabic and the consequent resulting change on Sindu vocabulary and letters .

The epilogue contained the most important conclusions that I found through the research .

الملحق الثاني

خرائط مختلفة لبلاد السند